

بُلُوغُ الْأَرَبِ
فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ أَسْوَاقِ الْعَرَبِ

تأليف
السيد محمود شكري الأوسلي
البنف تاريني

مُحَقَّقٌ بِشَرْحِهِ وَتَفْصِيلِهِ وَصَبْطِهِ
محمد بهجت الأثري

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



0091296



Bibliotheca Alexandrina



061

30712

909.049

27

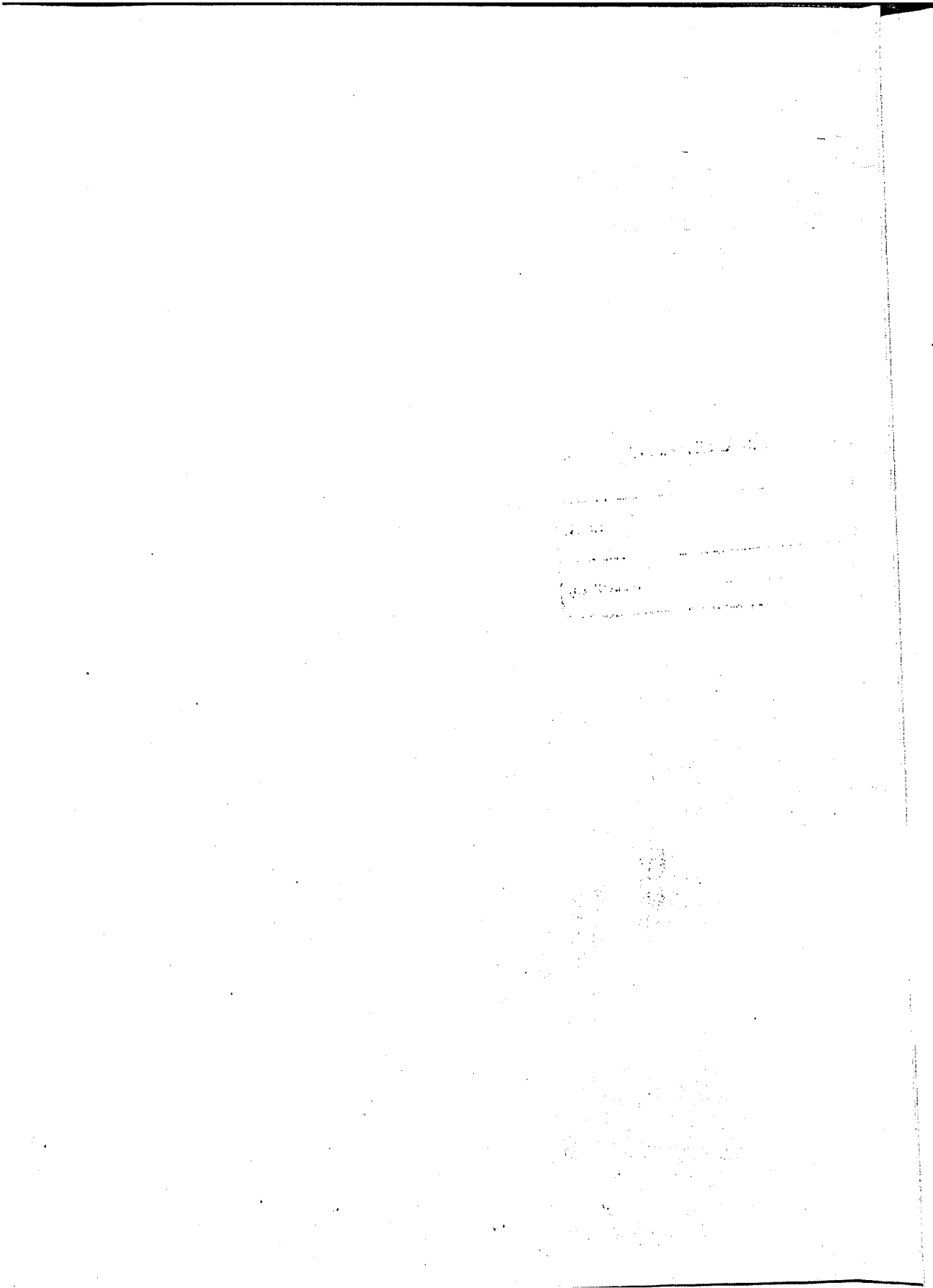
د غ د

ج

٤١



بَابُ مَعْرِفَةِ الْأَرْبَعِ
فِي مَعْرِفَةِ الْأَرْبَعِ الْعَرَبِيَّةِ



3000

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية	
رقم الكتاب	3000
رقم التصنيف	ب.ع.ب
رقم المكتبة	1/107

تأليف

السيد محمود شكري الألوسي
البنفادي

عني بشرحه وتصحيحه و ضبطه
 محمد مهجبة الأثري
 General Organization Of the Alexandria
 Library (GOAL)
 Bibliotheca Alexandrina



الجزء الأول

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العلي الشأن ، العظيم السلطان ، صرف الدهور بقدرته والأكوان ، وأبهرت حكمته العقول والأذهان ، يخلق ما يشاء كما يشاء ، من غير تعريف ولا بيان . والصلاة والسلام على رسوله محمد الذي استخلصه من أفضل المادان منبتاً ، وأعرّ الأرومات^(١) مغرساً ، فكان سيد ولد عدنان وقطان ، وهو النبي الأمي ، العربي الهاشمي ، الذي أنقذنا بنور وجوده من ظلمات جهل الجاهلين إلى ذروة الفضل والرفان ، وعلى آله وأصحابه هداة كل حيران ، المفصحين عن الحق المبين ، بأفصح لسان ، وأعذب بيان ، والمتفحصين عن أحوال الأمم الغابرين ، ليزدادوا إيماناً على إيمان ، وعلى من تبهم بإحسان ، ما تعاقب الملوان^(٢) ، وكرّ الجديدان^(٣) .

(أما بعد) : فإن العبد الفقير ، إلى لطف مولاه العزيز ، محمود شكري ابن عبد الله بن محمود الأوسي البغدادي ، كان الله تعالى له خير معين ، وأحسن هادي ، ووفقه سبحانه لشكر مزيد النعم والأيادي . يقول : لا يخفى على من عرف أحوال الأمم ، ووقف على ما كان عليه أجيال بني آدم ، أن أمة العرب على اختلافها ، وتفاوت أصولها وأصنافها ، كانت ممتازة على غيرها من الناس ، متقدمة في الفضائل والآثر على سائر الأنواع والأجناس ، فإن الله تعالى قد شرفها برسوله ، وفضلها بتزيله ، وخصها بالخطاب المعجز ،

(١) الأرومة بالفتح وتضم : الأصل

(٢) الملوان : الليل والنهار أو طرفاهما

(٣) الجديدان والأجدان : الليل والنهار

واللفظ البليغ الموجز^(١) ، والسؤال الشاق ، والجواب الكافي ، فالعرب أمراء الكلام ، ومعادن العلوم والأحكام ، وهم ليوث الحرب ، وغيوث الكرب والرفد^(٢) في الجذب ، وهم أهل الشئمة^(٣) والحياء ، والكرم والوفاء ، والروءة والسخاء ، أحكمتهم التجارب ، وأدبتهم الحكمة فقضوا منها المآرب ، ذلت أسنتهم بالوعد ، وانسبطت أيديهم بالإيجاز^(٤) ، فأحسنوا المقال ، وشفعوه بحسن الفعال ، ولبسوا من المجد ثوباً سندسى الطراز^(٥) ، يفلسون من العار وجوهاً مسوذة ، ويفتخون من الرأي أبواباً منسدة ، كأنّ الفهم منهم ذو أذنين ، والجواب ذو لسانين . يضربون هامات الأبطال ، ويعرفون حقوق الرجال ، إلى أن تلاعبت بهم أيدي الأقدار ، وتفرقوا في أقصى الأنحاء والأقطار ، وإني لم أزل أتشوق للوقوف على آثارهم ، والاطلاع على شريف سيرهم وأخبارهم ، وأتمنى أن أظفر بكتاب يشتمل على أحوالهم قبل الإسلام ، ويحتوى على ما كانوا عليه في جاهليتهم من العوائد والأحكام ، فلم أر ذلك فيما بين الأيدي من الكتب والجامع ، ولا أنه قد طرق باب سمع من المسامع ، مع أنّ المتقدمين ، من علماء المسلمين ، لم يهملوا مثل هذا المهم ، ولم يتركوا قولاً لقائل في كل علم ، وهم الذين امتدّ باعهم في جميع الفنون ، وحسنت منّا بهم الظنون . غير أنّ مرور الأعصر والأعوام ، أدى بآثارهم إلى الضياع ، وأودى بها في سائر البقاع ، وكان كثيراً ما يختلج في القلب ،

(١) الموجز : القصير السريع الوصول الى الفهم ، يقال جزر اللفظ بالضم وجازة فهو وجيز ويتعدى بالحركة والهمزة فيقال جزته من باب وعد واوجزته وبعضهم يقول جز في كلامه واوجز فيه ايضاً (٢) الرفد بالكسر العطاء والصلة : والجذب : المحل (٣) الشئمة : الفريزة والطبيعة والجبلة وهى التى خلق الانسان عليها والمراد بها ههنا الاخلاق الحسنة (٤) يقال نجز الوعد نجراً : تعجل ويعدى بالهمزة والحرف فيقال انجزته ونجزت به اذا عجلته (٥) سندسى الطراز السندس بالضم رقيق الديباج معرب والطراز بالكسر علم الثوب معرب .

ويخطر بالبال ، أن أتطفل بجمع كتابٍ يستوعب أحوالهم على سبيل الإجمال ، غير أن قلة البضاعة تصدني عن الإقدام ، وتثبطني^(١) عن طرُق باب هذا المرام ، حتى اتفق بعض الدواعي التي لم أر للتخلف عنها سبيلا ، ولم أجد للإعراض عن هذا الغرض مقيلا ، فشرعت في المقصود ، وبذلت فيه غاية الجهود لما يترتب على ذلك من المصالح العمومية ، وما يستنتجه إن شاء الله تعالى من الفوائد الكلية ، وقد التزمتُ طريق الاختصار ، وتجنبت عن التطويل والإكثار ، ومع ذلك فإني معترف بالقصور والنقصان ، وإني لست من فرسان هذا الميدان ، والله تعالى درّ الأقدار ، فإنها تسوق المرء إلى ما ليس له فيه اختيار .

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم

(وقد سميت) ما جمعته وكتبته في هذا الباب وحررته : « بلوغ الأرب ، في معرفة أحوال العرب » ومن الله تعالى أستمد الإعانة والتوفيق ، والهداية إلى أقوم طريق ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

مقدمة الطبعة الأولى سنة ١٣١٤

(١) ثبطه عن الأمر عوقه وبطأ به عنه كثبطه فيهما

تعريف العرب وبيان أنواعهم وأقسامهم

العرب جيل من الناس لم يزالوا موسومين^(١) بين الأمم بالبيان في الكلام ،
والفصاحة في المنطق ، والدلالة^(٢) في اللسان ، ولذلك سمو بهذا الاسم فإنه
مشتق من الإبانة ، لقولهم أعرب الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه ، ومنه قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم : « الثيب تُعَرَّبُ عن نفسها » والبيان سُمِّمهم بين الأمم
وستمر بك قصة كسرى لما طلب من خليفته على العرب النعمان بن المنذر أن
يوجد عليه من كبرائهم وخطبائهم من رضى لذلك فاختر منهم وفداً أوفده
عليه ، وكان من خبره واستغراب ما جاؤا به من البيان ما هو معروف ، وهم أمة
قديمة فقد كانوا بعد الطوفان وعصر نوح عليه السلام في عاد الأولى وثمود والمالقة
وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن ينتمى إليهم من العرب العاربة
من أبناء سام بن نوح ، ثم لما انقرضت تلك العصور وذهب أولئك الأمم وأبادهم^(٣)
الله تعالى بما شاء من قدرته وصار هذا الجيل في آخرين ممن قرب نسبهم
من حمير وكهلان وأعقابهم من التباينة ومن إليهم من العرب المستعربة من أبناء
عابر بن شالخ بن أرغشذ بن سام ، ثم لما تظاولت تلك العصور وتماقبت وكان
بنو شالخ بن عابر أعالي من بين ولده واختص الله تعالى بالنبوة منهم إبراهيم بن
تارخ وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن أرغو بن فالغ وكان من شأنه مع نمرود
ما قصه القرآن ثم كان من هجرته إلى الحجاز ما هو المذكور وتخلف ابنه إسماعيل مع
أمه هاجر بالحجر قرباناً^(٤) لله تعالى ومرت بها رقعة من جرهم في تلك المفازة
فخالطوها ونشأ إسماعيل بينهم وربى في أحيائهم وتعلم لغتهم العربية بعد أن كان

(١) موسومين السمة العلامة (٢) الدلالة : البلاغة في المنطق (٣) إبادهم :
اهلكهم (٤) قرباناً بالضم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبح وغيره وهو فعلان
من القرية .

أبوه أعجمياً ، ثم كان بناء البيت كما قصه القرآن ثم بعثه الله تعالى إلى جرحم والمالقة الذين كانوا بالحجاز فأمن كثير منهم واتبعوه ثم عظم نسله وكثر وصار أباً لجيل آخر من ربيعة ومضر ومن إليهم من إياد وعكّ وشعوب نزار وعدنان وسائر ولد إسماعيل وهم العرب التابعة للعرب ، ثم انقرض أولئك الشعوب في أحقاب طويلة وانقرض ما كان لهم من الدولة في الإسلام وخالطوا المعجم بما كان لهم من التغلب عليهم ففسدت لغة أعقابهم في آحاد^(١) متطاولة وبقي خلفهم أحياء بادين^(٢) في القفار والرمال والخلاء من الأرض تارة والعمران تارة وقبائل المشرق والمغرب والحجاز واليمن وبلاد الصعيد والنوبة^(٣) والحبشة وبلاد الشام والعراق والبحرين وبلاد فارس والسند وكرمان وخراسان أم لا يأخذها الحصر والضبط قد كثروا أم الأرض .

وقد حصر ابن خلدون في كتاب « العبر » أجيال العرب من مبدأ الخليقة إلى عهده في أربع طبقات متعاقبة ، وذكر ما كان في كل طبقة منها من عصور وأجيال ودول وأحياء وبدأ أولاً بذلك :

الطبقة الأولى

وهي العرب العاربة وذكر أنسابهم ومواطنهم وما كان لهم من الملك والدولة وسمى أهل هذا الجيل العرب العاربة إما بمعنى الراسخة في العروبية كما يقال : ليل أليل وصوم صائم . أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها بما كانت أول أجيالها وقد تسمى البائدة أيضاً بمعنى الهالكة لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم ، ثم :

(١) آحاد جمع امد محرّكة ، قال الراغب في المفردات : يقال باعتبار الغاية والزمان عام في الغاية والمبدأ ويعبر به مجازاً عن سائر المدة ، والآمد المنتهى من الأعمار .

(٢) بدأ القوم بداء خرجوا إلى البادية .

(٣) النوبة بالضم بلاد واسعة للسودان بجنوب الصعيد منها بلال الحبشي .

الطبقة الثانية

وهم العرب المستعمرية من بنى حمير بن سبأ وذكر أنسابهم وما كان لهم من الملك والدولة باليمن في التبابعة وأعقابهم وإنما سمي أهل هذه الطبقة بهذا الاسم لأن السمات والشعائر العربية لما انتقلت إليهم ممن قبلهم اعتبرت فيها الصيرورة بمعنى أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم وهى اللغة العربية التى تكلموا بها فهو من استفعل بمعنى الصيرورة من قولهم : استنوق الجمل واستحجر الطين . وأهل الطبقة الأولى لما كانوا أقدم الأمم فيما يعلم جيلا كانت اللغة العربية لهم بالأصالة وقيل العاربة ، ثم ذكر :

الطبقة الثالثة

وهم العرب التابعة للعرب من قضاة وقحطان وعدنان وشعبيها العظيمين ربيعة ومضر وبدأ بقضاة وأنسابهم وما كان لهم من الملك البدوى فى آل النعمان بالحيرة والعراق ومن زاحمهم فيها من ملوك كندة بن حجير آكل المرار^(١) ، ثم ما كان لهم أيضاً من الملك البدوى بالشام فى بنى جفنة بالبلقاء والأوس والخزرج بالمدينة النبوية ، ثم عدنان وأنسابهم وما كان لهم من الملك بمكة فى قريش ، ثم ما شرفهم الله تعالى به وجيل الأدميين أجمع من النبوة وذكر الهجرة والسيرة النبوية وغير ذلك ، ووجه تسمية هذا الجيل بذلك الاسم ظاهر ، ثم ذكر :

الطبقة الرابعة

وهم العرب المستعجمة ومن له ملك بدوى بالمغرب والمشرق ، وسموا بذلك لاستعجم لغتهم على اللسان المضرى الذى نزل به القرآن وهو لسان سلفهم وقد أظنبت رحمه الله تعالى الكلام فى ذكر هذه الطبقات الأربع حيث كانت موضوع

(١) المرار بالضم شجر مر من أفضل العشب واضخمه اذا أكلتها الإبل قلصت مشافرها فبذت أسنانها ولذلك قيل لجد امرئ القيس آكل المرار لكشر كان به والناس يقرؤنه بالكسر وهو غلط فتنمه .

كتابه ومدار بحثه وهذا الكتاب مما تداوله الأيدي فلا حاجة في إتعاب البنان
بنقل ما ذكره .

تعريف من يطلو عليه لفظ العرب

إن لفظ العرب في الأصل اسم لقوم جموا عدة أوصاف : أحدها أن لسانهم
كان اللغة العربية . الثاني أنهم كانوا من أولاد العرب . الثالث أن مساكنهم
كانت أرض العرب وهي جزيرة العرب التي هي من بحر القلزم إلى بحر البصرة
ومن أقصى حجر باليمن إلى أوائل الشام بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم
ولا تدخل فيها الشام ، وفي هذه الأرض كانت العرب حين المبعث وقبله فلما جاء
الإسلام وفتحت الأمصار سكنوا سائر البلاد ومن أقصى المشرق إلى أقصى
المغرب وإلى سواحل الشام وأرمينية وهذه كانت مساكن فارس والروم والبربر
وغيرهم ، ثم انقسمت هذه البلاد قسمين منها ما غلب على أهله لسان العرب حتى
لا تعرف عامتهم غيره أو يعرفونه وغيره مع ما دخل في لسان العرب من اللحن
وهذه غالب مساكن الشام وعراق ومصر والأندلس ونحو ذلك وأرض فارس
وخراسان كانت هكذا قديماً ومنها ما العجمية كثيرة فيهم وغالبة عليهم كبلاد
الترك وخراسان وإرمينية وأذربيجان ونحو ذلك فهذه البقاع انقسمت إلى ما هو
عربي ابتداءً وإلى ما هو عربي انتقلاً وإلى ما هو عجمي ، وكذلك الأنساب ثلاثة
أقسام : قوم من نسل العرب وهم باقون على العربية لساناً وداراً أو لساناً لا داراً
أو داراً لا لساناً ، وقوم من نسل العرب بل من نسل بني هاشم ثم صارت العربية
لسانهم ودارهم أو أحدها ، وقوم مجهولو الأصل لا يدرون أمن نسل العرب هم
أم من نسل العجم وهم أكثر الناس اليوم سواء كانوا عرب الدار واللسان
أو في أحدها ، وكذلك انقسموا في اللسان ثلاثة أقسام : قوم يتكلمون بالعربية لفظاً
ونعمةً وقوم يتكلمون لفظاً لا نعمةً وهم المتعربون الذين لم يتعلموا اللغة ابتداءً

من العرب وإنما اعتادوا غيرها ثم تعلموها كغالب أهل العلم ممن تعلم العربية وقوم لا يتكلمون بها إلا قليلا وهذان القسمان منهم من تغلب عليه العربية ومنهم من تغلب عليه المعجمة ومنهم من قد يتكافأ في حقه الأمران إما قدرة وإما عادة .

الفرق بين العرب والأعراب في المعنى

ذهب بعض أهل اللغة الى الترادف بين اللفظين وأنها بمعنى واحد ، قال الجوهري في كتاب الصحاح : العرب جيل من الناس وهم أهل الأمصار والنسبة إلى العرب عربي وإلى الأعراب أعرابي والذي عليه العرف العام إطلاق لفظ العرب على الجميع ومثل ذلك في القاموس وغيره من كتب اللغة المعتمدة ، وذكر أبو العباس أحمد بن عبد الله الشهير بابن أبي غدة في كتابه نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : أن العرب هم أهل الأمصار والأعراب سكان البادية وفي العرف يطلق لفظ العرب على الجميع وقال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية في كتاب (الاعتضاء) : إن لفظ الأعراب هو في الأصل اسم لبادية العرب فإن كل أمة لها حضرة وبادية فبادية العرب الأعراب ، وقد يقال : إن بادية الروم الأرمن ونحوهم ، وبادية الفرس الأكراد ونحوهم ، وبادية الترك التتر ونحوهم ، قال : وهذا والله أعلم هو الأصل وإن كان قد يقع فيه زيادة ونقصان ، وقال أهل التفسير : الأعراب صيغة جمع وليست بجمع للعرب على ما روى عن سيبويه لثلاثين كونه الجمع أخص من الواحد فإن العرب هذا الجيل المعروف مطلقا والأعراب سكان البادية منهم ولذا نسب إلى الأعراب على لفظه فقيل أعرابي وقال فريق منهم : العرب سكان المدن والقرى والأعراب سكان البادية من هذا الجيل أو مواليهم فعلى هذا القول هما متباينان ويفرق بين الجمع والواحد بالياء فيهما ، فيقال للواحد عربي وأعرابي والجماعة عرب وأعراب وكذا أعاريب وذلك كما يقال للواحد

مجوسى ويهودى ثم تحذف البياء فى الجمع فيقال المجوس واليهود واستعمالُ البلغاء يوافق قولَ المفسرين فى الكتاب الكريم عند بيان أحوال منافق العرب إثر بيان منافق أهل المدينة من سورة التوبة (وجاء المُعدّرون^(١) من الأعراب ليؤذن لهم) وفى آية أخرى (ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق^(٢)) لاتعلمهم ، نحن نعلمهم ، سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) وفى أخرى (الأعراب أشد كفرةً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ، ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغزماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ، ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته إن الله غفور رحيم) .

والمؤرخون على القول بأن الأعراب قسم من العرب ، فى كتاب «العرب» عند القول فى أجيال العرب وأوليتها واختلاف طبقاتهم : اعلم أن العرب منهم الأمة الراحلة الناجمة أهل الخيام لسكنائهم والخيل لركوبهم والأنعام لكسبهم يقومون عليها ويقتاتون من ألبانها ويتخذون الدفء^(٣) والأثاث^(٤) مع أوبارها وأشعارها

(١) المعدرون بتشديد الدال المكسورة : المعتدرون الذين لهم عذر وبه قرأ سائر قراء الامصار ومعنى المعتدرون الذين يعتدرون كان لهم عذر أو لم يكن وهو هنا شبيهه بأن يكون لهم عذر ، وقال أبو الهيثم فى تفسير هذه الآية : معناه المعتدرون يقال عذر يعذر عذاراً فى معنى اعتذر ويجوز عذر الرجل يعذر فهو معدور واللغة الأولى أجودهما قال ومثله هدى يهدى هداء إذا اهتدى ، قال الله عز وجل : امن لا يهدى الا ان يهدى ، قال الأزهرى : وقد يكون المعتذر بالتشديد غير محقق وهم الذين يعتدرون بلا عذر فى المعنى المقصرون بغير عذر فهو على جهة المفعول لانه الممرض والمقصر يعتذر بغير عذر ، وقرأها ابن عباس (رض) بالتخفيف من اعدر وكان يقول : والله لهكذا انزلت . وكان يقول : لعن الله المعتدريين بالتشديد كان المعتذر عنده انما هو غير المحقق وبالتخفيف من له عذر (٢) مردوا على النفاق ، قال الفراء : يريد مرثوا عليه كقولك تمردوا . وقال ابن الأعرابى المرد التطاول بالكبر والمعاصى . وفى المفردات للراغب : هو من قولهم شجرة مرداء أى لا ورق عليها ، أى أنهم خلوا عن الخير ، وليس بشيء .

(٣) الدفء : ما استدفئ به من الاكسية والابخية وغير ذلك .

(٤) الأثاث : متاع البيت واحداً اثاثه .

ويحملون أثقالهم على ظهورها يتنازلون حلالا متفرقة ويتتغون الرزق في غالب أحوالهم من القنص ويتقلبون دائماً في المجالات فراراً من حمارة القيظ^(١) تارة وصبارة البرد أخرى وانتجاعاً^(٢) لمراعى غنمهم ، وارتبياداً^(٣) لمصالح إبائهم الكفيلة بمعايشهم وحمل أثقالهم ودقثهم ومنافهم فاخصوا لذلك بسكنى الإقليم الثالث ما بين البحر المحيط من المغرب إلى أقصى اليمن وحدود الهند من المشرق فعمروا اليمن والحجاز ونجداً وتهامة وما وراء ذلك مما دخلوا إليه في المائة الخامسة كما ذكره من مصر وصحارى بزقة وتلونها وقُسطنطينية وإفريقية وزاغا والمغرب الأقصى والسوس لاختصاص هذه البلاد بالرمال والغفار المحيطة بالأرياف^(٤) والتلول والأرياف الآهلة بمن سواهم من الأمم في فصل الربيع وزخرف الأرض لرعى الكلاء^(٥) والعشب في منابتها والتنقل في نواحيها إلى فصل الصيف لمدة الأوقات في سنتهم من حبوبها ، وربما يلحق أهل العمران أثناء ذلك معرات من أضرارهم بإفساد السابلة^(٦) ورعى الزرع مخضراً وانتهابه قائماً وحصيداً إلا ما حاطته الدولة وذاذت عنه الحامية في الممالك التي للسلطين عليهم فيها ، ثم ينحدرون في فصل الخريف إلى الغفار لرعى شجرها ونتاج إبائهم في رمالها وما أحاط به عملهم من مصالحها وفراراً بأنفسهم وطمائنتهم من أذى البرد إلى دفء ماشيتها فلا يزالون في كل عام مترددين بين الريف والصحراء ما بين الإقليم الثالث والرابع صاعدين ومنحدرين على ممر الأيام شمارهم لبس المحيط في الغالب ولبس العائم تيجاناً على رؤوسهم يرسلون من أطرافها عذبات يتلثم قوم منهم بفضلها وهم عرب المشرق

(١) حمارة القيظ شدته وصبارة البرد شدته ايضاً .

(٢) انتجاعاً : طلبا الكلاء في موضعه .

(٣) ارتبياداً اي طلباً .

(٤) الأرياف : جمع ريف بالكسر ارض فيها زرع وخصب .

(٥) الكلاء مهموز : العشب رطباً كان أو يابساً والجمع الكلاء مثل سبب واسباب وموضع كالىء ومكلىء فيه الكلاء .

(٦) السابلة من الطرق المسلوكة والقوم المختلفة وأسبلت الطريق كشرت

سابلتها .

وقوم يلفون منها الليت^(١) والأخدع^(٢) قبل لبسها ثم يتلثمون بما تحت أذقانهم من فضائها وهم عرب المغرب . . حاكوا بها عمائم زينات^(٣) من أمم البربر قبلهم وكذلك لقنوا منهم في محل السلاح اعتقال الرماح الخطية^(٤) وهجروا تنكب القسي^(٥) وكان المعروف لأولهم ومن بالمشرق لهذا العهد منهم استعمال الأمرين . انتهى المقصود من نقله وهذا هو المشهور ، وعليه من أهل اللغة الجمهور .

معنى الجاهلية وما تطلق عليه

الجاهلية الزمان الذي كثر فيه الجهال وهي ما قبل الإسلام وقيل : أيام الفترة وهي الزمن بين الرسولين ، وقد تطلق على زمن الكفر مطلقاً وعلى ما قبل الفتح وعلى ما كان بين مولد النبي والمبعث « وعن ابن خالويه » أن هذا اللفظ اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة « قال العسقلاني » في شرحه على البخاري : وهذا هو الغالب ومنه (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) ثم قال : وأما جزم النووي في عدة مواضع في شرح مسلم أن هذا هو المراد حيث أتى . ففيه نظر فإن هذا اللفظ وهو الجاهلية يطلق على ما مضى والمراد ما قبل إسلامه وضابط آخره فتح مكة انتهى . وتفصيل الكلام أن لفظ الجاهلية قد يكون اسماً للحال وهو الغالب في الكتاب والسنة وقد يكون اسماً لذي الحال فمن الأول قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأبي ذرّ « إنك امرؤ فيك جاهلية » وقول عمر رضي الله تعالى عنه : إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة ، وقول عائشة رضي الله تعالى عنها : كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء . وقولهم : يارسول الله كنا

(١) الليت بالكسر : صفحة العنق (٢) الأخدع عرق في المحجمتين وهو شعبة من الوريد (٣) زينات بالكسر : قبيلة بالمغرب منها الزناتي المنجم (٤) الرماح الخطية : منسوبة إلى خط اسم أرض ، قال الأصمعي : لأعلام الام نسبة الخط وهي جزيرة بالبحرين إليها تنسب الرماح الا ان يقال ان سفن الرماح ترافا الى هذا الموضع فقبل الرماح خطية (٥) تنكب القسي بكسر القاف : جمع قوس وهو يذكر ويؤنث ، وتنكبها القاها على منكبها .

في جاهلية وشر ، أى في حال جاهلية أو طريقة جاهلية أو عادة جاهلية ونحو ذلك فإن الجاهلية وإن كانت في الأصل صفة ولكن غاب عليه الاستعمال حتى صار اسماً ومعناه قريب من معنى المصدر . وأما الثانى فتقول : طائفة جاهلية وشاعر جاهلى وذلك نسبة إلى الجهل الذى هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم ، فأما من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضاً كما قال تعالى (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل » . ومن هذا قول عمرو بن كلثوم في قصيدته :

ألا لا يجهلنَّ أحدنا علينا فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا

أى لا يسفه أحد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم أى نجاريهم بسفههم جزاء يربو عليه ، استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى كثير وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق ، كما قال سبحانه (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : كل من عمل سوءاً فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق ، وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ فى القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فتمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعفه فى القلب بمقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فتصير جهلاً بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال فى مسمى الإيمان حقيقة لا مجازاً وإن لم يكن كل من ترك شيئاً من الأعمال كافراً ولا خارجاً عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى ومُحمياً وبُسكاً وصُماً وضالين وجاهلين ويصِفُهُم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولى الألباب وأولى النهى وأنهم مهتدون وأن لهم نوراً وأنهم يسمعون ويعقلون . فإذا تبين ذلك فالناس قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فى حال جاهلية جهلاً منسوباً إلى الجاهل

فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل وإنما يفعله جاهل . وكذلك كل ما يخالف ما جاءت به الرسولون من يهودية أو نصرانية فهي جاهلية وتلك كانت الجاهلية العامة فأما بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم فالجاهلية المطلقة قد تكون في مصر دون مصر كما هي في دار غير الإسلام وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار الإسلام فأما في زمان مطلقاً فلا جاهلية بعد بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين وفي كثير من الأشخاص المسلمين كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم : أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب والطنن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة . وقال لأبي ذر لما عير رجلاً بأمه « انك امرؤ فيك جاهلية » فهذه كلها جاهلية وإن كان لفظ الجاهلية لا يقال غالباً إلا على حال العرب التي كانوا عليها قبل الإسلام ، لما كانوا عليه من مزيد الجهل في كثير من الأعمال والأحكام ، روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرّموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلّوا وما كانوا مهتدين » وقد اختلف المفسرون في المراد من الجاهلية الأولى في قوله تعالى « وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى » فقيل : كانت في الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام فقد كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشى في وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال . وقال الحكم بن عتيبة^(١) : كانت بين آدم ونوح وهي ثمانمائة سنة وحكيت لهم سيرة ذميمة . وقال ابن عباس : ما بين نوح وإدريس . وقال السكبي : ما بين نوح وإبراهيم قيل إن المرأة كانت تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين

(١) كذا في الأصل ولعله عتيبة وهو الامام الحكم بن عتيبة الكندي .

وتلبس الثياب الرقاق ولا توارى بدنها وقالت فرقة : ما بين موسى وعيسى . وقال الثعلبي : ما بين عيسى ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم . وقال أبو العالية هي زمان داود وسليمان عليهما السلام كان المرأة قيص من الدر غير مخيط الجانبين . وكان النساء يُظهِرن ما يقبح إظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وختلها فينفرد ختلها بما فوق الإزار وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى أسفل وربما سأل أحدهما صاحبه البذل . وقال مجاهد : كانت النساء يمشين بين الرجال فذلك التبرج . قال ابن عطية : والذي يظهر عندي أنه تعالى أشار للجاهلية التي أدركتها فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفار لأنهم كانوا لا غيرة عندهم فكان أمر النساء دون حجة وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كنَّ عليه . وليس المعنى أن تمَّ جاهلية أخرى وقد أوقع لفظ الجاهلية على تلك المدة التي قبل الإسلام كما لا يخفى .

بيان فضل جنس العرب وما امتازوا به

اعلم أن كمال كل نوع إنما هو بحصول صفاته الخاصة به وصدود آثاره المقصودة منه وبحسب زيادة ذلك ونقصانه يفضل بعض أفراده بعضاً ، إلى أن يُعَدَّ أحدها سماء والآخر أرضاً ، والإنسان مشارك لسائر الأجسام في الحصول في الحيز . والفضاء ، وللنباتات في الاغتذاء والنشو والنماء ، وللحيوانات المعجم في حيويته بأنفاسه ، وحركته بإرادته وإحساسه ، وإنما يتميز بما أعطى من القوة النطقية ، وما يتبعها من العقل والعلوم الضرورية ، والأعمال الصالحة المرضية ، وأهليته للنظر والاستدلال ، وترقيته بذلك في مدارج الكمال ، وعلمه بما أمكن واستحجال ، فإذا كماله إنما هو بتعقل المقولات ، واكتساب المجولات ، وبالأخلاق الحسنة التابعة للأعمال الصالحات ، فالإنسان فضل على سائر الحيوانات كلها في نفسه وجسمه ، « أما فضله في نفسه » فبالقوة المفكرة التي بها العقل والعلم والحكمة

والتدبير والرأى فإن البهائم وإن كان كلها يحس وبعضها يتخيل فليس لها فكرة ولا روية ولا استنباط المجهول بالعلوم ولا تعرف علل الأشياء ولا أسبابها وليست في قوتها تعلم الصناعات الفكرية وإنما يتعلم بعضها بعض الصناعات المتخيلة فأقواها في ذلك الفيل والقرود ، « وأما فضله في جسمه » فباليد العاملة واللسان الناطق وانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل ما أوجد في هذا العالم ، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله « لقد خالقنا الإنسان في أحسن تقويم » وقوله « وصوركم فأحسن صوركم » ولم يعن الصورة التخطيطية فقط بل عناها والصورة المعولة ولتشریفه تعالى إياه بذلك قال « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » ومن زعم أن الإنسان خلق خلقاً ناقصة عن الوحشيات من حيث إنه لم يكف للملبس كما كفيته ولم يعط سلاحاً في ذاته كما أعطى كثير منها فنظره ناقص ، إذ قد أعطى الإنسان بدل ذلك التمييز الذى يمكنه أن يتخذ به كل ما يلبس وكل سلاح حسب ما يريد فيتناوله متى أراد ويضعه متى أحب ثم لو أعطى الإنسان بعض الأسلحة التى أعطيته لم يمكنه أن يستعمل غيره كالوحشيات وأيضاً فلو أعطى ذلك لكان من الحق أن لا يعطى التمييز لأنه حينئذ كان يستغنى عنه فتبطل فائدته وفعل الله تعالى منزه عن ذلك ، إن قيل كيف قال تعالى « خلق الإنسان ضعيفاً » فاستضعفه قيل ضعفه بالإضافة إلى الملأ الأعلى لما فيه من الحاجات البدنية التى كفيها ، فإذا كان مناط الفضيلة ما ذكرناه ففضل جنس العرب على غيرهم بسبب ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم ؛ وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع وإما بالعمل الصالح والعلم له مبدأ وهو قوة العقل الذى هو الحفظ والفهم وتمام وهو قوة المنطق الذى هو البيان والعبارة والعرب هم أفهم من غيرهم وأحفظ وأقدر على البيان .

(أما كمالهم في الفهم) فلائهم كانوا لا يبارون قوة ذكاء وإصابة حدس وحدة ألمعية وصدق فراسة يخبرون عن الغائب بقوة ذكائهم كأن قد شاهدوه ،

ويصف لهم الحدس الصائب حال الورد قبل أن يردوه ، ويثبتون أبعده شيء
بجدة المعية كأن ليس بيميد . وينظم لهم المجهول صدق فراستهم في سلك المعروف
منذ زمان مديد ، وقد كان منهم في الأزمنة المتأخرة من هو دون السابقين بمراتب
كثيرة ومع ذلك يتفطنون للرمزة والدقيقة ويتنبهون من اللحظة الخفية والإشارة
اللطيفة كما يحكى أن سليمان بن عبد الملك أتى بأسارى وكان الفرزدق حاضراً فأمره
سليمان بضرب واحدٍ منهم فاستمعى فاعنى وقد أشير إلى سيف غير صالح للضرب
ليستعمله فقال الفرزدق : بل أضرب بسيف أبي رَعْوَان (١) سيف مجاشع يعنى
نفسه وكأنه قال : لا يستعمل ذلك السيف إلا ظالم أو ابن ظالم ، ثم ضرب بسيفه
الأسير واتفق أن نبا السيف فضحك سليمان من حوله .

فقال الفرزدق :

أعجب الناس أن أضحكت سيدهم خليفة الله يُسْتَسْقَى به المطر
لم يَنْبُ (٢) سيف من رعب ولا دهش عن الأسير ولكن أخر القدر
ولن يقدم نفساً قبل ميتهما جمع اليدين ولا الصمصامة (٣) الذكر
ثم أغمد سيفه وهو يقول :

ما إن يماب سيده إذا صبا (٤) ولا يماب . صارم إذا نبا
ولا يماب شاعر إذا كبا (٥)

ثم جلس يقول : كأتى بآبن المراغة قد هجأى فقال :

بسيف أبي رَعْوَان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

(١) رَعْوَان لقب مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد
مناة بن تميم ، لقب به لفصاحته ولجهارته صوته ، ويقال وقالت امرأة سمعته :
ما هذا الا يرغو ، فلقب رَعْوَان (٢) لم يَنْبُ: أى لم يكَل عن الضريبة ، قال الشاعر
أنا السيف الا أن للسيف نبوة ومثلى لاتنبو عليك مضاربه
(٣) الصمصامة: السيف لا ينتنى كالصمصام والذكر ايبس الحديد واجوده
وأشده كالذكير كامير وهو خلاف الانيث وبذلك يسمى السيف مذكراً (٤) صبا
الى المرأة صبوة وصبوة وصبوا حن ، وأصبته وتصبته شاقته ودعته الى
الصبا فحن اليها (٥) كبا : انكب على وجهه

وقام وانصرف وحضر جرير نخب الخبر ولم ينشد الشعر

فأنشأ يقول :

بسيف أبي رَعْوَانَ سيفٍ مُجَاشِعٍ ضربتَ ولم نُضربَ بسيفِ ابنِ ظالمٍ
فأعجب سليمان ما شاهدته ثم قال : يا أمير المؤمنين كَأني بَابنِ القَيْنِ قد أجابنى فقال :
ولا نقتلُ الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ
ثم أخبر الفرزدق بالهجو دون ما عداه فقال مجيباً :

كذلك سيوف الهند تنبو ظبائها^(١) وتقطع أحياناً مناط التمامِ
ولا نقتلُ الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ
وهل ضربة الروى جاعلة لكم أبا عن كليب أوأخاً مثل دارمِ
وما يحكى أن ذا الرِّمَّة استرفد^(٢) جريراً في قصيدته التي مستهلها :
نبت عيناك عن طلل^(٣) بحزوى^(٤) عفته الريحُ وامتنح القطارا
عدة أبيات فقالها له وهي هذه :

يمد الناسبون إلى تميم بيوتَ المجد أربعةً كبارا
يمدون الرِّباب^(٥) وآل بكرٍ وعمراً ثم حنظلة^(٦) الخيارا

(١) جمع ظبة وظبة السيف حده (٢) الاسترفاد والمرافدة : اخذ الشعر هبة (٣) طلل محرّكة الشاخص من آثار الدار والجمع اطلال وربما طول (٤) حزوى كقصوى اسم موضع قال ذو الرمة :

ادارا بحزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض او يترقرق وعفته الريح : درستته ومحتته ، وامتنح اخذ العطاء ، وامتنح مالا رزقه ، والقطار المطر قال الزمخشري : ومن المجاز منحت الأرض القطار ثم انشد البيت (٥) الرباب بالكسر خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدا واحدة وهم ضبة وثور وعكل وتيم وعدى ، وانما سموا بذلك لانهم غمسوا ايديهم في رب وتحالفوا عليه ، وقيل سموا به لانهم ترببوا اى تجمعوا والنسبة اليهم ربي بالضم لان الواحد منهم ربة لانك اذا نسبت الشيء الى الجمع رددته الى الواحد الا ان تكون سميت به رجلا فلا ترده الى الواحد كما يقال في انمار انمارى وفي كلاب كلابى (٦) حنظلة اكرم قبيلة من تميم يقال لهم حنظلة الاكرمون وابوهم حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم ينسب اليه العنبر والهجين والحرب الحبط ومالك وغيرهم ، وآل بكر بطن من ربيعة من العدنانية وفيهم العدد والشهرة .

ويذهب فيهما المرى لغواً كما ألغيت في الدية الحواراً^(١)

فضمنها القصيدة وهي اثنان وخمسون قافية . ثم مر به الفرزدق فاستنشدته إياها فأخذ ينشدها والفرزدق يستمع لا يزيد على الاستماع حتى بلغ هذه الأبيات الثلاثة استعادها منه الفرزدق مرتين ثم قال : والله لقد علكهن من هو أشد منك لحين . وما يحكى أن عمر بن لجأ^(٢) أنشد جريراً شعراً فقال : ما هذا شعرك هذا شعر حنظلي . ولا تسأل عن فطانتهم المنتهية على الرمزة اللطيفة ، وحدة نظرم الداركة للمحة الضعيفة ، كما يترجم عن ذلك الروايات عنهم المشهورة ، يروى أن فزاريًا ونميرياً تسائراً فقال الفزاري للنميري : غُضَّ لجام فرسك . فقال : إنها مكتوبة . وإنما أراد الفزاري ما قيل في بني نمير :

(١) الحوار بالضم وقد يكسر : ولد الناقة ساعة تضعه أو الى ان يفصل عن امه والمرى المنسوب الى بنى مرة ، والدية بالكسر حق القنيل والهاعوض من الواو (٢) عمر بن لجأ قال المجد لجأ جد عمر بن الأشعث لا والده ووهم الجوهري ، قال الزبيدي : وهذا الذي ذكره الجوهري هو الذي أطبق عليه أئمة الانساب . واللغة ، قال البلاذري في معاجم الأشراف مانصه : وولد ذهل بن تيم بن عبد مناذ بن اد بن طابخة سعد بن ذهل فولد سعد ثعلبة ابن سعد وجشتم بن سعد وبكر بن سعد فولد ثعلبة امرا القيس بن ثعلبة فولد امرؤ القيس جلهم ، منهم عمر بن لجأ بن حدير بن مصاد بن ذهل بن تيم بن عبد مناة بن اد الشاعر ، وكان يهاجى جرير بن عطية بن الخطفى وكان سبب تهاجهما ان ابن لجأ انشد جريراً باليمانية :

تجر بالاهون في ادنائها جر العجوز جانبي خبائها
فقال له جرير : هلا قلت : جر العروس طرفي ردائها ، فقال بن لجأ فانت الذي تقول :

لقومى احمى الحقيقة منكم واضرب للجبار والنقع ساطع
واوثق عند المردفات عشية لحاقا اذا ماجرد السيف مانع

ارابت اذا اخذن غدوة ولم تلحقهن الا عشية وقد تكحن فما غناؤهم فتحا كما الى عبيد بن غاضرة العنبري ففضى على جرير فهجاه بشعر مذكور في الكتاب المذكور وكذا جواب ابن لجأ . ومات عمر بن لجأ بالاهواز وبينهما مفاخرات ومعارضات حسنة ليس هذا محل ذكرها . وقد عرفت من كلام البلاذري ان لجأ والده لاجده وعلى التسليم فان مثل ذلك لا يعترض به لانه كثيراً ما ينسب الرجل الى جده لكونه اشهر او افخر او غير ذلك من الأغراض ، الا ترى الى قول النبي صلى الله عليه وسلم « انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب » وامثلة ذلك لا تحصى والله اعلم - وانظر الاغانى (ج ٧ ص ٤١ و ٤٢ و ٦٤)

فغض الطرف^(١) إناك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
وإنما عنى النميري ما قيل في بني فزارة :

لا تأمنن^(٢) فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار^(٣)

وأن واحداً من نمير هو شريك النميري لقي رجلا من تميم فقال له التيمي
يمجبنى من الجوارح البازي : قال شريك : وخاصة ما يصيد القطا أراد التيمي بقوله
البازي :

أنا البازي^(٤) المطل على نمير أتبيح من السماء له انصبابا

(١) قال ابن رشيق : وممن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى انكسر نسبه
وسقط عن رتبته وعيب بفضيلته بنو نمير وكانوا جمرة من جمرات العرب
إذا سئل أحدهم ممن الرجل فخم لفظه ومد صوته وقال من بنى نمير الى
أن صنع جرير قصيدته التي هجا بها عبيد بن حصين الراعي فسهر لها
وطالت ليلته الى أن قال : فغض الطرف الخ فاطفاً سراجة ونام وقال : قد
والله اخزيتهم آخر الدهر ، فلم يرفعوا رأسا بعدها الا تكس بهذا البيت حتى
أن مولى لباهلة كان يرد سوق البصرة ممثرا فيصبح به بنو نمير ياجوذب
باهلة فقص الخبر على مواليه وقد ضجر من ذلك فقالوا له إذا نبزوك فقل
أهم فغض الطرف الخ . . ومر بهم بعد ذلك فنبزوه وأراد البيت فنسيه فقال
غمض والا جاعك ما تكره فكفوا عنه ولم يعرضوا له بعدها .

ومرت امرأة ببعض مجالس بنى نمير فأرادوا النظر اليها فقالت : قبحكم
الله يابني نمير ما قبلتم قول الله عز وجل (قل المؤمنين يغضوا من أبصارهم)
ولا قول الشاعر فغض الطرف الخ . .

وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة وقيل سماها جرير الدامغة
تركت بنى نمير ينتسبون بالبصرة الى عامر بن صعصعة ويتجاوزون اباهم
نميرا الى ابيه هربا من ذكر من نمير وفرارا مما وسم من الفضيحة والوسمة
(٢) البيت لابن دارة يعبر به بنى فزارة بغشيان الابل والقلوص من الابل
الشابة او الباقية على السير او اول ما يركب من أنانها الى أن تشنى ثم هي
ناقة والناقة الطويلة القوائم خاص بالابحاث والجمع قلائص وقلص (٣) اكتبها
باسيار : أى شد حياها أى اختمه بأسيار جمع سير

(٤) البازي بالياء مخففا ضرب من الصقور وهو أفصح لغاته ثم البازي بالياء
مشددة كما حكاه ابن سيده ويكنى بابى الأشعث وأبى البهلول وأبى لاحق
وهو من أشد الحيوانات تكبرا واضيقها خلقا وفي عجائب المخلوقات
للقريني انه لا يكون الا انثى وذكرها من نوع آخر من الحدأة والشواهين
ولهذا اختلفت اشكاله انتهى ويضرب به المثل في نهاية الشرف كما في قوله :

إذا ما اعتز ذو علم بمال فعلم الفقه أولى باعتزاز

وكم طيب يفوح ولا كمسك ولا طير يطير ولا كبازي

وقوله المطل يقال أطل عليه إذا أشرف واتبح له الشيء قدر أو هيء له
والانصباب الانحدار

وعنى شريك بذكر القطا قول الطرمّاح :
تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سُبُل المكارم ضلت
وأن معاوية قال للأحنف : ما الشيء الملقف في البجاد ؟ فقال : السخينة ،
وإنما أراد معاوية قول القائل :

إذا ما مات ميت من تميم فسرك أن يعيش فجيء بزاد
بخبز أو بتمر أو بسمن أو الشيء الملقف في البجاد
تراه يطوف في الآفاق حرصاً لياكل رأس لقمان بن عاد
وكان الأحنف من تميم وإنما أراد الأحنف بالسخينة وهي حساء يؤكل عند
غلاء السمير وكان قوم معاوية يقتصرون عليه ، رميهم بالبخل . وأن رجلاً من
بنى محارب دخل على عبد الله بن يزيد الهلالي فقال عبد الله ماذا لقينا البارحة من
شيوخ محارب ما تركونا ننام وأراد قول الأخطل :

تكش^(١) بلا شيء شيوخ محارب وما خلطها كانت تريش ولا تبرى
ضفادع في ظلماء ليل تجاوبت فدل على صوتها حية البحر
فقال: أصلحك الله تعالى أضلوا البارحة برقعاً فكانوا في طلبه أراد قول القائل .
لسكّ هلالى من اللؤم برقع . ولابن يزيد برقع وجلال

(١) يقال كش الضب والصفدع يكش كشيها صوت وخال ظن وفلان
لا يريش ولا يبرى أى لا يضر ولا ينفع والصفدع حيوان نهري وفي الأمثال قالوا :
انق من صفدع ، قال عبد القاهر : والشعبان يستدل بصياح الصفدع عليه
فيأتي على صياحه فيأكله وأنشد في ذلك :
يجعل في الأشداق ماء ينصفه حتى ينق والنقيق يتلفه
ينصفه بضم الياء وليس المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكه
الأعلى ، وقوله والنقيق يتلفه أراد به الضفادع إذا صاحت يتبعها الشعبان
فيجىء فيأكلها كما قال القائل : ضفادع في ظلماء البيت وحية البحر الأفعى
التي تكون في البر وهي تعيش في البر والبحر ومحارب فيها ضعة وخمول ،
وعليه قول اسمعيل بن عمار الأسدي :

بكت دار بشر شجوها إذ تبدلت هلال بن مرزوق ببشر بن غاب
وهل هي الامثل عرس تبدلت على رغمها من هاشم في محارب
يقول ماهي في استبدالها الأ كعروس زوجت في بنى هاشم ثم انتقلت في
محارب حتى قال بعض الشعراء وهو يحلف فصيرني ربي إذا من محارب

وأن رجلا وقف على الحسن بن أبي الحسين^(١) البصرى رحمة الله عليه فقال
أعتمر أخرج أبادر . فقال : كذبوا عليك ما كان ذلك إن السائل أراد عثمان
أخرج أبادر . وأن الحسن بن وهب نهض ذات ليلة من مجلس ابن الزيات . فقال
سحير أى بت بخير فقال له ابن الزيات : بنيه ، أى بت به . وما ظنك بكياسة جيل
قد بلغت من الذكاء نساؤهم إلى حدٍ تقدمن للكلام ما يحكى أنشدت واحدة
وكانت الخنساء^(٢) .

(١) كذا في الأصل وفي المفتاح : بن الحسن

(٢) أقول : ان المصنف نقل هذه القصة عن (مفتاح العلوم) للامام السكاكى
والصحيح انها وقعت للنابغة الديباني مع حسان بن ثابت (رض) على ما نقل
كثير من أئمة الادب . منهم أبو ابو عبد الله المرزبانى فى (الموشح) وابن ابى الاصبع
فى باب (الافراط فى الصنعة) من كتاب (تحرير التحيز) وأبو الفرج
الأصبهاني فى (الأغانى) والرضى فى (الكافية) والشيخ عبد القادر البغدادي
فى (خزانة الأدب) والامام سيبويه فى (الكتاب) وغيرهم . . قال المرزبانى فى
(الموشح) : كتب الى احمد بن عبد العزيز أخبرنا عمر بن شبة حدثنى أبو
بكر العليمى حدثنا عبد الملك بن قريش قال : كان النابغة الديباني تضرب له
قبة حمراء من ادم بسوق عكاظ (فتاتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها ،
قال : فاول من انشده حسان بن ثابت الأنصارى :

لنا الجففات الغر يلعبن فى الضحى
ولدنا بنى العنقاء وابن محرق
فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما
فقال له النابغة : أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن
ولدت ولم تفخر بمن ولدك . . . وحدثنى على بن يحيى حدثنا احمد بن
سعيد حدثنا الزبير بن بكار حدثنى عمى مصعب بن عبد الله قال انشده
حسان ، نابغة بنى ذبيان ، قصيدته التى يقول فيها لنا الجففات الغر فقال له :
ما صنعت شيئا قلت أمركم فقلت جففات وأسياف . . . وأخبرنى الصولى
قال حدثنى محمد بن سعيد ومحمد بن العباس الرياشى عن الأصمعى عن أبى
عمرو بن العلاء قال : كان النابغة الديباني تضرب له قبة بسوق عكاظ من
ادم فتاتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فاتاه الأعشى فكان أول من انشده
ثم انشده حسان بن ثابت قصيدته التى منها : لنا الجففات الغر وذكر
البيتين فقال له النابغة : أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت
بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك . . قال الصولى فانظر الى هذا النقد الجليل
الذى يدل عليه نقاء كلام النابغة وديباجة شعره لأنه قال وأسيافنا ، وأسياف
جمع لأدنى العدد والكثير سيوف والجففات لأدنى العدد والكثير جفان وترك
الفخر بابائه وفخر بمن ولد نساؤه ، قال : ويروى أن النابغة قال له أقللت
أسيافك ولعت أجفانك يريد قوله لنا الجففات الغر والقرة لمعة بياض فى
الجفنة فكان النابغة عاب هذه الجفان وذهب الى أنه لو قال لنا الجففات
البيضا فجعلها بيضا كان أحسن فلعمري أنه حسن فى الجفان الا ان الغر أجل =

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحى وأسيفنا يقطرن من نجدة دما
فقلت أى نحر يكون فى أن له ولعشيرته ولن ينضوى إليهم من الجفان ما نهايتها
فى العدد عشرة وكذا من السيوف ألا استعمل جمع الكثرة الجفان والسيوف . وأى
نحر فى أن تكون جفنة وقت الضحوة - وهو وقت تناول الطعام - غراء لامة
جفان البائع أما يشبه أن قد جعل نفسه وعشيرته بأى عدة جففات ، ثم أنى يصلح
للمبالغة فى التمدح بالشجاعة وأنه فى مقامها يقطرن أما كان يجب أن يتركها إلى يسان
أو يفرضن أو ما شاكل ذلك . وقد اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل
وراوية نصيب وأخذ يتمصّب كل واحد لصاحبه ويجمع له فى البلاغة قصب الرهان
فحكّموا واحدة وكانت سுகينة . فقلت لراوية جرير : أليس صاحبك القائل :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجمى بسلام
وأى ساعة أولى بالزيارة من الطروق^(١) قبج الله صاحبك وقبح شعره . ثم
قلت لراوية كثير : أليس صاحبك الذى يقول :

يقرّ بعينى ما يقر بعينها وأحسن شىء ما به العين قرّت
وليس شىء أفرّ لعيونهن من النكاح أفيحبّ صاحبك أن ينكح قبج الله
صاحبك وقبح شعره . ثم قلت لراوية جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

= لفظا من البيض . . قال أبو عبد الله المرزبانى ، وقال قوم ممن انكر هذا
البيت فى قوله يلمعن بالضحى ولم يقل بالدجى وفى قوله وأسيفنا يقطرن
ولم يقل يجربن لأن الجرى أكثر من القطر وقد رد هذا القول واحتج فيه قوم
لحسان بما لاوجه لذكره فى هذا الموضع فأما قوله فخرت بمن ولدت ولم
تفخر بمن ولدك فلا عذر عندى لحسان فيه على مذهب نقاد الشعر ، وقد
احترس من مثل هذا الزلل رجل من كلب فقال يذكر ولادتهم لصعب بن
الزبير وغيره ممن ولده نساؤهم :

وعبد العزيز قد ولدنا ومصعبا وكتب اب للصالحين واولد
فانه لما فخر بمن ولده نساؤهم فضل رجالهم واخبر أنهم يلدون الفاضلين
وجمع ذلك فى بيت واحد واجاد ، انتهى والتفصيل فى خزنة الأدب ولب
لباب لسان العرب للإمام عبد القادر البغدادى (٣ - ٤٣٠) .
(١) الزيارة ليلا قال الشاعر :

الا طرفتنا مية ابنة منذر فما ارق النيام الا سلامها

فلو تركتُ عقلي ممي ما طلبتها وإن طلائها لما فات من عقلي
فما أرى لصاحبك هوى إنما طاب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره . ثم قالت
لراوية نُصِيبُ : أليس صاحبك الذي يقول :

أهيم بدعدي ما حييتُ فإن أمت فياويح نفسي من يهيم بها بعدى
أما كان لصاحبك همّ إلا هم من يهيم بها قبح الله صاحبك وقبح شعره ،
ألا قال :

أهيم بدعد ما حييتُ فإن أمت فلا صلحتُ دعد لئني خلة بعدى
بل قد وصل العرب في الفطنة والذكاء وحسن الفهم إلى ما كاد أن يصل إلى
حد الإعجاز . وفي الأغاني لأبي فرج الأصبهاني بسنده إلى عبس الملك بن عمير .
قال قدم علينا عمرو بن هبيرة الكوفة فأرسل إلى عشرة أنا أحدهم من وجوه
الكوفة فسمروا عنده ، ثم قال : ليحدثني كل رجل منكم أحدثه وابدأ أنت
يا أبا عمرو ، فقلت : أصلح الله الأمير أحدث الحق أم حديث الباطل . قال :
بل حديث الحق . قلت : إن امرأ القيس آلى^(١) بأليّة أن لا يتزوج امرأة حتى
يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين فجعل يخطبُ النساء فإذا سألهن عن هذا فأن
أربعة عشر فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة
كأنها البدرُ ليلة تمامه فأعجبته ، فقال لها يا جارية : ما ثمانية وأربعة واثنتان .
فقلت : أما ثمانية فأطباء الكلبة^(٢) وأما أربعة فأخلاق^(٣) الناقة ، وأما اثنتان .
فتديا المرأة . فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها ، وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها
عن ثلاث خصال فجعل لها ذلك وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل وعشرة أعبيد
وعشر وصائف وثلاثة أفراس ففعل ذلك . ثم إنه بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى

(١) آلى : أى أقسم ، وفي الأغاني انظر (ج ٨ ص ٧١ و ٧٢) من طبعة الساسي
(٢) الأطباء : جمع طبي لذات الخف والظلف كالشدى للمرأة وبطلق قليلاً
لذات الحافر والسباع (٣) الاخلاف : جمع خلف من ذوات الخف كالشدى
للانسان وقيل الخلف طرف الضرع

إليها نحيماً^(١) من سمن ونحيماً من غسل وحلة^(٢) من عصب^(٣) فنزل العبد بيمض
المياه فنشر الحلة ولبسها فتعلقت بشعره فانشقت وفتح النحيين فطمم أهل الماء
منهما فنقصا ثم قدم على حى المرأة وهم خلوف^(٤) فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ودفن
إليها هديتها . فقالت له : اعلم أى أخبر مولاك أن أبى ذهب يقرب بعيداً ويبعد
قريباً ، وأن أمى ذهبت تشق النفس نفسين وأن أخى يراعى الشمس وأن
سماءكم انشقت وإن وعاءكم نضبا^(٥) فقدم الغلام على مولاه فأخبره . فقال أما
قولها : إن أبى ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً فإن أباهما ذهب يحالف قوماً على
قومه . وأما قولها : ذهبت أمى تشق النفس نفسين فإن أمها ذهبت تقبل امرأة^(٦)
نفساء . وأما قولها : إن أخى يراعى الشمس فإن أخاها فى سرح^(٧) له يراعه فهو
ينتظر وجوب الشمس^(٨) ليروح^(٩) به . وأما قولها : إن سماءكم انشقت فإن
البرد الذى بعثت به الشق . وأما قولها : إن وعاءكم نضبا ، فإن النحيين اللذين
بعثت بهما نقصا ، فأصدقنى ، فقال : يا مولاي إني نزلت بماء من مياه العرب
فسألونى عن نسبي فأخبرتهم إني ابن عمك ونشرت الحلة فانشقت وفتحت النحيين
فأطعمت منهما أهل الماء فقال : أولى لك^(١٠) . ثم ساق مائة من الإبل وخرج

(١) النحى بالكسر الزق أو ما كان للسمن خاصة (٢) الحلة بالضم لا تكون
الأثوبين من جنس واحد (٣) العصب مثل فلس برد يصبغ غزله ثم ينسج ،
ولا يثنى ولا يجمع وإنما يثنى ويجمع ما يضاف إليه فيقال بردا عصب وبرود
عصب والاضافة للتخصيص ويجوز أن يجعل وصفا فيقال شريت ثوبا
عصبا (٤) وهم خلوف بالضم وهم الذين ذهبوا من الحى
(٥) يقلل نضب المال ينضب وينضب نضوبا ذهب فى الأرض والمراد هنا
نقصا (٦) قبلة القابلة الولد تلفتته عند خروجه قبالة بالكسر والجمع قوابل
وامرأة قابلة وقبيل أيضا (٧) السرح المال السائم (٨) وجوب الشمس :
أى غروبها (٩) أى ليرجع يقال راح يروح رواحا وتروح مثله يكون بمعنى الغدو
وبمعنى الرجوع وقد طابق بينهما فى قوله تعالى : غدوها شهر ورواحها شهر
أى ذهابها ورجوعها وقد يتوهم بعض الناس أن الرواح لا يكون الا فى آخر
النهار وليس كذلك بل الرواح والغدو عند العرب يستعملان فى المسير أى
وقت كان من ليل أو نهار ، قاله الأزهري وغيره (١٠) أولى لك تهديد ووعيد ،
قال الأصمعى : أى قاربه ما يهلكه أى نزل به ، ومنه قوله تعالى أولى لك
فأولى ، معناه التوعد والتهديد أى الشر اقرب إليك .

نحوها ومعه الغلام فنزلا منزلا فخرج الغلام يسقى الإبل فمعجز فأعانه امرؤ القيس فرمى به الغلام في البئر . وخرج حتى أتى المرأة بالإبل وأخبرهم أنه زوجها فقيل لها : قد جاء زوجك فقالت : والله ما أدري أزوجي هو أم لا ولكن انحروا له جزوراً^(١) وأطعموه من كرشها وذئبها . ففعلوا فقالت : اسقوه لبناً حازراً . وهو الحامض فسقوه فشرب ، فقالت : افرشوا له عند الفرث^(٢) والدم . ففرشوا له فنام فلما أصبحت أرسلت إليه إني أريد أن أسألك ، فقال : سئلي عما سئلت . فقالت : مم تختلج^(٣) شفتاك ؟ قال : لتقبلي إياك . قالت : فم يختلج كرشك^(٤) ؟ قال : لا لتزاي إياك . قالت : فم يختلج فخداك ؟ قال : لتوركي إياك . قالت عليكم العبد فشدوا أيديكم به . ففعلوا . قال : ومر قوم فاستخرجوه امرأ القيس من البئر فرجع إلى حيه فاستاق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجك . فقالت : والله ما أدري أهو زوجي أم لا ولكن انحروا له جزوراً فأطعموه من كرشها وذئبها ففعلوا . فلما أتوه بذلك قال : وأين الكبد والسنام والملحاء^(٥) . فأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً حازراً . فأبى أن يشربه وقال فأين الصريف^(٦) والرئيثة^(٧) . فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم . فأبى أن ينام وقال : افرشوا لي فوق التلعة^(٨) الحمراء واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلم شريطي عليك في المسائل الثلاث . فأرسل إليها أن سئلي عما سئلت . فقالت : مم تختلج شفتاك ؟ قال : لشربي المشعشات^(٩) قالت : فم يختلج كرشك ؟ قال للبسي الحبرات^(١٠)

(١) الجزور من الإبل خاصة يقع على الذكر والأنثى والجمع جزر مثل رسول ورسيل ويجمع أيضا على جزرات ثم على جزائر ولفظ الجزور أنثى يقال رعت الجزور قاله ابن الأنباري وزاد الصاغاني وقيل الجزور الناقة التي تنحر وجزرت الجزور وغيرها من باب قتل نحرتها
(٢) الفرث : السرجين (٣) تختلج : تضرب وتتحرك (٤) الكرش ما بين الخصرة إلى الضلع الخلف (٥) الملحاء : لحم في الصلب من الكاهل إلى المعجز (٦) الصريف : اللبن ساعة حلب (٧) الرئيثة : اللبن الحامض يحلب عليه فيخثر (٨) التلعة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها ضد والمراد هنا الأول (٩) المشعشات : الشراب المزوج ، قال عمر بن كلثوم مشعشة كان الحصص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا
(١٠) الحبرات جمع حبرة وزان عنية ثوب يمانى من قطن أو كتان مخطوط ، يقال برد حبرة على الوصف وبرد حبرة قال الأزهرى ليس حبرة

قالت . فمِمَّ يَخْتَلِجُ فَخَذَاكَ ؟ قال . لركضى المظلمات^(١) . قالت . هذا زوجى
لعمري فعليكم به واقتلوا العبد . فقتلوه ودخل امرؤ القيس بالجارية . فقال ابن
هبيرة : حسبكم فلا خير في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن
تأتينا بأعجب منه . فقمنا وانصرفنا وأمرلى بجائزة . وقال المبرد في كتابه الموسوم
(بالروضة) . كانت العرب تستدل بالاحظلة واللفظة ، فمن ذلك ما روى أن جيلا
قال لِكُتَيْبٍ : لو صرت إلى بئيت . فأخذت لي عنها موعداً . فقال : إن غاشية عمها
كثير . فقال : إن الحيلة تأتي من وراء ذلك . فأطرق كثير إطراقة . ثم قال : متى
كان آخر عهدك بها ؟ قال : يوم كذا . قال : في أى موضع ؟ قال : في واد يقال
له « وادى الدوم » فأصاب ثوبها شيء ففسلته قال : فأتى الحى فجعل يتحدث إليهم حتى
أتى عمها فخادته وقال : أسمعك أبياتاً في عزة حضرتى قال : هايتها فأعلن إنشاده
لتسمع بئينة وقال :

أقول لها يا عَزُّ : أرسل صاحبي على نأى دارٍ^(٢) والرسول موكل
بأن تجعلى بينى وبينك موعداً وأن تأمرىنى بالذى فيه أفعل
أما تذكرين العهد يوم لقيتكم بأسفل وادى الدوم والثوب يغسل
فعلت أنه إياها يقصدُ بالعلامة فصاحت : اخسأ^(٣) فصاح بها عمها ما خسأت ؟
قالت : كلباً يعترينا ليلاً ثم رأيتُه الساعة . فرجع كثير إلى جميل فقال : أتتها الليلة
فإنها ذكرت الليل . وقال ابن الأعرابي : أسرت طيء رجلاً شاباً من العرب فقدم
عليه أبوه وعمه ليفدياه فاشتطوا^(٤) عليهما في الفداء فأعطيا به عطية فلم يرضوا بها
فقال أبوه : لا والذي جعل الفرقدين^(٥) يُصبحان ويُسميان على جبل طيء لا أزيدكم

موضعا أو شيئاً معلوماً إنما هو وشي معلوم أضيف الثوب إليه كما قيل
ثوب قرمز بالإضافة والقرمز صبغة فاضيف الثوب إلى الوشى والصبغ
للتوضيح (١) المظلمات : الخيل التامة الحسن (٢) النأى : البعد (٣) اخسأ :
أى ابعد والخاسي من الكلاب البعد لا يترك أن يذنو من الناس (٤) اشتطوا :
أى جاروا عليه في الطلب (٥) الفرقدان : نجمان في السماء لا يفرقان ولكنهما
يطوفان بالجدى ، وقيل هما كوكبان قريبان من القطب ، وقيل هما كوكبان
في بنات نعش الصغرى

على ما أعطيتكم . ثم انصرفا ، فقال الأب للمم : لقد ألقيت إلى ابني كريمة لأن كان فيه خير لينجوني بها . فما لبث أن نجا واطرد قطعة من إبلهم فذهب بها كأنه قال : الزم الفرقدن على جبل طيء فإنهما طالعان عليه وهما لا يغبيان عنه . وفي كتاب الملاحن ^(١) : يروى عن ابن دريد في أسير بكر بن وائل حيث سألهم رسولا إلى قومه فقالوا : لا ترسل إلا بحضرتنا ، اشفاقاً منه أن يُنذروهم فقد كانوا هموا بغزو قومه فجيء بعبد أسود فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم إني لعافل . قال : ما أراك عاقلاً . ثم قال : ما هذا ؟ وأشار بيده إلى الليل فقال : هذا الليل فقال : أراك عاقلاً . ثم ملأ كفيه من الرمل فقال : كم هذا ؟ قال : لا أدري وإنه لكثير . قال : أيما أكثر النجوم أم النيران ؟ قال : كلٌّ كثير . قال : أبلغ قومي التحية وقل لهم : أكرموا فلاناً - يعني أسيراً كان في أيديهم - فانهم لى مكرمون وقل لهم : إن العرفج قد أدبى وقد شكت النساء ومُرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالواركوبها وأن يركبوا جملي الأصهب بآية ما أكلت معكم حيساً وسلوا الحارث عن خبري . فلما أدى العبد إليهم الرسالة قالوا : قد جن الأعور . والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملاً أصهب . ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث وقصوا عليه القصة فقال : قد أنذركم أما قوله قد أدبى العرفج أى الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح . وقوله شكت النساء أى اتخذوا الشكاء للسفر والشكوة القربة الصغيرة . وقوله : اعروا ناقتي الحمراء . أى ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان وهو الجمال الأصهب . وقوله : أكلت معكم حيساً يريد أخلاطاً من الناس قد غزوكم لأن الحيس يجمع السمن والتمر والأقط . فامتثلوا ذلك وعرفوا ما قال . فأخذ هذا المعنى رجل كان أسيراً في بى تميم فكاتب إلى قومه ملغزاً في الشعر يُنذروهم .

(١) هو لابن دريد والملاحن الالغاز وهى الحاجة لأنها تظهر الحجى والمعاية والرمز والمعنى ، قال الخفاجى : والمتأخرون من الأدباء اصطلمحوا على التفريق بينهما وهو ليس بأمر الهوى وقد تطلق على كنيائهم كقولهم للخمر أشقر والماء أشهب الى غير ذلك مما ذكر فى كتاب الكناية لابن المكرم

خلوا عن الناقة الحمراء واقتمدوا ال موذ الذي في جنابي ظهره وقع
إن الذئاب قد اخضرت برائنها والناس كلهم بكر إذا شبعوا

قال أبو عثمان الاثنانداني في أبيات المعاني : أراد بالناقة الحمراء الدهناء وهي
أرض لبني تميم تشبيهاً بالناقة لتأنيها وسهولة ركوبها لأنها أرض فلاة سهلة واقتمدوا
العود أى اسكنوا الصمان وهو بلد لبني تميم أرض غليظة صلبة . وإنما شبهه بالعود
لتذكير اسمه والعود المسن من الإبل وجعل في ظهره وقماً وهو آثار الدبر في ظهر
البعير تشبيهاً للصمان بما قد وطئ وكثرت آثار الناس فله بظهر بعير موقع . يقول
امتنعوا بركوب الصمان لأنه وعر صلب يشق على الخيل أن تطأه ، والدهناء ممكنة .
وأراد بالذئاب القوم الذين يغيرون عليهم ، شبههم بالذئاب لخفتهم وحرصهم على
الغارة . وقوله قد اخضرت برائنها : يريد قد اخضرت الأرض وكثر العشب
فيها وأمكن الغزو والأقدام مخضرة من الكأ . فجعل الأقدام برائن . وقوله والناس
كلهم بكر إذا شبعوا : يريد أن بكر بن وائل أشد الناس عداوة لبني تميم يقول :
إذا شبعوا وأخصبوا فمداوتهم كمداوة بكر . ومن الغريب في هذا الباب ما روى
المرزبان أن رجلاً كثير المال صحب عبدين في سفر فلما توسط الطريق هما يقتله
فلما صح ذلك عنده . قال أقسم عليك إذا كانا لا بد لك من قتلى أن تمضيا إلى
دارى وتنشدا ابنتى هذا البيت . قالا : وما هو قال :

من مبلغ بنتى أن أباهما لله دركاً^(١) ودر أيبكاً

فقال أحدهما للآخر : لا ترى به بأساً فلما قتلاه جاء إلى داره وقال لابنته الكبرى :
إن أبك لحقه ما يلحق الناس وآلى علينا أن نخبرك بهذا البيت فقالت الكبرى :
ما أرى فيه شيئاً تخبرانى به ولكن اصبر حتى أستدعى أختى الصغرى . فاستدعتها
فأنشدتها البيت فخرجت حاسرة^(٢) وقالت : هذان قتلا أبى يامعشر العرب ما أنتم

(١) لله دره : أى عمله ولا ددره لازكاً عمله (٢) حاسرة : أى كاشفة .
يقال حسرت المرأة ذراعها وخمارها من باب ضرب كشفته

فصحاء قالوا : وما الدليل عليه ؟ قالت : المصراع الثاني يحتاج إلى أول والأول يحتاج إلى ثان لا يليق أحدهما بالآخر ؟ قالوا : فما ينبغي أن يكون ؟ قالت : ينبغي أن يكون :

من مخبرٍ بنتي أن أباهما أمسى قتيلاً بالفلاة مجندلاً^(١)

لله دركاً ودر أيبكاً لن يبرح العبدان حتى يقتلا

قال : فاستخبروها فوجدوا الأمر على ما ذكرت . ومما يدل على غزارة فهم العرب ودقيق نظرهم ما اختصوا به من قرع العصا وهو أشد أنواع الرموز استخراجاً وأصعبها استنباطاً لخلوه من النطق وللإقتصار فيه على مجرد الفعل فإنه شارة بالفعل دون القول . وقد ادعى بنو قيس بن ثعلبة أن أول من قرع العصا سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة قرعها لأخيه عمرو بن مالك وذلك حين لقي النعمان سعداً ومعه خيل بعضها يقاد وبعضها أعراء مهملة . فلما انتهى إلى النعمان سأله عنها فقال سعد : إني لم أفد هذه لأمنعها . ولم أعر هذه لأضعيها^(٢) فسأله النعمان عن أرضه هل أصابها غيث يحمد أثره . ويروى شجره . فقال سعد : أما المطر فنزير . وأما الورق فشكير . وأما النافذة فساهرة . وأما الحازرة فشبي نائمة . وأما البرشاء فقد امتلأت مساربها . وابتلت جنباتها ويروى جنباتها . وأما الجوف فعدو لا تطلع . وأما الحذف فمزاف لا ينكع . يفتر إذا يرتع^(٣) . فقال النعمان وحسده على ما رأى من ذرب لسانه : وأبيك إنك لمفوه فإن شئت أنتنك بما تميا عن جوابه . فقال : شئت إن لم يكن منك إفراط ولا إبعاد . فأمر النعمان وصيفاً فلطمه . وإنما أراد أن يتعدى في القول فيقتله . فقال : ما جواب هذه ؟ فقال سعد : « سفيه مأمور » فأرسلها مثلاً . قال النعمان للوصيف : أطمه أخرى فلطمه . قال ما جواب هذه ؟ قال : لو نهى عن الأولى لم يعد للأخرى فأرسلها

(١) مجندلاً : أي مصروعاً على الجدالة كسحابة وهي الأرض

(٢) لاهبها

(٣) سيأتى شرح هذه الكلمات في الأصل

مثلاً . فقال النعمان : أطمه أخرى ففعل فقال : ما جواب هذه . فقال : ربُّ يُؤدَّبُ عبدهُ . فقال : أطمه أخرى ، ففعل . فقال : ما جواب هذه . فقال : « ملكت فأسجح^(١) » فأرسلها مثلاً . فقال النعمان أصبت فأقعد فكث عنده ما مكث ، ثم بدا للنعمان أن يبعث رائداً يرتاد له السكلاء فبعث عمرو بن مالك أخا سعد فأبطأ عليه فأغضبه ذلك . فأقسم لئن جاء حامداً للسكلاء أو ذاماً ليقتلنّه ، فلما قدم عمرو دخل على النعمان وعنده الناس وسعد قاعد لديه مع الناس ، وكان قد عرف ما أقسم به النعمان من يمينه ، فقال سعد : أتأذن لي فأكله ؟ قال : إن كلمته قطعت لسانك . قال : فأشير إليه ؟ قال : إن أشرت إليه قطعت يدك . قال فأومىء إليه ؟ قال : إذن انزع حدقتيك . قال فأقرع له العصا ؟ قال : أفرع . فتناول عصا من بعض جلسائه فوضعها بين يديه وأخذ عصاه التي كانت معه وأخوه قائم فقرع بعصاه العصا الأخرى قرعة واحدة فنظر إليه أخوه ثم أوماً بالعصا نحوه فعرّف أنه يقول مكانك ثم قرع العصا قرعةً واحدةً ثم رفعها إلى السماء ثم مسح بعصاه بالأخرى فعرّف أنه يقول قل له لم أجد جدباً ثم قرع العصا مراراً بطرف عصاه ثم رفعها شيئاً فعرّف أنه يقول ولا نباتاً ثم قرع العصا قرعة وأقبل بها نحو النعمان فعرّف أنه يقول كلمه . فأقبل عمرو بن مالك حتى وقف بين يدي النعمان فقال له النعمان هل حمّدت خصباً . أو ذممت جدباً . فقال عمرو لم أذم جدباً . ولم أحمّد بقللاً . الأرض مُشكلة لا خصبها يُعرف . ولا جدبها يوصف . رائدنها واقف . ومنكرها عارف . وآمنها خائف فقال النعمان : أولى لك^(٢) بذلك نجوت فنجا وهو أول من قرعت له العصا . فقال سعد بن مالك لقرعة العصا :

قرعت العصا حتى تبين صاحبي ولم تك لولا ذاك للقوم تقرع
فقال : رأيت الأرض ليست بمُحجل ولا سارح منها على الرعي يشبع

(١) الاسجح حسن العفو ، أي ملكت الأمر على فأحسن العفو عنى وأصله السهولة والرفق يقال مشية سجح أي سهلة . يضرب في العفو عند المقدرة
(٢) سيأتي شرحها في الأصل

سواء فلا جذب فيعرف جذبها ولا صابها غيث غزير فتمرع^(١)
فنجى بها حوباء^(٢) نفس كريمة وقد كاد لولا ذلك فيهم يقطع
قول سعد: «أما الورق فشكير» يعني أنه صغير لم يكبر. «وأما النافذة
فساهرة» يعني التي قد نفدت من الهزال فلم يبق فيها قوة فهي ساهرة لأنها لم
تشبع بعد فسهرها لفقد الشبع. والحازرة يجب أن تكون من قولهم حزرة المال
خياره أي هي تقتدر بقوتها على الرعي فتشبع فتنام. والبرشاء أرض فيها رمت^(٣).
والمسارب جمع مسرب وهي المواضع التي تسرب فيها المال أي الإبل. وقوله
ابتلت جنابها فهي مثل الجناب. وإذا قيل جنابها فيجوز أن يكون مثل الجنابذ
وهي جمع جنبذة. والجنبذة المكان المرتفع فأبدلت الناء من الذال كما قالوا جث وجذ.
ومن روى الرهاء فيجوز أن يكون من الأرض التي قد أصابها الرهام^(٤). والجوف
البطن من الأرض. والغدر جمع غدير. يعني أن الوادي لم يكثر المطر فيسيل فيه
فيرتفع سيله إلى جوانبه فيجاوز حد الغدران. والحذف ضرب من الشاء صفار،
وعزاف يعني أنها تعزف نفوسها عن الماء لكثرة ولا ينكع: أي لا يقطع شربها.
يقال نكع. وأنكع. إذا قطع. قال الشاعر:

بنى ثعل لاتنكموا^(٥) العنز شربها بنى ثعل من ينكع العنز ظالم
وتفتت تكشف أسنانها إذا رفعت رءوسها من الرعي ، وأولى لك كلمة تقال

(١) مرع الوادي وامرع: أكلاً واخصب، وقيل لم يات مرع، وقال ابن
الاعرابي امرع المكان لا غير (٢) سيأتي شرحها في الأصل (٣) رمت بالكسر
مرعى الأبل من الحمض وشجر يشبه الغضى (٤) الرهام كجبال جمع رهمة
بالكسر المطر الضعيف الدائم الصغير القطر (٥) نكعه عن الأمر أعجله عنه
أو رده ومنعه ورفع وقيل نكعه نفضه بالأعجال كنكعه تنكيعاً وقال الليث
نكعه وكسعه ضرب بظفر قدمه على دبره وكذلك بكعه بالموحدة، وأنشد:
بنى ثعل لاتنكع العنز شربها الخ، قال الزبيدي وأنشد سيبويه هكذا وفسره
فقال ونكعه الورد ومنه. ومنعه أياه انتهى، وبنو ثعل كصرد ابن عمرو بن
الموت حتى من طيء، قال امرؤ القيس:

رب رام من بنى ثعل مثليج كفيه في قره
وفي الأساس: وإن دعوت على أبناء رجل أسمه عمر أو زفر فقل: اتيج
لكم يابني فعل، رام من بنى ثعل.

للرجل إذا نجا من شر بعد ما كاد يصيبه . وقوله حوباء نفس كريمة فيه وجوه يقال
أن الحوباء النفس فإذا أخذ بها فأبما أضيفت الحوباء إلى النفس في شعر سمد لاختلاف
اللفظين . وربما قالوا الحوباء خالص النفس . وقال بمضهم الحوباء روح القلب . وأهل
اليمين يقولون إن أول من قرعت له العصا عمرو بن سُحمة الدوسي . روى ذلك الشعبي عن
ابن عباس وأنه المراد بندي الحلم في قول الحارث ابن وعله .

لا تأمنن قوما ظلمتهم
وبدأتهم بالشتم والرغم
أن يأبروا^(١) نخلا لميرهم
والشيء تحقره وقد ينمى
وزعمتم أن لاحلوم لنا
إن العصا قرعت لذى الحلم

يريد أن الأمر والشأن لاحلوم لنا فإن كان الأمر كما زعمتم فنبهونا أنتم فإن الدوسي
كان يقرع له العصا فينبه لما كان يزيغ في الحكم لكبر سنه . وهذا تهكم منهم أي
عرضتم في قولكم بأنا سفهاء فاكثفينا بالتمريض عن التصريح كاكثفاء ذى
الحلم بقرع العصا . ومضر تدعى أن ذا الحلم عامر بن الظرب المدواني وإياه عنى
ذو الأصبع في قوله .

ومنهم حكم يقضى فلا ينقض ما يقضى

وتدعيه ربيعة فتقول قيس بن خالد الشيباني وهو جد بسطام بن قيس بن مسعود
ابن خالد . فأما ما يدعى لعمرو بن سُحمة فالخبر فيه وفي عامر بن الظرب واحد .
وهو أن كل واحد منهما كان حكما للعرب يتحاكون إليه في كل مُعضلة . وهو
لعمرو بن سُحمة في هذا الحديث أشهر . وذلك أن العرب أتوه يتحاكون إليه
فغلط في حكومته وكان قد أسن فقالت له ابنته إنك قد صرتَ تهم في حكمتك أي
تغلط فقال : إذا رأيت ذلك منى فاقرعى العصا . فكان إذا قرعت له العصا فطن فتأب
إليه حله فأصاب في حكمه .

(١) ابرت النخل ابرا من باب ضرب وقتل لقمحته وأبرته تأبيرا مبالغة
وتكثير والابور وزان رسول ما يؤبر به

ومن الرموز بالفعل دون القول التي اختصت العرب بفهم المراد منها ما يروى في الأمثال عن أبي فيد السدوسي . قال : حدث أبو خالد السكلابي أن الأحوص بن جعفر أتى فقيلاً له أتاناً رجل لا نعرفه فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته وأتى شجرة فملق عليها وطباً^(١) من لبن ووضع في بعض أغصانها حنظلة ووضع صرة من تراب وصرة من شوك في بعضها ثم أتى راحلته فاستوى عليها فنظر الأحوص والقوم في أمره فمى به . فقال الأحوص أرسلوا إلى قيس بن زهير فأتوا قيساً فجاءوا به إليه فقال له الأحوص : ألم تكن تخبرني أنه لا يرد عليك أمر إلا عرفت مأناه ما لم تر نواصي الخيل . قال وما الخبر ؟ فأعلموه فقال : قد بين الصبح لذي عينين^(٢) « فصار مثلاً يضرب به في وضوح الشيء . قال أما صرة التراب فإنه زعم أنه أتاكم عدد كثير . وأما الحنظلة فإنه يخبركم أن حنظلة قد أتتكم . وأما الشوك فإنه يخبركم أن لها شوكة . وأما اللبن فهو دليل لكم على قرب القوم وبمدهم . فإن كان حلواً حليياً فقد أتتكم الخيل . وإن كان لا حلواً ولا حامضاً فعلى قدر ذلك . وإن كان قارصاً^(٣) فعلى قدره . وإن كان خائراً فلكم مهلة من الرأي . وإنما ترك الرجل كلامكم لأنه قد أخذت عليه اليهود وقد أنذركم . ونظائر هذه الحكايات التي رواها الثقة كثيرة ، وسيأتي عند الكلام على علوم العرب ما يزيد المقام وضوحاً .

ولما كانت العرب في قوة الفهم وحدة الذهن إلى غاية الغايات كان معجزهم القرآن فإن المعجز في كل قوم بحسب أفهامهم وعلى قدر عقولهم وأذهانهم وكان في بني إسرائيل بلاذة وغباوة لأنه لم ينقل عنهم ما تدون من كلام مستحسن أو يستفاد من معنى مبتكر . وقالوا لنبيهم حين مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . فخصوا من الإعجاز بما يصلون إليه ببداية حواسهم . والعرب أصح الناس أفهاماً . وأحد أذهاناً . قد ابتكروا من الفصاحة أبلغها .

(١) الوطب : سقاء اللبن وهو جلد الجذع فما فوقه والجمع اوطب ووطاب
واوطاب (٢) بين هنا بمعنى تبين ، يضرب الأمر يظهر كل الظهور (٣) القارص :
اللبن الحامض

ومن المعاني أغربها . ومن الآداب أحسنها . فخصوا من معجزة القرآن بما تجول فيه أفهامهم . وتصل إليه أذهانهم . فيُدركونه بالفطنة دون البديهة . وبالروية دون البادرة .^(١) لتكون كل أمة مخصوصة بما يشاكل طبعها . ويوافق فهمها . والله ولى التوفيق .

وأما كونه العرب أممًا من غيرهم

فَلأنَّ الغالب منهم أميون . لا يقرءون ولا يكتبون . بل إن جميع عرب البوادي كذلك ومع هذا حَفِظُوا على سبيل التفصيل أيامهم وحروبهم ووقائعهم وما قيل فيها من شعر وخطب . وما جرى من المفاخرات والمنافرات^(٢) بين قبائلهم . وضبطوا أنسابهم وأسماء فرسانهم الذين نزلوا في ميادين حروبهم وأنهم من أى قبيلة وإلى أى أبٍ ينتمون من الآباء الأولين . وأسلافهم السابقين . وكان أحدهم يقول الشعر بلغت أبياته ما بلغت فاهم إلا أن سمعوه فانتقش في صحائف خواطرم وتمثّل في خيالهم . وهذا مما تساوى فيه العامة والخاصة منهم والصغير والكبير والذكر والأنثى من أحيائهم . وذلك مما لا يستريب فيه أحد ولا يشك ذو نظر . وكانوا إذا جرت بينهم حادثة غريبة أو اتفقت لهم نكتة غريبة ضربوا بها الأمثال . وسارت بين القبائل تلك الأقوال . فلا تغيب هاتيك الوقائع عن أفكارهم . ولا تزول مدى الليالي والأيام عن خزائن خواطرم . وقد دون المتأخرون ما تلقّوه من الثقافة . وما سمعوه من أفواه الرّواة . من أيامهم وأخبارهم . وأمثالهم وأشعارهم . فبلغ ذلك ما بلغ من المجمع والأسفار . حتى تجاوزت دوائر العدّ والانحصار . هذا مع أن ذلك بالنسبة إلى ما لم يصل إليهم كقطرة من

(١) البادرة : ما يدر من حدثك في الغضب من قول أو فعل

(٢) نافر : معناه حاكم في النسب وسميت منافرة لانهم كانوا يقولون عند

المفاخرة : أنا اعر نفرا

بحار . وذرة من جبال وقفار . وأما الغالب من شعرهم ولغتهم وأيامهم الأول . فقد ذهب بذهابهم وبقي في الصدور ولم ينقل . وأخذوا في أكفانهم^(١) كثيراً من العلوم والفنون . حيث لم يجدوا من يحفظ حقوقها ويصون . وكان لكل شاعر منهم راوية يحفظُ عنه ما يقول . وما يُنشد في المواقع والمجامع حين يصل ويحول . وكل راوية من رؤوتهم كان يحفظ من الأراجيز والتصبيد وسائر فنون الشعر ما يفوت الإحصاء والحصص . هذا الأصمى من متأخريهم قال : ما بلغت التحلم حتى رويت اثني عشر ألف أرجوزة للأعراب ، وكان خلف الأحمر أروى الناس للشعر وأعلمهم بجيده . وبالجملة العرب أحفظ الناس . ولا يكاد يمتري في ذلك إلا من عدم الإحساس ، حتى إن في كتاب الوشى المرقوم : أن الهمداني ادعى أنه لم يصل إلى أحد من أخبار العرب والمعجم إلا بالعرب وبين ذلك على أم وجه وأثبتته ثم قال : والعرب أصحاب حفظ ورواية .

وفي مقدمة أقوم المسالك نقلا عن تاريخ دردي وزير المعارف العمومية بفرنسا : أن الآداب كانت قبل انتشار العرب من جزيرتهم متأصلة فيهم مؤداة بلغتين : الحيرية في اليمن ، والقرشية في الحجاز ، وبالأخرة جاء القرآن ، ولا يخفى عليك أن الذي يقابل الحيرية هو المضرية ، وإن وقع الإجماع في القراءة على خصوص القرشية ، ولذلك اشتهرت واستمر خلوصها إلى وقتنا هذا باستمرار كتب العلم والديانة وما دخلت المعجمة في اللسان إلا بدخول الأمم في الإسلام ، وتطاول السنين ، واللغة المذكورة من الاتساع وسعة المجال مالا يخفى على مثافئها^(٢) لاسيما في الأشياء

(١) قلت : احفظ في هذا المعنى إيبانا لبعض الأجلة من العراقيين وهي :
اسفلى على فضلى ولم اكن أبصرت عارف حقه فيبين
ومن العلوم الغامضات ورمزها املى قضيت وللـفـنـون ديون
واخذت في كفى علوما لم اجد من يحفظن حقوقها ويصون
ورقيق اسرار جعلت لها الحشى مستودعا هي في الدفين دفين
(٢) ثقافته : جالس وقيل لازمه وكلمه فهو مثافن ومثفن كمحدث وثفن
الشيء يثفنه ثفننا لزمه وثفن فلانا صاحبه حتى لا يخفى عليه شيء من أمره
ورجل مثفن لخصمه أى ملازم له . والمثافنة : المباطنة .

التي بها قوام الميضة في البادية أو تتكرر رؤيتهم لها أو تكثر حاجتهم إليها فقد يكون للشيء الواحد عدة أسماء باعتبار تعدد صفاته وأحواله ، وبكثرة الترداف عندهم اتسعت لهم دوائر الآداب الشعرية . إذ يقال إن للمسل عندهم ثمانين اسماً ، وللشعبان مائتين وللأسد خمسمائة ، وللجمل ألفاً ، وكذا السيف ، وللداهية نحو أربعة آلاف اسم ولا جرم^(١) . أن استيعاب مثل هذه الأسماء يستدعي حافظة قوية ، وللعرب من قوة الحافظة ، وحدة الفكر ما لا يسع أحداً إنكاره . فن مشاهيرهم حماد الراوية الذي ذكر يوماً للاخليفة الوليد أنه ينشد له في الحال مائة قصيدة والقصيدة من عشرين إلى مائة بيت فتعب المستمع قبل المنشد . انتهى نقل ما هو المقصود مما اعترف به هذا الفاضل مع كونه من صميم أهل أوروبا مما للعرب من قوة الحافظة التي لم تكن لغيرهم من الأمم . وإنما يعرف ذا الفضل ذووه . والحق يعاوه ولا يعلى عليه . فلذلك اكتفينا في هذا الباب بهذا المقدار .

* * *

وأما كون العرب أقدر على البيان من غيرهم

فلأن لسانهم أتم الألسنة بياناً وتميزاً للعمانى جمعاً وفرقاً يجمع العمانى الكثيرة في اللفظ القليل إذا شاء المتكلم الجمع ، ثم يميز بين كل شيئين بلفظ آخر يميز مختصراً ، كما نجد من لغتهم في جنس الحيوان ، فإنهم مثلاً يعبرون عن القدر المشترك بين أنواعه في أسماء كل أمر من أموره من الأصوات والأولاد والمسكن والأظفار إلى غير ذلك من خصائص اللسان العربي التي لا تستراب فيها . وقد أفردوا أمة اللغة بكتب معتبرة ، مطولة ومختصرة . مع ما اشتملت عليه هذه اللغة الجليلة من المزايا التي لم توجد في غيرها من لغات الأمم . انظر إلى المفرد والجمع وأسباب اختلاف العلامات الدالة على الجمع واختصاص كل محل بعلامته

(١) قال في القاموس : لا جرم ولا ذا جرم ولا ان ذا جرم ولا عن ذا جرم ولا جر ولا جرم ككرم ولا جرم بالضم أي لا بد أو حقاً أو لامحالة أو هذا أصله ثم كثر حتى تحول إلى معنى القسم فلذلك يجاب عنه باللام فيقال لا تينك .

ووقوع المفرد موقع الجمع وعكسه . وأين يحسن مراعاة الأصل وأين يحسن المدول عنه . وهذا فصل نافع جداً يُطالعك على سر هذه اللغة العظيمة القدر المفضلة على سائر لغات الأمم ، وذلك أن الأصل هو المعنى المفرد وأن يكون اللفظ الدال عليه مفرداً لأن اللفظ قالب المعنى ولباسه يحتذى حذوه والمناسبة الحقيقية ثابتة بين اللفظ والمعنى طولاً وقصراً وخفةً وثقلًا وكثرةً وقلةً وحركةً وسكوناً وشدةً وليناً ، فإن كان المعنى مفرداً أفردوا لفظه ، وإن كان مركباً ركبوا اللفظ ، وإن كان طويلاً طولوه كألْعَنْطَنْطُ والمَشْتَقُّ للطويل . فانظر إلى طول هذا اللفظ لطول معناه . وانظر إلى لفظ بُحْتَرُ وما فيه من الضم والاجتماع لما كان مسماه القصير المجتمع الخلق . وكذلك لفظ الحديد والحجر والشدة والقوة ونحوها تجدد في ألفاظها ما يناسب مسمياتها ، وكذلك لفظى الحركة والسكون مناسبتهما لمسمييهما معلومة بالحس ، وكذلك لفظ الدوران والثوران والغليان وبابه في لفظهما من تتابع الحركة ما يدل على تتابع حركة مسماها . وكذلك الدخَالُ والخِرَاجُ والضَّرَابُ والأفَّاكُ في تكرر الحرف المضاعف منها ما يدل على تكرر المعنى . وكذلك الغضبان والظَّمان والحيران وبابه مما صيغ على هذا البناء الذى يتسع النطق به ويمتلئ الفم بلفظه لامتلاء حامله من هذه المعانى فكان الغضبان هو الممتلئ غضباً الذى قد اتسع غضبه حتى ملأ قلبه وجوارحه . وكذلك بقيتها ولا يتسع المقام لبسط هذا فإنه يطول ويديق حتى يكسع عنه أكثر الأفهام وتنبو عنه للطافته . لأنه ينشأ من جوهر الحرف تارة ومن صفته ومن اقترانه بما يناسبه ومن تكرره ومن حركته وسكونه ومن تقديمه وتأخيريه ومن إثباته وحذفه ومن قلبه وإعلاله . إلى غير ذلك من الموازنة بين الحركات وتعديل الحروف وتوخى المشاكلة والمخالفة والخفة والثقل والفصل والوصل . وهذا باب يقوم من يتبمه بسفر ضخم . ولنذكر منه مسألة واحدة وهى اللفظ في إفراده وتغييره عند زيادة معناه بالثنائية والجمع دون سائر تغيراته . فنقول لما كانت المفرد هو الأصل والثنائية والجمع تابعان له جعل لهما

في الاسم علامة تدل عليهما وجعلت آخره قضاء لحق الأصالة فيه والتبعية فيهما والفرعية فالترمو هذا في التثنية ولم ينخرم عليهم . وأما الجمع فإنهم ذهبوا به كل مذهب وصرفوه كل مصرف فرة جملاؤه على حد التثنية وهو قياس الباب كالتثنية والنسب والتأنيث وغيرها . وتارة اجتلبوا له علامة في وسطه كالآلف في جعافر والياء في عبيد والواو في فلوس . وتارة جعلوا اختصار بعض حروفه وإسقاطها علامة عليه نحو عنكبوت وعناكب فإنه لما ثقل عليهم المفرد وطالت حروفه وازداد ثقلا بالجمع خففوه بحذف بعض حروفه لثلا يجمعوا بين ثقلين . ولا يناقض هذا ما أصلوه من طول اللفظ لطول المعنى وقصره لقصره فإن هذا باب آخر من المعادلة والموازنة عارض ذلك الأصل ومنع من طرده . ومنه جمعهم فمیل وفمول وفعال على فعل كرهيف وعمود وقذال على رغب وعمد وقذل لثقل المفرد بالمدة . فإن كان في واحدة تاء التأنيث فإنها تحذف في الجمع فكروها أن يحذفوا المدة فيجمعوا عليه بين نقصين فقبلوا المدة . ولم يحذفوها كرسالة ورسائل وصحيفة وصحائف فجزوا النقص بالفرق لا إتهم تناقضوا وتارة يقتصرون على تغيير بعض حركاته فيجعلونها علامة لجمعه كفلك وفلك وعبد وعبد . وتارة يحتلبون له لفظاً مستقلاً من غير لفظ واحد كحيل وأنام وقوم ورهط ونحوه . وتارة يحملون العلامة في التقدير والنية لافي اللفظ كفلك للواحد والجمع فإن ضمة الواحد في النية كضمة قفل وضمة الجمع كضمة رسل وكذلك هجان ودلاص وأسمال وأعشار مع أن غالب هذا الباب إنما يأتي في الصفات لحصول التميز والعلامة بموصوفاتها فلا يقع لبس ولا يكاد يجيء في غير الصفات إلا نادراً جداً . ومع هذا فلا بد أن يكون لمفرده لفظ يباير جمعه ويكون فيه لغتان لأنهم علموا أنه يثقل عليهم ، أما في الجر والنصب فإلتوا إلى الكسرات ، وأما في الرفع فإلتقل الخروج من الكسرة إلى الضمة فعدلوا إلى جمع تسكيره . ولا يرد هذا عليهم في راحين وراحون لفصل الألف الساكنة ومنعها من توالي الحركات فهو كسامين وقائمين . وكذلك عدلوا عن جمع فعل المضاعف من صفات العقلاء كفظ وبر فلم يجمعوه

جمع سلامة . ولم يقولوا برّون وفضّون لثلاثي يشتهر بكلوب وسفود لأنه بزنته فكسروه وقالوا أبرار فلما جاءوا إلى غير المضاعف كصعب جمعه جمع تصحيح ولم يخافوا التباساً إذ ليس في الكلام فعلول ، وصعفوق^(١) نادر ، فتأمل هذا التفريق ، وهذا التصور الدالّ على أن أذهان العرب قد فاقت أذهان الأمم كما فاقت لغتهم لغاتهم . والكلام في هذا المقام واسع جداً فأين لغت العرب من هذه الأسرار ، والفرق واضح بين الليل والنهار .

وأما ما اشتمل عليه كلام العرب وتراكيبهم ، وما حازته من فنون البراعة أساليبهم ، فقد تكفل ببسطه كتب المعاني والبيان . وما ألف في بيان إعجاز القرآن . وقد سأل أبو إسحق المتفلسف الكندي أبا العباس المبرد ، فقال : إني أجد في كلام العرب حشواً يقولون عبد الله قائم . ثم يقولون إن عبد الله قائم . ثم يقولون إن عبد الله لقائم ، والمعنى واحد ، فأجابه أبو العباس : إن المعاني مختلفة فقولهم عبد الله قائم إخبار عن قيامه . وقولهم إن عبد الله قائم جواباً عن سؤال سائل . وقولهم إن عبد الله لقائم ، جواب عن إنكار منكر قيامه . فانظر إلى تفاوت هذه المعاني مع تغيير يسير في اللفظ . وأما ما فصح من لغاتهم ، وما ملح من بلاغاتهم ، وما سمع من الأعراب في بواديها ، ومن خطباء الحلل في نواديها^(٢) ، ومن قراضية^(٣) نجد في أكلامها ومرامتها ، ومن سمسرة^(٤) تهامة في أسواقها

(١) الصعفوق : اللثيم ، قال في القاموس : ليس في الكلام فعلول سواه ، وأما خر نوب فضعيف وأما الفصيح فيضم خاؤه أو يشدد راؤه (٢) جمع ناد وهو المجلس ، وقد ادعى بعض العصريين أن هذا الجمع وإن كان هو القياس إلا أنه غير مستعمل وإنما يقال في جمعه الأندية وهو في الأصل جمع ندى بمعنى النادى استغنوا به عن جمع النادى كما استغنوا بالأحاديث الذى هو جمع الأحادثة عن جمع الحديث ، ولا يخفى بطلان هذا القول على من له اقل مسكة من العلم (٣) القراضية : اللصوص من الفقراء والواحد قرضوب وقرضاب (٤) سمسرة جمع سمسار بالكسر . المتوسط بين البائع والمشتري ومالك الشيء وقيمة السفير بين المحبين وسمسار الأرض العالم بها وهى بهاء والمصدر السمسرة .

ومجامعها ، وما تراجزت به السقاة على أفواه قلوبها^(١) وتساجت به الرعاة على شفاه
عُلمبها^(٢) ، وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات الماتنة^(٣) ، وتزاملت^(٤)
به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المقاتنة ، فذاك الذي تنفد عند ذكره المحابر ،
ولا تستوعب محاسنه صحائف الدفاتر ، وهم الأحرىء بذلك ، والأحقاء بما هنالك ،
أليس قرى الأضياف سحيتهم ، ونحر المشار للناس دأبهم وهجيراتهم^(٥) ، لا مزقت
أيدي الأدوار لهم أديما . ولا أباحت لهم حرما . أقترامهم يحسنون قرى الأشباح
فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسنون قرى الأرواح فلا يخالفون
فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد . فإن الكلام المفيد عند الإنسان بالمعنى
لا بالصورة أشهى غداء لروحه . وأطيب قرى لها غبوقه وصبوحه^(٦) .

وقد سمعتُ بعض من لاخلاق له من الناس أنه ادعى إن لغات الإفرنج اليوم أوسع
من لغة العرب بناء على ما حدث فيها من ألفاظ وضمورها لمعانٍ لم تكن في القرون
الحالية . والأزمئة الماضية . فضلا عن أن تعرفه العرب فتفوه به . أو تتخيله
فتنطق به . ولا يخفى عليك أن هذا كلام يشمر بعدم وقوف قائله على منشأ السمة
وأنه لم يخض بحار فنون اللغة حتى يعلم أن المزية من أين حصلت . وأما ما ذكر
من أن مفردات العربية غير تامة بالنظر إلى ما استحدث بعد العرب من الفنون
والصنائع مما لم يكن يخطر ببال الأولين فهو غير شين على العربية . إذ لا يسوغ
لواضع اللغة أن يضع أسماء لمسميات غير موجودة وإنما الشين علينا الآن في أن
نستدير هذه الأسماء من اللغات الأجنبية مع قدرتنا على صوغها من لغتنا . على أن

(١) قلبها جمع قلب وهو البئر (٢) قلبها جمع علبية بالضم قدح
ضخم من جلود الإبل أو من خشب يحلب فيها قال جرير .

لم تتلفح بفضل مئزرها دعد ولم تسق دعد في العاب
(٣) الماتنة . الماطلة والمباعدة في الغاية (٤) تزاملت : تراجزت .

(٥) يقال هذا هجيراه واهجيراد واهجيرأوه وهجيره واهجورته وهجريات .
أي دأبه وشأنه ، قال الشاعر :

رمى فاختأ والأقذار غالبية فانصعن والويل هجيراه والحرب

(٦) الغبوق كصبور ما يشرب بالعشى ، والصبوح ما يشرب بالغدوة .

أكثر هذه الأسماء هو من قبيل اسم المكان أو الآلة وصوغ اسم المكان والآلة في العربية مطرد من كل فعل ثلاثي فما الحاجة إلى أن نقول : فريقة أو كرخانة ، ولا نقول مَعْمَل أو مصنع أو أن نقول بيارستان^(١) ولا نقول مستشفى . أو نقول ديوان ولا نقول مَأْمَر ، أو نقول أسطراب^(٢) ، ولا نقول منظر ، والعرب اليوم بخسوا اللغة حَقًّا فإنهم عدلوا عنها إلى اللغات المعجمية من غير سبب موجب ، فإن من يستمير ثوباً من آخر وهو مستمنٍ عنه يحكم عليه بالزيغ والبطر^(٣) . وإذا اعترض أحد بأن دخول الألفاظ المعجمية في العربية غير منكر ، وأن كل لغة من اللغات لا بد أن يكون فيها دخيل ، فاللغة هي بمنزلة المتكلمين بها فلا يمكن لأمة أن تعيش وحدها من دون أن تختلط بأمة أخرى ، فإن الإنسان مدني بالطبع أي محتاج في تمدنه إلى الاختلاط مع أبناء جنسه . والجواب أن هذا الدخيل إنما يُفْعَى عنه إذا لم يوجد في أصل اللغة ما يرادفه ، أو لم يمكن صوغ مثله فأما مع وجود هذا الإمكان فالإغضاء عنه بخس لحق اللغة لا محالة ، وإلا لزم المستميرين أن ينطقوا بالباء أو الكاف الفارسيتين ، أو أن يقدموا المضاف إليه على المضاف . وهناك وجه آخر في العربية لصوغ ألفاظ تسد مسد الألفاظ المعجمية التي اضطرتنا إليها وهو باب النحت . قال ابن فارس في فقه اللغة : العرب تَنَحَّتْ من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار ، وذلك كقولهم : « رجل عَبْشَمِي » منسوب إلى اسمين ، وما عبد شمس .

وأنشد الخليل

أقول لها ودمع العين جارٍ ألم تَحْزُنُكَ حَيْمَلَةُ المَنادَى؟

(١) بيارستان . قال الخفاجي . لفظة فارسية استعملها العرب ومعناها مجمع المرضى لان بيمار معناه المريض وستان هو الموضع وأول من صنعه بقراط وسمياه اخشتدوكين .

(٢) اسطراب قال الخفاجي الآلات التي يعرف بها الوقت اسطراب والطرجهارة وهي آلة مائية ، وبنكام وهي رملية وكلها الفاظ غير عربية ذكرها في نهاية الارب .

(٣) البطر : مجاوزة الحد .

من قولهم : « حَىَّ عَلَى كَذَا » وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد « ضَبَّطَر » من « ضَبَّطَ » و « ضَبَّرَ » . وفي قولهم « صَهَّصَلِقُ »^(١) إنه من « صَهَّلَ » و « صَلَّقَ » وفي « الصِّلِيمِ » إنه من « الصَّلْدِ » و « الصَّدْمِ » إلى آخر ما قال مما يدل على أن اللغة العربية أحسن اللغات صيغاً وأساليب وأتمها وأكملها نسقاً وتالياً مع تسويغ استعمال النحت عند اقتضاء الضرورة . ولو أن العرب الأولين شاهدوا البواخر وسكك الحديد وأسلاك التلغراف والغاز والبوستة ونحو ذلك مما اخترعه الأفرنج لوضعوا له أسماء خاصة ناصة فهم على هذا غير ملومين : وإنما اللوم علينا حالة كوننا قد ورثنا لغتهم وشاهدنا هذه الأمور بأعيننا ولم نتنبه لوضع أسماء لها على النسق الذي ألفته العرب وهو الاختصار والإيجاز . « وأما العمل » فإن مبناه على الأخلاق وهي الغرائز المخلوقة في النفس وغرائز العرب أطوع للخير من غيرهم فهم أقرب للسخاء والحلم والشجاعة والوفاء والغيرة وغير ذلك من الأخلاق الحمودة .

* * *

أما كون العرب أقرب للسخاء من غيرهم

فذلك الذي لا يحتاج إلى بيان ، ولا يعوز إلى إقامة دليل ولا برهان . قد شهد لهم به الأوداء والأعداء ، واعترف لهم الأقربون والبعداء ، إذا ألم بهم ضيف حكموه على أنفسهم ، واستهانوا له ما وجدوه من نفيسهم ، وهذا شعرهم ينطق بما جُبلوا عليه ويُعرب عما ألقوه وجنحوا إليه ، وهو مما لا يمكن استيعابه في هذا المقام ، ومن أين لنا الإحاطة بالبحر المحيط وقد ضاقت عنه دوائر الأفهام ؟ غير أن المعسور . لا يسقط بالميسور . فلا بد من تحلية عاقل جيد هذا الكتاب ، ببعض من عقود نظام در ذلك العباب^(٣) .

(١) صهصلق : العجوز الصخابة كالصهصليق (٢) الصلدم : كزبرج الاسد والصلب والشديد الحافر كالصلادم فيهما والصلدم بالكسر وهي صلدمة (٣) العباب كغراب معظم السيل وارتفاعه وكثرته أو موجه .

قال عتيبة بن بجير المازني من بني الحارث بن كعب :

ومستنجح بات الصدى يستنجه^(١) إلى كل صوت فهو في الرجل جامع^(٢)
فقلت لأهلي : ما يُفام مطية^(٣) وسار^(٤) أضافته الكلاب النواج^(٥)
فقالوا : غريب^(٦) طارق^(٧) طوحت^(٨) به متون الفيافي والخطوب الطوارح^(٩)
فقلت ولم أجتيم^(١٠) مكان ولم تقم^(١١) مع النفس علات^(١٢) البخيل الفواضح^(١٣)
وناديت^(١٤) شبلاً فاستجاب وربما ضمنا^(١٥) قرى عشر لمن لا نصافح^(١٦)
فقام أبو ضيف^(١٧) كريم^(١٨) كأنه وقد جد من فرط الفكاهة مازح^(١٩)

(١) المستنجح : من يطلب نباح الكلب ليستهدي بذلك في طريقه ، والصدى : الطائر الذي يصيح بالليل وأكثر ما يقولون فيه انه ذكر البوم وجمعه أصداة وقد يوقمون الصدى على ضرب من الجنادب يصيح بالليل والنهار ، ويستنجهه - هو يستنفعه من تاه يتيه اذا ضل والجائح : المائل (٢) البغام : قطع مد الصوت بالحنين ، واضافته : جاوبته ، والمعنى : فقلت ما هذا البغام الذي اسمع ومن هذا الساري الذي اضافته الكلاب (٣) قال التبريزي : كان يجب ان يقول والخطوب المطوحات في الجمع بالالف والتاء لان اسم الفاعل من طوح مطوح ولكنه اخرج الطوائح على حذف الزيادة من الفعل ومثله قوله عز وجل : « وارسلنا الرياح لواقح لان اصله ان يجيء ملاقح او ملقحات لكونها ملقحة للاشجار والفعل منه القح فاخرجه على حذف الزوائد فصار لقح ولواقح وكذلك الطوائح قياسه ان يكون اذا عدل عن الجمع بالتاء مطاوح وارتفع غريب على انه خير مبتدا محذوف كأنه قال هو غريب طارق ومعنى طوحت به حملته على الملالك والطائح الهالك . اهـ

وكتب بالهامش قوله كان يجب الخ حله يفيد ان القافية الطوائح بدل الطوارح ولعلهما روايتان والمتن الصلب من الارض والفيافي جمع فيفاة وهي المكان المستوى او المغارة لا ماء فيها .

(٤) الجثوم . اصله الصاق الصدر بالارض ولزومها ويستعمل كثيرا في الطير والسباع والجثمان الشخص من اشتق ، وقوله لم تكن منع النفس علات البخيل يريد ان نفسى لما تهيأت للاضافة لم تقم معها العلات التي تفضح اربابها (٥) يريد بشبل ابنه ، قال ابو العلاء : اشبه ما روى في هذا البيت قرى عشر لمن لا نصافح بفتح العين اى عشر ليال لمن ليس له بيننا وبينه مصادقة توجب مصافحة وبعض الناس يضم العين وله وجه اى ربما ضمنا قرى عشر أموالنا لمن لا نعرف وقد يمكن ان يكون عشر جمع عشير وهو الذى يعاشره من الغرباء او يكون من عشيرته مثل ما يقال صديق وصدق وكريم وكرم ، وقوله لمن لا نصافح يجوز ان يكون من المصافحة المعروفة ويجوز ان يكون من صفحت الناس اى نظرت في احوالهم .

(٦) عنى بابي الضيف نفسه وارتفع مازح على انه خير كان وموضع وقد جد موضع الحال كأنه قال يشابه المازح من فرط الصبابة وهو جاد ويقال فاكهته بملح الكلام وهي الفكاهة .

إلى جذم مال قد نر-كنا سوامه وأعراضنا فيه بواقٍ صحاح^(١)
 جعلناه دون النيم حتى كأنه إذا عدّ مال الكثيرين النسخ^(٢)
 لنا حمد أرباب المثين ولا يرى إلى بيتنا مال مع الليل راع^(٣)
 وقال مرة بن محكان التميمي السعدي^(٤) :
 ياربة البيت قومي غير صاغرة ضمى إليك رجال القوم والقربا^(٥)
 في ليلة من جمادى ذات أندية لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا^(٦)
 لا ينبج الكلب فيها غير واحدة حتى يلف على خيشومه الذنبا^(٧)
 ماذا ترين أندنيهم لأرحلنا في جانب البيت أم بنى لهم قيبا
 المرمل الزاد معنىً بحاجته من كان يكره ذمًا أو يقى حسبا^(٨)
 وقت مستبطنًا سيفي فأعرض لي مثل المجادل كوم بركت عصبنا^(٩)

(١) الجذم : الاصل ، ونهكنا سوامه : اى اثرتنا في السائمة من المال بما عودناها من النحر من قولهم نهكه المرض اذا اضر به ، والسوام : الابل الراعية وجملة الى جذم مرتبط ب (قام) في البيت قبله والمعنى فقامت الى الابل التى انقذنا السوام منها في الضيافة وحمل الديات مع تقاء عرضنا .
 (٢) المنائح جمع منيحة وهى الناقاة او الشاة تدفع الى الجار لينتفع بابنها ما دام بها لبن فاذا انقطع لبنها ردت ، وقوله جعلناه دون الدم يريد صيرناه دون الدم (٣) يعنى انها على قلتها باركة بالفناء المحقوق لا تبلغ ان تصير سارحة ورائحة ولكن لنا حمد ارباب الابل الكثيرة لجودنا وكرمنا .
 (٤) محكان علم مرتجل فعلان من م ح ك ، ومرة هذا من بطن يقال لهم بنو ربيع بن سعد بن زيد مناة بن تميم وهو شاعر اسلامى مقل من شعراء الدولة الاموية ، عاصر جريرا والفرزدق فاخملا ذكره وكان شريفا جوادا ولا عقب له ، وهو احد من حبس في القرى والاطعام ، قتله مصعب بن الزبير في ولايته لامر كان بينهما حبسه ثم دس اليه من قتله .
 (٥) القرب جمع قراب السيف وهو كالجرا ب يوضع السيف فيه بغمده وغير السيف وانما امرها بضم الرجال والقرب لانهم لما نزاوا عنده فقد امنوا لا يحتاجون الى حضور السلاح عنده .
 (٦) قوله لا يبصر الكلب مبالغة من شدة الظلمة والكلب قوى البصر بالليل فاذا بلغ امره الى ما وصف فهو نهاية الظلم والطنب جبل البيت .
 (٧) قوله حتى يلفى انتصب الفعل باضمار ان وحتى بمعنى الى كأنه قال الى ان يلف الذنب على خرطومه الا نبحة واحدة .
 (٨) المرمل : الذى قد انقطع زاده .
 (٩) يقال استنبطت فلانا دونك اى خامسته وتبطنت كذا دخلت فيه حتى عرفت باطنه وقوله فاعرض لي اى ابدت لي عرضها نوق كانهن قصور ، والكوم جمع اكوام وكوماء وهى العظام الاسنة ، وعصب جمع عصبية .

فصَادِفُ السَّيْفِ مِنْهَا سَاقٌ مَثَلِيَّةٌ جَلَسَ فِصَادِفٍ مِنْهُ سَاقُهَا الْعَطْبَا (١)
 زِيَاةٌ بِنْتُ زِيَاةٍ مَذَكَّرَةٌ لَمَّا نَعَمَوْهَا لِرَاعِي سَرَحْنَا انْتَحَبَا (٢)
 أَمْطَيْتُ جَازِرَنَا أَعْلَى سَنَاسِينَهَا فَصَارَ جَازِرُنَا مِنْ فَوْقِهَا قَتْبَا (٣)
 يُنْشِنُ اللَّحْمَ عَنْهَا وَهِيَ بَارَكَةٌ كَمَا تَنْشِنُ كِفَا قَاتِلٍ سَلْبَا (٤)
 وَقَلْتُ لَمَّا غَدَوْنَا أَوْصَى قَمِيدَتَنَا غَدَى بَنِيكَ فَلَئِنْ تَلَقَّيْتَهُمْ حَقْبَا (٥)
 أَدْعَى أَبَاهُمْ وَلَمْ أَقْرِفْ بِأُمَّهُمْ وَقَدْ عَمَرْتُ وَلَمْ أَعْرِفْ لَهُمْ نَسْبَا
 أَنَا ابْنُ مَحْكَانِ أَخْوَالِي بَنُو مَطَرٍ أُنْعَى إِلَيْهِمْ وَكَانُوا مَعِشْرًا نَجْبَا (٦)

« وقال آخر »

وَمُسْتَنْبِحٌ قَالَ الصَّدَى مِثْلَ قَوْلِهِ حَضَاتٌ لَهُ نَارًا لَهَا حَطْبٌ جَزَلٌ (٧)
 قَمَمْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعًا فَنَمَتُهُ مَخَافَةَ قَوْمِي أَنْ يَفُوزُوا بِهِ قَبْلَ
 فَأَوْسَعَنِي حَمْدًا وَأَوْسَمَتَهُ قَرِيًّا وَأَرْخِصْ بِحَمْدِي كَانَ كَاسِبَهُ الْأَكْلَ

« وقال آخر »

رَكَتُ ضَانِي تَوَدُّ الذُّبَّ رَاعِيَهَا وَأَمَّا لَا تَرَانِي آخِرَ الْأَبَدِ (٨)

- (١) اراد انه عر قب ناقة منها ، والمثلية هي التي لها ولد يتلوها وقيل هي الحامل ، والجلس : الصلبة المشرفة وقيل هي الواسعة الاخذ من الارض والجلس المكان المرتفع (٢) الزيافة : التي تزيف في مشيها وتبختر ، والمذكرة المتشبهة بالجمل ، ونعوها : اخبروا بنحرها ، والسرح : المال الراعي ، والانتحاب رفع الصوت بالبكاء ، وانما بكى عليها لانها من خيار المال واعزه عنده .
- (٣) يقال امطيت البعير اذا ركبت مطاه وهو الظهر وامطيته غيري وانما يصف اشراف ناقته التي نحرها فيقول ركبها جازرنا لما نحرها اذ كان اعلى سناسنها لم تصل يده اليه فصار منها لما عالاها بمكان القتب ، والسناسن اعلى السنم والخارج من تقار الظهر واحدها سنسنة .
- (٤) ينشئن : اي يكشف ويفرق وقيل النشئشة مباشرة الشيء حتى تاخذه كما تريد . (٥) الحقب : السنون واحدها حقبه .
- (٦) بنو مطر بن شيبان رهط معن بن زائدة .
- (٧) حضات له نارا : فتحت عينها لتلتهب وقد اوقدت بغلاظ الحطب وكبارها وحضات له نارا جواب رب .
- (٨) الضان : ذوات الصوف من الغنم الواحدة ضائنة والذكر ضائن ، قال ابن الانباري : الضان مؤنثة والجمع اضون مثل فلس وفلس وجمع الكثرة ضئين مثل كريم .

الذئبُ يَطْرُقُها في الدهرِ واحدةً وكلَّ يومٍ تراني مُدِيَّةً بِيَدِي (١)

« وقال آخر »

ما أنا بالساعي إلى أمِ عاصمٍ لأضربَها إني إذا لَجَّوِلٌ (٢)

لكِ البيتُ إلا فَيِنَّةً تُحَسِّنُها إذا حان من ضيفٍ عليَّ نَزولٌ (٣)

« وقال بمض بن أسد »

وسوداءُ لا تُكْسَى الرِقاَعُ نَبِيْلَةً لها عند قَرَّاتِ العِشِياتِ أزمَلٌ (٤)

إذا ما قَرَّيناها قِراها تَضَمَّنَتْ قِرَى من عرانا أو تريد فتفضلُ

« وقال آخر وهو عروة بن الورد »

سلي الطارقَ المعترَّ يا أم مالك إذا ما أتاني بين قِدْرِي ومَجْزَرِي (٥)

أيسْفِرُ وجهي أنه أولُ القَرِي وأبذلُ معروفٍ له دون مُنْكَرِي (٦)

« وقال آخر »

وإنا لَمَشَّائُونَ بين رحالنا إلى الضيفِ منا لَاحِفٌ ومُئِيمٌ (٧)

فذو الحلمِ منا جاهلٌ دون ضيفه وذو الجهلِ منا عن أذاهُ حلِيمِ

« وقال ابن هرمة »

أغشى الطريقَ بقبَّتِي ورواها وأحلُّ في نَشْرِ الرُبِّي فأقيم (٨)

إنَّ امرأً جعل الطريقَ لبيتِه طُنْباً وأسكراً حقه للثَّيْمِ (٩)

- (١) المدينة : السفرة والجمع مدى ومديات .
(٢) قوله وما أنا بالساعي كأنه رأى انسانا يضرب امراته ويحول بينها وبين تدبيرها دارها فنفى عن نفسه مثل ذلك بفعلة المنهاى في الجهل .
(٣) الفينة : الوقت . (٤) القرعة الشعر بعينه، والأزمل : الصوت الشديد، والسوداء يعنى قدرا والرقاع يعنى الثياب ، ونبيلة : عظيمة الشأن وخص قرات العشيات لأنها وقت الاضياف . (٥) الطارق : الآتى ليلا ، والمعتر المتعرض ولا يسأل ، وقوله : بين قدرى ومجزرى يريد اذا اتانى في موضع الضيافة أعطيته اما لحما نياً وذلك من المجزر واما مطبوخا وذلك من القدر .
(٦) قوله انه اول القرى يريد ان اظهار البشاشة للضيف من أوائل قراه والمنكر ههنا أن يسأله عن اسمه ونسبه وبلده ومقصده وكل هذا مما يجلب عليه حياء . (٧) أى يلبسه اللحاف ومئيم يحدثه حتى ينام .
(٨) يعنى انه يضرب قبة على الطريق ، ويروى في قتل الربى .
(٩) يعنى حق الطريق ولم يرض بالحلول على الطريق حتى وصله بالاقامة، وقوله جعل الطريق لبيته طنبا أراد جعل الطريق موضع طنب بيته فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه .

« وقال آخر »

ومستبج تستكشطُ الريحُ ثوبَهُ^(١) ليسقط عنه وهو بالثوب مُعَصِمٌ^(٢)
عوى في سواد الليل بعد اعتسافه لينبجَ كلبٌ أو ليفزعَ نومٌ^(٣)
نجاوبه مستمعُ الصوت للقرى له عند إتيان المهينَ مطعمٌ^(٤)
يكاد إذا ما أبصر الضيفَ مقبلاً يكلمه من حبه وهو أعجمٌ^(٥)

« وقال سالم بن قحطان العنبري »

لا تمدُّ لي في العطاء ويسرى لكل بئر جاء طالبه حَبلاً^(٥)
فإني لا تبكي على إفالها إذا شمت من روض أو طامها بقلاً^(٦)
فلم أر مثل الإبل مالا لِمُتَنِّ ولا مثل أيام الحقوق لها سبلاً^(٧)

« ومن خبر هذه الأبيات » أن سالم بن قحطان أتاه أخو امرأته فأعطاه بئراً من إبله وقال لامرأته هاتي حبلًا يقرن به ما أعطيتناه إلى بئره . ثم أعطاه بئراً آخر وقال هاتي حبلًا ثم أعطاه ثالثاً فقال هاتي حبلًا فقالت ما بقي عندي حبل . فقال على الجمال . وعليك الحبال . فرمت إليه بئرها وقالت اجعله حبلًا لبعضها فأنشأ يقول لا تمدُّ لي في العطاء ، الأبيات . فأجابته امرأته .

حلفتُ يميناً يا ابنَ قحطان بالذي تكفل بالأرزاق في السهل والجبل

(١) كشط واستكشط بمعنى وهو كعجب واستعجب والكشط والقشط يتقاربان وأصل الكشط للبعير وإن استعمل في غيره والجلد يقال له الكشاط والمعصم والمستعصم واحد وهو المستمسك بالشيء .
(٢) الاعتساف : الأخذ في الطريق على غير هداية وإنما يقال ليفزع نوم لانهم إذا انتبهوا لصوته أجابوه وتلقوه أو رفعوا النار له .
(٣) قوله له عند إتيان المهين مطعم ، يعني سعة عيش الكلب فيما ينحر للضيف والمهين الأضياف يقال هب من نومه وأهبيه .
(٤) أي يكاد الكلب يكلم الضيف حبا له إذا أقبل على عجمته .
(٥) يسرى أي هبني وأعدني .
(٦) أفالها : صفارها الواحد أفيل وفي معناه قولان أحدهما أن الإبل بهائم لا تهتم لي إذا مت بل تززع وتشبع فموتى عندها وموت من لا ينحرها سواء ، والآخر أن ابلي لا تبكي بعد موتى بل تفرح بموتى لأنى انحرها فإذا مت فاعله يأخذها من لا ينحرها .
(٧) المفتنى الذي يقتنى المال ونفس المال المدخر قنوة .

تَزَالُ حَبَالٌ مَحْصَدَاتٌ أَعَدُّهَا لَهَا مَا مَشَى مِنْهَا عَلَى خَفِّهِ جَلٌّ (١)
فَاعْطِ وَلَا تَبْخُلْ لِمَنْ جَاءَ طَالِبًا فَمَعْنَى لَهَا خُطْمٌ وَقَدْ زاحت العليل (٢)
« وقال آخر »

أَلَا تَرَيْنَ وَقَدْ قَطَعْتَنِي عَدَلًا مَاذَا مِنْ الْبَعْدِ بَيْنَ الْبَخْلِ وَالْجُودِ
إِلَّا يَكُنْ وَرَقِي غَضًّا أَرَأِحُ بِهِ الْمُعْتَفِينَ فَإِنِّي لَتَيْنُ الْعُودِ (٣)
« وقال قيس بن عاصم المنقري »

إِنِّي أَمْرٌ لَا يَعْتَرِي خُلُقِي دَنْسٌ يَفْتِنُهُ وَلَا أَفْنٌ (٤)
مِنْ مَنَقَرٍ فِي بَيْتٍ مَكْرُمَةٍ وَالْفَصْنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْفَصْنُ
خَطْبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ بِيضُ الْوَجْهِ مِصَاعٌ لُسْنٌ (٥)
لَا يَفْطَنُونَ لَعِيبِ جَارِهِمْ وَهُمْ لِحْفَظِ جَوَارِهِ فَطَنٌ (٦)
« وقال ابن علقمة الفزاري »

رَأَى عَلَى مَابِي عُمَيْلَةَ فَاشْتَكَى إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرًا كَمَا جَهَرَ (٧)
دَعَانِي فَآسَانِي وَلَوْ ضَنَّ لَمْ أَلْمُ عَلَى حِينٍ لَا يَدْوُ رَجَبِي وَلَا حَصَرَ (٨)
غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ يَا فِيمَا لَهُ سِيَمِيَاءُ لَا تَشْقُ عَلَى الْبَصْرِ (٩)

(١) أي ما تزال وجاز حذفها للدلالة اليمين عليها . (٢) زاحت بمعنى زالت
وازاحتها ازلتها . (٣) الورق المال من الأبل والوراق الرجل الكثير الورق ،
يقال رحى له أراح أي ارتحت وقيل الأريحي أفعلى من هذا وذكر الورق
كناية عن المال كثير في كلامهم ، قال زهير :

وليس مانع ذى قرى ولا رحم يوماً ولا معدم من خابط ورقاً
لما استعار الورق للمال وصله بالخابط تحسينا لكلامه وكذلك هذا لما كنى
عن معروفه بالورق وصله بالعود وإذا لان العود اهتز وعن الاهتزاز للخير
يحصل الندى . (٤) يفتنه : يفحشه والفند الفحش ويقال أفند الرجل إذا
أتى بالفحش والأفن أصله استخراج اللبن من الضرع حتى يخلو منه ثم
قيل أفن الرجل فهو مأفون إذا زال عقله .

(٥) المصاع جمع مصقع وأصل الصقع الضرب وهو هنا رفع الصوت ،
اللسن جمع لسن يقال لسن يلسن لسنا إذا تنهى في البلاغة والفصاحة .

(٦) يقول هم يلبسون الجاز على ظاهر امره ولا يتحسسون عليه وإن
اتفق له ما يوجب عليهم حفظه بعقد الجوار فطنوا له ، والفطن جمع فطن .
(٧) اشتكى إلى ما له مجاز جعل رجوعه إلى ما له في إصلاح امره شكاية

منه إليه ، وقوله أسر كما جهر أي لم ينافق يعني أنه أسر الأهتمام بامرئ
كما أظهره . (٨) قوله فآساني أي جعلني أسوة له بأن أعطاني من ماله

وأو ضن أي بخل لم ألمه لضيق الزمان . (٩) السيمياء الحسن والبهجة
أي قد وسمه الله تعالى بسيمى حسنة مقبولة يلتد الناظر إليها .

كأن الثريا علقت في جبينه وفي خده الشعري وفي وجهه القمر
إذا قيلت العوراء أغضى كأنه ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر^(١)
ولما رأى المجد استميرت ثيابه تردى رداءً واسع الذيل وانثر
فقلت له خيراً وأثنت فعله وأوفاك ما أسديت من ذمٍّ أو شكر^(٢)
قال أبو ريش : مر عميلة الفزاري على ابن عنقاء الفزاري وهو يحتش^(٣) لغممه .
وقيل يحفر عن البقل ويأكله ، فقال : يا ابن عنقاء ما أشارك إلى هذه الحال ؟ فقال له
ابن عنقاء : تغير الزمان ، وتمذر الأخوان ، وضنَّ^(٤) أمثالك بما معهم فقال عميلة
لاجرم والله لا تطلع الشمس غداً إلا وأنت كأحدنا ثم انصرف كل واحد منهما إلى
أهله . وكان عميلة غلاماً حين بقل وجهه^(٥) فبات ابن عنقاء يتململ على فراشه
لا يأخذ النوم اشتغالا بما قال له عميلة فقالت له امرأته ما شأنك ؟ فاخبرها الخبر
فقالت : قد خرفت وذهب عقلك حتى تعلق نفسك بكلام غلام حديث السن لا يحفل
بما يجري على لسانه . ويحكى أنه لما أصبح قالت له ابنته لو أتيت عميلة فقد وعذك
أن يقاسمك ماله فقال . يا بنية إن الفتى كان سكران ولا أدري لعله لم يعقل ما قاله فبينما
هي تراجعها الكلام إذ أقبل عليهم كالليل من إبل وغنم وخيل ، وإذا عميلة قد وقف
عليه فقال : يا ابن عنقاء أخرج إلى نخرج إليه . فقال : هذا مالي أجمع هلم نقسمه
فقاسمه إياه بغيراً وبميراً وفرساً وفرساً وشاةً وشاةً وجاريةً وجاريةً وغلاماً وغلاماً .
ثم انصرف فقال ابن عنقاء الأبيات .

« وقال آخر »

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي أيادي لم تمن وإن هي جلت
فتى غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

(١) العوراء الكلمة الفبيحة ، وأغضى طبق أجفانه .
(٢) أسدى من سدى البعير إذا قدم يديه في السير ومن أسداك خيراً فكانه
بسط به اليك يده مقبلاً .
(٣) يقطع الحشيش بعد جفافه .
(٤) ضن : أي بخل .
(٥) بقل وجهه أي خرج شعره .

رأى خلّتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلّت (١)
« وقال رجل من بهرّاه واسمه فدكّي »

إن أجز علقمة بن سيف سعية لا أجزه بيلاء يوم واحد
لأحبتني حبّ الصبي ورمني رمّ الهدى إلى الغنى الواجد (٢)
وأجاني يوم الصراخ بهجمة مائة تشقّ على عصي الذائد
ولقد نصحت مليتي فتميتت عن آل عتاب بماء بارد (٣)

« ومن خبر فدكّي » أنه كان مجاوراً في بني تغلب لبني عتاب بن سعد ابن زهير
ابن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب فأقام فيهم مدة ثم إن علقمة
ابن سيف العتابي غزا في بعض مغازيه فأغار حنش بن معبد أحد بني ثعلبة بن بكر
ابن حبيب فأخذ إبل البهراني فكان إذا ورد بنو عتاب نعمهم حوض حوضاً واستقى
فيه حتى يملأه ثم يغمز فيه ذكره ويقول : اشرب فإلى مال غيرك وإذا حضر
بجالسهم أنشأ يقول :

هل أنا إلا معزب لياليا لياليا من رجب ثمانيا

ثم تجيء جيرتي بماليا

فلما قدم علقمة بن سيف أخبروه شأن البهراني ، فقال إن حنش بن معبد
لي صديق وإن وفدت عليه رد على الإبل ، فوفد عليه في جماعة من بني تغلب ،
فيهم رجل من بني الأوس بن تغلب ، وهم أشأم حتى في العرب بسبب رجل منهم
وقعت حرب البسوس وبسبب رجل آخر منهم وقعت حرب ابني بغيض ذبيان
وعبس . فلما قدموا على حنش بن معبد فرح بهم وبني عليهم قبة وأكرمهم

(١) الخلة : الفقر هنا ، وقوله فكانت قذى عينيه أي لم يصبر عليها كما
لا يصبر الرجل على قذى عينيه حتى يخرجها .
(٢) رمني : أصلح حالى ، رم الهدى : الهدى العروس إذا زفت العروس
إلى الغنى تكلف أهلها في حسن تجهزها لئلا يعيرها أهل زوجها خلا وقع في
امرأها ولا يعير زوجها إياها .
(٣) المليّة : شدة العطش والحرارة ، وتميئت : بردت وذابت من ماث
الدواء إذا أذابه .

ووعدهم أن يرد على علقمة بن سيف الإبل إذا أصبحوا فلما كان الليل استسمع عليهم حنش بن معبد وهم يتحدثون ويذكرون ما صنع بهم حنش ووعده إياهم برد الإبل وسمع الأوسى وهو يقول ألم أحدثكم أنها كالمصبة ازدردها^(١) اللبوة إن لا تقمها تخراها فأغضب ذلك حنشاً وحلف أن لا يرد منها بميراً فلما رجعوا أخرج علقمة بن سيف من ماله مائة بعير فأعطاها البهراني وقال هذا بدل ما أخذ منك ، فقال البهراني : سأشكر عمرآ الأبيات .

وقال الحسين بن مطير الأسدي في بعض العرب

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس ويوم نعيم فيه للناس أنعم^(٢)
فيمطر يوم الجود من كفه الندى ويمطر يوم البأس من كفه الدم
ولو أن يوم البأس خلى عقابه على الناس لم يصبح على الأرض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه على الناس لم يصبح على الأرض معدم

وقال أبو الطمجان القيني واسمه حنظلة بن الشرق^(٣)

إذا قيل أى الناس خيرٌ قبيلةً وأصبرُ يوماً لا توارى كواكبه^(٤)
فإنّ بنى لام بن عمرو أرومةً سمت فوق صعب لانثال مراقبه^(٥)

(١) زرد اللقمة وازدردها : بلعها ، واللبوة كعنوة ، ويكسر وكسبرة وكفناة الاسدة ، قال في المصباح : الهاء فيها لتأكيد التانيث كما في ناقة ونمجة لانه ليس لها مدكر من الغظها حتى تكون فارقة ، ويقال : أجرى من اللبوة .

(٢) يقول ايام هذا المدوح مقسمة بين انعام وانتقام يوم بؤس تشقى به اعداؤه ويوم نعيم تحيا به وتسعد اولياؤه ثم جاء بما عنده من الابيات مشروحا فقال : فيمطر يوم الجود الخ .

(٣) ترجمته في الخزائنة (٤٢٦٤٣) .

(٤) قبيلة منصوب على التمييز والمراد باليوم يوم الحرب والقتال، وتوارى اصله تتوارى فحذف احدى التائين ، واراد بكواكبه شدة ذلك اليوم ، قال التبريزى : والاصل في هذا ان يوم حليلة لشدة القتال صعد الغبار في ذلك اليوم وانعقد في الجو حتى ستر الشمس فرؤيت الكواكب ظهرا - والمعنى ان سال سائل عن خير قبيلة واصبرها يوم القتال الشديد قيل له بنو لام .

(٥) المراقب : جمع مرقبة وهى المكان المشرف العالى يقف عليه الحارس ، اى سمت فوق صعب يشق الارتقاء اليه ، الارومة : الاصل .

أضأت لهم أحسابهم ووجوههم دَجَى الليل حتى نَظَّمَ الحِزْرُعُ ثاقبه^(١)
وقال آخر

يا أيها المتمنى أن يكون فتى مثل ابن زيد لقد خَلَّى لك السُّبُلَا^(٢)
اعددْ نظائر أخلاق عُدِدْنَ له هل سَبَّ من أحد أو سَبَّ إِدَّ بَحْلًا ؟
إن تنفق المال أو تكلف مساعيهُ يَصْعَبُ عليك وتفعل دون ما فملا
لو يُبْعَثُ الناس أَدانهم وأبعدهم في ساحة الأرض حتى يجرثوا الإِبِلَا^(٣)
كي يطلبو فوق ظهر الأرض لم يجدوا مثل الذي غيبوا في بطنه رَجَلَا
وقال شقران مولى سلمان من قضاة

لو كنت مولى قيس عيلان لم تجد على لإنسان من الناس درها
ولكننى مولى قضاة كلها فلست أبالي أن أدين وتقرما
أولئك قوى برك الله فيهم على كل حال ما أعف وأكرما^(٤)
ثقالُ الجفان والحلوم رَحَاهُمُ رحي الماء يكتالون كيلا غَدَمَنا^(٥)
جفاة المحز لا يصيبون مَفْصَلَا ولا يأكلون اللحم إلا اتخذما^(٦)
وقالت ليل الاخيلية ويقال بل قالها أبوها

نحن الأخاييل لا يزال غلامنا حتى يدب على العصا مذكورا^(٧)

(١) الحيزع بالفتح ، فيه بياض وسواد ، الواحد جزعة مثل ثمر وثمره ،
والثقوب الإضاءة ، يقال نار ثاقبة وكوكب ثاقب وحسب ثاقب وقد ثقب
أى اشتد ضوءه وتلألؤه . (٢) أراد بابن زيد عروة بن زيد الخيل أى
لقد خلى لك الطرق فى اكتساب مناقب الفتوة .

(٣) قوله حتى يجرثوا الإبل أى يهزلوها ويضعفوها بالاسفار ، وقوله لم
يجدوا جواب لو ، ومعنى البيتين : لو طاف الناس بالأرض حتى تتعب إبلهم
لكى يصادفوا عليها مثل هذا المدوح الذى اودعوه بطنها لم يجدوا له نظيرا .
(٤) قوله على كل حال متعلق بقوله برك الله فيهم أى برك الله فيهم فى
سائر أحوالهم ، ثم قال مستأنفا ما أعف وأكرما أى أعفهم وأكرمهم - والمعنى
أنه يدعو بالبركة ويتعجب من عفافهم وكرمهم . (٥) الغددم كسفرجل الجزام
(٦) الخدم : سرعة القطع وفى التخدم زيادة تكلف ، يقول إذا أكلوا اللحم
على موائدهم لم يتناولوه الا قطعاً بالسكاكين لا نهشاً بالأسنان ، وقيل المراد
بالإخدام هو طيب النفس يقال رجل خدم أى طيب النفس والخدم السمع
(٧) الأخاييل : جمع وهى قبيلة ، ويقال للشاهين الإخيل والجمع الأخاييل
ومراد الشاعر نحن المعروفون المشهورون ، وقوله لا يزال غلامنا أى الغلام
منا رفيع الذكر من صباه إلى أن يهرم .

تبكى السيوفُ إذا فقدنَ أكفنا جزعاً وتعلمنا الرفاقُ بحورا
ولنَحْنُ أوثقُ في صدور نساتكم منكم إذا بكر الصراخُ بكورا^(١)
وقال عمرو بنُ الاطنابةَ أحدُ بني الخزرج^(٢)
إني من القوم الذين إذا انتدوا بدأوا بحق الله ثم النائل^(٣)
المامين من الخنا جاراتهم والحاشدين على طعام النازل^(٤)
والخالطين فقيرهم بغيرهم والباذلين عطاءهم للسائل
الضارين الكبش يبرقُ بيضه ضرب المهجج عن حياض الآبل^(٥)
والقاتلين لدى الوغى أقرانهم إن المنية من وراء الوائل^(٦)
والقاتلون فلا يماب كلامهم يوم المقامة بالقضاء الفاصل^(٧)
خزرت عيونهم إلى أعدائهم يمشون مشى الأسد تحت الوابل^(٨)
ليسوا بأنكاسٍ ولا ميلٍ إذا ما الحربُ شبت أشعلوا بالشاعل^(٩)

(١) انما خص الصراخ بالكور لان الغارة تقع صباحا (٢) الاطنابة . سير الحزام يكون عونا لسيره اذا قلق ، قال سلامة : (يركضن قد قلقت عند الاطناب) والاطنابة سير يشد في وتر القوس العربية والاطنابة المظلة ، واسم ام عمرو هذا وهو احد من ملك الحجاز في الجاهلية وكان شاعرا مجيدا وهو القائل :

اقول لها وقد جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي
تمثل به معاوية (رضى الله عنه) في احدي وقعاته مع علي (رضى الله عنه) وكاد ينهزم فما لبث ان ثبت مكانه ، واما الخزرج فالريح الجنوب (٣) انتدوا تصدروا في النادي وهو المجلس ، وقوله بدأوا بحق الله يعني الواجبات ، النائل : بمعنى العطاء للسائل (٤) قوله الحاشدين اي الذين لا يفترون عن القيام بذلك ، والخنا : الفحش ، والنازل اراد به الضيف (٥) المهجج الذي يطرد الآبل عن الحوض اذا رويت فيقول لها جوه او جاه وعندهم ان جوه من زجر الاثاث وجاه من زجر الذكور ، والآبل صاحب الآبل كالتاجر والآبلن ، والكبش سيد القوم والبيضة بيضة الحديد التي تلبس للحرب (٦) يقول ان المنية من وراء الهارب اي تلحقه على كل حال لامنحى منه ، والوغى : الحرب (٧) المقامة : المجلس (٨) الخزر ضيق العين كأنه ينظر بمؤخرها ، والوابل : المطر الشديد - معناه انهم ينظرون الى أعدائهم نظر استنزاء ولا يكثرثون بهم ولا يفزعون من شيء لشدة ثباتهم (٩) الانكاس جمع نكس وهو الذي لاخير فيه ، والميل جمع أميل وهو الذي لا يثبت على الفرس ، والمعنى انهم ليسوا بالضعفاء بل هم فرسان اذا اوقدت نار الحرب اشعلوها بمن يشعلها

وقال حجر بن خالد يمدح النعمان بن المنذر

سِمْتُ بفعل الفاعلين فلم أجد كمثل أبي قابوس حزما ونائلا^(١)
فساق إلهي الغيث من كل بلدة إليك فأضحى حول بيتك نازلا
فأصبح منه كل وادٍ حلتته من الأرض مسفوح المذائب سائلا^(٢)
متى تُنزع يُنزع الجودُ والبأس والتقى وتُصبح قلوب الحرب جرباء حائلا^(٣)
فلا ملكٌ يُدركنك سميهِ ولا سوقةٌ ما يمدحنك باطلا^(٤)

وقال آخر

ومستنبح بعد الهدوء دعوته بشقراء مثل الفجر ذاك وقودها^(٥)
فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً بموقد نارٍ مُحمِدٍ من يرودها
نصبتنا له جوفاء ذات ضبابية من الدم مبطاناً طويلاً رُكودها^(٦)
فإن شئت أتويناك في الحى مكرما وإن شئت بلغناك أرضاً تريدها^(٧)

وقال آخر

ومستنبح تهوى مساقط رأسه إلى كل شخص فهو للسمع أصور^(٨)

(١) أبو قابوس كنية النعمان والكاف من كمثل زائدة ومثله (لواحق الأقراب فيها كالمقق) أراد فيها المقق كما أن هذا يريد لم أر مثل أبي قابوس (٢) فأصبح منه أى من الغيث وانتصب مسفوح المذائب على أنه خبر أصبح والمذائب المسائل (٣) ليس للحرب قلوب إنما هو مجاز استعمله لضعف الحرب بعده لأن القلوب إذا جربت لم تتركب وإذا حالت لم تحلب (٤) السوقة سموا سوقة لأن الملك يسوقهم على حكمه والواحد والجمع في اللفظ سواء ، وقوله ما يمدحنك باطلا أى مدحا باطلا وانتصب باطلا على أنه صفة لمصدر محذوف (٥) بعد الهدوء أى بعد قطعة من الليل يهدأ فيها الناس ، وشقراء نار شبهها بالفجر لارتفاعها وانتشارها وقوله ذاك وقودها أى متقد إيقادها وهذا من باب جنونك مجنون وشعرك شاعر ومعنى دعائه إلى النار الهابة إياها ليصير ضوءها فيجىء إليها (٦) جوفاء : أى قدرا واسعة الجوف كثير الأخذ ، والضبابية : ما يتعقب المطر من الظلمة الرقيقة والسحاب الركيك وذكر ههنا مثلا والدم السود ، وركودها لبثها على النار لعظمتها وكثرة اللحم فيها (٧) يقول أن أردت الإقامة أقت مكرما معظما وإن أردت التوجه في مقصدك بلغناك مقرك (٨) المساقط جمع مسقط ويريد به المصدر أى يميل رأسه إلى كل شخص يقدره انسانا ليلتجىء إليه لأنه ضل الطريق

فبات رُحَابٌ جَوْنَةٌ من لحامها وفوها بما في جوفها يتغرغر^(١)

وقال آخر

وما يَكُ في من عيبٍ فإني جبان الكلب مهزول الفصيل^(٢)

وقال آخر

سأفدحُ من قدرى نصيباً لجارتى وإن كان ما فيها كمنافاً على أهلى^(٣)

إذا أنت لم تشرك رفيقك في الذى يكون قليلاً لم تشاركه في الفضل^(٤)

وقال عمرو بن الأهم

ذرينى فإن الشحَّ يا أم هيثم لصالح أخلاق الرجال سروق^(٥)

ذرينى وحطى في هواى فإنى على الحسب الزاكى الرفيع شفيق^(٦)

ذرينى فإنى ذو فعال تهمنى نوائب يفتى رزؤها وحقوق^(٧)

وكلُّ كريم يتقى الدم بالقرى وللحق بين الصالحين طريق^(٨)

لعمرك ما ضاقت بلادٌ بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق^(٩)

(١) الرحاب الواسعة وأراد بها القدر ، والجونة السوداء ومن لحامها خير باتت كقولك أنت منى ، وفوها أى فمها ، ويتغرغر أى يصوت من شدة غلبانها ويسيل بما فيها على النار (٢) جبان الكلب أى كلبى جبان وفصيلى مهزول إنما قال جبان الكلب لأنه تعود أن يسالم الطراق لئلا تتأذى به الضيوف إذا وردوا وقال مهزول الفصيل لأنه يؤثر بلبن أمه غيره أو تنحر عنه .
(٣) القدح : الغرف ، والكفاف : ما يكف الإنسان عن السؤال ويكون على قدر حاجته لا يزيد عنها ولا ينقص (٤) الفضل ما زاد عن الحاجة ومثل هذا البيت قول الآخر

ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل

(٥) يقول ذرينى أجر على كرمى فان الشح يزىن للإنسان العذر الكاذب والعمل الباطلة فكانه يسرق كل أخلاقه الحميدة (٦) حطى فى هواى أى ساعدنى على الجود ، والزاكى : الزائد ، وشفيق ومشفق والشفقة عطف مع خوف ولهذا لا يوصف الله تعالى بالشفقة (٧) يفتى رزؤها أى يفتش رزؤها فحذف المفعول ومعنى الرزء هنا أصابة الناس من ماله وانتفاعهم به ويقال منه وهو يرزأ إذا كان سخياً ينال الناس أفضاله (٨) القرى طعام الضيافة معناه ان كل كريم يبذل ماله دون عرضه ويتبع سبيل الحق ويسلك طريقه ليستوجب المدح والشكر (٩) تضيق : أى تضيق بهم فحذف ذلك لان ما تقدمه يدل عليه ، معناه ان أرض الله واسعة لم تضق على امرئ وإنما تضيق أخلاق الرجال وصدورهم

وقال آخر

أجلك فوم حين صرت إلى الغنى وكل غنى في القلوب جليل^(١)
وليس الغنى إلا غنى زين الغنى عشية يقرى أو غداة يُنيل
وقال المثلث بن رباح المري^(٢)

بكر العواذل بالسواد يلمنى جهلا يقرى ألا ترى ما يصنع^(٣)
أفريت مالك في السفاه وإعما أمر السفاهة ما أمرتك أجمع^(٤)
وقتود ناجية وضعت بقفرة والطير غاشية العواقي وقّع^(٥)
بمهند ذي حلية جردته يبرى الأصم من المظالم ويقطع^(٦)
لتنوب نائبة فتعلم أنى ممن يفر على الثناء فيخدع
إني مقسم ما ملكت لجاعل أجراً لآخره ودينا تنفع

وقال أرطاة بن سهية المري

فلو أن ما نمطى من المال نبتنى به الحمد يعطى مثله زاخر البحر^(٧)
اظلت قراقير صيماً بظاهري من الضحّل كانت قبل في لجج خضر^(٨)
ولا نكسر المظلم الصحيح تمرزاً ونغنى عن المولى ونجبر ذا الكسر

(١) يقول لما استغنيت عظمت في عيون الناس فأجلوا قدرك وليس الغنى إلا ما يضاف به القوم عشية إذا نزلوا ويصلهم بالغداة إذا ارتحلوا (٢) هو شاعر جاهلي وهو الذي التجا بالحصين بن الحمام المري لما قتل جاشية الذي كان في جوار الحرث بن ظالم فأجاره الحصين وغرم عنه دية القتيل ، هذا وقال دعبيل ان هذه الأبيات لشبيب بن البرصاء (٣) انما قال بكر العواذل لأن العرب تشرب ليلاً وتسكر وتهب فإذا أصبحت لامها من أراد لومها على ذلك بالسواد قبل الاسفار وقوله الا ترى أى شئ تصنع (٤) السفاه والسفاهة الخفة والطيش معناه قالت لى العواذل ضيعت مالك في السفاهة وليس بى سفاهة وانما السفاهة ماقلته من عدلى ولومى (٥) وقتود مجرور برب بمقدرة والقتود جمع قند وهو خشب الرجل ، والناجية . الناقة القوية السريعة ، والعواقي : الطير جمع عافية وهو من قولهم عفاه واعتفاه اذا طلب معروفه (٦) ومهند تعلق بقوله وضعت بقفرة لأنه في معنى عرقت والمراد بالحلية دم الناقة الذي تلتطخ به السيف جملة كالحلية له . ويبرى يقطع ، والأصم : ما ليس بأجوف فاذا قطع الأصم فهو للمجوف اقطع معناه انه عرقت الناقة بسيف ماض (٧) زاخر البحر أى طافى البحر (٨) أى اظلت سفن راكدة وواحد القراقير قرقور وهى السفن ، والضحل : الماء القليل يترقرق على وجه الأرض ، واللجج جمع لجة ، وهى معظم البحر ، والخضر : السود والبحر الأخضر الأسود

غابنا بنى حواء مجداً وسودداً ولكننا لم نستطع غلب الدهر^(١)
وقال حُجْرُ بن حية العَبَسِي

ولا أَدومُ قَدْرِي بعد ما نَضِجْتُ بُخْلاً لِمَنع ما فيها أَنافِها^(٢)
حتى تقسم شتى بين ما وَسِمْتُ ولا يُونَّب تحتَ الليل عافِها^(٣)
لا أَحْرِم الجارةَ الدنيا إذا اقتربت ولا أقوم بها في الحى أخزِها^(٤)
ولا أكلِها إلا علانيةً ولا أخبرها إلا أنادِها^(٥)

وقال الساور هند بن قيس بن زهير

فدى لى هند غداة دعوتهم يجو وبال النفس والأب ان^(٦)
إذا جارة شئت لسعد بن مالك لها إبل شئت لها إبن^(٧)
إذا عقدت أفناء سعد بن مالك لهاذمة عزت بكل مكان
إذا سئلوا ما ليس بالحق فيهم أبى كل مجنى عليه وجانى
ودار حفاظ قد حلتم مهانة بها نبيسكم والضيف غير مهان^(٨)

وقال آخر

جزى الله خيراً غالباً من عشيرة إذا حدثان الدهر ثابت نوائبه^(٩)
فكم دفموا من كربة قد تلاحت على وموج قد علتني غواربه^(١٠)
إذا قلت عودوا عاد كل شمردلٍ أشم من الفتیان جزل مواهبه^(١١)

(١) المراد بنى حواء جميع الناس (٢) أى لا أطيل ادامة قدرى بعد ادراكها على الاثافي بخلا بما فيها وجعل المنع للاثافي لأنها لم تعرف مادامت عليها منصوبة ، والاثافي جمع ائفية وهى الحجارة التى توضع عليها القدر (٣) ولا يُونَّب أى لا يلام . والعافى طالب المعروف (٤) الدنيا : أى القربى ولا أقوم بها تقول العرب قام بى فلان وقعد اذا تثنا عنك قبيحا . وأخزىها أى أهينها (٥) العلانية ضد السر (٦) وبال . اسم ماء لبنى عيس أضيف إليه الجو وأجو ما اطمأن من الأرض (٧) شلت : طردت (٨) دار الحفاظ : هى التى يقيم بها أهلها فى الجذب والخصب يحافظ على صيانتها مهانة . والنيب جمع ناب وهى الناقة المسنة (٩) الحدثان . نوائب الدهر وشدائده مصدر حدث (١٠) الكربة اسم لما يأخذ بالنفس من الهم والحزن . وتلاحت . اشتدت ولزمت . والغوارب جمع غارب وهو أعلى الموج وأعلى الظهر (١١) اذا قلت عودوا أى الى الحرب . والشمردل : الطويل ، والأشم . من

إذا أخذت بُزْلُ المخاض سلاحها تجرد فيها متلف المال كاسبه^(١)
وقال آخر

وليس فتى الفتيان من جُلُّ همه صبوح وإن أمسى ففضل غبوق^(٢)
ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا لضرَّ عدوِّ أو لنفع صديق
وقال خراز بن عمرو من بني عبد مناف

لنا إبلٌ لم تُهن ربَّها كرامتها والفتى ذاهب
هجانٌ يكافأ منها الصديقُ ويدرك فيها المنى الراغب^(٣)
ونظمن عنها نحور العدى ويشربُ منَّا بها الشارب^(٤)
ونؤلفها في السنين الكلولَ إذا لم يجد مكسباً كاسب^(٥)
ولم تك يوماً إذا روحت على الحى يلقى لها جادب^(٦)
حباناً بها جدُّنا والإله وضربٌ لنا خدْمٌ صائب^(٧)

وقال مضر بن رابعي

وإني لأدعوا الضيف بالضوء بعد ما كسى الأرض نضاح الجليد وجامده^(٨)
لأكرمه إن الكرامة حقه ومثلان عندى قربةٌ وتباعده
أبيت أمشيهِ السديفَ وإنى بما نال حتى يترك الحى حامده^(٩)

الشمم كناية عن الكرم وأصله ارتفاع الأنف (١) البزل جمع بازل وهو المتناهى قوة وشباباً . والمخاض . النوق الحوامل والمراد بسلاحها محاسنها وأمارات عتقها وكرمها . ومتلف المال كاسبه هو كقولهم مخلف متلف ومخلاف متلاف (٢) من جل همه أى أكبر همه وقصده والصبوح الشرب فى أول النهار ، والغبوق : الشرب فى آخره (٣) الهجان الإبل البيض ويقع على الواحد والجمع ، ويكافأ من المكافأة وهى المجازاة والمراد بالصديق جنسه . والمراد بالراغب طلب الخير والمعروف (٤) معناه ندفع عنها الغارات ونحامي دونها والمراد بالشارب هنا شارب الخمر (٥) اراد بالكلول الضعفاء الواحد كل . وقوله إذا لم يجد مكسباً كاسب بدل من قوله فى السنين أى إذا اشتد الزمان جعلنا إبلنا يألفها كلول الناس فينلون منها (٦) الجادب العائب (٧) حباناً من الحياء وهو العطاء بلا جزاء ولا من . والخدم . القاطع أى بضرب قاطع صائب (٨) دعوة الضيف بالضوء هى أن العرب كانوا يوقدون النار فى أعالي الجبال ليراها المارة ويأتوها فيضيفوهم ويكرمهم . والنضاح الرشاش . والجليد ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد لبرد الهواء (٩) السديف شحم السنام وقوله واننى بما نال الخ يريد أن أقترح على شيئاً اعده نعمة يستوجب منى

وقال حماس بن ثامل

ومستنحج في لُح ليل دعوته بمشوبة في رأس صمدي مقابل (١)
وقلت له : أقبل فإنك راشد وإن على النار أندى وابن ثامل (٢)

وقال النمرى ويقال إنها لرجل من باهلة

وداع دعا بعد الهدوء كأنما يقاتل أهوال السرى وتقاتله (٣)
دعا بأسأ شبة الجنون وما به جنون ولكن كيد أمره يحاوله (٤)
فلما سمعت الصوت ناديت نحوه بصوت كريم الجدى حلو شمائله (٥)
فأبرزت نارى ثم أثقت ضوءها وأخرجت كلبى وهو فى البيت داخله (٦)
فلما رآنى كبر الله وحده وبشر قلباً كان جمّاً بلا به (٧)
فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً رشدت ولم أقعد إليه أسائله (٨)
وقت إلى برك هجان أعدته لوجبة حق نازل أنا فاعله (٩)
بأبيض خط نعله حيث أدركت من الأرض لم تخطل على حمائله (١٠)
فجال قليلاً واتقانى بخيره سناماً وأملاه من النى كاهله (١١)

حمدا وشكرا عليها وذلك له طول مقامه الى ان يفارقنى . وقال النمرى هو منصور بن الزبرقان أحد بنى نمر بن قاسط من شعراء الدولة العباسية وكان مع الرشيد ومقدما عنده كما فى مختصر شرح الحماسة (١) المستنحج من يطلب نباح الكلب ليهدى بذلك فى طريقه ولج الليل معظم ظلمته وأصله لمعظم الماء ، والمشوبة : النار المضرمة ، والصمد : الجبل أو الأرض المرتفعة (٢) راشد مهتد ، والندى : الجود (٣) الهدوء السكون ، والسرى السير ليلا ، وقوله كأنما يقاتل الخ يريد أن الحال بلغ به حدا رأى فيه أن أهوال السرى تغالبه عن نفسه ويصارعها عنها ويدفعها (٤) البأس . هو الذى نزلت به شدة ، والمراد به الكلب ، والكيد الحيلة . ويحاوله يطلب دفعه والخلاص منه (٥) حلو شمائله أى أخلاقه كريمة (٦) أثقت ضوءها أنزته ، والاثقاب الانارة وهو فى البيت مبتدا وخبر وداخله خبر ثان (٧) جما بلا به أى همومه كثيرة (٨) أى وجدت أهلا وسهلا وسعة ، ورشدت اهتديت (٩) البرك اسم جمع لما يبرك من الابل ، والهجان كرائم الابل . ووجبة الحق نزوله (١٠) بأبيض متعلق بقوله قمت فى البيت قبله . والأبيض السيف ونعل السيف ماتكون فى أسفل غمده من حديد أو غيره من المعادن . ولم تخطل أى لم تضطرب ولم تظل . وحمائل السيف علاقته (١١) فاعل جال عائد على البرك المتقدم ذكره . والنى : الشحم ، والكاهل مابين الكتفين

بقرم هجان مصعب كان فحلها طويل القرى لم يعد إن شق بازله (١)
فخرًا وظيفُ القرم في نصف ساقه وذاك عقالٌ لا يُنشِطُ عاقله (٢)
بذلك أوصاني أبي وبمثلِه كذلك أوصاهُ قديمًا أوائله

وقال النابغة الذبياني

له بفناء البيتِ سوداءُ فَنخمةٌ تَلقَمُ أوصالَ الجزورِ المُراعِرِ (٣)
بقيةٌ قدرٍ من قدورٍ تُورَّتُ لآلِ الجَلّاحِ كابرًا بعد كابر
نَظَّلُ الإماءَ يبتدرنَ قَدِيحها كما ابتدرتُ سعدُ مياهُ قُراقرِ (٤)

وقال الفرزدق

وداعٍ بَلَحَنِ الكلبِ يدعو ودونه من الليلِ سجعًا ظلمةً وغيومها (٥)
دعاه وهو يرجو أن يُنبّهَ إذ دعا فتى كائن ليلي حين غارت نجومها (٦)
بمثُ له دهماءُ ليست بِلِقْحَةٍ تُدرُّ إذا ما هبَّ نحسًا عقيمها (٧)
كأنَّ الحمالَ النُورُ في حَجَرَاتِها عذارى بدتْ لما أُصيبَ حيمها (٨)

(١) القرم : الجمل الشاب وهو بدل من خبره في البيت قبله ، والمصعب الفحل الكريم الذي لا يتدل في العوارض بل يقصر على الضراب والضمير في فحلها راجع الى البرك فيما تقدم . والقرى الظهر ، وشق بازله طلع سنه وذلك سن يطلع للجمال في السنة التاسعة من اعمارها (٢) فخر اى فسقط ، والوظيف : مستندق الذراع ، والعقال ما يعقل ويربط به من حبل ونحوه ، ولا ينشط اى لا يحل (٣) فناء البيت : هو ما امتد من جوانبه ، ويعنى بالسوداء القدر ، والفخمة العظيمة ، والأوصال المفاصل ، والجزور الناقة ، والعراعر العظيم الخلق وجعل اشتمالها على الأوصال كتلقهما اياها (٤) القديح فعيل بمعنى مفعول وهو المرق المقدوح ، وقراقر واد بالدهناء وشبهه تبادر الاماء نحو القدر بتبادر بطون سعد الى تلك المياها (٥) يعنى مستنبحا تكلف نبح الكلب في صورته وفعل ذلك اذ حال بينه وبين المناظر من الليل ستران من الظلم والتباس الغيوم (٦) غارت نجومها : اى غابت وذهبت (٧) الدهماء : السوداء وأراد بها القدر ، والعقيم الريح التى ليس معها مطر لأنها لاتنفع الأشجار ، وقوله ليست باللقحة اى ليست هى بناقة وانما هى قدر تدر بمرقها اذا ذهب عقيم الرياح بالنحس (٨) المحال : فقر الظهر واحده محالة ، والغر : البيض ، والحجرات : الجوانب ، والعدارى : الأبكار ، والحميم : القريب الذى يهتم لأمره وشبهه المحال وفقر الظهر فى نواحي القدر وجوانبها وهى بيضاء سمينة مع تضمن القدر السوداء لها بالعدارى الأبكار وقد لبس ثياب السواد لما أصبن بمن يعز عليهن

غضوباً كحيزوم النعامة أحمشت بأجواز خُشبٍ زال عنها هشيمها^(١)
مُحضرةٌ لا يُجملُ السترُ دونها إذا المرُضع العوجاء حال بريمها^(٢)
وقال شُريحُ بنُ الأحوص

ومستنجحٌ يعنى المبيتَ ودونه من الليل سيجفاً ظلمةً وستورُها
رفعت له نارى فلما اهتدى بها زجرت كلابى أن يهبرَ عقورُها^(٣)
فبات وإن أسرى من الليل عُقبه بليلة صدقٍ غاب عنها شرورُها^(٤)
وقال مسكين الدارمى

كأنَّ قدورَ قوى كلَّ يومٍ قبابُ التركِ ملبسةَ الجلالِ^(٥)
كأنَّ الوفدين بها جمالٌ طلاها الزيت والقطرانِ طالى^(٦)
بأيديهم مغارفٌ من حديدٍ أشبهها مقيرةَ الدوالى^(٧)
وقال المُكَلَّى

أعاذل بكينى لأضيافٍ ليلةٍ نوز القرى أمست بليلاً شمالها^(٨)
أعامرُ مهلا لا تلمنى ولا تكن خفياً إذا الخيرات عدت رجالها
أرى إبلى تجزى مجازى هجمةٍ كثيرٍ وإن كانت قليلاً إفالها^(٩)
منا كليلٌ ما تنفك أرحلُ جمةٍ تُردُّ عليهم نوقها وجمالها^(١٠)

- (١) غضوباً صفة لدهماء وجعل غليانها بمنزلة الغضب ، وحيزوم النعامة : صدرها وأحمشت أى أشبعت وقوداً تحتها ، والأجواز : الأوساط ، والهشيم : اليابس المتكسر من النبات . (٢) محضرة أى لا يمنع منها أحد ، والعوجاء : التى أعوجت هزالاً وجوعاً ، والبريم : خيط أو سير ينظم فيه خرز فتشده النساء فى أوساطهن وإنما يجول البريم إذا أثر الهزال فيها .
(٣) أراد أن لا يهرهر الكلب إذا صوت وموضع قوله أن يهبر نصب على البدل من كلابى . (٤) انتصب عقبة على الظرف وأصلها أن يتعاقب اثنان على بعير فاذا ركب أحدهما مشى الآخر ثم كثر استعماله فأجرى مجرى الثوبه والفرصة . (٥) المعنى أنه يشبه قدور قومه فى عظمها واتساعها وأسوداد ظواهرها بقباب الترك التى البست أعطية سوداً .
(٦) يريد بالوفدين المزاولين لها فى نصبها وانزالها وطبخها وأصل الوفد المشرف على الشئ العالى عليه . (٧) المقيرة : المطبقة بالقار وهو الزيت ، والدوالى جمع دالية وهى داو يستقى بها . (٨) أعاذل منادى مرخم عاذلة ونزور القرى أى قليل القرى : البليل الريح الباردة مع المطر .
(٩) الهجمة : القطعة من الأبل من الأربعين الى المائة والأفال جمع أفيال

وقال جابر بن حيان

فإن يقتسم مالى بىّ وإخوتى فلن يقسموا خلقى الكريم ولا فعلى^(١)
أهين لهم مالى وأعلم أنى سأورثه الأحياء سيرة من قبلى
وما وجد الأضياف فيما ينوبهم لهم عند علّات الزمان أبأ مثلى^(٢)
وقال عتبة بن بجير

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته ولم يلهى عنه غزال مقنع^(٣)
أحدثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسى أنه سوف يهجع

وقال المرار الفقعسى

آليت لأخفى إذا الليل جنى سنا النار عن سارٍ ولا متنور^(٤)
فيا موقدى نارى ارفماها لملها تضى لسارٍ آخر الليل مقتر^(٥)
وماذا علينا أن يواجه نارنا كريم الحيا شاحب المتحسر^(٦)
إذا قال : من أنتم ليعرف أهلها رفعت له باسمى ولم أتسكّر
فبتنا بخير من كرامة ضيفنا وبتنا نهىء طعمه غير ميسر^(٧)

وقال يزيد بن الطثرية

إذا أرسلونى عند تقدير حاجة أمارس فيها كنت نعم المارس^(٨)
ونعمى نفع الموسرين وإما سوامى سوام المقترين الفالس^(٩)

اعتادت أن تشكل ولدها أى تفقده بنحر أو موت أو نحوه ، الجملة الجماعة ترد في الصلح بين الناس والأرحل جمع رحل وهو المشوى والمنزل .

(١) يقول أن اقتسم مالى أولادى فلن يقسموا ما تفردت به من خلق كريم وفعل جميل اعدهما لزوارى . (٢) علّات الزمان : مكارهه وشدائده وجعل نفسه إبا للأضياف لانه يحنو عليهم حنو الاب وهذا على عادتهم في تسمية المضيف إبا المشوى . (٣) كنى بالغزال المقنع عن ذى الوجه الجميل ويهجع ينام ومعنى البيتين كل ما املكه فهو ملك للضيف وليس يلهينى عنه ما يلهى الناس وانى لا اقتصر على اطعامه بل لا ازال أحدثه وأسامره وأونسه حتى تطيب نفسه فاذا رأته يميل الى النوم خليته . (٤) آليت : حلفت ، وجنة الليل ستره ، والسنا : الضوء ، والسارى : المسافر ليلا . (٥) المقتر : البائس المفتقر (٦) شاحب المتحسر أى متغير ما يبدو منه كالوجه واليد والرجل وانما شحب لتعب السفر . (٧) الطعم : الطعام والميسر : القمار .

(٨) امارس : اعانى وجملة امارس صفة لحاجة يصف نفسه بحسن التانى في الامور يرسل فيها . (٩) السوام : الانعام الراعية ، والمقتر : الفقير ،

وقال عروة بن الورد العبسي

أرى أمَّ حسانَ الغداةَ تلومني تخوُّفني الأعداءَ والنفسُ أخوفُ (١)
لعل الذي خوَّفَتنا من أماننا يُصادفه في أهلِهِ المُتخَلِّفُ
إذا قلتَ قد جاءَ الغنى حالَ دونه أبو صِبيِّة يشكو المفاقرَ أعجفُ (٢)
له خَلَّةٌ لا يدخُلُ الحقُّ دونها كَرِيمٌ أصابته حوادثُ تجرُفُ (٣)

وقال الاقرع بن معاذ

إنَّ لنا صِرْمَةً تُلْفِي مُخَيِّسَةً فيها معاذٌ وفي أربابها كرمُ (٤)
تُسَلِّفُ الجارَ شرباً وهي حائمةٌ ولا يبيت على أعناقها قسمُ (٥)
ولا تُسْفَهُ عندَ الحوضِ عطشُها أحلامنا وشريبُ السوءِ يَحْتَدِمُ (٦)

وقال يزيد بن الجهم الهلالي ويروي لحميد بن ثور

لقد أَمَرَتِ بالبخلِ أمُّ محمدٍ فقلت لها حُثِّي على البخلِ أمَّحداً
فإني امرؤٌ عودتُ نفسي عادةً وكلُّ امرئٍ جارٍ على ماتموداً
أحينَ بدا في الرأسِ شيبٌ وأقبلتُ إلى بنو عَيْلانِ مَثْنِي ومَوْحِداً (٧)
رَجَوْتُ سِقَاطِي واعتلالِي ونَبَوْتِي وراءِكَ عني طالقاً وأزحلي غداً (٨)

صار صاحب فلوس بعد أن كان صاحب أموال وتفليس الحاكم معروف وهو من هذا كأنه ينسبه الى ذلك فهذا كالتعديل والتفسيق يقول عطائي كثير ومالي قليل لأنني غني النفس .

(١) المعنى أن أم حسان تعذلني وتخوفني الخروج الى أعدائي والنفس أخوف من أن تحذر ولكن الموت لا بد منه والذي تخوفني منه لعله يصادف المتخلف في أهله . (٢) المفاقر الحاجات جمع فقر على غير قياس ، وأعجف هزيل من الضر . (٣) الخلة : الحاجة ، والحق : القرابة هنا وتجرف أي تذهب بالمال كما تذهب المجرفة بما يجرف بها . (٤) الصرمة : من الأبل نحو الأربعين والمخيسة التي لم تسرح ولكنها حبست للنحر أو القسم وقوله فيها معاد أي يعود فيها العفاة يصيبون منها مرة بعد أخرى .

(٥) تسلف أي تقدم والجار نصب على نزع الخافض أي تقدم الى الجار والشرب الماء واراد به هنا اللبن والحائم العطشان الذي يحوم حول الماء ولا يبيت على أعناقها قسم يريد لانقسم عليها ان لا تنحر أو توهب .

(٦) يقول اذا اوردناها الماء وبها عطش لا نوابث الموردين ولا نجفوههم فيكون عطشها سفه احلامنا أي عقولنا وأصل الاحتدام الاحتراق .

(٧) مثنى معدول عن اثنين اثنين وموحد معدول عن واحد واحد .

(٨) السقاط ان لا يفعل الانسان فعل الكرام وان لا يذهب مذهبهم فيسلك

وقال آخر

إني لم ينل مالي مدى خلق فيأض ما ملكت كفاي من مال
لا أحيس المال إلا ريث أتلفه ولا تغيرني حال إلى حال (١)

وقال سواده اليربوعي

ألا بكرت مئى على تلومنى تقول ألا أهلك من أنت عائله
ذرينى فإن البخل لا يخلد الفتى ولا يهلك المعروف من هو فاعله

وقال المقنع الكندي

نزل الشيب فآين تذهب بعده وقد ارعوت وحن منك رحيل (٢)
كان الشباب خفيفة أيامه والشيب محمله على ثقيل (٣)
ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل (٤)

إلى غير ذلك من الشعر الذى هو على هذا المسلك وكله يدل على ما كان
متنافساً فيه بين العرب من الصفات الحمودة . وعلى ما كانوا عليه من الكرم
والسخاء والسماحة . وقد ألف بعض المتقدمين من أئمة أهل اللغة والأدب كتاباً
فيما ورد من أخبار ضيوف العرب . وما اتفق في ذلك من النوادر والقصص
الغريبة والشعر المنتخب . والذى كتبت من الشعر كان من رواية أبي تمام
في حماسته . ولذلك أعرضت عن شرحه فإن شروح الكتاب كثيرة مشهورة
فمن أشكل عليه شيء فليراجعها .

ومما يدل على مزيد سخاء العرب أنه كانت لهم نار تسمى نار القرى وهي
نار الضيافة توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل . وكانوا يوقدونها على

طريقهم . والاعتلال التعلل واران بالنبوة البعد وقوله وراك عنى أى أبعد
عنى وطالما انتصب على الحال من قوله وراك عنى ولم يقل طاقه لأنه اخرج
مخرج النسب .

(١) الريث البطء . (٢) ارعوى عن الشيء انصرف عنه ، وحن : قرب
(٣) محمله أى حملة . (٤) الفضول ما فضل عنك بعد حوائجك والمعنى
ان العطاء من الفضول لا يقال له جود وسماحة وانما الجود والسماحة ان
يجود الانسان بكل شيء له فلا يبقى قليله ايضاً .

الأماكن المرتفعة لتكون أشهر . وربما أوقدوها بالندلى الرطب وهو عطر ينسب إلى مندل وهي بلدة من بلاد الهند ونحوه مما يتبخر به ليتهدى إليها العميان . وهذه النار عندهم أجل سائر نيرانهم التي سنفصلها على أتم وجه إن شاء الله تعالى ولم تزل مذكورة على السنة شعرائهم . قال أبو زياد الأعرابي الكلابي يصف بعض أجواد العرب :

له نار تُشَبُّ على يَفَاعٍ إذا النيران ألبست القنعا (١)
ولم يكُ أكثرَ الفتيان مالاً ولكن كان أرحبهم ذراعا (٢)

وقال آخر

إني إذا خَفَيْتُ نارَ المُرْملة أُلْفَى بأرفع تلٍّ رافعاً ناري (٣)
ذاك وإني على جاري لدوحدب أحنو عليه كما يُحْنَى على الجار
وأهم كانوا يقتنون الكلاب لأموراً منها أنها تدل الأضياف على منازلهم
بنيابها وكانو يمدحونها على ذلك ، قال قائل منهم في كلب له .

أوصيك خيراً به فإنَّ له خلائقاً لا أزال أحمدها
يدل ضيفي علىَّ في غسق الليل إذا النار نام موقدها (٤)

وكان لهم باليسر منبعثاً عن السخاء وكرم الطبع فإن أهل الثروة والأجواد منهم في شدة البرد وكتب الزمان (٥) ييسرون أي يتقامرون بالقداح وهي عشرة على جزور يجزئونها ثمانية وعشرين جزءاً وسيجيء إن شاء الله تعالى كيفية عملهم في ذلك عند الكلام على أعمالهم التي جبهها الإسلام فإذا قرأ أحدهم جمل أجزاء الجزور لذوى الحاجة وأهل المسكنة واستراش الناس وعاشوا . وكانت العرب تمدح بأخذ القداح وتعيب من لا ييسر وتسميه البرم .

(١) تشب أي توقد ، واليفاع المكان المرتفع . والبست القنعة كناية عن إخمادها . (٢) الذراع والذرع يراد به النفس . (٣) المرملة : الجماعة التي نفذ زادها وافتقرت والتل ما ارتفع من الأرض وإيقاد النار في الأماكن المرتفعة من أخلاق الكرام حتى يتهدى الضيف إليه في الليل المظلم ويأتي .
(٤) غسق الليل : ظلمته . (٥) كلب الزمان : شدته .

قال متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكا

ولا برما تهدي النساء لعرسه إذا القشع من برد الشتاء تقعما (١)

وقال العرنديس في قوم من العرب (٢)

هينون لينون أيسار ذوو كرم سواس مكرمة أبناء أيسار (٣)
 إن يسألوا الحق يمطوه وإن خبروا في الجهد أدرك منهم طيب أخبار (٤)
 وإن توددتهم لانوا وإن شهيموا كشفت أذمار شر غير أشرار (٥)
 فيهم ومنهم يعد المجد متلداً ولا يعد ثنا خزبي ولا عار (٦)
 لا ينطقون عن الفحشاء إن نطقوا ولا يمارون إن ماروا باكثر (٧)
 من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى

وقال لبيد بن مالك في معلقته

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمالقي متشابه أجسامها (٨)
 أدعو بهن لعافر أو مطفل بُدلت لجيران الجميع لحامها (٩)
 فالضيف والجار الجنيب كأنما هبطا تباله مخصباً أهضامها (١٠)

(١) هذا البيت من قصيدة له فريدة في بابها يرثي بها أخاه مالكا وكان خرج مع خالد بن الوليد مرجعه من اليمامة يظهر الاسلام فظن به خالد غير ذلك فأمر ضرار بن الازور الاسدي فقتله وكان مالك من اردان الملوك ومن متقدمي فرسان يربوع ، وقوله ولا برما البرم الذي لا ينزل مع الناس ولا يأخذ في الميسر ولا ينزع الا تكدا ، قال النابغة :

هلا سألت بنى ذبيان ما حسبي إذا الدخان تغشى الاشمط البرما
 والقشع الجلد اليايس ويقال لكناسة الحمام القشع ، قال أبو هريرة
 وكذبت حتى رميت بالقشع . (٢) العرنديس هو احد بنى بكر بن كلاب ويمدح
 بهذا الشعر بنى عمرو الغنويين وكان أبو عبيدة اذا أنشدها يقول هذا والله
 محال كلابي يمدح غنويا . (٣) الايسار جمع يسر وهم الذين يجيلون القداح ،
 وقوله سواس مكرمة أى يروضون المكارم ويلون أمرها . (٤) الجهد :
 الشدة ، والحق هنا ما أوجبوه على أنفسهم من مالهم ، وخبروا يريد اختبروا
 (٥) توددتهم : أى طلبت مودتهم وشهموا مبنى المجهول من شهمة اذا
 افزعه ، والاذمار جمع ذمر وهو الشجاع والشر الحرب وقوله غير اشرار جمع
 شرير على غير قياس . (٦) المتلدا : القديم . والنثا ما يخبر به عن الرجل
 من حسن أو سىء أى نثاسو يدل صاحبه اذا ذكر به . (٧) لا يمارون أى
 لا يجادلون . (٨) المفاقي : سهام الميسر سميت بها لان بها يفلق الخطر من
 قولهم غلق الرهن يفلق غلقا اذا لم يوجد له تخلص وفكاك .

(٩) العافر : التي لا تلد ، والمطفل التي معها ولدها ، واللحام جمع لحم .
 (١٠) الجنيب : القريب وتباله واد مخصب من اودية اليمن والهضم
 المطمن من الارض والجمع الاهضام والهضوم .

تأوى إلى الاطناب كل رذيةٍ مثل البليةِ قالصٍ أهدأها^(١)
ويكَلِّونَ إذا الرياحُ تناوحتْ مُخلِجاً تُمَدُّ شوارعاً أيتامها^(٢)
والشعر في ذلك كثير . ثم إن السخاء لا يتوقف على بذل المال فإنه هيئة للإنسان
داعية إلى بذل القنيات حصل معه البذل أو لم يحصل . ويقابله الشح والجود بذل
المقتنى . ويقابله البخل . هذا هو الأصل . وإن كان كل واحد منهما قد يستعمل
في موضع الآخر . وبذلك على هذا الفرق أنهم جعلوا الفاعل من السخاء والشح على
بناء الأفعال الغريزية . فقالوا شحيح وسخى وقالوا جواد وباخل . وأما قولهم بخيل
فمصرف عن لفظ الفاعل للمبالغة كقولهم راحم ورحيم . ولكون السخاء غريزةً
لم يوصف البارئ تعالى به .

من اشتهر بالجود والسخاء وضرب بهم المثل في الكرم من عرب الجاهلية ، منهم :

حاتم الطائي

قالوا في المثل : أجود من حاتم ، يريدون به حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج
ابن امرئ القيس بن عدى بن أحزم الطائي الجواد المشهور وأحد شعراء الجاهلية
ويكنى أبا عدى وأبا سقانة « بفتح السين وتشديد الفاء » . وابنه أدرك الإسلام
وأسلم . أخرج أحمد في مسنده عن ابنه عدى قال قلت يا رسول الله إن أبي كان يصل
الرحم ويفعل كذا وكذا قال إن أبك أراد أمراً فأذكره كما يعني الذكر . وكانت
سقانة بنته أتت بها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقالت يا محمد هلك
الوالد . وغاب الرافد . فإن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإن

(١) الاطناب : حبال البيت واحدا طنبا والرذية الناقة التي ترذى في
السفر أى تخلف لفرط هزالها وكلالها والجمع الرذايا استعارها للفقيرة ،
والبلية : الناقة التي تشد على قبر صاحبها حتى تموت والجمع البليات
والاهدام الإخلاق من الثياب واحدا هدم . وقلوصها : قصرها .
(٢) تناوحت : تقابلت ومنه قولهم الجبلان متناوحيان أى متقابلان ومنه
النوائح لتقابلهن والخلج جمع خليج وهو نهر صغير يخلج من نهر كبير أو من
نهر كبير أو من بحر والخلج الجذب وتمد : تزداد وشرع في الماء خاضه .

أبي سيد قومه كان يفك العاني ويحمي الذمار^(١) . ويفرج عن المكروب . ويطعم الطعام ويفشى السلام . ولم يطلب إليه طالب قط حاجة فرده أنا ابنة حاتم طيء فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمن لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباهما كان يجب مكارم الأخلاق .

قال ابن الأعرابي : كان حاتم من شعراء الجاهلية ، وكان جواداً يشبهه جوده شعره . ويصدق قوله فعله ، وكان حينما نزل عرف منزله ، وكان مظفراً إذا قاتل غلب ، وإذا غم أنهب ، وإذا ضرب بالقداح فاز ، وإذا سابق سبق ، وإذا أسر أطلق ، وكان أقسم بالله لا يقتل واحداً أمه ، وكان إذا أهل رجب نحر في كل يوم عشرة من الإبل وأطعم الناس واجتمعوا عليه ، وكان أول ما ظهر من جوده أن أباه خلفه في إبله وهو غلام فر به جماعة من الشعراء ، فيهم عبید بن الأبرص وبشر بن أبي حازم ، والنابغة الذبياني ، يريدون النعمان بن النذر ، فقالوا له : هل من قرى ولم يعرفهم ، فقال : أتسألوني القرى وقد رأيتم الإبل والغنم ، انزلوا فنزلوا فنحروا لكل واحد منهم وسألهم عن أسمائهم فأخبروه ففرق فيهم الإبل والغنم وجاء أبوه ، فقال : ما فعلت ؟ قال : طوقتك مجد الدهر طوق الحمامة وعرفه القضية فقال أبوه : إذا لا أساكنك بمدها أبداً ولا آويك ، فقال حاتم إذا لا أبالي .

« ومن حديثه » . أنه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عذرة ناداه أسير لهم يا أبا سفانة أكلني الأسار والقمل . فقال : ويحك ما أنا في بلاد قومي وما معي شيء وقد أسأت بي إذ نوهت باسمي ومالك مترك . ثم ساوم به العنزيين واشتراه منهم فخلاه وأقام مكانه في قيده حتى أتى بفدائه فأداه إليهم .

« ومن حديثه » أن ماوية امرأة حاتم حدثت أن الناس أصابتهم سنة^(٢)

(١) الدمار بالكسر : ما يلزمك حفظه وحمايته (٢) سنة أي اقحطوا

فأذهبت الخف والظلف فبتنا ذات ليلة بأشد الجوع فأخذ حاتم عدياً وأخذت سفانة فمللناها حتى ناما ثم أخذ يملأني بالحديث لأنام فرقت لما به من الجهد فأمسكت عن كلامه لينام ويظن أني نائمة فقال لي أنت مراراً فلم أجبهُ فسكت ونظر من وراء الخيلاء فإذا شيء قد أقبل فرفع رأسه فإذا امرأة تقول يا أبا سفانة قد أتيتك من عند صبية جياح فقال احضريني صبيانك فوالله لأشبعنهم قالت فقامت سرماً فقلت بماذا يا حاتم فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل فقام إلى فرسه فذبحه . ثم أجاج ناراً ورفع إليها شفرة وقال اشوى وكلى واطمى ولدك . وقال لي أيقظي صبيك فأيقظتها ثم قال : والله إن هذا للؤم أن تأكلوا وأهل الصرم^(١) حالهم كحالكم فجعل يأتي الصرم بيتاً بيتاً ويقول عليكم النار فاجتمعوا وأكلوا وتقع بكسائه وقعد ناحية حتى لم يوجد من الفرس على الأرض قليل ولا كثير ولم يذق منه شيئاً . وقد روى هذه القصة الفاضل شهاب الدين في العقد على غير هذا الوجه فلتراجع^(٢) والتي ذكرناها رواية الميداني في مجمع الأمثال . وأخبار كرم حاتم كثيرة وشهيرة ونذكر قضية قرأه بعد موته وهي من العجائب . روى محرز مولى أبي هريرة قال مر نفر من عبد القيس بقبر حاتم فنزلوا قريباً منه فقام إليه رجل يقال له أبو الخيبرى وجعل يركض برجله^(٣) قبره ويقول : اقربنا فقال له بعضهم : ويلك ما يدعوك أن تعرض لرجل قد مات أن طياً تزعم أنه ما نزل به أحد إلا قرأه ثم أجنتهم الليل فناموا فقام أبو الخيبرى فزعاً وهو يقول : وارا حلتها فقالوا له مالك قال أتاني حاتم في النوم وعقر ناقتي بالسيف وأنا أنظر إليها ثم أنشدني شعراً حفظته يقول فيه :

أبا الخيبرى وأنت امرؤ ظلوم العشيرة شتأماها
أتيت بصحبك تبغى القرى لدى حفرة قد صدت هامها

(١) الصرم بالكسر آيات من الناس مجتمعة والجمع اصرام واصرام
(٢) ج ١ ص ١٤٥ من طبعة الجمالية (٣) ركض الرجل ركضا من باب قتل ضرب برجله .

أتبغى لى الذمَّ عند المبيت وحولك طى وأنعامها
فإنا لنشبع أضيافنا وتأتى المطى ففتامها^(١)

فقاموا وإذا ناقة الرجل تكوس^(٢) عقيراً فانتحروها وباتوا يأكلون وقالوا
قرانا حاتم حياً وميتاً وأردفوا صاحبهم وانطلقوا سائرين وإذا برجل راكب بعيرا
ويقود آخر قد لحقه وهو يقول أيكم أبو الخيرى قال الرجل أنا ، قال فخذ هذا
البعير أنا عدى بن حاتم جاءنى حاتم فى النوم ، وزعم أنه قرأكم بناقتك ، وأمرنى
أن أحملك فشأنك والبعير ودفعه إليهم وانصرف . وإلى هذه القضية أشار ابن دارة
الغطفانى فى قوله يمدح عدى بن حاتم :

أبوك أبو سفانة الخير لم يزل لدن شب حتى مات فى الخير راغباً
به تضرب الأمثال فى الشعر ميتاً وكان له إذ ذاك حياً مصاحباً
قرى قبره الأضياف إذ نزلوا به ولم يقبر قبره قبله الدهر راكباً

ولحاتم الطائى شعر كثير وهو من البلاغة بمكان والمذكور فى ديوانه بعض منه ،
ومن شعره يخاطب امرأته ماوية بنت عبد الله :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذى البردين والفرس الوردي^(٣)
إذا ما صنعت الزاد فالتسى له أكيلا فإنى لست آكله وحدى^(٤)
أخا طارقا أو جار بيت فإننى أخاف مذمات الأحاديث من بعدى^(٥)
وإنى لعبد الضيف ما دام ثاوياً وما فى إلا تلك من شيمة العبد^(٦)

(١) عتمت الابل واعتمت واستعتمت اذا حلبت عشاء وهو من الإبطاء
والتأخر قال أبو محمد الحدلى :

فيها ضوى قد رد من اعتمائها

(٢) كاس البعير : مشى على ثلاث قوائم وهو معرقب .
(٣) ابنة مالك هى ماوية بنت عبد الله زوجة حاتم الطائى والمراد بنى
البردين عامر بن احيمر بن بهدلة اعطاه المنذر بن ماء السماء بردين حين
سأله عن حقيقته فوجده من أشرف العرب واشجعهم كما فصل فى الاصل
والورد من الخيل بين الكميت والاشقر . (٤) الاكيل من يواكلك .
(٥) الطارق : الذى يأتى ليلا . (٦) ثاويا : مقيما .

عنى بنى البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة . وكان من حديث البردين حين لقب به أن الوفود اجتمعت عند المنذر بن ماء السماء . وهو المنذر ابن امرئ القيس وماء السماء ، قيل : أمه نسب إليها لشرفها ، وقيل لقتب بماء السماء لصفاء نسبها ويقال لنقاء لونها ، ويراد أنها كماء السماء لم يحتمل كدورة ، وأخرج المنذر بردين يوماً يبلو الوفود . وقال ليقم أعز العرب قبيلةً فليأخذها فقام عامر بن أحيمر فأخذها وانزرت بأحدها وارتنى بالآخر ، فقال له المنذر أنت أعز العرب قبيلة ؟ قال : العز والعدد فى معد ، ثم فى نزار ، ثم فى مُصَر ، ثم فى خندف ، ثم فى تميم ، ثم فى سعد ، ثم فى كعب ، ثم فى عوف ، ثم فى بهدلة ، فمن أنكر هذا فلينافرنى فسكت الناس ، فقال المنذر : هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت فى أهل بيتك وفى نفسك ؟ فقال : أنا أبو عشرة وأخو عشرة وخال عشرة وعم عشرة ، وأما أنا فى نفسى فشاهد العز شاهدى ، ثم وضع قدمه على الأرض فقال من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل فلم يقم إليه أحد من الحاضرين ففاز بالبردين . ومن شعر حاتم أيضاً قوله :

وعاذلة قامت على تلومنى كأنى إذا أعطيتُ مالى أضيئها
أعادلُ إن الجودَ ليس بمهلكى ولا تُخلدُ النفس الشحيحة لومها^(١)
وتذكرُ أخلاقِ الفتى وعظاُمه مُغيبيةٌ فى اللحدِ بالِ رميمها^(٢)
ومن يبتدعُ ما ليس من خيم نفسه يدعُه ويغلبُه على النفس خيمها^(٣)

ومن ذلك قوله أيضاً :

أكف يدي عن أن ينال التماسها أكف صحابى حين حاجتنا معا^(٤)
أبيت هضم الكشح مضطمر الحشا من الجوع أخشى الذم أن أتضلما^(٥)

(١) أعادل مرخم عاذلة . (٢) الرميم : العظم البالى . (٣) الخيم : الطبيعة والخلق . (٤) أكف يدي أى أقبضها ، وقوله حاجتنا معا أى كلنا جائع فحاجته الى الطعام كحاجة صاحبه . (٥) الهضم : الضامر ، والكشح : ما بين الخصرة الى الضلع ، والمضطمر المهزول ، وتضلع الرجل اذا امتلأ من الزاد

وإني لأستحي رفيقاً أن يرى مكان يدي من جانب الزاد أفرعاً^(١)
وإنك مهما تغطيت بطنك سؤاله وفرجك نالا منتهى النثم أجمعا^(٢)

وقال أيضاً

أما والذي لا يعلم السرّ غيره ويحيي العظام البيض وهي رميم
قد كنت أختار القري طاوى الحشا محافظةً من أن يقال : لثيم
وإني لأستحي عيني وبينها وبين في داجي الظلام بهم^(٣)

وقال أيضاً

ولما رأيتُ الناس هرت كلابهم ضربتُ بسيفي ساق أفي نغرت
وقلتُ لأصباء صغار ونسوةٍ بشباء من ليل الثمانين قرّت :
عليكم من الشطين كل وريّة إذا النار مست جانبيها ارمعلت^(٤)
ولا ينزل المرء الكريم عياله وأضيافه ماساق مالا بضرت

وقال أيضاً

لا تستري قدرى إذا ما طبختها على إذا ما تطبخين حرام
ولكن بهذاك اليفاع فأوقدي بجزلي إذا أوقدت لا يضرام^(٥)

وقال أيضاً

وقائلة أهلكك بالجوود مالنا ونفسك حتى ضرت نفسك جوؤها
فقلت : دعيني إنما تلك عادي لكل كريم عادة يستعديها
وهو القائل لغلامه يسار ، وكان إذا اشتد البرد وكلب الشتاء^(٦) أمر غلامه

(١) أراد بالاقرع الخالي من الطعام والمعنى انى لاستحيى ممن يجالسنى على الطعام أن يرى مايلينى من المائدة خاليا . (٢) السؤل المسؤل وأراد به ما يشتهي والمعنى ان الشخص اذا اعطى بطنه وفرجه ما يشتهي واتبع هواه بقضاء ما تزينه له نفسه من شهواتها اصابه من الناس منتهى الدم والشتم ولقد صدق . (٣) بهيم اى شديد الظلمة لا وضع فيه . (٤) الشط جانب السنام او نصفه ، والورية القطعة من الشحم السمين وارمعل الشواء سال دسمة . (٥) اليفاع ما ارتفع من الارض ، والجزل الحطب اليابس او الغليظ العظيم منه والضرام ككتاب دقاق الحطب او ما ضعف ولان او ما لا جمر له او ما اشتعل من الحطب . (٦) كلب الشتاء : اى اشتد .

فأوقد ناراً في يفاع من الأرض لينظر إليها من أضلّ الطريق ليلاً فيصمد نحوه^(١) :

أوقد فإن الليل ليلٌ قرٌ والريح يا وابدُ ربح صير^(٢)

علّ رى نارك من يمرُّ إن جلبت ضيقاً فأنت حر^(٣)

وقال أيضاً

أماوى قد طال التجنبُ والحجر وقد عذرنا في طلابكم العذر^(٤)
أماوى إن المالَ غادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الأحاديثُ والذكرُ
أماوى إما مانع فبين وإما عطاء لا يتهنه الزجر^(٥)
أماوى إني لا أقولُ لسائلٍ إذا جاء يوماً حل في مالى النزر^(٦)
أماوى لا يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر^(٧)
أماوى إن يُصبح صدائى بقفرةٍ من الأرض لا مالا لدى ولا خمر^(٨)
ترى أن ما أنفقت لم يكُ ضررى وإن يدي مما بخلت به صفر^(٩)
إذا أنا دلانى الذين يلونى بمظلمة لجم جوانبها غير
وراحوا سراعا ينفضون أكفهم يقولون قد آدمى أظافرنا الحفر
أماوى إن المال مالٌ بذاته فأوّلُه شكرٌ وآخره ذكرُ
وقد يعلم الأقوامُ لو أن حاتماً أراد ثراء المال كان له وفرُ
فإنى وجدى ربّ واحد أمة أخذت فلاقت عليه ولا أسرُ

(١) الصمد: القصد . (٢) ليل قر: بارد ، وريح صر وصرصر: شديدة الصوت أو البرد . (٣) عل بلام مشددة مفتوحة أو مكسورة لغة في اهل وهى أصلها عند من زعم زيادة اللام ، قال الشاعر :

لا تهين الفقير عليك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه
وهما بمنزلة عسى في المعنى وبمنزلة ان المشددة في العمل .

(٤) الهمزة للنداء وماوى منادى مرخم ماوية وهى زوجته ، وقوله وقد عذرنا الخ عذرته فيما صنع رفعت عنه اللوم فهو معذور أى غير ملوم .
(٥) نهنه: كفه ومنعه . (٦) حل في مالنا النزر: أى القلة .

(٧) الحشرجة أو له حاء مهملة وآخره جيم الفرغرة عند الموت وتردد النفس
(٨) الصدى ما يبقى من الميت فى قبره، والقفرة الأرض الخالية من السكان
والنبات . . (٩) صفر وزان حمل أى خال من المتاع وهو صفر الولدين ليس

ولا أظلم ابن العمّ إن كان إخوتي شهوداً وقد أودى بإخوته الدهرُ
غنينا زماناً بالتقصّد والغنى وكل سقانا وهو كاسبنا الدهر^(١)
فا زادنا ماوى على ذى قرابةٍ عنانا ولا أزرى بأحلامنا الفقرُ
وله قصيدة طويلة تتعلق بالكرم ومكارم الأخلاق وهي مسطورة في (الحماسة
البصرية) وهي هذه :

وعاذلتين هبتا بعد هجمةٍ تلومان متلافا مفيداً ملوماً^(٢)
تلومان لما غورَ النجمُ ضلةً فتى لا يرى الإنفاق في الحمد مفرماً^(٣)
فقلت وقد طال العتابُ عليهما وأوعدتمانى أن تبينا وتصيرما
ألا لا تلومانى على ما تقدما كنى بصروف الدهر للمرء محكما
فإنكما لا ما مضى تُدركانه ولستُ على ما فاتنى متندماً
فنفسك أكرمها فإنك إن تهنُّ عليك فلن تلقى مدى الدهر مكرما
أهن للذى تهوى التلاد فإنه إذا متّ كان المال نهياً مُقسماً
ولا تشقين فيه فيسعد وارث به حين تغشى أغبر الجوف مظلاً^(٤)
يقسمه غمّاً ويشرى كرامةً وقدصرت في خط من الأرض أعظماً
قليلاً به ما يحمدنك وارث إذا نال مما كنت تجمع مغمماً
تحلّم عن الأدين واستبق ودهم ولن تستطيع الحلم حتى تحلماً^(٥)
وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر وذى أود قومته فتقوماً^(٦)
وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللثيم تكراً
ولا أخذل المولى وإن كان خاذلاً ولا أشم ابن العمّ إن كان مفحماً

(١) غنى كفرح عاش وغنى بالمكان : أقام به . (٢) هبتا أى استيقظتا :
وهذا البيت من شواهد معنى اللبيب . (٣) غور النجم أى غابت الشربا :
وقوله ضلة هو قيد فى اللوم لانه ضلة اذا لم يوفق للرشاد فى لومه ، والمفرم
بالفتح الغرامة . (٤) أغبر الجوف : القبر ومثله خط من الارض .
(٥) تحلماً أى تحلّم أى تنكلف . (٦) قوله فلم تضر من ضار يضير ضد

ولا زادني عنه مناي تباعدا
 وليل بهم قد تسربلت هوله^(١)
 ولن يكسب الصعلوكُ حمداً ولا غنى
 إذا هولم يركب من الأمر معظماً^(٢)
 لحا الله صعلوكاً مناه وهمه
 من العيش أن يلقى كبوساً ومغتماً^(٣)
 ينام الضحى حتى إذا نومه استوى
 تنبّه مثلوج الفؤاد مورماً^(٤)
 مقيماً مع المثرين ليس بيارح
 إذا نال جدوى من طعام ومجماً^(٥)
 والله صعلوك يساور همه
 ويمضى على الأحداث والدهر مقدماً^(٦)
 فتى طلبات لا يرى الخمص ترحة
 ولا شبعة إن نالها عدداً مغماً^(٧)
 يرى الخمص تعدياً ولم يلق شبعة
 يبيت قلبه من قلة الهم مبهماً
 إذا ما رأى يوماً مكارم أعرضت
 تيمم كبراهن ثمت صمماً^(٨)
 ويعشى إذا ما كان يوم كرهية
 صدور العوالى فهو مختضب دماً
 يرى رحمة ونبله ومجته
 وذا شطب غضب الضرية تحمداً
 وأحناء سرج قاتر ولجامه
 عتادفتي هيجا وطرفاً مسوماً

- (١) النكس بكسر النون الرديء وأصله السهم الذى كسر فوقه ، وتجهم :
 كلع وجهه . (٢) الصعلوك بالضم الفقير . (٣) لحا الله : قبح الله .
 (٤) مثلوج الفؤاد من الجاز ، تلج قلبه : بلد وذهب والمثلوج الفؤاد البليد ،
 قال أبو خراش الهدلى :
 ولم يك مثلوج الفؤاد مهيجا اضاع الشباب فى الريلة والخفض
 (٥) المجرم بفتح الميم وكسر المثثة مكان الجثوم وهو بروك الطائر .
 (٦) قوله والله صعلوك تعجب ومدح يقال عند استغراب الشيء واستعظامه
 أى هو صنع الله ومختاره اذ له القدرة على خلق مثله ، ويساور : يواكب ،
 وهمه أى عزمه مفعول ، وقوله : ويمضى على الأحداث أى لا يشغله الدهر
 وحوادثه فى حالة اقدمه على ما يريد . (٧) قوله فتى طلبات اشار الى علو
 همته ، والخمص بالفتح الجوع . والترحة ضد الفرحة ، والشبعة المرة من
 الشبع . (٨) ثمت حرف يعطف الجمل ورمحه وما عطف عليه مفعول
 أول ليرى . (٩) وعتاد هو المفعول الثانى وذا شطب هو السيف جمع شطبة
 وهى الطريقة فى متن السيف والمجن بالكسر الترس والدركة والعضب القاطع
 والضريبة موضع الضرب والمخدم بكسر اوله وبالمعجمتين السيف القاطع
 وباعجام الثانى فقط من الحزم وهو القطع السريع .

فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقمُ ضعيفاً مُذمَّماً^(١)
وقد أعرضت عن شرح ما أوردته من شعره فإن الغالب منه مشروح في شواهد
كتب العلم ، ومنهم :

كعب بن مامة الأبياري

وكان ممن يضرب بهم المثل أيضاً في الجود ، ومن حديثه أنه خرج في ركب
فيهم رجل من النمر بن قاسط في شهر ناجر^(٢) فضلوا فتصافنوا ماءم وهو أن يطرح
في القعب^(٣) حصاة ، ثم يصب فيه من الماء بقدر ما ينمر الحصاة وتلك الحصاة هي
المقلة^(٤) فيشرب كل إنسان بقدر واحد فقمعدوا للشرب فلما دار القعب فاتتهى إلى
كعب أبصر النمرى يحدد النظر إليه فأثره بمائه ، وقال للساق : اسق أخاك النمرى
فشرب النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ، ثم نزلوا من غدوم المنزل الآخر
فتصافنوا ببقية ماءهم فنظر إليه النمرى كنظرة أمسه . فقال كعب كقوله أمس وارتحل
القوم . وقالوا يا كعب ارتحل فلم تكن به قوة للنهوض . وكانوا قد قربوا من
الماء فقيل له رد كعب إنك ورّاد ، فمجز عن الجواب فلما يكسوا منه
خيولوا عليه بثوب ينعمه من السبع أن يأكله وتركوه مكانه ففاض . فقال أبوه
مامة يرثيه :

= الاحناء جمع حنو بالكسر يطلق على ما فيه اعوجاج من القتب والسرغ
وغيرهما ، والقائر بالقاف وبالمشاة الفوقية الواقى والحافظ لا يعقر ظهر الفرس ،
وعتاد بالفتح اعدة ، وطرفا معطوف على رمحه الذى هو أول مفعول يرى
وهو الكريم من الخيل ، والمسوم المعلم تشهير لعفته وكرمه من السومة وهى
العلامة او المسيب فى الرعى ولا يركب الا فى الحروب .

(١) الحسنى مصدر كالبشرى وقيل اسم الاحسان والمعنى سرت بليلى
فقير يوائب همته ويمضى مقدما على الدهر والحال انه فتى طلبات يتجدد
طلبه كل ساعة والدهر يسعف بمطوبه بجده ورشده ولا يرى الجوع شدة
ولا الشبع غنيمة لعلو همته فان يهلك فله ثناء حسن وان يعيش يعيش ممدحا
معززا . ٢٠ هو رجب او صفر وكل شهر من شهور الصيف ، كذا فى القاموس
(٣) اناء ضخمة كالكصعة والجمع قعاب واقعب . (٤) المقلة بفتح الميم
ويقال مقلها اذا القاها فى الاناء وسب عليها الماء .

ما كان من سوقة اسقى على ظمأ خمرأ بماء إذا ناجودها برداً^(١)
من ابن مامة كعب ثم عى به زو المنية إلا حرة وقدا
أوفى على الماء كعب ثم قيل له رد كعب إنك وراد فا وردا
زو المنية قدرها . وعى به أى عيت الأحداث إلا أن تقتله عطشاً . وقال الأصمى :
زو المنية ما يحدث من هلاك المنية . ويقال الزو القدر . ويقال قضى علينا وقدر وحم
وزى . وهذا أكثر من كل ما أثنى لغيره . وله يقول حبيب :

يجود بالنفس إذ ضنَّ البخيلُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود
وله ولحاتم الطائي يقول القائل :

كعب وحاتم اللذان تقسما خِطَطَ العلى من طارفٍ وتليدٍ^(٢)
هذا الذى خلف السحاب ومات ذا فى الجهد ميثة خِضْرَمٍ صِنْدِيدٍ^(٣)
إن لا يكن فيها الشهيد فقومه لا يسمحون به بألف شهيد

ومنهم :

أوس بن هارثة بن لاسم الطائي

كان أوس هذا ممن يضرب به المثل فى الكرم والجود يقال له ابن سمدي .
قال جرير :

وما كعب بن مامة وابن سمدي بأجود منك يا عمر الجواد^(٤)

(١) الناجود أول ما يخرج من الخمر اذا بزل عنها السدن ، قاله الأصمى واحتج يقول الاخطل :

كانما المسك نهى بين أرجلنا مما تزوع من ناجودها الجارى
وقيل الخمر الجيد وهو مذكر والناجود ايضا اناؤها وعن الليث الناجود
هو الراووق نفسه . وفى حديث الشعبي : وبين ايديهم ناجود خمر أى
راووق واحتج على الاصمى بقول عاقمة :

ظلت تفرق فى الناجود يصفقها وليد اعجم بالكتان ملشوم
يصفقها يحولها من اناء الى اناء لتصفو . (٢) الطارف : المال المستحدث
وهو خلاف التليد . (٣) الخضرم : الكثير من كل شىء والواسع والجواد
المعطاء والسيد الحمول ، والصنديد : السيد الشجاع أو الحلیم أو الجواد أو
الشریف . (٤) هذا البيت من قصيدته له مدح فيها عمر ابن عبدالعزيز واولها:
أبت عينك بالحسن الرقادا وانكرت الاصادق والبلادا
الحسن نقا فى بلاد بنى ضبة سمي بالحسن لحسن شجره .

وكان بشر بن أبي خازم الأسدي أولا يهجو أوساً وكان أوس نذر لئن
ظفر به ليحرفنّه فلما تمكن أطلقه وأحسن إليه فمدحه بمدة قصائد ، وسبب هجاء
بشر لأوس ، هو ما حكاه أبو العباس المبرد في الكامل قال : أوس بن حارثة
ابن لام الطائي ، كان سيداً مقدماً وفد هو وحاتم بن عبد الله الطائي على عمرو بن
هند وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء فدعا أوساً فقال : له أنت أفضل أم حاتم
فقال أبيت اللعن^(١) لو ملكني حاتم وولدي ولحمتي لوهبنا في غداة واحدة ثم
دعا حاتماً أنت أفضل أم أوس فقال : أبيت اللعن إنما ذكرت بأوس ولأحد
ولده أفضل مني . وكان النعمان بن المنذر دعا بجملته وعنده وفود العرب من كل
حى فقال : احضروا في غدٍ فإني ملئس هذه الحلة أكرمكم فحضر القوم جميعاً
إلا أوساً فقيل له : لم تتخلف ؟ فقال : إن كان المراد غيري فأجل الأشياء أن
لا أكون حاضراً وإن كنت المراد فسأطلب ويعرف مكاني ، فلما جلس النعمان
لم ير أوساً فقال : اذهبوا إلى أوس فقولوا له : احضر آمناً مما خفت فحضر فألبسه
الحلة ففسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة : اهجهُ ولك ثلاثمائة ناقة فقال الحطيئة
كيف أهجورجلا لا أرى في بيتي أنا ولا مالا إلا من عنده ، ثم قال :

كيف الهجاء وما تنفك سالحة من آل لام بظهر الغيب تأتيني

فقال لهم ابن أبي خازم أحد بني أسد بن خزيمه أنا أهجوه لكم فأخذ الإبل
وفعل فأغار أوس عليها فاكسحها فحمل لا يستجير حياً إلا قال قد أجزتك إلا من
أوس . وكان في هجائه قد ذكر أمه فأتى به فدخل أوس على أمه فقال : قد أتينا
ببشر الهاجى لك ولى . قالت : أو تطيعني ؟ قال نعم . قالت : أرى أن ترد عليه

اعمرك ان نفع سعاد عنى لمصروف ونفعى عن سعادا

وهى طويلة لا يسعنا إيرادها في هذا المقام .

وهذا البيت من شواهد النحو يستشهد به على جواز نصب المنادى
الموصوف بغير ابن عند الكوفيين وأوله المانعون بالقطع أى انه مفعول الفعل
محدوف . (١) كان العرب في الجاهلية يخصون ملوكهم عند التحية بقولهم
أبيت اللعن أى أبيت ان تأتي من الاخلاق المذمومة ما تلعن عليه وكانت هذه
تحية ملوك لخم وجدام .

ماله وتمفو عنه وتجبوه وافعل مثل ذلك فإنه لا يغسل بجاءه إلا مدحه فخرج فقال :
إن أمي سمدي التي كنت تهجوها قد أمرت فيك بكذا وكذا فقال لا جرم والله
ألا مدحتُ حتى أموتَ أحداً غيرك ففيه يقول :

إلى أوس بن حارثة بن لام ليقتضى حاجتي فيمن قضاها
فما وطىء الثرى مثل ابن سمدي ولا لبس النمال ولا احتذاها

هذا ما أورده البرد ولم يذكر كيف تمكن منه أوس . وقد حكاه معمر بن
المنثري في شرحه قال : إن بشر بن أبي خازم غزا طيئاً ثم بنى نهبان فأنزل
جراحه وهو يومئذ بجحى أحد أصحابه وإنما كان في بني والبة فأسرته بنو نهبان
فحبوه كراهية أن يبلغ أوساً فسمع أوس أنه عندهم فقال : والله لا يكون بيني
وبينهم خيراً أبداً أو يدفعوه ثم أعطاهم مائتي بعير وأخذهم منهم ، فجاء به وأوقد له
ناراً ليحرقه ، وقال بعض بني أسد لم تكن نار ولكنه أدخله في جلد بعير حين
سأله ويقال جلد كبش ثم تركه حتى جف عليه فصار فيه كأنه المصفور . فبلغ
ذلك سمدي بنت حصين الطائية وهي سيدة فخرجت إليه فقالت : ماتريد أن تصنع ؟
فقال أحرق هذا الذي شتمنا فقالت : قبح الله قوما يسودونك أو يقتبسون من
رأيتك . والله لكأنما أخذت به أما تعلم منزلته في قومه ؟ خل سبيله وأكرمه فإنه
لا يغسل عنك ما صنع غيره فخبسه عنده وداوى جرحه وكتبه ما يريد أن يصنع
به . وقال ابنت إلى قومك يفدونك فإني قد اشتريتك بمائتي بعير فأرسل بشر إلى
قومه فهيئوا له الفداء وبأدرهم أوس فأحسن كسوته وحمله على نجيبه الذي كان
يركبه وسار معه حتى إذا بلغ أدنى أرض غطفان جعل بشر يمدح أوساً وأهل بيته
بمكان كل قصيدة هجاء بها قصيدة ، فهجاء بخمس ، ومدحهم بخمس ، ومنهم .

هرم بن سنان

وكان من أشهر أجداد زمانه وأرغبهم في الإحسان والمعروف وهو ممن يضرب
به المثل في ذلك . وهو صاحب زهير الذي يقول فيه :

متى تلاق على علاته هَرَمًا تلق الساحة في خلق وفي خلق
وكان سنان أبو هَرَمٍ سيدَ غَطَفَانَ وماتت أمه وهي حامل به ، وقالت : إذا
أنا مُتُّ فشقوا بطنى ، فإن سيدَ غَطَفَانَ فيه فلما ماتت شقوا بطنها فاستخرجوا منه
سنانا ، وفي بنى سنان يقول زهير :

قوم أبوم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
جنّ إذا فزعوا إنس إذا أمنوا مرزؤن بهاليل إذا قصدوا^(١)
محدون على ما كان من نعم لا ينزع الله منهم ماله حسدوا
وقال زهير في هرم بن سنان

وأبيض فيأض يده غمامة^(٢) على مُعْتَفِيهِ ما تُغِبُّ فواضله^(٣)
تراه إذا ماجئته متهللاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله^(٤)
أخو ثقة لا يتلف الخمر ماله^(٥) ولكنه قد يتلف المال نائله^(٦)
وقال زهير أيضاً في هرم بن سنان وأهل بيته :

إليك أعمالها فتلا مرافقها شهرين يجهض من أرحامها العلق^(٧)
حتى دفن إلى حلو شمائله كالغيث تثبت في آثاره الورق
من أهل بيت يرى ذوالعرش فضلهم يُبْنَى لهم في جنان الخلد مرتفق^(٨)

(١) بهاليل جمع بهلول كسر سور الضحك والسيد الجامع لكل خير .
(٢) قوله وأبيض يريد رجلاً نقياً ، والفياض : الكثير العطاء وأصله من
الفيض ، وقوله يده غمامة أى تمطر يده بالاعطاء كما تمطر الغمامة ،
والمعتفون : المطالبون ما عنده ، وقوله ما تُغِبُّ فواضله أى هى دائمة لا تنقطع
ولا تأتى فى الغب ويقال غبه وأغبه إذا أتاه غبا ، وفواضله : عطاياه لأنها تفضل
كل عطاء . (٣) المتهلل : الطلق الوجه المستبشر يقول هو مسرور بمن سألته
مستبشر به كما يستبشر الإنسان بأن يوصل ويعطى ولم يرد أنه حريص على
الاخذ مستبشر به ولكنه قال هذا على ما جرت به العادة من محبة النفس
الاخذ وكرهيتها الاعطاء . (٤) قوله أخو ثقة أى يوثق بما عنده من الخير
لما علم من جوده وكرمه ، والنائل : العطاء ، يقول لا يتلف ماله بشرب الخمر
ولكن يتلفه بالعطاء . (٥) عملتها أى الناقة يقال عملت الناقة إذا حثتها
وسقتها ، وانفتل بالتحريك اندماج فى مرفق الناقة ، والنعت مرفق أفتل بين
الفتل وهى فتلاء وقوم فتل الايدى ، واجهضت الناقة ولدها أسقطته ناقص
الخلق ، والعلق جمع عاقلة الدم الجامد . (٦) المرتفق : المتكافؤ .

الطعمين إذا ما أزمته^(١) أزمته والطيبين ثياباً كلبا عرقوا^(١)
كأن آخرهم في الجود أولهم إن الشائل والأخلاق تنفق
إن قامروا أقرروا أو فاخروا نغروا أو ناضلوا نصلوا أو سابقوا سبقوا^(٢)
تنافس الأرض موتاهم إذا دفنوا كما تنفس عند الباعة الورق
قال الميداني في مجمع أمثاله عند قولهم « أجود من هرَم » : هو هرَم بن سنان
ابن أبي حارثة المرسي وقد سار بذكر جوده المثل ، قال زهير بن أبي سلمى فيه :
إن البخيل مَلُومٌ حيث كان ولكنَّ الجواد على عِلاته هرَمٌ^(٣)
هو الجوادُ الذي يعطيك نائله عفواً ويظلم أحياناً فيظلم^(٤)
ووفدت ابنة هرَم على مُعمرَ ، فقال لها : ما الذي أعطى أبوك زهيراً حتى
قابه من المديح بما قد سار فيه ؟ فقالت : أعطاه خيلاً تنضى^(٥) ، وإبلا تنوى^(٦)
وثياباً تبلى ، ومالا يفنى . فقال عمر : لكن ما أعطاكم زهير لا يبليه الدهر ،
ولا يفنيه العصر ؟ ويروى أنها قالت : ما أعطى هرَمٌ زهيراً قد نسى . قال لكن
ما أعطاكم زهيراً لا ينسى . ومنهم :

عبد القم بن هبيب العنبري

وكان يُضرب به المثل في الجود . فيقولون أقرى من آكل الخبز وهو أحد

(١) ازم الزمان : اشتد بالقحط ، والأزمة اسم منه (٢) ناضلت عنه :
حاميت ، وناضلته راميته فنضلته نضلاً غلبته في الرمي (٣) قوله على علانته
أي على ما ينوبه من قلة ذات يد وعوز (٤) الجواد : الكريم المكثف في العطاء ،
والنائل العطية ، وعفوا أي من غير طلب يتقدمه أو سهلاً بلا مطل ولا تعب
وهذا البيت من شواهد الصرف يستشهد به على أن أصل يظلم يظلم قلبت
التاء طاء لجوارتها الطاء فاذا ادغم فمنهم من يقرب الطاء طاء ثم يدغم ومنهم
من يدغم الطاء في الطاء على القياس فيصير يظلم وقد روى البيت بالوجهين
وروى بالاظهار أيضا قال ابن قتيبة في (الشعر والشعراء) : قد سبق زهير
إلى هذا المعنى ، لا ينازعه فيه أحد غير كثير فإنه قال يمدح عبد العزيز بن
مروان :

رايت ابن مالي يعترى صلب ماله مسائل شستى من غنى ومصرم
مسائل ان توجد لديه تجد بها يداه وان يظلم بها يتظلم
والمصرم القليل المال (٥) أي تبلى (٦) تهلك

بني سمرة سمي آكل الخبز. لأنه كان لا يأكل التمر ولا يرعّب في اللبن. وكان سيد بني العنبر في زمانه وهم إذا افتخروا قالوا منا آكل الخبز، ومنا مجير الطير. فأما مجير الطير، فهو ثور بن شحمة العنبري. وأما السبب في تلقيهم عبد الله ابن حبيب بآكل الخبز فلأن الخبز نفسه عندهم ممدوح، وذكر أبو عبيدة أن هودّة بن علي الحنفي دخل على كسرى أبرويز، فقال له: أيّ أولادك أحب إليك؟ قال: الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يبرأ. قال: ما غذاؤك يبلدك؟ قال: الخبز. فقال كسرى: هذا عقل الخبز لعقل اللبن والتمر. فصار الخبز عندهم ممدوحا كما صار ما يناسبه بعض المناسبة ممدوحا وهو الفالوذج لأنه أشرف طعام وقع إليهم ولم يطعم الناس هذا الطعام أحد من العرب إلا عبد الله ابن جدعان فدحه أمية بن الصلت بذلك فقال:

إلى رُدْح من الشيزى مِلاءً لُبَابَ البُرِّ يلبك بالشهاد^(١)

ولهم الثريد وهو في أشرافهم عام، وغلب عليه هاشم حين هشم الخبز لقومه فدح به في قول الشاعر:

عمرو العلاء هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسنِتون عِجَاف^(٢)

قال حمزة: فهذا المثل مع ما يتلوه حكاة عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه الموسوم بكتاب (أطعمة العرب). ومنهم:

عبد الله بن جبراهة التيمي

وقد كان من مشاهير الأجواد. وممن سارت بجوده الأمثال في الأقطار والبلاد، وكان يسمى بحاسي الذهب لأنه كان يشرب في إناء من الذهب، وقالوا في المثل: «أقرى من حاسي الذهب» وكان من قريش. وفيه قال أبو الصلت التقي:

له داعٍ بمكة مُشمَعِلٌ وَاخِرُ فَوْقَ دَارَتِهِ يُنادي

(١) يأتي شرحه في الأصل (٢) عمرو والعلاء اسم هاشم بن عبد مناف، والمسنِتون الذين أصابهم السنة المجذبة الشديدة، والعجاف جمع اعجف وهو الذي ذهب سمنه والبيت لابن الزبير

إلى رُدْح من الشيزى مِلاءً لُبَابَ البُرِّ يُدَبِّكُ بالشهاد
الردحة سترة تكون في مؤخر البيت أو قطعة تزداد فيه والرداح الخفيفة العظيمة .
وروى الجوهري البيت هكذا إلى رُدْح من الشيزى عليها ففيه عليها بدل ملاء
والشيز والشيزى خشب أسود يتخذ منه القِصاع ، وقوله لُبَابُ البر : أى من
لباب البر . وأخبارُ عبد الله بن جدعان في السخاء والكرم كثيرة ، وقد ذكر
طرفاً منها الزبيرُ بنُ بكار في كتابه الذى ألفه في فضائل قريش . ومن خبره
أنه كان في ابتداء أمره صعلوكاً^(١) تَرَبَّ اليَدَيْنِ وكان مع ذلك شريراً فاتكا
لا يزال يجنى الجنائيات فيعقل^(٢) عنه أبوه وقومه حتى أبغضه عشيرته ونفاه أبوه
وحلف لا يُؤويه أبداً فخرج في شِمْابِ مَكَّةَ حائراً ثائراً يتمنى الموت أن ينزل به
فرأى شقاً في جبل فظن أن به حية فتعرض للشق يريد أن يكون فيه ما يقتله
فيستريح فلم يرَ شيئاً فدخل فإذا به ثعبان عظيم له عينان تَقْدانِ كالسراجين
فحمل عليه الثعبان فأفرج له فانساب^(٣) عنه مستديراً بدارة عند بيت ثم خطا
خطوة أخرى فصفر به الثعبان فأقبل إليه كالسهم فأفرج له فانساب عنه فوقف
ينظر إليه يفكر في أمره فوقع في نفسه أنه مصنوع فأمسكه بيديه فإذا هو مصنوع
من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فإذا جث طوال
على سُرُرٍ لم يرَ مثلهم طولا وعظماً وعند رءوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم وإذا هم
رجال من ملوك جرهم وآخرهم موتاً الحرث بن مُضاض صاحب العذبة الطويلة
وإذا عليهم ثياب من وشى لا يمس منها شيء إلا انتثر كالهباء^(٤) من طول الزمان
مكتوب في اللوح عظام . قال ابن هشام كان اللوح من رخام^(٥) وكان فيه أنا
نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان ابن نبي الله
هود عليه السلام عشت من العمر خمسمائة عام وقطعت غورَ الأرض ظاهرها

(١) الصعلوك بالضم الفقير ، والترب الذى لا مال له (٢) عقل عنه أدى
جنائته (٣) فانساب أى مشى مسرعاً (٤) الهباء بالمد دقاق التراب والشيء
المنبت الذى يرى في ضوء الشمس وليس له مس ولا يرى في الظل (٥) حجر
معروف الواحدة رخامة

وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجيني من الموت . وتحتة
مكتوب :

قد قطعتُ البلادَ في طلبِ الثرِّ وة والمجدِ قاصِ الأثوابِ (١)
وسريت البلادَ قفراً لقفري بقناة وقوة واكتساب
فأصاب الردى بنات فؤادى بسهام من المنايا صياب
فانقضت مدتى واقصر جهلى واستراحت عواذلى من عتابى
ودفعت السفاه بالحلم لما نزل الشيب في محل الشباب
صاح هل ريت أو سمعت براع ردى الصرع ماقرى في الحلاب (٢)

وإذا في وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة
والزبرجد فأخذ منه ماأخذ ثم علم على الشق بعلامة وأغلق بابه بالحجارة وأرسل
إلى أبيه بالمال الذى خرج به منه يسترضيه ويستمطفه ووصل عشيرته كلهم فسادهم
وجمل ينفق من ذلك الكنز : ويطعم الناس ويفعل المعروف . وفي القاموس
وربما كان يحضر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم طعامه . وكانت له جفنة يأكل
منها القائم والراكب لعظمها ، بل كانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير ،
وسقط فيها صبي ففرق ومات . وفي غريب الحديث لابن قتيبة : أن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال : كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة
سمى في الهاجرة وسميت الهاجرة صكة عمى لخبر ذكره أبو حنيفة في الأنواء
وهو أن عمياً رجل من عدوان ، وقيل : من إياد ، وكان قفيه العرب في الجاهلية
فقدم في قومه معتمراً أو حاجاً فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم
في وسط الظهيرة من آتى مكة غداً في مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا

(١) قوله قاص الأثواب أى قصير الثياب يقال قلص الثوب بعد الغسل
أى انزوى (٢) قوله ريت أصله رأيت فخففت بحذف الهمزة ، والحلاب
بالكسر أناة يحاب فيه ، ويروى في العلاب جمع علبة والعلبة محاب من جلد ،
والصرع لدات الظلف كالئدى للمرأة والجمع ضروع كفلس وفلوس ، وقرى :
اجتمع

الإبل صكة شديدة حتى أتوامكة من الغداة وعمى تصغير أعمى على الترخيم فسميت
الظهيرة صكة عمى .

وعبد الله بن جدعان تيمى يكنى أبا زهير ، وهو ابن عم عائشة رضى الله
تعالى عنها ، ولذلك قالت : يارسول الله . إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى
الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم :
لا . إنه لم يقل يوماً رب اغفرلى خطيئتي يوم الدين كذا قاله السهيلي فى الروض
الأنف^(١) . وفى كتاب رى العاطش وأنس الواحش لأحمد بن عمار : إن ابن جدعان
من حرم النجر فى الجاهلية بعد أن كان بها مغرى . وذلك أنه سكر ليلة
فصار يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليأخذه فضحك منه جلساؤه فأخبر بذلك
حين صحا فحلف أن لا يشربها أبداً . فلما كبر وهم أراد بنوتيم أن يمنعه من
تبذير ماله ولاموه فى العطاء فكان يدعو الرجل فإذا دنا منه لطمه لطمه خفيفة
ثم يقول له قم فأنشد لطمتك وأطلب ديتها فإذا فعل ذلك أعطته بنوتيم من مال
ابن جدعان . ومنهم :

فيس بن سعد

وهو من أسخياء العرب وأجوادهم المذكورين . قيل له يوماً هل رأيت قط
أسخى منك ؟ قال : نعم نزلنا بالبادية على امرأة فحضرها زوجها فقالت أنه نزلت بك
ضيفان فجاء بفاقة فنحرتها ، وقال شأنكم فلما جاء الغد جاء بأخرى ونحرتها ، وقال
شأنكم فقلت ما أكلنا من التى نحرت البارحة إلا اليسير ، فقال : إني لا أطعم

(١) هذا الكتاب شرح على السيرة الهاشمية وقد طبع بمصر سنة ١٣٣٢ ،
وروضة انف كعنتق لم ترع ، قال الشاعر :

أو روضة انف تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم
وكذلك كأس انف لم تشرب

أضياف الغاب^(١) فأقنا عنده أياماً والسماء تمطر وهو يفعل كذلك . فلما أردنا الرحيل وضعنا في بيته مائة دينار ، وقلنا للمرأة : اعتذرى لنا منه ومضينا فلما تمتع النهار^(٢) ، إذا رجل يصبح خلقتنا قفوا أيها الركب اللثام أعطيتمونا ثمن القرى^(٣) . ثم إنه لحقنا وقال لتأخذنَّها وإلا طعننكم برمحى فأخذناها وانصرف . ومنهم :

عبدة الكلبية

وهي امرأة من العرب كانت مذكورة بالسخاء . فقد روى أبو بكر بن دريد بسنده إلى أبي عبيدة . قال مرّ رجل من أهل الشام بامرأة من كلب . فقال هل من لبن يباع فقالت : إنك للثيم أو قريب عهد بقوم لثام ، هل يبيع الرسل^(٤) كريم ، أو يمنعه إلا لثيم . إنا لنندع الكوم^(٥) لأضيافنا تكوس^(٦) . إذا عكف الدهر الضروس . ونفلى اللحم غريضا^(٧) . ونهينه نضيجا^(٨) . ومنهم :

قتادة بن سلمة الحنفي

كان هذا أيضاً من أسخياء العرب ومشاهيرهم في الكرم وبه يضرب المثل في الجود ، وكان يسمى غيث الضريك . وقالوا : هو « أفرى من غيث الضريك » وهو الفقير . ومنهم :

مطاعم السرج

زعم ابن الأعرابي أنهم أربعة أحدهم عم أبي مخجن الثقفي ولم يسم الباقي .

(١) يقال غب الطعام والتمر يغب غبا وغبا وغبوا وغبوبة فهو غاب : بات ليلة فسد أو لم يفسد وخص بعضهم اللحم ، وقيل غب الطعام تغيرت رائحته ، قال جرير يهجو الأخطل :

والتفلبية حين غب غيبها تهوى مشافرها بشر مشافر
أراد بقوله غب غيبها ما انتن من لحوم ميتتها وخنزيرها (٢) أي ارتفع
(٣) الضيافة (٤) اللبن (٥) القطعة من الإبل (٦) يقال كاس البعر إذا مشى على ثلاث قوائم وهو معرّقب (٧) أي طريا (٨) يقال : نضج اللحم كسمع نضجا ونضجا ادري ، فهو نضيح وناضح

قال أبو الندى هم كِنَانَةٌ بنُ عبد ياليل الثقفي عم أبي مخجن . ولبيد بن ربيعة
وبوآه كانوا إذا هبت الصِّبَا أطعموا الناس وخضوا الصِّبَا لأنها لا تهب إلا
في جدب . قالت بنت لبيد بن ربيعة العامري :

إذا هبَّتْ رِيحُ أبي عقيل ذكرنا عند هبَّتِها الوليدا
أشمَّ الأنفَ أبيضَ عبشيمياً أغان على مروءته لبيدا^(١)

وكانت العرب تضرب بهم الأمثال . لما جُبلوا عليه من سخاء الطبع وكرم
الخصال . وخذلوا لهم الذكر الجميل . والثناء الجزيل . وهو أحسن ما يدخر .
وأجل ما يُقتنى ويؤثر . ومنهم :

ازواد الركب

قال ابن بكار في أنساب قريش : كان أزوادُ الركب من قريش ثلاثةً ، مسافر
ابن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس . الثاني زمعة بن الأسود بن المطلب بن
أسد بن عبد العزى . الثالث أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .
وإنما قيل لهم أزواد الركب لأنهم كانوا إذا سافروا لم يتزود معهم أحد ولم يسمَّ
بذلك غير هؤلاء الثلاثة . وكان عند أبي أمية بن المغيرة أربع عواتك عاتكة
بنت عبد المطلب وهي أم زهير ، وعبد الله وهو الذي قال للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم : لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . وعاتكة بنت جذل
الطعان^(٢) ، وهي أم سلمة والمهاجر . وعاتكة بنت عتبة بن ربيعة . وعاتكة
بنت قيس من بني نهشل بن دارم التميمية انتهى . وبهم كانت قريش تضرب
المثل . قال اليبداي عند قولهم أقرى من زاد الركب : زعم ابن الأعرابي أن
هذا المثل من أمثال قريش ضربوه لثلاثة من أجوادهم وعدد أسماءهم على الوجه

(١) الشمم ارتفاع في قصبه الأنف مع استواء اعلاه ، وقوله عبشيميا اي
منسوباً الى عبد شمس (٢) هو علقمة بن فراس من مشاهير العرب لقب
بذلك لجوده يقال للرجل العالم بالامر القائم به المثار عليه هو جدله

السابق . وأخبار هؤلاء كثيرة . وما ورد فيهم من شعر المديح أكثر والمقام لا يسع ذلك ، وكان أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم زوج اخته طائفة بنت عبد المطلب فخرج تاجراً إلى الشام فمات بموضع يقال له سرور سحيم ، فقال أبو طالب عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الأبيات يرثيه بها وهي :

ألا إن زادَ الركبِ غيرَ مدافعٍ يسرُّ سحيمَ غيبته المقابرُ
يسرُّ سحيمَ عارفٍ ومناكرٍ وفارسُ غاراتِ خطيبٍ ويأسرُ (١)
تنادوا بأن لاسيد الحى فيهم وقد نجح الحيان كعب وعامر
فكانَ إذا يأتى من الشام قافلاً بمقدمه تسمى إلينا البشائرُ (٢)
فيصبحُ أهلُ اللهِ بيضاً كأنما كستهم حبيراً ريدةً ومعاقرُ (٣)
ترى داره لا يبرح الدهر عندها مُجمِعةٌ كَوْمُ سمانٍ وباقرُ (٤)
إذا أكلتُ يوماً أتى الدهر مثلها زواحق زهمٍ أو مخاضٍ بهازرُ (٥)
ضروبٌ بتصلُ السيفِ سوقَ سمانِها إذا عديموا زاداً فإنك عاقرُ (٦)
وإلاَّ يكنَ لحمٌ غريضٌ فإنه تسكب على أفواههن الغرائزُ (٧)

(١) سحيم بضم السين موضع في طريق الشام من مكة ، وسروره اعلاه وحذف حرف العطف من خطيب ضرورة ؛ مناكر اسم فاعل من ناكره أى قاتله ؛ ويأسر اللاعب بقداح الميسر ، والميسر قمار العرب بالأزلام وهو مما يفتخر به عندهم كانوا يقامرون بها في أيام الغلاء والقحط ويفرق الغالب لحم الجزور على الفقراء (٢) القافل : الراجع من السفر ، والبشائر جمع بشارة (٣) أراد بأهل الله قريشاً سموا بذلك لأنهم أرباب مكة ، والحبير بفتح الحاء المهملة ثياب ناعمة كانت تصنع باليمن ، وريدة بفتح الراء وسكون المثناة التحتية بلدة من بلاد اليمن ، ومعاقر بفتح الميم وكسر الفاء هى من همدان إلى اليمن (٤) قوله مجمعة كَوْمُ سمانٍ وباقر اسم فاعل من جمعمت الإبل إذا صوتت ، والباقر اسم لجماعة البقر كالجامل اجماعة الإبل (٥) زواحق جمع زاهقة وهى السمينية ، والزهم : الكثرات الشحم جمع زهمة بفتح فكسر وكلاهما بالزاي المعجمة ، والمخاض : الحوامل من الإبل واحدها خلفه من غير لفظها ، والبهازر جمع بهزرة وهى الناقة الجسيمة (٦) قوله ضروب أى هو ضروب ، ونصل السيف شفرته فذلك اضافة إلى السيف وقد يسمى السيف كله نصلاً ، مدحه بأنه كان يعرقب الإبل للضيغان عند عدم الأزواد وكانوا إذا أرادوا نحر الناقة ضربوا ساقها بالسيف فخرت ثم نحروها ، وقوله فاذا عديموا النخ الجملة الشرطية التفتت إلى الخطاب من الغيبة ، والسوق جمع سساق (٧) الغريض : الطرى من اللحم ، والغرائز جمع غرارة وهى العدل يكون فيها الدقيق والحنطة وغيرهما .

فيالك من ناعٍ حبيت بألّةٍ شراعيّةٍ تصفرُّ منها الأظافر^(١)
ومن كان يضرب به المثل من أجواد عرب الجاهلية لا يمكننا أن نستوعبهم ،
ومن وقف على أخبارهم تبين لديه أن كلَّ واحد منهم كان يستحق أن يُضربَ
به المثل .

وأما بعد ظهور الإسلام فقد تأكد ذلك لديهم واستوجبتهم عليهم نصوص
الشريعة فانضم هذا الداعي إلى الداعي الطبيعي فكان فيهم من أهل القرون
الثلاثة من أنسى ذكر كعب بن مامة وابنِ سُمدي . قال ابن عبد ربه في المقد
الفريد : أجواد الخِجَاز ثلاثة في عصر واحد عبيد الله بن العباس وعبد الله بن
جعفر وسميد بن العاص . فمن جود عبيد الله بن العباس أنه أول من فطر جيرانه ،
وأول من وضع الموائد على الطُّرُق ، وأول من حَيَّ على طعامه ، وأول من أنهبه ،
وفيه يقول شاعر المدينة :

وفي السنة الشهباء أطعمتَ حامضاً وحلواً ولحماً تامبكا وممزعا^(٢)
وأنت ربيعٌ الليتامى وعصمة إذا المحل من جو السماء تطلعا
أبوك أبو الفضل الذي كان رحمةً وغيثاً ونوراً للخلائق أجمعا

« ومن جوده » أنه أتاه رجل وهو بفناء داره فقال : يا ابنَ عباس إن لي
عندك يداً وقد احتجت إليها فصعد بصره وصوبه فلم يعرفه ، ثم قال : ما يدك
عندنا ؟ قال : رأيتك واقفاً بززم وغلامك يمتح لك^(٣) من مائها والشمس قد
صهرت^(٤) فظلمتكَ بطرف كسائي حتى شربت . قال : إني لأذكرُ ذلك وأنه
يتردد بين خاطري وفكركي . ثم قال لقيمه : ما عندك ؟ قال : مائتا دينار وعشرة
آلاف درهم . قال : ادفعها إليه وما أراها تقي بحق يده عندنا قال له الرجل :

(١) حبيت : خصصت من الجباء وهي العطية ، والآلة بفتح الهمزة واللام
المشددة الحربة ، وشرعية بالكسر الطويلة ، وقوله تصفر منها الخ أي تموت
منها لأن الميت يصفر ظفره دعاء على من أخبر بموت أبي أمية بالقتل (٢) السنة
الشهباء التي لاخضرة فيها أو لامطر ، وتامبكا أي سميناً ، ومزع اللحم
تمزيماً فتمزع أي فرقه فترق (٣) المتح الاستقاء (٤) أي ألمت دماغك

والله لو لم يكن لإسماعيل ولد غيرك لكان فيه ما كفاه فكيف وقد ولد سيد الأولين
والآخرين محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم ثم شفعه بك وبأبيك .

« ومن جوده أيضاً » أن معاوية حبس عن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما
صلاته حتى ضاقت عليه حاله فقيل لو وجهت إلى ابن عمك عبيد الله فإنه قدم بنحو
من ألف درهم فقال الحسين : وأين تقع ألف ألف من عبيد الله ؟ فهو والله لهو
أجود من الريح إذا عصفت^(١) وأسخى من البحر إذا زخر^(٢) ، ثم وجه إليه مع
رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية عنه صلته وضيق حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف
درهم ، فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان من أرق الناس قلباً ، وألينهم عطفاً ،
انهملت^(٣) عيناه . ثم قال : ويلك يا معاوية مما اجترحت^(٤) يداك من الإثم حين
أصبحت لبين المهاد ، رفيع العباد ، والحسين يشكو ضيق الحال ، وكثرة العيال ،
ثم قال لقهرمانه^(٥) : احمل إلى الحسين نصف ما أملاكه من فضة وذهب وثوب
ودابة ، وأخبره أني شاطرته مالي ، فإن أقنعه ذلك وإلا فارجع واحمل إليه الشطر
الآخر . فقال له التميم : فهذه المؤن التي عليك من أين تقوم بها ؟ قال : إذا بلغنا
ذلك دلتك على أمر تقيم به حالك . فلما أتى الرسول برسالته إلى الحسين قال : إنا لله
حملت والله على ابن عمي ، وما حسبته يتسع لنا بهذا كله فأخذ الشطر من ماله وهو
أول من فعل ذلك في الإسلام .

« ومن جوده » أن معاوية أهدى إليه وهو عنده بالشام من هدايا
النيروز حُللاً كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها مع حاجبه فلما
وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها ، فقال : هل في نفسك منها
شيء ؟ فقال : نعم والله إن في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف

(١) يقال عصفت الريح تمصفعصفا وعصوفا اشتدت فهي عاصفة وعاصف
وعصوف وأعصفت فهي معصف ومعصفة (٢) أى طمى وتملا (٣) أى فاضت
(٤) أى اكتسبت (٥) هو المسيطر الحفيظ على ماتحت يديه قال ابن برى :
القهرمان من أسماء الملك وخاصته فارسي معرب وقال أبو زيد يقال قهرمان
وقرهمان مقلوب بلغة الفرس القائم بأمر الرجل قاله ابن الأثير

عليهما السلام فضحك عبيد الله قال فشأنك بها فهي لك . قال جملة فذاك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجد علي . قال : فاختمها بختامك وادفعها إلى الخازن فإذا حان خروجنا حملها إليك ليلا ، فقال الحاجب : والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم ، ولوددت أني لا أموت حتى أراك مكانه يعني معاوية فظن عبيد الله أنها مكيدة منه ، قال دع عنك هذا الكلام فإن قوم نبي بما وعدنا ولا ننقض ما أكدنا « ومن جوده » أنه أتاه سائل وهو لا يعرفه فقال له : تصدق فإني نبئت أن عبيد الله بن عباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر إليه ؟ فقال له وأين أنا من عبيد الله ، فقال أين أنت منه في الحسب أم كثرة المال ؟ قال فيهما . قال أما الحسب في الرجل فروءته وفعله ، وإذا شئت فعلت وإذا فعلت كنت حسيبا فأعطاه ألفي درهم واعتذر إليه من ضيق الحال فقال له السائل إن لم تكن عبيد الله بن عباس فأنت خير منه وإن كنت هو فأنت اليوم خير منكم أمس فأعطاه ألفاً أخرى فقال السائل هذه هزة كريم حسيب والله لقد نقرت حبة قلبي فأفرغتها في قلبك فما أخطأت إلا باعتراض الشك من جوانحي .

« ومن جوده أيضاً » أنه جاءه رجل من الأنصار فقال يا ابن عم رسول الله إنه ولد لي في هذه الليلة مولود وإني سميت به باسمك تبركا مني به وأن أمه ماتت ، فقال عبيد الله بارك الله لك في الهبة ، وأجزل لك الأجر على المصيبة ، ثم دعا بوكيله وقال انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع إليه مائتي دينار للنفقة على تربيته ثم قال للأنصاري عُدْ إلينا بعد أيام فإنك جئتنا وفي العيش يبس وفي المال قلة ، قال الأنصاري لو سبقت حاتماً بيوم واحد ما ذكرتُ العرب أبداً ، ولكنه سبقك فصرت له تالياً ، وأنا أشهد أن عفوك أكثر من مجهوده ، وطلَّ كرمك أكثر من وابله انتهى ما في العقد من حديث عبيد الله . وروى أبو فرج الأصبهاني في الأغاني بسنده ، قال : مرَّ عبيدُ الله بن عباس بن عبد المطلب بمن بن أوس المزنيّ وقد كف بصره فقال له يامن : كيف حالك ؟ فقال :

صَنُفَ بَصْرِيٌّ وَكَثُرَ عِيَالِيٌّ وَغَلِبَنِي الدِّينُ . قَالَ : وَكَمْ دِينِكَ ؟ قَالَ : عَشْرَةُ آلَافٍ دَرَاهِمٍ فَبَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ صَرَّ بِهَ مِنْ الْغَدِّ فَقَالَ كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا مَعْ ؟ قَالَ :
أَخَذْتُ بِعَيْنِ الْمَالِ حَتَّى نَهَكْتَهُ وَبِالدَّيْنِ حَتَّى مَا أَكَادُ أُدَانَ (١)
وَحَتَّى سَأَلْتُ الْقَرْضَ عِنْدَ ذَوِي الْغِنَى وَرَدَّ فَالَانَ حَاجَتِي وَفَالَانَ
فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ . اللَّهُ الْمُسْتَمَانُ إِنَّا بَمَثْنَا إِلَيْكَ لِقَمَةً فَأَلَكْتُمَهَا حَتَّى انْتَزَعْتَ مِنْ
يَدَيْكَ فَأَيُّ شَيْءٍ لِلْأَهْلِ وَالْقَرَابَةِ وَالْجِيرَانِ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دَرَاهِمٍ أُخْرَى
فَقَالَ مَعْنَى بَمَدْحِهِ :

إِنَّكَ فَرَعٌ مِنْ قَرِيشٍ وَإِنَّمَا يَمِجُّ النَّدَى مِنْهَا الْبَحُورُ الْفَوَارِعُ (٢)
ثَوَّأَ قَادَةَ لِلنَّاسِ بِطَحَاءِ مَكَّةَ لَهُمْ فِي سَقَايَاتِ الْحَجَّيِجِ الدَّوَاغِ (٣)
فَلَمَّا دُعُوا لِلْمَوْتِ لَمْ تَبْكْ مِنْهُمْ عَلَى حَادِثِ الدَّهْرِ الْعِيُونُ الدَّوَامِعُ

ثم إن ابن عبد ربه ذكر نبذة من أخبار جود عبد الله بن جعفر، وجود سميد بن العاص، وجود عبید الله بن أبي بكر. وجود عبید الله بن معمر القرشي التيمي، وذكر جود جماعة كثيرة من أهل الطبقة الثانية من الأجداد وآتى من ذلك بما يستغرب ويوجب العجب ولا بدع فإن لهم أسوة بسيدهم بل سيد ولد عدنان وقحطان ونور حذقة عالم الإمكان، صلى الله تعالى عليه وسلم فإنه قد منح من السخاء والجود، ما فاق به حتى جاد بكل موجود، وآثر بكل مطلوب ومحبوب. ومات ودرعه مرهونة عند يهودى على آصع (٤) من شعير لطعام أهله، وقد ملك جزيرة العرب، وكان فيها ملوك وأقبال (٥) لهم خزائن وأموال، يقتنونها ذخراً، ويتباهون بها نخراً، ويستمتعون بها أشراً وبطراً، وقد حاز ملك

(١) نهكته أى صرفته حتى فنى (٢) هو مخروم ويروى وانك بالواو فلا خرم والفرع مستعار من فروع الشجرة وهى اغصانها والفوارع جمع فارع وهو العالى (٣) السقاية بالكسر الموضع يتخذ لسقى الناس، والحجيج جمع حاج (٤) آصع جمع صاع وهو يذكر ويؤنث مكيال (٥) أقبال جمع قيل وهو الملك أو من ملوك حمير يقول ماشاء فينفذ أو هو دون الملك الأعلى

جميعهم ، فما اتنى ديناراً ولا درهما ، لا يأكل إلا الجشْبُ^(١) ، ولا يلبس إلا الخشن ، ويمطى الجزل الخطير ، ويَصِلُ الجَمُ الفغير ، ويتجرع مرارة الإقلال ويصبر على سَبِّ^(٢) الاختلال ، وقد جاز غنائم هوازن ، وهى من السَّبِّ ستة آلاف رأس ، ومن الإبل أربعة وعشرون ألف بعير ومن الغنم أربعون ألف شاة ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ، فجاد بجميع حقه وعاد خلوًا .

روى أبو وائل عن مسروق عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت . ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بغيراً ولا أوصى بشيء . وروى عمرو بن مرة عن سويد بن الحارث عن أبي ذرّ قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ما يسرنى أن لى أحداً ذهباً أنفقته فى سبيل الله أموت يوم أموت وعندى منه دينار إلا أن أعده لغريم . وكان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا سئل وهو مُعْدم وَعَدَّ ولم يَرِدْ وانتظر ما يفتح الله . روى حماد بن زيد عن الملى بن زياد عن الحسن أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسأله فقال : اجلس سيرزقك الله . ثم جاء آخر ثم آخر فقال لهم : اجلسوا فجاء رجل بأربع أواق فأعطاه إياها وقال يا رسول الله هذه صدقة فدا الأول فأعطاه أوقيةً ، ثم دعا الثانى فأعطاه أوقيةً ، ثم دعا الثالث فأعطاه أوقيةً ، وبقيت معه أوقيةٌ واحدة فمرض بها للقوم فما قام أحد فلهما كان الليل وضهما تحت رأسه وفرشه عبأوه فجعل لا يأخذه النوم فيرجع فيصلى فقالت له عائشة يا رسول الله حل بك شيء ؟ قال لا قالت : فجاءك أمر من الله ؟ قال لا قالت إنك صنعت منذ الليلة شيئاً لم تكن تفعله فأخرجها وقال : هذه التى فعلت بى ما ترين لى خشيت أن يحدث أمر من الله ولم أمضها ، وروى الزهرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن ترك ديناً فعلى ومن ترك مالا فلورثته . فهل مثل هذا الكرم والجود كرمًا وجوداً ، أم لمثل هذا الإعراض والزهادة

(١) أى الغليظ من الطعام (٢) جوع

إعراضاً وزهداً ، هيئات هيئات هل يُدرك شأؤ^(١) من هذه شدور من فضائله ،
ويسير من محاسنه ، وهى التى لا يحصى لها عدد ، ولا يُدرك لها أمد ، وحقيق لمن
بلغ من الفضائل غايتها ، واستكمل لغايات الأمور آلتها ، أن يكون لزامة العالم
مؤهلاً ، وللقيام بمصالح الخلق موكلات .

وأما كونه العرب أقرب للحلم من غيرهم

فَلَأَنَّ الْحِلْمَ إِمْسَاكُ النَّفْسِ عَنْ هَيْجَانِ الْغَضَبِ كَمَا أَنَّ التَّحَلُّمَ إِمْسَاكُهَا عَنْ
قَضَاءِ الْوَطْرِ^(٢) وَالْحِلْمُ مِنْ آثَارِ الْعَقْلِ وَغَيْرِ مُنْفَكِّ عَنْهُ ، وَلِهَذَا يَمْبِرُ بِهِ عَنْ كُلِّ عَقْلٍ
ظَهَرَ فِعْلاً كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي ذِمِّ مَنْ لَمْ يَذْعَنْ لِلْحَقِّ عَلَى سَبِيلِ التَّمَجُّبِ مِنْهُمْ : أَمْ
تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا ؟ . وَمَتَى اسْتَعْمَلَ الْحِلْمُ فِي الْبَارِي تَعَالَى فَإِنَّمَا يَرَادُ الْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ
وَهُوَ الْعَفْوُ دُونَ انْفِعَالٍ يَمْرُضُ لَهُ . ثُمَّ إِنَّ الْعَقْلَ كَمَا كَانَ أَوْفَرَ كَانَ تَأْثِيرُهُ أَمَّ
وَأَثَرُهُ أَقْوَى وَأَحْكَمَ ، وَقَدْ سَبَقَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ غَزَاةِ الْعَقْلِ وَكَيْلِهِ ،
فَلَا شَكَّ أَنَّ مَوْثَرَاتِهِ كَذَلِكَ . وَقَدْ اشتهر العرب لا زالت مآثرهم تتلى على مدى
الدهور . وممر الأزمنة والمصور ، بكل ما يتم الحلم به فإن حلم الإنسان لا يتم
إلا بإمساك الجوارح كلها ، اليد عن البطش ، واللسان عن الفحش ، والعين عن
فضولات النظر . ومن دقق النظر فى شعرهم وخطبهم ، ووقف على لغتهم ،
تبين لديه كل ما ذكرناه ، فقد كانوا يجرمون الظلم ويتحالفون على الكف عنه
كما سيمر بك حلف الفضول ونحوه ، ويتناهون عن الفحشاء والمنكر ، ولغتهم
تسكنى عن كل ما يستقبح التصريح به تحرزاً من التلفظ بكلمة تأباها مروءتهم . وقد
أفرد الثعالبي كتاباً كبيراً فى كذاياتهم عما تنزه ألسنتهم عن التعبير به . وما
زالوا يتمدحون بالحلم فى شعرهم . ولو لم يكونوا بالغين فيه مبلغاً ما لهجوا به . قال
خلف بن خليفة مولى قيس بن ثعلبة يذكر قوماً من العرب ويمدحهم بالحلم ومكارم
الأخلاق وكرم السجية :

(١) السبق (٢) أى الحاجة ، يقال قضيت وطرى إذا نلت بغيتك وحاجتك

عدلتُ إلى نحر المشيرة والهموى
 إلى هَضْبَةٍ من آل شيبانٍ أشرفت
 إلى النفرِ البيضِ الألاءِ كأنهم
 إلى معدنِ العزِّ المؤيدِ والندى
 أحب بقاء القوم للناس أنهم
 عذابٌ على الإفواه ما لم يذقهمُ
 عليهم وقارُ الحلم حتى كأنما
 إن استجهلوا لم يمزب الحلمُ عنهمُ
 هم الجبل الأعلى إذا ما تناكرت
 ألم ترَّ أن القتلَ غالٍ إذا رضوا
 لنا فيهمُ حصنٌ حصينٌ ومقلٌ
 لعمري لنعمَ الحى يدعو صريحهم
 سعاة على إفناء بكر بن وائلٍ
 إذا طلبوا ذحلاً فلا الذحلُ فائت
 مواعيدهم فعلٌ إذا ما تكلموا

إليهمُ وفي تعداد مجدِّهم شُعْلُ
 لها الذرورة العلياء والكاهل العبلُ (١)
 صفائحُ يوم الروعِ أخلصها الصقلُ (٢)
 هناك هناك الفضلُ وألحق الجزلُ
 متى يظعنوا من مصرع ساعة يخلو
 عدوٌ وبالإفواه أسماؤهم تحلو (٣)
 وليدُهُم من أجل هيبته كهلُ (٤)
 وإن آثروا أن يجهلوا عظم الجهلُ (٥)
 ملوك الرجالِ أو تخاطرتِ البزلُ (٦)
 وإن غضبوا في موطنٍ رخص القتلُ
 إذا حرك الناس المخاوفُ والأزلُ (٧)
 إذا الجار والمأكول أرهقه الأكلُ (٨)
 وتبَّلُ أقاصى قومهم لهمُ تبَّلُ (٩)
 وإن ظلموا أكفاهم بطل الذحلُ (١٠)
 بتلك التي إن سميتُ وجب الفعلُ (١١)

(١) الهضبة : الجبل من صخرة واحدة ، والذرورة : أعلى شيء ، والكاهل : ما بين الكتفين ، والعبل : الضخم المتلوى يعنى بذلك بنى شيبان وكنى عنهم بالهضبة لأنهم ملجأ وحصن (٢) النفر : البيض الانقياء الأعراض ، والآلاء بمعنى الذين وما بعده صلة ، والصفائح : السيوف ، والروع : الفزع (٣) عذاب على الإفواه يريد أن طعمهم حلو في الإفواه ، وقوله ما لم يذقهم عدو معناه الأعلى أفواه الأعداء فان مذاقهم مر فيها وهذا كناية عن اللين والشددة وخشونة الجانب (٤) الكهل : من الرجال من جاوز الثلاثين (٥) لم يعزب : أى لم يبعد ، وآثروا اختاروا وفضلوا (٦) قوله تخاطرت البزل قال في التاج : يجوز أن يكون من الخطر الذى هو الوعيد ويجوز أن يكون من خطر البعير بذنبه اذا ضرب به انتهى ، والبزل جمع بازل وهو البعير الذى بلغ السنة التاسعة من عمره (٧) المعقل : الملحأ ، والأزل : الضيق والشددة (٨) أرهقه : ضيق عليه وغشيه (٩) التبَّل : الذحل والثار ، والأقاصى الأبعاد (١٠) الذحل : الثار (١١) بتلك أى بلفظ نعم يصفهم بالوفاء فيقول اذا قالوا نعم وجب الفعل فلم يتأخر

بجورٍ تلاقبها بجورٍ غزيرة إذا زخرت قيس وإخوتها ذهلٌ
وكانت عندهم كلمة تقال في مواطن الغضب والتشاجر فإذا سمعها أحدهم كف عما
كان يصدده من التشنق وأخذ الانتقام . وهي « إذا ملكت فأسجج » يقصدُ بها
طلب العفو والحلم عند ثوران القوة الغضبية ولو لم يكونوا أملكَ لنفوسهم ، وأقدرَ
على مجارة عقولهم ، لما تمككوا على الارتداع ، إذا قارنت تلك الكلمة
منهم السماع ، فهم أحلم في النفار من كل حلِيم ، وأسلم في الخصام من كل سليم ،
وإذا منوا بجفوة أحد لم يوجد منهم نادرة ، ولم يخفر عليهم ببادرة^(١) . ولا حلِيم
غيرهم إلا ذو عثرة ، ولا وقور سواهم إلا ذو هفوة . يصبرون على الأذى
والإقلال ، ويتحملون نغص العيش وضيق الحال ، وما كانت بينهم من الحروب
والمشاجرات ، والتخاصم والمنازعات ، فهي محاماة لشرفهم ، وصيانة لعزهم
ومنزلتهم ، ومحافظة على مجدهم أن يستذل ، وملاحظة على علوِّ حسبهم أن
يُستردل ، والحلم في غير موطنه ذلة ، والصبر على ما لا يُحمدُ زلة . هؤلاء رسل
الله صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم أكلُ الخلق في كل صفة محمودة ، وأعذب
الناهل المورودة ، قد انتصبوا لجهاد الأعداء ، وقاتلوا من زاعَ عن الحجَّة^(٢)
البيضاء ، حتى زاد بهم من قل ، وعز بهم من ذل ، وصادوا بإخائهم في الأعداء
منصورين ، وبالرعب منهم محذورين ، وهذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قد ضرب رِقابَ بنى قُرَيْظَةَ صبرا في يوم أحد ، وهم نحو سبعمائة^(٣) وانتقم منهم
انتقام من لم يعطفه عليهم رحمة ، ولا داخلتهم لهم رِقَّة ، وإنما فعل ذلك في حقوق
الله تعالى . وقد كانت بنو قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم أن من
جرت عليه المَوْسَى قتل ومن لم تجر عليه استرق فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم : هذا حكم الله من فوق سبعة أرقمة . فلم يجز أن يعفو عن حق وجب لله

(١) هي ما يبدر من حديثك من قول أو فعل . (٢) جادة الطريق .

لا في غزوة أحد كما توهم المؤلف .

(٣) هذه المذبحة حدثت بعد انصراف النبي عن الخندق في غزوة الاحزاب .

تعالى عليهم ، وإنما يختص عفوه بحق نفسه . روى أن قيس بن عاصم المنقري وهو أحد من يضرب به المثل في الحلم من العرب كان يحدث أصحابه يوماً وهو محتب إذ جاؤا بابن له فتيل ، وابن عم له كتيف . فقالوا . إن هذا قتل ابنك هذا ، فلم يقطع حديثه ولا نقض جبهته حتى إذا فرغ من الحديث التفت إليهم فقال أين ابني فلان ، فجاءه فقال يا بني قم إلى ابن عمك فأطلقه وإلى أخيك فادفنه وإلى أم القتييل فأعطها مائة ناقة فإنها غريبة لعلها تسلو عنه . ثم اتكأ على شقه الأيسر فأنشأ يقول :

إني امرؤ لا يعترى خلق دَسٌّ يُفَنِّدُهُ ولا أَقْنُ
من منقر في بيت مَكْرَمَةٍ والغصن ينبتُ حوله الغصنُ
خطباء حين يقول قائلهم بيضُ الوجوه مصابيحُ لُسُنُ
لا يفطنون لعيب جارهم وهم لحفظ جواره فُطْنُ

وكان الأحنف حليماً موصوفاً بذلك ، فمن حمله أنه أشرف عليه رجل وهو يعالج قدرأ له يطبخها ، فقال الرجل قدر ككف القرد لا مستعيرها يعار ، ولا من يأتيها يتدسم ، فقيل ذلك للأحنف فقال : لو شاء لقال أحسن من هذا . وقال ما أحب أن لي بنصيب من الذل حمر النعم ، فقيل له أنت أعزُّ العرب . فقال : إن الناس يرون الحلم ذلاً وكان يقول رب غيظ قد جرعتة مخافة ما هو أشدُّ منه . وكان يقول كثرة المزاح^(١) تذهب بالهيبة . ومن أكثر من شيء عُرف به . والسوؤد كرم الأخلاق وحسن الفعل . وقال له رجل : يا أبا بجر دلني على مَحْمَدَةَ بغير مَزْرِيَةٍ^(٢) . قال الخلق السجيج^(٣) . والكف عن القبيح . واعلم أن أدواء الداء اللسان البذيء ، والخلق الرديء . وأبلغ رجل مصعباً عن رجل شيئاً فأتاه الرجل يعتذر ، فقال مصعب : الذي بلغنيه ثقة . فقال الأحنف : حلا أيها الأمير فإن الثقة لا يبلغ . وكان الأحنف من أفصح خطباء العرب . ومن خطبه ما رواه

(١) المداعبة . (٢) المحمدة بفتح الميم تقيض المذمة ونص ابن السراج وجماعة على الكسر ، ومزرية مصدر زرى عليه أي عابه . (٣) لين سهل .

ابن دريد بسنده إلى رجل من بني تميم قال حضرت مجلس الأحنف بن قيس وعنده قوم مجتمعون في أمرهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الكرم ، منع الجرم ، ما أقرب النعمة . من أهل البني ، لا خير في لذة تمعّب ندما ، لن يهلك من قصد ، ولن يفتقر من زهد ، ربّ هزل عاد جدّاً . من أمن الزمان خانه ، ومن يعظم عليه أهانه . دعوا المزاح فإنه يرث الضغائن^(١) . وخير القول ما صدقه الفعل . احتملوا لمن أدل عليكم . واقبلوا عذر من اعتذر إليكم . أطع أخاك وإن عصاك . وصله وإن جفاك . أنصف من نفسك . قبل أن ينتصف منك . وإياكم ومشاورة النساء . واعلموا أن كفر النعمة لؤم . وصحبة الجاهل شؤم . ومن الهكرم الوفاء بالذم . ما أقبح القطيعة بعد الصلة . والجفاء بعد اللطف . والعداوة بعد الود . ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان . ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذل . واعلم أن لك من دنياك . ما أصلحت به مثواك . فأنتفق في حق ولا تكونن خازناً لغيرك . وإذا كان الغدر في الناس موجوداً . فالثقة بكل أحد عجز . اعرف الحق لمن عرفه لك ، واعلم أن قطيعة الجاهل ، تعدل منة العاقل . قال : فما رأيت كلاماً أبلغ منه . فقامت وقد حفظته . وأخبار حلما العرب والنوادر المروية عنهم بطرق صحيحة كثيرة وهي في كتب التواريخ والأدب .

وأما كونه العرب أشجع من غيرهم

فلأن الشجاعة من الصفات الفريزية ، والسجاي الطبيعية ، وقوة للنفس معنوية ، لا تدرك إلا بآثارها وغاياتها ، ولا تعلم إلا بمقتضياتها وعلاماتها ، وهي الإقدام في مواضع الإحجام . وعدم المبالاة . بالحياة ولا بالمات ، وكلما كانت هذه الآثار أعظم . كان مبدؤها أقوى وأتم . والعرب لم تزل رماحهم متشابكة ، وأعمارهم في الحروب متهاككة ، وسيوفهم متقارعة ، وأبطالهم في ميادين الفوغاء

(١) الاحقاد .

متنازعة . قد رغبوا عن الحياة . وطيب اللذات ، وزهدوا لتأييد عزمهم عن القيل
في أفياء الشهوات ، وهم كما قال القائل فيهم :

قوم إذا نزل الغريبُ بدارهم تركوه ربَّ صواهِلٍ وبيان^(١)
وإذا دعوتهمُ ليومِ كَرِيهَةٍ سدَّوا شِماعَ الشمسِ بالفرسان
لا ينكثون الأرض عند سؤالهم لتطلب العلات بالميدان^(٢)
بل يسفرون وجوههم فترى لها عند السؤال كأحسن الألوان
كانوا يبادحون بالموت قطعاً ، ويتهاجون بالموت على الفراش ويقولون فيه
مات فلان حتف أنفه . وعن بعضهم وقد بلغه موت أخيه : إن يُقتلُ فقد قُتِلَ أبوه
وأخوه وعمه ، إنا والله لا نموت حتفاً ولكن قطعاً بأطراف الرماح ، وموتاً تحت
ظلال السيوف .

وقال السموءل

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طلَّ منا حيثُ كان قتيل^(٣)
تسيل على حد الطُّبَاةِ نفوسنا وليست على غير الطُّبَاةِ تسيل^(٤)

وقال آخر

وإنا لتستحلي المنايا نفوسنا وتترك أخرى مرَّها فنذوقها

وقال الشنفرى

فلا تدفونى إن دفنى محرم عليكم ولكن خامرى أمَّ عامر^(٥)

- (١) القيان جمع قينة وهى الامة المغنية او اعم
(٢) النكت ان تضرب فى الارض بقضيب فيوشر بطرفه فيها ، وفى الحديث
جمل ينكت بقضيب . وفى المحكم النكت قرعك الارض بعود او باصبع .
(٣) يقال مات فلان حتف انفه اذا مات من غير قتل ولا ضرب ؛ وقوله
ولا طل منا الخ . اى لم يطل دم قتيل منا يقال طل دمه اذا بطل ولم يطلب
به وهو مطالول وقد طله فلان ابطله يقول انا لا نموت ولكن نقتل ودم القتيل
منا لا ييطل . (٤) الطُّبَاة جمع طبة وهى حد السيف .
(٥) قوله خامرى اى استترى وتوارى ، وام عامر كنية الضبع ، قال فى
فرائد الال : ام عامر وام عمرو وام عويمر الضبع يشبه بها الاحمق لانهم اذا
ارادوا صيدها رموا فى جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه
فتصاد عند ذلك ويقول الصائد لها خامرى ام عامر اى الجنى الى اقصى
مفارك واستترى فتنبض فيقول لها ام عامر ليست فى وجارها ثم يقول
ابشرى بجراد غطال وكمر رجال فتمد يديها ورجليها فيوثقها ويشد عراقبيها

إذا حملت رأسي وفي الرأي أكثرى
وغودرَ عند الملتقى ثم سائري^(١)
هنالك لا أبغى حياة تسرني
سجيس الليالي مُبَسَّلا بالجرائر^(٢)
وقال حسان بن ثابت

ولسنا على الأعقاب تدهي كلومنا
ولسكن على أعقابنا تقطرُ الدما^(٣)
وقال العلو

محرمة أكفال خيلي على القنا
ودامية لبآتها ونحوها^(٤)
حرام على أرماحنا طعن مدبر
وتندق منها في الصدور صدورها
وقال آخر

وسائلة بالغيب عني ولودرت
مقارعتي الأبطال طال نحيبها
إذا ما التقينا كنت أول فارس
يجود بنفس أثقاتها ذنوبها
وقال الحصين بن الحمام المري

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد
لنفسى حياة مثل أن أتقدما
وقال عمرو بن الاطنابة الانصاري

أبت لي شيمتي وأبي بلائي
وأخذى الحمد بالثمن الريح

فلا تتحرك ثم يجرها ويخرجها من قعر الوجار ، يضرب هذا المثل للذي يرتاع
من كل شيء جبنا وقيل غير ذلك

(١) ثم ظرف (٢) سجيس الليالي امتداده وسلاسته في الاتصال وهو اسم
فاعل سجيس والمبسل المسلم والجرائر : الجرائم (٣) الأعقاب جمع عقب وهو
مؤخر القدم ، والكلوم الجراح ، يقول لانولى فنجرح في ظهورنا فتقطر دملونا
على أعقابنا ولكن نستقبل السيوف فان أصابنا جراح قطرت على أقدامنا ،
والبيت من أبيات ثلاث ذكرت في الحماسة للحصين بن الحمام بن ربيعة المري
أحد شعراء الجاهلية وفرسانها المذكورين وأوفياؤها المعدودين وليس لحسان
ابن ثابت وهي :

تأخرت استبقي الحياة فلم أجد
لنفسى حياة مثل أن أتقدما
فلسنا على الأعقاب الخ

تعلق هامان من رجال اعنزة علينا وهي كانوا أعق وأظلمنا
وكان من خير هذه الأبيات أن بنى سهم رهط الحصين بن الحمام
وعقيل بن علفة كان لهم جار يهودى فقتلته بنو حوشن من غطفان وكانوا
متقاربى المنازل وكان عقيل بن علفة غائبا بالشام فلما بلغه الخبر كتب بأبيات
الى بنى سهم يحرضهم على القتال فلما وردت الأبيات عليهم تكفل بالحرب
الحصين بن الحمام وقال الى كتب وبنى نوه ، خاطب امائل سهم وأنا من امائلهم
فأبلى في تلك الحرب بلاء شديدا فقال هذه الأبيات من قصيدة طويلة
وسياتى طرف منها في الصفحات التالية

(٤) الاكفال جمع كفل محرقة المعجز أو ردفه واللبات والنحور بمعنى

- وإفدأى على المسكروه نفسى وضربى هامة البطل المشيخ (١)
وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي (٢)
لأدفع عن مآثر صالحات وأحيا بعد عن عرض صحيح
ونظير هذا قول قطري بن الفجاءة
وقولى كلما جشأت لنفسى من الأبطال ويحك لا تراى (٣)
فإنك لو سألت حياة يوم سوى الأجل الذى لك لم تطاعى (٤)
وقال عنتره وهو مما يشجع الجبان
بكرت تخوفى الحتوف كأنى أصبحت عن غرض الحتوف بمزل (٥)

(١) قوله البطل المشيخ أى المقبل مليك والمانع لما وراء ظهره (٢) هذا البيت من شواهد النحو يستشهد به على أن العرب جزمت بعد الظرف، يعنى الواقع اسم فعل وهذا معنى قول ابن مالك فى النبتة

والأمر أن كان بغير افعال فلا تنصب جوابه وجزمه اقبلا
قال فى التصريح فجزم تحمدي فى جواب اسم الفعل وهو مكانك فإنه فى معنى اثبتى وقولى مصدر مبتدا خبره مكانك تحمدي على حد قولى لا اله الا الله . وجشأت بالجيم والشين المعجمة غثت من الغشيان ، وقوله مبتدا الا ظهر أنه عطف على وضربى الخ ، ويقال أن معاوية (رض) يوم صفيين هم بالفرار فما منعه الا هذه الأبيات (٣) يروى بدل الشطر الأول من هذا البيت : (اقول لها وقد طارت شعاعا) أى اقول للنفس وقد طارت شعاعا أى متفرقة من الأبطال ويحك لا تراعى من الروع وهو الفزع ولكن تشجعى واصبرى (٤) بقاء يوم أى زيادة يوم والمعنى ان النفس اذا طلبت أن يفسح لها فى أجلها زيادة عن الأجل المسمى لها لا يجاب طلبها ، وبعد هذين البيتين :

فصبرا فى مجال الموت صبيرا فما نيل الخلود بمستطاع
ولا شوب البقاء بشوب عسر فيطوى عن أخى الخنع اليراع
أخو الخنع الذليل ، واليراع هنا الرجل الجبان الذى لا قلب له كأنه لا جوف له فوضع اليراع مكان الجبان لأنه بمعناه
سبيل الموت غاية كل حى فداعيه لأهل الأرض داعى
ومن لا يغتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون الى انقطاع
الاغتباط أن يموت من غير علة
وما للمرء خير فى حياة اذا ما عد من سقط المتاع
(٥) كانت العرب من عادتها تشرب ليلا فتسكر فتعطى وتهب حالة سكرها فاذا أصبحوا الامهم بالخلاء فهذا معنى بكرت الخ كما قال التبريزى ، والحتوف مصدر بمعنى الحتف وهو الموت ، وهو أيضا جمع حتف

فأجبتها إن النية منهل لا بد أن أسقى بكأس المنهل^(١)
فاقتنى حياءك لا أبالك واعلمى أنى امرؤ ساموت إن لم أقتل^(٢)

وقد خص العرب من الشجاعة في حروبهم ، والنجدة في مصابرة عدوهم ، ما شهدت به تواريخ الأمم ، واعترفت به ألسن العرب والمعجم . ومن راجع الكتب المؤلفة في أيامهم ، وسيرهم في سالف أعوامهم ، تبين لديه أنهم لم يشهدوا حرباً في فزاع ، إلا صابروا حتى انجلت عن ظفر أو دفاع ، وهم في موقفهم لم يزولوا عنه هرباً ، ولا حازوا فيه رغباً ، بل ثبتوا بقلب آمن ، وجأش ساكن ، وقيل لعنترة : كم كنتم يوم الفروق؟^(٣) قال : كنا مائة كالذهب لم نكثر فننكل^(٤) ولم نقل فنذل . وحيث كان العرب لا تقدم شيئاً على العز وصيانة العرض وحماية الحرم ، هانت عليهم نفوسهم دون ذلك . وقد اختار الغالب منهم سكنى البوادي على الحضر لما كان فقد المز فيه . والجبن إنما ينشأ من حب رغد العيش وطيب الحياة وعدم المبالاة بما يزرى بملو الحسب وأين ذلك منهم؟ وبهذا تعلم ما كانوا عليه من الشجاعة والإقدام على المهالك ، ولقد كابد منهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في تأليفهم واتحاد كلمتهم ما جاوز منه الحزام الطيبين^(٥) وسال منه عرق القربة^(٦) . وهذا شعرهم ينطق بما كانوا عليه من رسوخ القدم في هذا الميدان وعلو الهمة في هذا الباب ، ولا بأس بإيراد شيء منه ، فمن ذلك قول حيان بن ربيعة الطائي وهو أحد الشجعان المشهورين يفخر بقومه :

(١) المنهل بفتح الميم والهاء : المورد وهو عين ماء ترده - الأبل (٢) قنى الحياء : لزمه وحفظه كماقنى واقتنى وقنى بالتشديد (٣) هو يوم من أيام العرب الشهيرة (٤) الجبن والتأخر (٥) أى اشتد الأمر وتفاقم قال المبرد : فإن السباع والخيول يقال لمواضع الاخلاف منها اطباء يافتى واحدها طيبى كما يقال فى الظلف والخصف خلف هذا مكان هذا فإذا بلغ الحزام الطيبين فقد انتهى فى المكره (٦) كناية عن الشدة والمجهود والمشقة لأن القربة إذا عرقت خبت ريحها أو لان القربة مالها عرق فكانه تجشم محالاً أو عرق القربة منقمتها كأنه مجسم حتى احتاج الى عرق القربة وهو ماؤها يعنى السفر إليها أو عرق القربة سفينة يجعلها حامل القربة على صدره أو معناه تكلف مشقة كمشقة حامل قربة يعرق تحتها من ثقلها ، كما فى القاموس

لقد عَلِمَ القبائل أن قومي ذوُوجِدٍ إذا لُيسَ الحديد^(١)
وإنا نَعَمَ أحلاسُ القوافي إذا استمر التنافرُ والنشيد^(٢)
وإنا نضربُ الملاحءَ حتى تولى والسيوف لنا شهود^(٣)

وقال يحيى بن منصور الحنفي

وجدنا أبانا كانَ حلَّ ببلدَةٍ سيوى بين قيسِ عيَّلانَ والفزيرِ^(٤)
فلما نأتُ عنَّا العشيْرةُ كلَّها أنخنا فخالفنا السيوفَ على الدهر
فما أسلمتنا عندَ يومِ كَرِيهَةٍ ولا نحنَ أغضينا الجفونَ على وترِ^(٥)
وقال رجل من حمير في وقعة كانت لبنى عبد مناة وكلب على حمير
مَنْ رأى يومنا ويومَ بنى التَّيْمِ إِذِ التَّفَبَّ صِيْقَهُ بِدِمَةٍ^(٦)
لَّا رَأَوْا أَن يَوْمَهُمْ أَشْبَ شَدُّوا حَيَازِيْمَهُمْ أَلَّةَ^(٧)
كأنا الأسد في عرينهم ونحن كالليل جاش في فتنة^(٨)
لأيسلمونَ الفداةَ جارهمُ حتى يزلَ الشراكُ عن قَدَمِهِ^(٩)
ولا يخيمُ اللقاءَ فارسهمُ حتى يشقَّ الصُّفوفَ من كَرَمِهِ^(١٠)
ما برح التَّيْمُ يَعْتَزُونَ وَزُرُّ قُ الخَطِّ تُشْفِي السَّقِيمَ من سَقَمِهِ^(١١)

(١) المراد بالحديد الدروع (٢) يقال فلان جلس كذا أى ملازم له أى ويشهدون أيضا انا نعم اصحاب القوافي عند التفاخر والتناشد (٣) الملاحء : الكتيبة العظيمة (٤) سوى بمعنى متوسطة فى موضع جر صفة لبلدة والفزير لقب سعد بن زيد مناة (٥) الكريهة : الحرب ، أى فما خذلتنا فى يوم حرب ولا نحن اغضينا جفوننا على وتر وحقد يعنى انهم ادركوا كل ثار (٦) من رأى على معنى يامن رأى وهو تمام الوزن لأن البيت من المنسرح واليوم المراد به الوقعة والاستفهام الغرض منه التعجب ، والصيق : الغبار والتفاهة كان برشاش الدم القاطر من الجسراح (٧) اشب أى كثير الجلبة والأصوات ، والحيازيم : الصدور والمراد القلوب وهذا مثل لصبرهم على ما لحقهم (٨) كأنما الأسد أى كأنما هم الأسد فالأسد خير ويمتدا محذوف ، والعرين : مأوى الأسد ، والقتم : يطلق على الظلمة والغبار والمراد الظلمة (٩) حتى يزل الشراك فيه قلب والأصل زات القدم عن الشراك وهذا مثل لموته لأنه لا يلبسها بعده . (١٠) ولا يخيم اللقاء أى لايجب عن اللقاء فحذف الجار تخفيفا ووصل الفعل فعمل (١١) يعتزون أى ينتسبون ويدعون بالفلان ، وزرق الخط أى الرماح تشفى المتكبر من كبره وانما جعل الفعل للرماح على المجاز والسعة

حتى تولت جموعُ حميرٍ والفلُّ سريماً تهوى إلى أممة^(١)
وكم تركنا هناك من بطلٍ تسقى عليه الرياح في ليمه^(٢)
وقال حسان بن نشبة العدوي في ذلك^(٣)

نحن أجزنا الحيَّ وقد أنتَ لها حميرٌ تزجى الوشيحَ المقوماً^(٤)
تركنا لهم شقَّ الشمالِ فأصبحوا جيماً يزجون المطيَّ الحزماً^(٥)
فلما دنوا صلنا ففرقَ جمعهم سحابتنا تندى أسرها دماً^(٦)
فنادرنَ قبلاً من مقالٍ حميرٍ كأنَّ بخديه من الدم عندماً^(٧)
أمرَّ على أفواهٍ من ذاق طعمها مطاعنا يمججن صاباً وعلقماً^(٨)
وقال في ذلك أيضاً

إني وإن لم أفد حياً سواهم فداءً لثيمٍ يوم كلبٍ وحميراً^(٩)
أبوا أن يبجحوا جارهم لعدوهم وقد نثار نفع الموت حتى تكوثرأ^(١٠)
سموا نحو قبيلِ القوم يبيدونه بأسيا فيهم حتى هوى فتقطرا^(١١)
وكانوا كأنف الليث لاشم مرغماً ولا نال قط الصيد حتى تعفرا^(١٢)

(١) الفل مصدر وضع موضع المفعول ، والامم : القرب . (٢) موضع كم نصب على المفعولية من تركنا ويقال سفت الريح التراب حملته وذرنه ، واللمم جمع لمة والمراد بها ما تشعت من شعر الرأس . (٣) هو أخو بني عدى ابن عبيد مناة ، قال أبو محمد الاعرابي هذا الاسم تصحيف والصواب جناس بن نشبة التيمي والله اعلم . (٤) اجزنا الحي أي ادخلنا في جوازنا هذه القبيلة وكلبنا من الحي قبله ، وتزجى الوشيح المقوما أي تسوق الرماح المثقفة (٥) شق الشمال أي جانب الشمال والعرب تجعل الشمال كناية عن الشؤم ، والحزم الشد والقطع يقال شرك مخزوم أي مقطوع . (٦) يقال صال فلان على قرنه إذا أوقع به واستطال عليه حتى يذل له ، وسحابتنا أي جيشنا الذي كانه سحابة ، وتندى أي ترشح ، والاسرة : الاوساط والطرائق وتستعمل في بطون الاودية أيضا . (٧) قبلا من مقاولي حمير أي ملكا من ملوكهم ، والعندم : دم الاخوين وقيل البقم أي ابتدره بالسيوف حتى تركوه ساقطاً مضرجا بدمه . (٨) الصاب : عصارة شجر مر ، والعاقم شجر مر أيضا وقيل الحنظل . (٩) يقال فداء يفديه فداء وفدى اعطى شيئاً فانقذه . (١٠) الاباحة : التخلية بينك وبين الشيء ، والنقع : القبار ، وتكوثرأ : أي تراكم . (١١) القيل : الملك ومر تفسيره قريبا ويقال بادره وابتدره عاجله ، والتقطر : السقوط على احد القطرين أي علوا نحو الملك يعاجلونه حتى هوى أي سقط على احد جانبيه وفي الكلام اختصار كأنه قال ابتدره بالاسياف وضربوه حتى سقط . (١٢) كأنف الليث ضرب ذلك مثلاً للعزة والاباء لان الانسد احمى الحيوان أنفا والشم مجاز عن النوال ، والمرغم : الذل ، وتعفر من العفر محركا وهو التراب .

وقال في ذلك هلال بن رزين بن أحد بنى ثور بن عبد مناة بن أد

وبالبيداء لما أن تلاقى بها كلبٌ وحلَّ بها الندور^(١)
فحانت حميرٌ لما التقينا وكان لهم بها يومٌ عسير^(٢)
وأيقنت القبائلُ من جنابِ وعامرٍ أن سيمنعها نصير^(٣)
أجادت وبل مدجئة فدرت عليهم صوب سارية درور^(٤)
فولوا تحت قِطِطِها سِراعاً تكبهم المهنة الذكور^(٥)

وقال حصين بن حُمام المرّي

فقلت لهم يا آل ذبيان مالكم تفاقدم لائقدمون مقدما^(٦)
مواليكم مولى الولادة منهم ومولى اليمين حابسٌ قد تقسا^(٧)
وقلت تبين هل ترى بين ضارج ونهى الاكف صارخا غير أعجما^(٨)
من الصبح حتى تغرب الشمس لا ترى من الخيل إلا خارحيا مسوما^(٩)

(١) البيداء هنا موضع بعينه معروف وان زائدة يقول لما تلاقى قبيلة كلب وحمير بهذا المكان وحل به الندور أى سقطت الاقسام عن الحالفين لادراكهم الأوتار ونقض ما كان بين القبيلتين من العهود وجواب لما فى البيت بعده . (٢) فحانت حمير أى هلكت لان الدائرة أى الهزيمة كانت عليهم . (٣) جناب وعامر بطون من بنى كلاب وان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف والمراد بالنصير آخر البيت بنو التميم وانما نكره ليكون ابلغ فى تعظيم النصرة كانه أراد نصيرا من النصارى أى كامل فى معناه . (٤) أجادت : أرسلت ، والوبل : المطر الشديد العظيم القطر ، والمدجئة : المظلمة ، والصوب : نزول المطر ، والسارية : السحابة التى تأتى ليلا ، والدور : الكثيرة الدر وهو فاعل درت . (٥) القِطِط : صغار البرد شبه النبل النافذ اليهم بالقِطِط من السحاب . وتكبهم : تصرعهم ، والمهنة : السيوف ، والذكور جمع ذكر وهو الصلب المتين . (٦) جملة تفاقدم معترضة بين مائكم وبين لا تقدمون وهى دعاء عليهم بأن يفقد بعضهم بعضا والمقدم مصدر قدم بمعنى تقدم وضع موضع الاقدام أى التقدم والفعلان اذا انفقا فى المعنى جاز وضع مصدر احدهما موضع مصدر الآخر . (٧) المولى يطلق على معان كثيرة والشاعر فى هذا البيت قسم الموالى الى بنى عم وهم الذين سماهم مولى الولادة والى حليف وهو من انضم اليك معز يعزك وهو الذى سماه مولى اليمين لانه يقسم له عند الانضمام . (٨) ضارج : ماء لبني عبس ، ونهى الاكف : موضع والصارخ : المستغيث ، والاعجم : الذى لا يفصح . (٩) معنى البيت انه لا ترى من الصبح الى وقت المساء الاخيلا مسومة والمسوم الذى عليه سمة أى علامة يعرف بها يريد بذلك كثرة الخيل والرجال حتى يضيق بهم الفضاء .

عليهنَّ فَيُنَانُ كَسَاهُمْ مُحَرَّقٌ^(١) وكان إذا يكسو أجادَ وأكرما^(١)
 صفائحَ بَصْرَى أَخْلَصَتْهَا قِيُونُهَا^(٢) ومُطَرِّدًا من نسج داود مُهْمَا^(٢)
 ولما رأينا الصبرَ قد حِيلَ دُونَهُ^(٣) وإن كان يوماً ذا كواكبَ مُظْلِمَا^(٣)
 صَبْرُنَا وكان الصَّبْرُ مناسِجِيَّةً^(٤) بأسيافنا يَقْطَعْنَ كَفًّا ومِعْصَمَا^(٤)
 نُفَلِّقُ هَامًا من رجال أعزة^(٥) علينا وهم كانوا أعق وأظلمَا^(٥)
 ولما رأيتُ الوُدَّ ليس بنافَى^(٦) عَمَدْتُ إلى الأمر الذي كان أَحْزَمَا^(٦)
 فليست بمبتاع الحياة بَدَلَّةً^(٧) ولا مُرْتَقٍ من خشية الموت سلماً^(٧)
 وقال بشامة بن حزن^(٨)

ولقد غَضِبْتُ لِخَنْدِفٍ وَلِقَيْسِهَا^(٩) لما ونى عن نصرها خُدَّالها^(٩)
 دافعتُ عن أعراضها فمنعتها^(١٠) ولدى في أمثالها أمثالها^(١٠)
 إني امرؤُ أسِمُ القِصائِدَ لِلْعِدَى^(١١) إن القِصائدَ شرُّها إغفالها^(١١)

(١) محرق : هو احد ملوك لخم حرق قوما فسمى محرقا ولذلك خبر طويل لا يسعنا إيراده اضيق المقام ولكل مقام مقال . (٢) الصفائح : السيوف وهو مفعول كساهم في البيت قبله، وبصرى: موضع بالشام تباع فيه السيوف، والقيون جمع قين وهو الحداد، والمطرود: المتتابع النسيج ولم تجر العادة بقولهم كساه سيفا وانما جاز ذلك وحسن لان السيوف وقعت في صحبة الدروع والدروع تلبس كما تلبس الكسوة من الثياب، تدبر . (٣) وان كان يوما اسم كان يعود الى اليوم اى وان كان ذلك اليوم يوما ذا كواكب مأخوذ من قولهم اراه الكواكب نهارا وهو شيء نطقوا به في الدهر الأول يريدون بذلك شدة الامر وعظم الخطب . (٤) السجية : الطبيعة ، والمعصم : السوار من الساعد . (٥) نفلق اى نشق ، والهام جمع هامة وهي الرأس والكتاب كثيرا ما يفلطون في هذا من ذلك قول بعضهم : « كلل هامة الشيب » اى راسه ولا يخفى ما فيه من الخطأ والعدول عن الصواب ، فتنبه ، والعقوق ضد البر وأغلب ما يستعمل في الولد مع والده . (٦) كان آخر ما جعل الحزم للامر كما جعل له العزم في قوله تعالى : « فاذا عزم الامر » . (٧) بمبتاع الحياة اى بمشتريها . (٨) هو احد بنى نهشل بن دارم والظاهر أنه اسلامى ، قال البغدادي ولم ار له ترجمة في كتب الانساب . (٩) خندف لقب ليلى امرأة الياس بن مضر بن نزار وقيس هو قيس عيلان بن مضر ، وونى : فتر .

(١٠) يقول دافعت عن عزمهم ومجدهم ومنعت أعراضهم ان تبتذل ولدى في امثال هذه القبائل امثال هذه النصرة . (١١) الاغفال جمع غفل بضم الغين المعجمة وهو الخالى من العلامة يريد ان شر الشعر ما لا يعرف ويشتهر .

قوى بنو الحرب العوان بجمعهم والمشرقية والقننا إشعالها^(١)
مازال معروفاً لمرّة في الوغى علّ القننا وعليهم إيهالها^(٢)
من عهد عادٍ كان معروفاً لنا أسرُ العداة وقتلها وقتالها^(٣)
وقال شريح بن قرواش العبسي وكان من أشهر الفرسان
لما رأيت النفس جاشت عكرتها على مسجلٍ وأى ساعة معكر^(٤)
عشية نازلتُ الفوارس عندهُ وزلّ سناني عن شريح بن مسهر
وأقسمُ لولا درعُهُ لتركته عليه عوافٍ من ضباع وأنسر^(٥)
وما غمرات الموت إلا نزالك الكميّ على لحم الكميّ المقطر^(٦)
وقال عباس بن مرداس السلمى وهى من المنصفات
فلم أرَ مثل الحىّ حياً مُصبّحاً ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا^(٧)
أكرُّ وأحمى للحقيقة منهمُ وأضربُ منا بالسيوف القوانسا^(٨)
إذا ماشدنا شدّةً نصبوا لنا صدور المذاكى والرماح المداعسا^(٩)
إذا الخيل جالت عن صريحٍ نكرها عليهم فما يرجعن إلا عوابسا^(١٠)

(١) الحرب العوان التى قوتل فيها مرة بعد مرة ، والمشرقية : السيف ،
والقننا : الرماح ، والاشعال : الاضرام وهو على حذف مضاف اى والمشرقية
والقننا ذوات اشعالها . (٢) العل من عل اذا سقاه ثانيا والانهال من انهاله اذا
سقاه اولا وانما قال وعليهم انهالها كانه يجعل ذلك واجبا عليهم والمراد بهذا
الافخاخ فى العدو والفتك به . (٣) من هنا بمعنى مذ وانما وضعت موضع
مذ لقوتها وكثرة تصرفها وتمكنها فى باب الجر ، يقول ان ما اختص بنا من
أسر الملوكة وقتلهم ومحاربتهم امر معروف قديم من عهد عاد . (٤) يقال عكر
على الشئ كز وانصرف ، ومسجل اسم رجل ، واى ساعة معكر برفع اى
على انه مبتدأ والخبر محذوف والتقدير واى ساعة معكر تلك الساعة والمراد
بهذا التهويل ، وعشية ظرف لعكرتها وانما زل سنان رمحه عن شريح وسام
منه لان شريحا كان لابساً درعا تحت ثيابه . (٥) العوافى جمع عاف وهو
طالب المعروف وهو هنا مجاز عن تعريقها اى الطيور له ووقوعها عليه .
(٦) الغمرات الشدائد والكمى . الشجاع ، والمقتر : الساقط على احد
قطريه الى جانبيه وقد مر تفسيره قريبا . (٧) قوله مثل الحى حياً يريد به
قوما معهودين وحيا مصبحا تمييز له والمصبح الذى يغار عليه وقت الصباح
(٨) النصف الاول من هذا البيت يرجع الى اعدائه وهم بنو اسد ، الثانى
يرجع الى عشيرته ، والقونس اعلى بيضة الحديد . (٩) المذاكى جمع مذك
وهى الخيل النامة السن الكاملة القوة والمداعس من الدعس وهو فى الاصل
الدفع ويستعمل فى الطعن . (١٠) جالت عن صريح اى دارت عنه .

وقال أبو الأبيض العبسي من أبيات

وذى أمل يرجو تُراثي وإنَّ ما يصيرُ له منى غداً لقليل^(١)
ومالي مالٌ غيرُ درعٍ ومِغْفَرٍ وأبيضُ من ماء الحديد سقيم^(٢)
وأُسْمُرُ حَظِّي القناة مُتَقَفٌ وأجردُ عُريَانُ السراةِ طويل^(٣)
أقيه بنفسي في الحروب وأتقى بهاديه إني للخليل ووصول^(٤)

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي

معاذ الإله أن تنوحَ نساؤنا على هالكٍ أو أن تضحَّ من القتل^(٥)
قِرَاعُ السيفِ بالسيفِ أحلَّنَّا بأرضِ براحِ ذى أراكِ وذى أثل^(٦)
فما أبقتِ الأيامُ مِلْمالٍ عندنا سوى جِذْمِ إِذْ وادٍ مُحْدَفَةِ النسل^(٧)
ثلاثةِ أثلاثٍ فَأَتَمَّامٌ خيلنا وأقواتنا وما نَسوقُ إلى القتل^(٨)

وقال بعض بني قيس بن ثعلبة

دعوتُ بني قيس إلى فشمِرتِ خنازيدُ من سَعْدٍ طوالِ السواعدِ^(٩)
إذا ما قلوبُ القومِ طارت مخافةً من الموتِ أرسوا بالنفوسِ المواجدِ^(١٠)

(١) وذى أمل أى ورب ذى أمل ، والتراث : الميراث ، وما موصول بمعنى الذى فلذلك كتب مفصلاً من أن ، تنبه . (٢) المغفر زرد ينسج على قدر الرأس ، والأبيض : السيف . (٣) الأسمر : الرمح ، والأجرد من الخيل القصير الشعر ، والسراة : الظهر . (٤) هادى الفرس صدره وعنقه . (٥) قوله معاذ الإله أى اعوذ بالله معاذاً يصف شدة صبرهم فى المصائب . (٦) قراع السيف على حذف مضاف أى قراع أصحاب السيف والمقارعة مضاربة القوم فى الحرب والأصل فى البراح الأرض التى لا بناء فيها ولا عمران ، والأراك والأثل : نوعان من الشجر ينبتان فى السهل أكثر ، ومعناه انهم نزأوا بأرض لا هضاب فيها ولا جبال يتمنعون بها . (٧) ملمال أى من المال ، والجذم : الأصل والأذواد جمع ذود يقع على ما دون العشرة من الأبل ، والمحدفة : المقطوعة . (٨) ثلاثة أثلاث خبر لمبتدا محذوف وما بعده تفسير له وتفصيل كأنه قال اموالنا ثلاثة أثلاث ثلث نشترى به الخيل وثلث نشترى به اقواتنا وثلث نعطينه فى الديات . (٩) الخنازيد : فحول الخيل ويستعمل فى الشجيمان كما هنا . (١٠) ارسوا : اشتوا ومفعوله محذوف كأنه قال اثبتوا قلوبهم بالنفوس الكريمة ، والمواجد جمع ماجدة .

وقال حجر بن خالد

وجدنا أبانا حلًّا في المجد بيتهُ وأعياء رجالاً آخرين مطالعهُ (١)
 فن يَسَعُ منا لَمْ يَنْلُ مثل سَعِيهِ ولكن متى ماير تحلُّ فهو تابعهُ
 يسُودُ ثُنَانًا من سوانا وبدُونَا يسُودُ معدًّا كلها لاتُدافِعُهُ (٢)
 ونحن الذين لا يروَعُ جارُنَا وبعضُهُمُّ للقَدَرِ صُمٌّ مسامِعُهُ
 نُدْهِقُ بَضْعَ اللحم للباع والنَدَى وبعضُهُمُّ تَغْلَى بدمٍ مناقِعُهُ (٣)
 ويَحْلِبُ ضِرْسُ الضيفِ فينا إذا شتَا سديف السنام تسترِيه أصابعُهُ (٤)
 منعنا حمانا واستباحَتِ رماحنا حَمِي كلِّ قومٍ مُستَجِيرِ مراتِمُهُ (٥)

وقال الرقاق بن المنذر بن ضرار الضبي

إذا المَهْرَةُ الشَّقْرَاءُ أدركَ ظهْرُها فشبَّ الإلهُ الحربَ بين القبائلِ (٦)
 وأوقدَ ناراً بينهمِ بضرامِها لها وهجٌ لا مُصْطَلِي غيرُ طائلِ (٧)
 إذا هلمتني والسلاحَ مُشِيحَةً إلى الروعِ لم أصبِحْ على سلمٍ وائلِ (٨)
 فدىً لِفَتَى ألقى إلى برأسها تِلَادِي وأهلى من صديقٍ وجاملِ (٩)

وقال أبو الغول الطهوي في قوم من العرب

فَدَتِ نَفْسِي وما مَلَكْتُ يَمِينِي فوارِسَ صدقتُ فيهم ظُنُونِي

(١) البيت لا يحل في المجد وإنما المجد يحل فيه ولكنه رمى بالكلام على السعة والمجاز ، وأعياء أعجز ، والمطالع : المذاهب والمسالك . (٢) الثنى من يكون دون الرئيس لكنه يليه في الرتبة مثل ولي العهد في الإسلام والبدء السند المتقدم في السيادة الغير المدفوع عنها . (٣) الدهدقة : صوت القدر عند غليانها ، والبضع جمع بضعة وهي القطعة من اللحم ، والباع مثل للشرف والعز ، والمناقع : قدور صفار من حجر . (٤) قوله إذا شتأ أي إذا دخل في الشتاء وهو الجذب ، والسديف : شحم السنام ، تستريه أي تختاره . (٥) الحمى ما يحميه الإنسان ويدافع عنه ، والاستباحة هنا جعل الشيء مساحا غير ممنوع والهاء في مراتعه ترجع إلى الحمى . (٦) المهرة : ولد الفرس ، والشقراء : الحمراء ، وأدرك ظهرها من أدرك الثمر إذا أمكن الانتفاع به ، فشبب الإله الحرب أي أوقدها وهذا دعاء (٧) الضرام : دقاق الحطب ، والوهج : الاشتعال ، والطائل : النافع . (٨) المشيحة : الفرس القوى الحذر ، والروع : الحرب . (٩) ألقى إلى برأسها أي وهبها لي ، والتلاد : المال القديم والصديق تفسير للأهل ، والجامل أي الجمال وهي الأبل تفسير للمال القديم .

فوارسَ لا يَمَلُونِ النَّايَا إذا دارتَ رَحَى الحربِ الزَبُونِ (١)
 ولا يَجْزُونَ من حَسَنِ بَسِيءٍ ولا يَجْزُونَ من غِلْظِ بَلِينِ
 ولا تَبَلَى بَسَالَتُهُمْ وإن هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينِ (٢)
 هُمْ مَنَمُوا حِمَى الوَقْبَى بِضَرْبِ يُؤَلَّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ المَنُونِ (٣)
 فَسَكَبَ عَنْهُمْ دَرءُ الأَعَادَى ودَاوُوا بِالْجَنُونِ من الجُنُونِ (٤)
 ولا يَرَعُونَ أكنافَ الهَوَيْنى إذا حَآوُوا ولا أَرْضَ المَهْدُونِ (٥)

وقال ربيعة بن مَرُومِ الضبي

ولقد شَهِدْتَ الخَيْلَ يَوْمَ طِرَادِهَا بِسَلِيمِ أَوْظِفَةَ القَوَائِمِ هَيْسَكَلِ (٦)
 فدَعَوْا نَزَالَ فَسَكَنْتُ أَوَّلَ نَازِلِ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لم أَنزِلِ (٧)
 وألِدٌ ذى حَتَقٍ عَلَى كَأَنَّمَا تَعَلَى عداوَةٌ صَدْرِهِ فى مِرْجَلِ (٨)
 أَرْجِيئُهُ عَنى فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَوَاطِرِ من عِلِّ (٩)

وقال بعضُ بنى قيسِ بنِ ثعلبة (١٠)

(١) رحى الحرب : حومتها ومعظمها وهذا على المجاز لأن الحرب تحطم الرجال وتكسرهم كما تفعل الرحى . والزبون بفتح الزاى فى الأصل الناقة التى تزبن حالبها وتدفعه شبهت الحرب بها لأنها تدفع الرجال لشدة هولها (٢) البسالة الشجاعة (٣) الوقبى كجمزى اسم ماء لبنى مازن ، والأشتات جمع شت وهو المتفرق ، والمنون : الموت (٤) قوله فنكب معناه نحى وحول ، والدرء أصله الدفع ثم استعمل فى الخلاف لأن المختلفين يدافعان يعنى أن الضرب نحى وحول عن هؤلاء القوم اعوجاج الأعدى وخلافهم ، وقوله دأواوا بالجنون من الجنون أى داواوا الشر بالشر كما قالوا أن الحديد بالحديد يفلح فالجنون كناية عن الشر (٥) الأكناف : النواحى ، والهوينى : الدعة والخفض تصغير الهونى مؤنث الأهون ، والهدف السكون والصلح (٦) الأوظفة جمع وظيف ، وهو مستدق الدراع والساق من الخيل وغيرها ، والقوائم : الأرجل والهيكل العظيم وصف به الفرس (٧) نزال اسم فعل بمعنى انزل والمعنى أنهم تنادوا عند الحرب وقالوا نزال فكننت أول النازلين ولأى شيء أركب فرسى إذا لم أنزل عند دعائى للنزال (٨) الألد الشديد الخصومة والجمع لد بضم اللام ، والحنق : الغيظ ، والمرجل : القدر بكسر القاف تكون من نحاس (٩) أرجيئته : آخرته وصرفته ، قال أبو الفتح أكثر من نرى يروى هذا البيت أرجيئته بالراء فإذا تعالى شيئاً رواه أرجائه بالهمز وكلاهما تصحيف وإنما هو أوجبته بالواو أى أذلتته وقهرته ، فوق النواظر أى بين الجبين والنواظر (١٠) هو بشامة بن حزن النهشلى وليس له ترجمة فى كتب الأنساب التى بأيدينا والظاهر أنه اسلامى .

إِنَّا مُحْيِيُونَكَ يَا سَمَى فَحَيِّينَا
 وَإِن دَعَوْتَ إِلَى جُلِّيٍّ وَمَكْرَمَةٍ
 إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدْعِي لِأَبٍ
 أَنْ يُتَدَّرَ غَايَةٌ يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ
 وَلَيْسَ يَهْشَلُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا
 إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْفُسَنَا
 بِيَضٍّ مَفَارِقُنَا تَغْلَى مَرَاجِلُنَا
 إِنِّي لَمَنْ مَعَشَرَ أَفْنَى أَوْائِلِهِمْ
 لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَا
 إِذَا الْكِبَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَصِيبَهُمْ
 وَلَا تَرَاهُمْ وَإِنْ جَلَّتْ مَصِيبُهُمْ
 وَزَكَبُ الْكُرْهِ أَحْيَانًا فَيَقْرِجُهُ

وَقَالَ وَذَلِكَ بَنِي تَمِيمِ الْمَزَنِيِّ
 رُوِيَ بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ تَلَقَّوْا غَدَاً خَبَلِي عَلَى سَفَوَانَ (١٣)

(١) فحيينا من التحية بمعنى السلام (٢) الجلي تانيث الاجل ، والسراة : كرام الناس (٣) بنى نهشل منصوب على الاختصاص ولو رفعه لقال انا بنو نهشل ، ومعنى لا ندعى لاب لاننسب لاب غير ابينا ، وقوله ولا هو الخ معناه انه راض بنا كما نحن راضون به ، وقوله بنى نهشل يعني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم (٤) يقال ابتدرنا الغاية والى الغاية اى استبقنا اليها ، وقوله المكرمة اى لاكتساب مكرمة ، والمصلى من اسماء خيل الحلبة التى تخرج للسباق وهى عشرة على قول وقد ذكر ذلك المصنف فى الجزء الثانى مفصلا (٥) الافتلاء : الانتظام والاخذ عن الام (٦) الروع : الحرب ، والالف فى اغلينا الاشباع (٧) بياض المفارق كناية عن نقاء العرض وانشفاء الدم والعيب ، وتغلى مراحلنا اى حروبا ، وقوله ناسوا اى نداوى (٨) الكماة جمع كام كما يقال غاز وغزاز وذلك من قولهم كمن نفسه فى السلاح اذا توارى فيه (٩) خالهم اى ظنهم معناه انهم لشدة باسهم وقوة حماستهم لايعترفون بشجاعة غيرهم (١٠) الظباة جمع ظبة وهى حد السيف ، وقوله وصلناها بايدينا هذا الكلام كناية عن علو همتهم فى الحرب وطول باعهم فيها (١١) البكاة جمع باك (١٢) الكرة : المكروه وركوبه كناية عن وقوعهم فيه وقصدهم اليه ، والحفاظ : المحافظة والذب عن المحارم : وقوله واسياف تواتينا اى توافقتنا (١٣) رويد تصغير الرود بالضم اى التمهل والرفق ويكون لوجوه

تلاقوا جياداً لا تحيد عن الوعى اذا غدت في المأزق المتداني^(١)
 عليها الكفة الفر من آل مازن ليوث طمان عند كل طمان^(٢)
 تلاقوهم فتعرفوا كيف صبرهم على ماجت فيهم يد الحدان^(٣)
 مقاديمهم وصلون في الروع خطوهم بكل دقيق الشفرتين يمان^(٤)
 اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لآية حرب أم باي مكان^(٥)
 وقال بعض بني تميم الله بن ثعلبة

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها فطمت تحت كنانة المتمطر^(٦)
 ونطعن الأبطال عن أبنائنا وعلى بصائرنا وإن لم تبصر
 ولقد رأيت الخيل شلن عليكم شول المخاض أبت على التغير^(٧)
 وقال عامر بن الطفيل

طلقت إن لم تسألني أي فارس حليلك إذ لاق صداء وخمعا^(٨)
 أكره عليهم دعلجا ولبانه إذا ما اشتكى وقع الرماح تحمحا^(٩)

لوجه أربعة اسم فعل نحو رويد زيدا أي أمهله ، وصفة نحو ساروا سيرا رويدا : وحالا نحو سار القوم رويدا ، ومصدرا كما هنا نحو رويد بني شيبان : وقوله بعض وعيدكم انتصب بفعل مضمحل دل عليه رويد واستعمال الرفق فيه كف عن بعض الوعيد ، وسفوان : اسم ماء على أميال من البصرة .
 (١) تلاقوا بدل من تلاقوا في البيت قبله ، والجياد : الخيل ، والوعى : الحرب ، والمأزق : المضيق . (٢) الفر : بيض الوجه ، والليوث : الأسود . (٣) الحدان : الحوادث . (٤) المقاديم جمع مقدم وهو الكثير الاقدام في الحرب ، والروع هنا الحرب ومعنى رقيق الشفرتين ماضي الحدين ، واليمان : السيف المطبوع من حديد اليمن . (٥) الاستنجد : الاستنصار .
 (٦) أراد بالخيل من عليها من الرجال ، والكنانة التي يجعل فيها السهام وأهله يريد ما تحتها حين حملها يشير بذلك الى مقتله . (٧) شلن عليكم من شال الفرس بذنبه يشول شولا أي رفعه عند الجري ، والمخاض : النوق الحوامل ، والغبر بالثشديد البقية من اللبن في الضرع . (٨) طلقت يخلل أن يكون دعاء أو اخبارا ، وحليل امرأة زوجها ، وصداء ختم قبيلتان تانا مع من أراد قتال بني عامر في ذلك اليوم . (٩) دعلج اسم فرسه ، واللبان اسم لما جرى عليه اللب من المصدر ، والتحمم : التصويت دون الصهيل وهذا البيت معيب من جهة نصب اللبان ورفعها أما عيبه من جهة النصب فهو ذكر اللبان بعد قوله أكره عليهم دعلجا لانه اذا كره فقد كر جميع جسده وأما عيب الرفع فهو جعل التحمم للبان وانما هو للفرس والصواب بدل هذا البيت :

أقدم فيهم دعلجا وأكره اذا كرهوا فيه الرماح تحمحا

وقال حريث بن عئاب النهائي

تَمَلُّوا أَفْخِرَ كَمْ أَغْيَا وَفَقَعَسُ^(١) إِلَى الْمَجْدِ أَدْنَى أُمِّ عَشِيرَةٍ حَاتِمِ^(٢)
إِلَى حَكَمٍ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ فَيَصِلِ^(٣) وَأَخْرَ مِنْ حَيِّ رِبِيعَةَ عَالِمِ^(٤)
ضَرَبْنَا كُمْ حَتَّى إِذَا قَامَ مَيْلَكُمْ ضَرَبْنَا الْعِدَا عَنْكُمْ بِيضِ صَوَارِمِ^(٥)
فَحَلُّوا بِأَكْنَانِي وَأَكْنَانِي مَعْشَرِي أَكُنْ حِرْزَ كُمْ فِي الْمَاقِطِ الْمُتَلَاخِمِ^(٦)
قَدْ كَانَ أَوْصَانِي أَبِي أَنْ أَضِيفَكُمْ إِلَى وَأَنْهَى عَنْكُمْ كُلَّ ظَالِمِ^(٧)

وأمثال هذا الشعر مما يدل على شجاعتهم وبسالتهم قد امتلأت منه بطون الكتب الأدبية وغرضنا نقل شيء منه يؤيد ما ادعينا به فيهم وهو كاف في المقصود وافٍ بالمرام .

بعض من ضرب بشجاعته المثل من عرب الجاهلية

إن العرب كانوا في الشجاعة على ما ذكرناه من المنزلة التي لا تطاول وقد قامت الدلائل الواضحة والبراهين الجلية على ذلك فاستحق كل منهم أن يُضْرَبَ به المثل ، ويُنَوَّهَ بِشَأْنِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، غير أن كتب الأمثال والوقائع اقتصر فيها على ذكر من شاع أمره على ألسنة الشعراء واشتهر بين القبائل . ونحن نذكر بعض ذلك ، حرصاً على تنشيط المطالعين . وتطرية لسماع السامعين . منهم :

خالد بن جعفر بن كلاب العاصري

ومن حديثه أن هوازن كانت لاترى زهير بن جديمة الاربا وهوازن يومئذ لاخير فيها ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد فهم « أدلُّ من يدٍ في رَحْمِ^(٦) »

(١) بنو اعياء بن طريف بن عمرو واحد بنى اسد ، وفقعس حى من بنى اسد واسد وطىء حليفتان يقول هلم اماجدكم اعياء وفقعس اقرب الى المجد ام عشيرة حاتم . (٢) اراد بالحكم من قيس عيلان هرم بن قطبة وبالحكم من حى ربيعة دغفلا النسابة وحيا ربيعة ذهل بن شيان وذهل بن ثعلبة . (٣) قام ميلكم بمعنى تقوم فتركتم الخلافة ، والبيض الصوارم : السيوف القواطع . (٤) الماقت : المضيق في الحرب . (٥) اضيفكم : اضمكم . (٦) يراد الضعف والهوان وقيل يد الجنين وقيل المعنى ان صاحبها يتوقى ان يصيب شيئا .

إنما هم رعاء الشاء في الجبال وكان زهير يَعْشِرُهُمْ^(١) فكان إذا كان سوق عكاظ
أتاها زهير فتأتى هوازن بالإتاوة^(٢) التي في أعنابهم فيأتونه بالسَّمْن والأفِط^(٣)
والنعم فجاءت عجوز من هوازن بِسَمْنٍ في نَحْيٍ^(٤) واعتذرت إليه وشكت السنين
التي تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدفعها بقوس كانت في يده فسقطت
فبذت عورتها ففَضِبَتْ من ذلك هوازن وحقدته إلى ما كان في صدرها من الغيظ
وكانت قد كثرت عامر . فعلى خالد بن جعفر فقال والله لأجعلن ذراعى وراء عنقه
حتى أقتل أو أقتل ، وفي ذلك قال :

أريغوني إراغتكم فإني وحذفة كالشجا تحت الوريد^(٥)
مُقرَّبةٌ أو أسبها بنفسى وألحقها ردأى في الجليد
لعل الله يقدرني عليها جهاراً من زهير أو أسيد

وانفق نزول زهير بالقرب من أرض بني عامر . وكانت تماضر بنت عمرو
ابن الشريد امرأة زهير بن جذيمة وأم ولده فر به أخواها الحرث بن عمرو فقال
زهير لبنيه : إن هذا الحمار طليعةٌ عليكم فأوثقوه فقالت أخته لبنيها : أيزوركم
خالكم فتوثقونه ، ثم حلبوا له وطبوا^(٦) من لبن وأخذوا منه يمينا أن لا يخبر عنهم
فخرج حتى أتى بني عامر فأخبرهم فركب خالد بن جعفر ، وحندج بن البكاء ،
ومعاوية بن عباد ، وثلاثة من فوارس بني عامر ، واقتصوا فرأوا إبل بني جذيمة

(١) يعشروهم من باب ضرب أخذ عشر أموالهم . (٢) بالكسر الخراج .
(٣) يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يوصل وهو بفتح الهمزة
وكسر القاف وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة وكسرها مثل
تخفيف كبد . (٤) نحى بكسر النون وسكون الحاء سقاء السمن .
(٥) أريغوني إراغتكم أى اطلبوني طلبتكم وفي رواية اللسان فمن يك سائلا
عنى فإني . وحذفة كالشجا النخ وحذفة فرس خالد بن جعفر بن كلاب من
نسل مذهب أصابها من جده رياح ابن الأشل الغنوي وكانت أمة خبيثة بنت
رياح ، قال أبو عبيد وهو الشقراء التي يقال في المثل شيئا ما يريد السوط
إلى الشقراء ، والوريد أو جبل الوريد عرق تزعم العرب أنه من الوتين وهما
وريدان مكتنفان صفحتي العنق مما يلي مقدمه غليظان ، والجليد الضريب
والسقيط وهو ندى يسقط من السماء فيجمد على الأرض تقول منه جلدت
الأرض فهي مجلودة ، والشجا ما ينشب في الحلق .
(٦) الوطب : سقاء اللبن وهو جلد الجذع فما فوقه .

فزلوا عن الخيل . فقالت النساء إنا لنرى غابة رماح بمكان ما كنا نرى به شيئاً
ثم جاءت الرعاء فخبرت بهم وأتى أسيد أخاه زهيراً فأخبره بالخبر وقال قد رأيت
راعيتي خيل بنى عامر ورماحها فقال زهير « كل أزبٌ نفور »^(١) فذهبت مثلاً .
وكان أسيد كثير الشعر قال فتحمل عامة بنى رواحة وحلف زهير لا يبرح مكانه
حتى يُصبح وتحمل من كان معه غير ابنيه ورقاء والحرث فلم يشعر إلا والخيل
أحاطت به قال زهير وظنهم أهل اليمن يا أسيد ما هؤلاء ؟ قال : هم القوم الذين
تنضب في شأنهم منذ الليلة ، قال : وركب أسيد فرسه ونجا ووئب زهير على
فرسه القمساء ، وكانت متمردة فلحقه خالد راكباً فرسه حدقة . وهو يقول
لا نجوت إن نجا زهير ، فاعتنق خالد زهيراً ، وخرّاً عن فرسيهما ووقع خالد فوق
زهير واستغاث بينيه ، فأقبل إليه ورقاء بن زهير فضرب خالداً ثلاث ضربات فلم
ينغ شيئاً ، وكان على حندج درعان . ثم ضرب حُندج رأس زهير فقتله . وفي ذلك
يقول ورقاء بن زهير :

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كُلِّكَ خَالِدٌ فَأَقْبَلْتُ أَسْمَى كَالْمَجْجُولِ أَبَادِرُ^(٢)
إِلَى بَطْلَيْنِ يَهْتَصَانِ كَلَاهَا يَرِيدَانِ نَصْلَ السِّيفِ وَالسِّيفِ دَائِرُ^(٣)
فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبَ خَالِدًا وَيَسْتَرُهُ مَنَى الْحَدِيدِ الْمَظَاهِرُ
فِيَالَيْتِ أُنَى قَبْلَ ضَرْبَةِ خَالِدٍ وَيَوْمَ زُهَيْرٍ لَمْ تَلِدْنِي تَمَاضِرُ
وَمِنْهُمْ مَجْمَعُ بَنِ هَلَالِ بْنِ خَالِدِ بْنِ مَالِكِ^(٤)

(١) وذلك ان البعير الازب وهو الذي يكثر شعر حاجبه يكون نفورا لان
الرياح تضربه فينفره ، يضرب في عيب الجبان ، قال الميداني قاله زهير بن
جذيمة لآخيه أسيد وكان أزب جباناً وكان خالد يطلبه بذحل أى نار وكان
زهير يوماً في ابله يهنؤها ومعه أخوه أسيد فرأى أسيد خالد بن جعفر
قد أقبل في أصحابه فأخبر زهيراً بمكانهم فقال له المثل ، وكان أسيد أشعر .
قال النابغة :

أثرت الغنى ثم نزعنت عنه كما حاد الازب عن الطعان
(٢) الكلكل والكلكال : الصدر أو ما بين الترقوتين أو باطن الزور .
(٣) يقال دثر السيف صدىء فهو دائر . (٤) هو أحد بنى تيم الله بن ثعلبة
وهو شاعر جاهلي ذكره ابو حاتم في المعمرين وقال عاش تسع عشرة ومائة
سنة ١١٩

وكان هذا الرجل من يضرب يشعباعته المثل بين العرب ومن حديثه أنه غزا
مرة يزيد بن سعد بن زيد بن مناة فلم يصب شيئاً فرجع من غزائه فرمى بماء لبني تميم
وعليه ناس من بني مجاشع فقتل فيهم وأسر فقال في ذلك :

إن أمس ما شيخاً كبيراً فطالما عمرت ولكن لأرى العُمَرَ ينفع^(١)
مضت مائة من مولدى فنصبتُها وخمس تباع بعد ذلك وأربع^(٢)
وخيل كأسراب القطا قد وزعتها لها سبيل^(٣) فيه النية تلمع^(٤)
شهدتُ وغنم قد حويتُ ولذة أتيت وماذا العيش إلا التمتعُ
وعائرة يوم الهيمى رأيتها وقد ضمها من داخل الخلب مجزع^(٥)
لها غلُّ فالصدر ليس يبارح شجى نشب والعين بالماء تدمع^(٦)
تقول وقد أفردتها من حليها تمست كما أتمستنى يا مجمع^(٧)
فقلت لها بل تمس أخت مجاشع وقومك حتى خدك اليوم أضرع^(٨)
عبأت له رحماً طويلاً وأله كأن قبس يعلى بها حين تشرع^(٩)
وكان تركت من كريمة معشر عليها الخموش ذات حزن تفجع^(١٠)

ومنهم عتيبة بن حارث ومنهم ربيعة بن مُكدم وعنتر العنسي الشاعر الشهير
وملاعب الأسنة وزيد الخليل وعامر بن الطفيل وعمرو بن معدى كرب وزيد

(١) ما زائدة ، وقوله لا ارى العمر اى اتصال العمر وطوله فحذف المضاف
اليه . (٢) فنضوتها من قولهم نضاً ثيابه اذا نزعها واستعاره لبقائه هذه
المدة ومضيها عليه اى تجردت منها تجردى عن ثوبى ، وخمس تباع بكسر
التاء اى تابعة للمائة فهو مصدر وصف به . (٣) الاسراب : الجماعات مفردة
سرب ، والقطا : نوع من الطير لا يحب الانفراد ، قد وزعتها اى كلفتها لتجتمع ،
والسبيل : المطر والمراد به هنا تتابع الخيل فى الغارة كتتابع المطر وجواب رب
اول البيت بعده وهو شهدت . (٤) الهيمى ، موضع كانت فيه هذه
الواقعة ، والمجزع : الرعب . (٥) غلل اصل الغلل الماء الجارى بين الاشجار
وجمله كناية عن الشجى وهو ما ينشب فى الحلق من عظم وغيره ، والبارح :
الزائل وشجى بدل من غلل ، ونشب من نشب بالشئ اذا علق به .
(٦) انتصب تمس على المصدر ، وخذك اضرع من الضراعة وهى الذل والانقياد
(٧) عبات له اى هيات له ، والاله : الحربة العريضة النصل ، والقبس : الننا
(٨) وكان تركت اى وكأى تركت ، والخمش فى البدن والوجه مثل
الخدش ، وتفجع اى تتفجع .

الفوارس وأمّية بن حريثان وعمرو بن كلثوم وغيرهم ممن لا يحيط بهم الحصر .
وسياتي إن شاء الله تعالى ذكر شيء من أخبار هؤلاء في أواخر هذا الجزء .

وأما كونه العرب أوفى من غيرهم من الأمم

فاعلم أن الوفاء أخو الصدق والعدل ، والغدرَ أخو الكذب والجور ، وذلك أن
الوفاء صدق باللسان والفعل معاً ، والغدر كذب بهما وفيه مع الكذب نقض العهد ،
وقد جمل الله العهد من الإيمان وصيره قواماً لأمر الناس ، فالناس مضطرون إلى
التعاون ، ولا سيما العرب ، ولا يتم تعاونهم وتظاهرهم إلاّ بمراعاة العهد والوفاء
ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفعت المائش ولذلك عظم الله تعالى أمره فقال تعالى :
(وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون) . وقال تعالى : (وأوفوا بعهد الله إذا
عاهدتم) وقال (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) وقال (والذين هم لأماناتهم وعهدهم
راعون) وعظم حال السموءل الشاعر الشهير فيما التزمه به من الوفاء بدروع
امرى القيس على ما سنذكره إن شاء الله تعالى قريباً . ومن المعلوم حال العرب فى
الصدق واعتنائهم بشأنه ونفرتهم من الكذب وتقبيلحه حتى قال الرضى عند الكلام
على قولهم هو رجل صدق . المراد بالصدق فى مثل هذا المقام مطلق الجودة لا الصدق
فى الحديث وذلك لأن الصدق فى الحديث مستحسن جيد عندهم حتى صاروا يستعملونه
فى مطلق الجودة فيقال ثوب صدق وخل صادق الحموضة كما أن الكذب مستهجن
عندهم بحيث إذا قصدوا الإغراء بشيء قالوا كذب عليك . قال عمر بن معدى كرب
لن شكى إليه الغص : كذب عليك العسل أى العسلان بمعنى عليك به والزمه ويجوز
أن يريد به العسل المعروف . وقال الشاعر :

وذبيانية أوصت بنها بأن كذب القراطيف والقروف (١)

(١) البيت من قصيدة المعقر البارقى مدح بها بنى نمير وذكر ما فعلوا
بنى ذبيان بشعب جبلة وهو يوم كانت وقعت بين بنى ذبيان وبنى عامر
فظهرت بنو عامر على بنى ذبيان . فى ذلك اليوم ، ونمير أبو قبيلة من قيس
وهو نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وكان معقر حلبفا
لهم وذكر ما فعلوا ببنى ذبيان ، والقراطيف جمع قرطف كجعفر وهو القطيفة أى

أى عليكم بهما ، والأمر كما ذكر الرضى فهم أحفظ للعهد ، وأوفى بالوعد ،
لأنهم ما تقضوا لمحافظة عهداً ، ولا أخلفوا لمراقب وعدا ، يرون الغدر من كبار
الذنوب ، والإخلاف من مساوىء الشيم وأقبح الميوب . انظر إلى قصة حاجب
ابن زرارة إذ رهن قوسه عند كسرى ، فإنها تدلك على ما كانوا عليه من الصدق
والوفاء ومراعاة العهود ، وذلك كما قال الإمام المرزوق أن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم كان دعا على مُضَرَّ وقال : اللهم اشدد وطأتك على مُضَرَّ ، وابتث عليهم
سنيئاً كسنى يوسف فتوالت الجدوبة عليهم سبع سنين ، فلما رأى حاجب الجهد
على قومه جمع نبي فزارة ، وقال : إني أزمعت^(١) على أنى آتى الملك يعنى كسرى
فأطلب أن يأذن لقومنا ، فيكونوا تحت هذا البحر حتى يُحيوا . فقالوا : رشدت
فافعل غيراً أنا نخاف عليك بكر بن وائل فقال . ما منهم : وجه إلا ولى عنده يد إلا
ابن الطويلة التيمى وسأداويه ، ثم ارتحل فلم يزل ينتقل فى الاتحاف والبر من
الناس حتى انتهى إلى الماء الذى عليه ابن الطويلة فنزل ليلاً فلما أضاء الفجر ،
دعا بنطع^(٢) ثم أمر فصب عليه التمر ثم نادى حى على الغداء ، فنظر ابن الطويلة
فإذا هو بحاجب ، فقال لأهل المجلس : أجيئوه وأهدى إليه جُزُراً ، ثم ارتحل .
فلما بلغ كسرى شكاً إليه الجهد فى أموالهم وأنفسهم وطلب أن يأذن لهم فيكونوا
فى حد بلاده . فقال : أنتم معشر العرب غدر فإذا أدت لهم عاثوا فى الرعية وأغاروا .
قال حاجب : إنى ضامن للملك أن لا يفعلوا . قال : فن لى بأن تفى أنت ؟ قال :

كساء مخمل ، والقروف جمع قرف بفتح فسكون وهو وعاء من جلد يدبغ
بالقرفة بالكسر وهى قشور الرمان ويجعل فيه الخلع يطبخ بتوابل فيفرغ
فيه والخلع بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام لحم يطبخ بالتوابل ثم يجعل فى
القرف ويتزود به فى الاسفار والواو واو رب يقول رب امرأة ذبيانية امرت
بنيها ان يستكثروا من نهب هذين الشيشيين ان ظفروا بعدوهم وغنموا وذلك
لحاجتهم وقلة حالهم .

(١) يقال ازمعت الأمر وعليه اجمعت او ثبت عليه كزمعت .

(٢) النطع بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكعنب بساط من اديم والجمع
انطاع ونطوع .

أرهنك قوسي ، فلما جاء بها ضحك من حوله ، فقال الملك : ما كان ليسلمها اتبضوها منه . ثم جاءت مُضْرُ إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موت حاجب ، فدعا لهم فخرج أصحابه إلى بلادهم وارتحل عطار بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه ، فقال : ما أنت بالذي وضعتها . قال : أَجَلُ أنه هلك ، وأنا ابنه وفي للملك . قال : ردوا عليه وكساه حُلَّةً . فلما وفد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهداها إليه فلم يقبلها فباعها من يهودى بأربعة آلاف درهم . فصار ذلك فخراً ومنقبة لحاجب وعشيرته . وفي ذلك يقول أبو تمام من جملة أبيات :

إذا افتخرت يوماً تميمٌ بقوسها نجاراً على ما وطدت من مناقب^(١)
فأتم بنى قارٍ أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب^(٢)
وقد لمح بعضهم^(٣) إلى قوس حاجب بقوله في مליح قلندريّ قد حلق
حاجبه فقال :

حبيبي بحق الله قل لي ما الذي دعاك إلى هذا فقال مجاوبى :
وعدت بوصل الماشقين تعظفاً فلم يثقوا واسترهنوا قوس حاجبي
والحكايات في صدقهم ووفائهم واعتنائهم بأمر المهد وزجرهم عن الفدر قد
شحن منها كتب التواريخ والأدب وما أحسن قول من يقول منهم :

وإذا الأمانة قسمت في معشر أوفى بأوفر حظنا قسامها
فهم السعاة إذا العسيرة أفضتْ وُهم فوارسها وُهم حكامها
وُهم ربيع للمجاور فيهم والمرمات إذا تطاول عامها^(٤)

(١) وطدت أى ثبتت . (٢) يوم ذى قار يوم لبني شيبان اول يوم انتصرت فيه العرب من العجم ، يقول اذا افتخرت تميم بذلك فأنتم قتلتم السدين كسبوهم هذا المجد مما ارتهنوه وهدمتهم عزهم ، قال ابو نؤاس يهجو تميميا :
وانها لا مجد لها ولا عز الا قوس حاجب الذى لا يساوى شسع نعل :
اول مجد لها وآخره ان ذكر الفخر قوس حاجبها
(٣) العلامة الصفدى وقبل البيتين :
بدا لى فى حلق الحواجب فتنة فقلت بعقل ذاهل فيه ذاهب
(٤) المرمال الذى انقطع زاده .

من اشتهر من العرب بالوفاء وضرب به المثل في ذلك ، منهم :

عوف بن محلم

كان من وفائه أن مروان القَرظ^(١) بن زنباع غزا بكر بن وائل فقصوا أثر جيشه فأسره رجل منهم وهو لا يعرفه فأتى به أمه فلما دخل عليها قالت له أمه : إنك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القَرظ . فقال لها مروان : وما ترتجين من مروان ؟ قالت : عظم فدائه . قال : وكم ترتجين من فدائه . قالت : مائة بعير . قال مروان : ذلك لكِ على أن تؤدبيني إلى خُجاعة بنت عوف بن محلم . والسبب في ذلك أن ليث بن مالك المُسَمَّى بالمنزوف ضَرَطاً^(٢) لبا مات أخذت بنو عيس سلبه وفرسه ، ثم مالوا إلى خبائه فأخذوا أهله وسلبوا امرأته خُجاعة بنت عوف بن محلم ، وكان الذي أصابها عمرو بن قاربه وذؤاب بن أسماء فسألها مروان القَرظ من أنت ؟ قالت : أنا خُجاعة بنت عوف بن محلم . فانتزعها من عمرو وذؤاب لأنه كان رئيس القوم ، وقال لها : غطى وجهك والله لا ينظر إليه عربى

(١) يضرب به المثل في العز فيقال أعز من مروان القَرظ ، قال الميداني: كان يحمى القَرظ وقيل بل سمي بذلك لأنه كان يغزو اليمن وبها منابت القَرظ ، وصف مروان هذا للمندر بن ماء السماء فاستوفده عليه فقال له أنت مع ما حييت به من العز في قومك كيف علمك بهم ؟ فقال ابنت اللعن انى ان لم اعلمهم لم اعلم غيرهم ، قال : ما تقول في عيس ؟ قال : رمح حديد ان لم تطعن به يطعنك ، قال : ما تقول في فزارة ؟ قال : واد يحمى ويمنع ، قال : فما تقول في مرة ؟ قال : لا حر بوادى عوف ، قال : فما تقول في أشجع ؟ قال : ليسوا بداعيك ولا بمجيبك ، قال : فما تقول في عبد الله بن غطفان ؟ قال : صقور لا تصيد ، قال : فما تقول في ثعلبة بن سعد ؟ قال : اصوات ولا انيس .

(٢) قال المجد في مادة ضرط وفي المثل اجبن من المنزوف ضرطاً وذلك أن نسوة لم يكن لهن رجل فزوجن احداهن رجلاً كان ينام الصبحة فاذا اتينته بصبوح قلن قم فاصطحب فيقول لو نهتني اعادية فلما رأين ذلك قال لبعضهن ان صاحبنا لشجاع فتعالين حتى نمر به فاتينته كما كن يأتينته فقال او اعادية نهتني فقلان هذه نواصي الخيل فجعل يقول : الخيل الخيل ويضطر حتى مات ، او رجلان منهم خرجا في فلاة فلاحتا لهما شجرة فقال احدهما ارى ان قوما قد رصدونا فقال رفيقه انما هي عشرة بضم العين فظننه يقول عشرة فجعل يقول وما غناء اثنين عن عشرة وضرط حتى نزع روحه فسمى المنزوف ضرطاً ، او هو دابة بين الكلب والسنور اذا صبح بها وقع عليها الضراط من العجين ، وفي المثل اودى العير الا ضرطاً ، يضرب للدليل وللشيخ ولفساد الشيء حتى لا يبقى منه الا مالا ينتفع به اى لم يبق من قوته الا الضراط

حتى أُرْدِكِ إلى أبيك . ووقع بينه وبين بنى عبس شر بسببها . ويقال أن مروان قال لعمرو وذؤاب حكائي في جماعة . قالوا قد حكمتك يا أبا صهبان . قال : فإني اشتريتها منك بمائة من الإبل وضمها إلى أهله حتى إذا دخل الشهر الحرام أحسن كسوتها وأخدمها وأكرمها وحملها إلى عكاظ . فلما انتهى بها إلى منازل بنى شيبان ، قال لها : هل تعرفين منازل قومك ومنزل أبيك ؟ فقالت هذه منازل قومي وهذه قبّة أبي . قال فانطلقى إلى أبيك فانطلقت فخرت بصنيع مروان ، فقال مروان فيما كان بينه وبين قومه في أمر جماعة وردها إلى أبيها :

رَدَدْتُ عَلَى عَوْفٍ نَخَاعَةَ بَعْدَمَا	خَلَاهَا ذُؤَابٌ غَيْرَ خَلْوَةِ خَاطِبِ
وَلَوْ غَيْرَهَا كَانَتْ سَيِّئَةً رُحِمِهِ	لجَاءَ بِهَا مَقْرُونَةٌ بِالذَّوَابِ
وَلَكِنَّهُ أَلْقَى عَلَيْهَا حِجَابَهُ	رَجَاءَ الثَّوَابِ أَوْ حِذَارِ الْعَوَاقِبِ
فَدَافَعْتُ عَنْهَا نَاشِبًا وَقَبِيلَةً	وَفَارِسَ يَعُوبٍ وَعَمْرُو بْنَ قَارِبِ
فَفَادَيْتَهَا لِمَا تَبَيَّنَ نَصْفُهَا	بِكُومِ الْمَتَالِي وَالْعِشَارِ الضَّوَارِبِ
صَهَابِيَّةٍ حَمْرِ الْعَوَانِينَ وَالذُّرَى	مَهَارِشِ أَمْثَالِ الصَّخُورِ مِصَابِ

في أبيات مع هذه . قوله تبين نصفها : أى أنصافها والكوم القطعة من الإبل . والمتالى : الذى يرأسل المعنى بصوت رفيع . والأصهب من الإبل الذى يخالط بياضه حمرة . وهو أن يحمر أعلى الوبر ويبيض أجوافه . وجل صهبانى أى أصهب اللون . والعوان النصف فى سنّها من كل شيء وذرى الشيء بالضم أعاليه الواحدة ذروة . فكانت هذه يداً لمروان عند جماعة فلهمذا قال ذاك لك على أن تؤدبني إلى جماعة بنت عوف بن محلم . قالت المرأة : ومن لى بمائة من الإبل فأخذ عوداً من الأرض فقال هذا لك بها . فضت به إلى عوف بن محلم فبعث إليه عمرو بن هند أن يأتيه به . وكان عمرو وجد على مروان فى أمر فألى أن لا يعفو عنه حتى يضع يده فى يده . فقال عوف حين جاءه الرسول قد أجارته ابنتى وليس إليه سبيل . فقال عمرو بن هند قد آليت أن لا أعفو عنه أو يضع يده فى يدي قال عوف يضع

يده في يدك على أن تكون يدي بينهما . فأجابه عمرو بن هند إلى ذلك . نجاء
عوف مروان فأدخله عليه فوضع يده في يده ووضع يده بين أيديهما فمفا عنه .
فقال عمرو « لا حُرَّ بوادي عَوْفٍ » فأرسلها مثلاً أي لا سيّد به يناويه . وإنما سُمي
مَرَوَانَ القَرظَ لأنه كان يغزو اليمن وهي منابت القَرظ . ومنهم :

هَنْظَلَةُ بن عَفْرَاء

قال القالي في ذيل أماليه : حدثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن
عن عمه قال قال لي عمي سمعت يونس بن حبيب يقول كان المنذر بن ماء السماء
جد النعمان بن المنذر ينادمه رجلان من العرب خالد بن المَضَلَّل . وعمرو بن مسعود
الأسديان وهما اللذان عنهما الشاعر بقوله :

الأبكر النباعي بخيرى بنى أسد بعمر بن مسعود وبالسيد الصمد
فشرب ليلة معهما فراجماه الكلام فأغضباه فأمر بهما فقتلا وجُملا في تابوتين
ودفنا بظاهر الكوفة . فلما أصبح وصحا سأل عنهما فأخبر بذلك فندم وركب
حتى وقف عليهما وأمر ببناء الغريين^(١) وجعل لنفسه في كل سنة يومين
يوم بؤس ويوم نعيم في كل عام فكان يضع سريره بينهما فإذا كان في يوم
نعيمه فأول من يطلع عليه وهو على سريره يعطيه مائة من إبل الملوكة ، وأول
من يطلع عليه في يوم بؤسه يعطيه رأس ظربان^(٢) ويأمر به فيذبح

(١) : ينان مشهوران بالكوفة عند الثوية حيث قبر على (رض) لا زعموا
انهما بناهما بعض ملوك الحيرة قاله ونصر ، وفيهما يقول الشاعر :

أو كان شيء له ان يبيد على طول الزمان لما باد الغريان

وقال الجوهري : هما ينان طويلان يقال هما قبرا مالك وعقيل نديمي
جديمة الإبرش وسيما غريين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله
إذا خرج في يوم بؤسه ، قال الزبيدي : بعد نقل ما تقدم : فسياق
الجوهري يقتضى أنهما سميا بالتغرية وهو الإصاف وسياق المصنف انه
من الحسن (٢) دويبة فوق جرد الكلب كرية النتن وأنتن خلق الله فسوا
يضرب بفسوه المثل في النتن وقد عرف ذلك من نفسه فجعله سلاحه كما
عرفت الحبارى ما في برازها من السلاح على الصقر كذلك الظربان يدخل على
الضب جحره وفيه بيضه وحسوله فيأتي اضيق موضع في الحجر فيسده
بيده ويحول دبره اليه فما يفسو ثلاث فسوات حتى يصرع الضب فيخسر
مغشياً عليه فيأكله ثم يقيم في جحره حتى يأتي على آخر حسوله ، =

ويعرّي^(١) بدمه الغريبان فلم يزل كذلك ما شاء الله فبينما هو ذات يوم من أيام
بؤسه إذ طلع عليه عبيد بن الأبرص فقال له الملك ألا كان الذبج غيرك يا عبيد ؟
فقال عبيد « أتنتك بمائن رجلاه » فقال له الملك : « أو أجل قد بلغ إناه » ثم قال
يا عبيد أنشدني فقد كان يُعجبني شعرك ، فقال « حال الجريضُ دون القريض^(٢) »
وبلغ الحزام الطبيين « فقال أنشدني :

أفقر من أهله ملحوبُ فالتطبيباتُ فالذنوبُ^(٣)

فقال :

أفقر من أهله عبيدُ فاليوم لا يُبدي ولا يُعيدُ
عنتُ له معنةٌ نكودُ وحنانُ له منها ورودُ
فقال : أنشد هيلتك أمك^(٤) . فقال : « الناياء ، على الحوايا » فقال بعض
القوم أنشد الملك هيلتك أمك فقال « لا يرُحلُ رَحْلُك ، من ليس معك » فقال
له آخر ما أشدَّ جزعك من الموت فقال :

وتقول الاعراب ربما أنه دخل في خلال الهجمة فيفسو فلا يتم له ثلاث
فسوات حتى تتفرق الابل وتنفر كما تنفر عن مبرك فيه قردان فلا يردهما
الراعي الا بالجهد الشديد فمن أجل هذا سمت العرب الظربان مفرق النعم
ويقال للرجلين يتشامتان ويتفاحشان انهما ليتجاذبان جلد الظربان وانهما
ليتماسان ظريا وقالوا للقوم اذا وقع بينهم الشر فتفارقوا فسا بينهم الظربان
فلا يلتقى منهم انسان ، وقال الربيع بن ابي العقيق يهجو قوما :

وانتم ظرابين اذا تجلوا ن وما ان لنا فيكم من نريد
وانتم نفوس وقد تعرفون بريح التيوس وتتن الجلود
ونظر أبو عبد الله العواص الى قوم جيدي الاكل خبيثي الريح فقال :

اناس اكلهم يربو على اكل الثعابين
وتتن رياحهم يربو على نتن الظرابين

هذا ما ذكره الثعالبي في المضاف والمنسوب (١) اي يطلى (٢) يضرب
لامر يعوق دونه عائق قاله حوش الكلابي حين منعه ابوه من الشعر فمرض حزنا
فرق له وقد اشرف فقال انطلق بما احببت والجرض محرقة الريق جرض
بريقه كفرح ابتاعه بالجهد على هم ، وقوله بلغ الحزام الطبيين مضى تفسيره .
(٣) هذا البيت مطلع قصيدته المشهورة التي عدها بعضهم من المعلقات ،
دمعنى افقر : خلا ، وملحوب بالفتح ثم السكون وجاء مهملة وواو ساكنة
ماء لبني اسد بن خزيمة وقيل قرية باليمامة لبني عبدالله بن الدئل بن حنيفة ،
والتطبيبات بالضم ثم التشديد وبعد الطاء باء موحدة وياء مشددة اسم
جبل ، والذنوب : اسم موضع بعينه . (٤) هيلته امه كفرح تكلمته ، والتكل
بالضم الموت والهلاك وفقد الحبيب او الولد ويحرك .

لا غَرَوَ من عيشة نأفده وهل غيرُ ما مِيتةٍ واحده (١)
فأبلغُ نَبِيَّ وأعمامهم بأنَّ النبايا هي الراصدة
لها مدَّةٌ فنفس العباد إليها وإن كرهت قاصده
فلا تجزعوا لحمامِ دنا فلموت ما تلد الوالده (٢)

فقال له المنذر لا بد من الموت ولو عَرَضَ لى أبى فى هذا اليوم لم أجد بدأ من
ذبحه فأما إذا كنت لها وكانت لك فاختر من ثلاث خصال إن شئت من الأكل (٣)
وإن شئت من الأبلج (٤) وإن شئت من الوريد (٥) فقال « ثلاثُ خصالٍ مقادها شرُّ
مقادٍ ، وحاذيها شرُّ حادٍ ولا خير فيها لمرتابٍ فإن كنت لا بد قاتلي فاستقني الخمر حتى
إذا ذهبت ذواهلي وماتت لها مفاصلى فشانك وما تريد » فأمر المنذر له بحاجته من الخمر
فلما أخذت منه وقرب ليذبح أنشأ يقول :

وخَيْرِنى ذو البؤس فى يوم بؤسه خِلالاً أرى فى كلها الموت قد بَرِقُ
كما خَيْرِتُ عادَ من الدهر مرةً سحائب ما فيها لذى خَيْرَةٍ أُنقُ
سحائب رِيحٍ لم تُوكَلْ ببلدةٍ فتتَرُكها إلا كما ليلَةَ الطَلَقِ

وأمر به ففصّد فلما مات طَلِيَ بدمه العَرِيَّان ، وكذا روى هذه الحكاية
إسماعيل بن هبة الله الموصلى فى كتاب الأوائل عن الشرق بن القطامى وقد
رجع المنذر عن هذه السنة السيئة ، روى الموصلى فى أوائله : إن المنذر استمر
على ذلك زماناً حتى مر به رجل من طَبِيِّ يُقال له حنظلة بن عَفْرَاءَ فقال له أبيت
اللعن أبيتك زائراً . ولأهلى من خيرك مائراً فلا تكن ميرتهم فتلى ، فقال :
لا بد من ذلك . وسألنى حاجة قبله أفضها لك . قال : تؤجّلنى سنةً أرجع
فيها إلى أهلى وأحكم أمرهم ، ثم أرجع إليك فى حكّمك . قال : ومن يتكفل بك

(١) لا غرو أى لا عجب ويقال لا غروى وما زائدة . (٢) الحمام : قضاء
الموت وقدره . (٣) عرق فى اليد أو هو عرق الحياة ولا تقل عرق الأكل .
(٤) هو عرق غليظ فى الرجل أو فى اليد بازاء الأكل . (٥) عرق تزعم
العرب أنه من الوتين وهما وريدان مكتنفا صفحتى العنق ممايلى مقدمه غليظان
(٩ - أول)

حتى تعود؟ فنظر في وجوه جلسائه فعرف منهم شريك بن عمرو وأبا الحوفزان .
فأنشأ يقول :

يا شريكاً يا ابن عمرو هل من الموت محاله
يا أبا كلِّ مصاب يا أبا من لا أخاله
يا أبا شيبان فكَّ اليوم رهناً قد أناله
إن شيبان قبيلٌ أكرمَ الله رجاله
وأبوك الخير عمرو وشراويل الحاله
وفتاك اليوم في المجد وفي حُسن المقاله

فوثب شريك وقال : أبيت اللعن يده يدي ودمه دمي إن لم يُعَدَّ إلى أجله فأطلقه المنذر . فلما كان القابل جلس في مجلسه ، وإذا ركب قد طلع عليهم فتأملوه فإذا هو حنظلة قد أقبل متكفناً متحنطاً^(١) معه نادبته وقد قامت نادبة شريك تندبه . فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما فأطلقهما وأبطل تلك السنة . وقد ذكر في إبطال المنذر هذه السنة غير هذا . وقد أورده الموصلي ، والميداني في مثل . وهو : « إن غداً لناظره قريب » وهو قطعة من بيت :

فإن يك صدر هذا اليوم ولى فإن غداً لناظره قريب

قال : إن أول من قال ذلك قراد بن أجدع ، وذلك أن النعمان بن المنذر خرج يتصيد على فرسه اليجموم فأجراه على أثر عيرٍ فذهب به الفرس في الأرض ولم يقدر عليه وانفرد عن أصحابه وأخذته السماء فطلب ملجأً يلجأ إليه فدفع إلى بناء فإذا فيه رجلٌ من طيبيء يقال له حنظلة ومعه امرأة له ، فقال لها هل من مأوى ؟ قال حنظلة : نعم فخرج إليه فأنزله ، ولم يكن للطائي غير شاةٍ وهو لا يعرف النعمان ، فقال لامرأته : أرى رجلاً ذا هيئة وما أخاقه أن يكون شريفاً خطيراً فما الحيلة ؟

(١) أى متطيباً والحنوط كصبور وكتاب كل طيب يخلط للميت وقد حنطه يحنطه واحنطه فتحنط .

قالت : عندي شيء من طحينٍ كنت أدخرتهُ فاذبح الشاة لِاتَّخِذَ من الطحينِ مَلَّةً^(١) قال فأخرجت المرأة الدقيقَ فخبزتُ منه مَلَّةً وقام الطائي إلى شاتِهِ فاحتلبها ثم ذَبَحها فاتَّخَذَ من لحمها مرقة مَضِيرَةً^(٢) وأطعمه من لحمها وسقاه من لبنها واحتال له شراباً فسقاه وجعل يحدِّثه بقيةَ ليلته . فلما أصبح النعمان ليس ثيابه وركب فرسه ، ثم قال يا أخا طيء اطلب ثوابك أنا النعمان . قال أعمل إن شاء الله ثم لحقته الخيلُ فضى نحو الحيرة . ومكث الطائي بعد ذلك زمناً حتى أصابته نكبةٌ وجهُدٌ وساءت حاله ، فقالت له امرأته : لو أتيت الملك لأحسن إليك فأقبل حتى انتهى إلى الحيرة ، فوافق يوم بؤسِ النعمان فإذا هو واقف في خيله في السلاح ، فلما نظر إليه النعمان عرفه وساء مكانه . فقال الطائي المنزول به ؟ قال : نعم . قال أفلا جئت في غير هذا اليوم ؟ قال : أبيت اللعن وما كان على بهذا اليوم قال : والله لو سنَّحت لي في هذا اليوم قابوسُ ابني لم أجد بُدًّا من قتله . فاطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بدالك فإنك مقتول . قال : أبيت اللعن وما أصنعُ بالدنيا بعد نفسي . قال النعمان : إنه لا سبيلَ إليها . قال فإن كان لا بُدَّ فأجئني حتى ألهمَ بأهلي فأوصي إليهم وأهنيء حالمهم ثم أنصرف إليك . قال النعمان : فأقم لي كفيلاً بموافاتك . فالتفت الطائي إلى شريك بن عمرو بن قيس من بني شيبان ، وكان يكنى أبا الحوافزان ، وكان صاحب الردافة^(٣) وهو واقفٌ مجنب النعمان . فقال له :

يا شريكاً يا ابن عمرو هل من الموت محاله
يا أخا كلِّ مُصابٍ يا أخا من لا أخاله
يا أخا النعمان فكَّ السيوم ضيقاً قد أتى له

(١) الملة بالفتح قيل الحفرة التي تحفر الخبز وقيل التراب الحار والرماد ومالت الخبز واللحم في النار من باب قتل فهو مليل ومملول وأطعمته خبز ملة بالإضافة وخبزة مليلة على الوصف مع الهاء (٢) مريقة تطبخ باللبن المضير أي الحامض وربما خلط بالحليب
(٣) الردافة بهاء فعل ردف الملك

طلما عالج كرب السموت لا ينعم باله

فأبى شريك أن يتكفل به فوثب اليه رجل من كلب يقال له قُرَاد بن أجدع .
فقال للنعمان : أبيت اللعن هو عليّ . قال النعمان : أفعلت قال نعم فضمنه إياه .
نم أمر للطائي بخمسمائة ناقة فشمي الطائي إلى أهله وجعل الأجل حولاً من يومه
ذلك إلى مثل ذلك اليوم من قابل . فلما حال عليه الحول وبقي من الأجل يوم :
قال النعمان لقُرَاد ما أراك إلا هالكا غداً . فقال قُرَاد :

فإن يك صدر هذا اليوم وليّ فإنّ غداً لناظره قريب
فلما أصبح النعمان ركب في خيله ورجله متسلحاً كما كان يفعل حتى أتى
الغريبين فوقف بينهما وأخرج معه قُرَاداً وأمر بقتله . فقال له وزراؤه : ليس لك
قتله حتى يستوفي يومه فتركه . وكان النعمان يشتهي أن يقتل قُرَاداً ليقلت الطائي
من القتل . فلما كادت الشمس تجب^(١) وقُرَاد مجرد قائم في إزار على النطح
والسيّاف إلى جنبه أقبلت امرأته وهي تقول :

أيا عين بكى لى قُرَاد بن أجدعا رهيناً لقتل لا رهيناً مودعا
أنته المنايا بنتة دون قومه فأمسى أسيراً حاضر البيت أضرباً

فبيناهم كذلك إذ رفع لهم شخص من بعيد ، وقد أمر النعمان بقتل قُرَاد .
فقيل له ليس لك أن تقتله حتى يأتيك الشخص فتعلم من هو ، فكف حتى انتهى
إليهم الرجل فإذا هو الطائي ، فلما نظر إليه النعمان شقّ عليه بغيته . فقال له :
ما حملك على الرجوع بعد إفلاتك من القتل ؟ قال : الوفاء . قال : وما دعاك إلى
الوفاء ؟ قال : ديني . قال النعمان : وما دينك ؟ قال : النصرانية . قال النعمان :
فاعرضها عليّ فعرضها عليه فتنصّر النعمان ، وأهل الحيرة أجمون . وكان قبل
ذلك على دين العرب ، فترك القتل منذ ذلك اليوم وأبطل تلك السنّة ، وأمر
بهدم الغريبين وعفا عن قُرَاد والطائي ، وقال : والله ما أدري أيهما أوفى وأكرم .

(١) أى تغيب

أهذا الذي نجا من القتل فماد . أم هذا الذي ضمنه ؟ والله لا أكون ألامّ الثلاثة ،
فأنشأ الطائي يقول :

ما كنتُ أخلفُ ظنَّه بعد الذي أسدى إلى من الفعّال الحالى
ولقد دعتنى للخلاف ضاللتى فأبيتُ غيرَ تمجّدى وفمالى
إنى امرؤٌ منى الوفاء سجيةً وجزاء كل مكارم بذالى
وقال أيضاً يمدحُ قراداً :

ألا إنا يسمو إلى المجد والعلى مخاريقُ أمثالِ القرادِ بنِ أجدعا
مخاريقُ أمثالِ القرادِ وأهله فإنهمُ الأخيارُ من رهطِ بُبعا^(١)
انتهى والله أعلم بحقيقة الحال . ومنهم :

الحارث بن ظالم المري

كان من وفائه أن عياض بن ديهث مرّ برعاء الحارث وهم يسقون فسقى
فقصر رشاؤه فاستنمار من أرشية الحارث فوصل رشاؤه^(٢) فأروى إبله . فأغار
عليه بعضُ حشمِ النعمان فاطردوا إبله فصاح ياحارٍ ياجاراه ! فقال له الحارث :
ومتى كنتُ جارك ؟ قال : وصلت رشانى برشانك فسقيت إبلى ، فأغير عليها
وذلك الماء فى بطونها ، قال : جوارى وربّ الكعبة . فأتى النعمان . فقال : أبيت اللعن
أغار حشمك على جارى عياض بن ديهث فأخذوا إبله وما له فاردد عليه . فقال
له النعمان : أفلا تشد ما وهى من أديك . يريد أن الحارث قتل خالد بن جعفر بن
كلاب فى جوار أسود بن المنذر . فقال الحارث « هل تعدون الحلبة إلى نفسى »

(١) المخراق السيد والسخي، والرهط قوم الرجل وقبيلته (٢) قال شارح رسالة ابن زيدون كان ربيع العرب فى رعاية الجوار ماهو أعجب العجب ذلك ان الانسان اذا لمس طنّب بيته طنّب بيت آخر لزمه حرمة الجوار والذمة واذا علق له دلو بدلو آخر فى بشر لزمه حرمة الجوار والذمة والى هاتين الفضيلتين أشار أبو تمام يخاطب ابن الزيات :

لى حرمة بك لولا مارعت وما أوجبت من حقها ماخلتها تجب
بلا لقد سلفت فى جاهليتهم للحق ليس كحقى نصره عجب
أن تعلق الدلو بالدلو الغريبة او يلامس الطنب المستحصد الطنب

فأرسلها مثلاً . أى أنك لا تهلك إلا بنفسى إن قتلتمها . فتدبر النعمان كلمته فرد على عياض أهله وماله . وقال الفرزدق يضرب المثل لسليمان بن عبد الملك حين وفي يزيد بن المهلب :

لمعرى لقد أوفى وزاد وفاؤه على كل حالٍ جارِ آلِ المهلبِ
كما كان أوفى إذ يُنادى ابن ديهث وصرمته كالنعم المنهبِ (١)
فقام أبو ليلى إليه ابن ظالم وكان متى ما يسئل السيف يضرب
هدا ما ذكره الميدانى فى أمثاله . وروى الأصهبانى بسنده فى الأغانى : أن
الحارث بن ظالم المرىّ لما كان نزيلاً عند النعمان بن المنذر أخذ مصدقاً للنعمان
إبلاً لامرأة من بنى مرة يقال لها ديهث فأتت الحارث فعلقت دلوها بدلوه ومعها
بنى لها . فقالت : يا أبا ليلى إني أتيتك مُضامَةً . فقال : إذا أورد القوم النعم فناد بأعلى
صوتك :

دعوت بالله ولم تراعى ذلك داعيك فنعم الداعى
وتلك ذؤد الحارث الكساعى يمشى لها بصارم قطع
يشقى به مجامع الصداق

وخرج الحارث بن ظالم فى أثرها وهو يقول :

أنا أبو ليلى وسيفى المعلوم كم قد أجرنا من حريب محروب (٢)
وكم رددنا من سلب مسلوب وطعنة طعنتها بال مضروب
ذاك جهيز الموت عند المكروب

ثم قال : لا يُردنّ عليك ناقة ولا بعير تعرفينه إلا أخذته ففعلت ورأت لقوْحًا
لها يحملها حبشى . فقالت : يا أبا ليلى هذه لى ، قال الحبشى كذبت ، فقال الحارث

(١) الصرمة بالكسر القطعة من الإبل ما بين العشرين الى الثلاثين أو الى
الخمسين والأربعين أو ما بين العشرة الى الأربعين أو ما بين عشرة الى بضع
عشرة (٢) قال فى القاموس : المعلوم سيف الحرث بن ظالم

« است الحالب أعلم »^(١) فصارت مثلاً . قال أبو عبيدة : ففي ذلك يقول الفرزدق :
لممرى لقد أوفى وزاد وفاؤه على كلِّ جارٍ جارٍ المهلبِ
كما كان أوفى إذ يُنادى ابن ديهث وصيرمته كالمفتم المتتهبِ
فقام أبو ليلى إليه ابن ظالم وكان إذا مايسلُّ السيفَ يضربِ
وما كان جارٍ غير دلوٍ تعلقت بحبلين في مُستحصد القدِّ مكرب
انتهى . والظاهر من الشعر أن رواية الأصبهاني أحقُّ بالاعتبار . ومنهم :

أبو حنبل الطائي

ومن حديثه : أن امرأة القيس نزلَ به ومعه أهل وسلاحه وماله . ولأبي حنبل
امرأتان جدلية ثعلبية^(٢) فقالت الجدلية رزق آتاك الله به لادمة له عليك ولا عقد
ولا جوار ، فأرى لك أن تأكله وتطعمه قومك . وقالت الثعلبية : رجل تحرّم بك
واستجارك واختارك فأرى لك أن تحفظه وتنفى له . فقام أبو حنبل إلى جذعة من
الغم فاحتلبها وشرب لبنها ثم مسح بطنه وحجل ثم قال :

لقد آليتُ أغدرُ في جذاعٍ وإن مُتيتُ أماتِ الربعِ
لأن الغدر في الأفوام عارٌ وإنَّ الحرَّ يجزى بالكرعِ
فقالت الجدلية ورأت ساقية حيشتين تالله ما رأيت كالليوم ساقى واق فقال

(١) ورواية مجمع الأمثال : است البائن أعلم قال : البائن الذي يكون عند
حلب الناقة من جانبها الأيسر ويقال للذي يكون من الجانب الآخر المعلى
والمستعلى وهو الذي يعلى العلبة إلى الضرع والبائن الذي يحلب وقيل بخلاف
هذا وهما الحالبان في قولهم « خير حالبك تنطحين » يروى هذا المثل عن
الحارث بن ظالم وذلك أن الجميح وهو منقذ بن الطماح خرج في طلب ابل
له حتى وقع عليها في قبيلة مرة فاستجار بالحارث بن ظالم المبري فنادى
الحارث من كان عنده شيء من هذه الأبل فليردها فردت جميعاً غير ناقة يقال
لها اللفاع فانطلق يطوف حتى وجدها عند رجلين يحلبانها فقال لهما خليا
منها فليست لكما وأهوى اليهما بالسيف فضرط البائن فقال المعلى والله
ماهى لك ، فقال الحارث : « است البائن أعلم » فأرسلها مثلاً ، يضرب لمن
ولى أمراً وصلى به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يصل به ، وقيل يضرب
لكل ماينكر وشاهده حاضر

(٢) في فرائد اللال للشيخ ابراهيم الاحدب : وتغلبية بالتاء

أبو حنبل . « هاساقا غادرِ شر » فذهبت مثلاً . قوله منيت أى ضعفت . والرابع جمع ربيع كصرد وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج . ومنهم :

الحارث بن عباد

يقال : إنه كان أسرَ عديّ بن ربيعة في يوم قضة ولم يعرفه فقال له دُلّنى على عدى ابن ربيعة . فقال له : إن أنا دلتك على عدى أتؤمنى قال نعم . قال : فليضمن ذلك عليك عوفُ بن محمّ . فأمره الحارث بن عباد فضمن له عوف أن يؤمنه الحارث إذا دله على عدى . فقال عدى : أنا عدى بخلاء . وقال الحارث في ذلك :

لحفّ نفسى على عدىّ وقد أشعب للموت واحتوته اليدان^(١)

ومنهم :

السموأل بن صبار بن عادياء اليهودي الغساني

وكان من وفائه أن امرأ القيس لما أراد الخروج الى قيصر استودع سموأل دروعاً وأحيجة بن الجلاح أيضاً دروعاً ، فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه سموأل فأخذ الملك ابناً له وكان خارجاً من الحصن . فصاح الملك بالسموأل فأشرف عليه فقال هذا ابنك في يدي . وقد علمت أن امرأ القيس ابن عمى ومن عشيرتى وأنا أحق بميراثه فإن دفعت إلى الدروع وإلا ذبحت ابنك . قال أجلتنى فأجله فجمع أهل بيته ونساءه فشاورهم فكل أشار عليه أن يدفع الدروع ويستنقذ ابنه . فلما أصبح أشرف فقال ليس إلى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع . فدبح الملك ابنه ، وهو مشرف ينظر إليه . ثم انصرف الملك بالحيية فوافى سموأل بالدروع الموسم فدفعها إلى ورثة امرئ القيس . وقال في ذلك :

وفيتُ بأدرُع الكِنديّ إني إذا ماخانَ أقوامٌ وفيتُ

(١) أشعب للموت أى مات او فارق فراقاً لا يرجع

وقالوا : إنه كنزٌ رَغِيبٌ ولا واللهِ أغسدر مامشيت
بني لي عاديا حصنًا حصينًا وبرأ كلك شئت استقيت
ويروى أنه ماسامني ضيا أبيت . وقال الأعشى في ذلك :

شريحٌ لا تتركني بعد ما علقت جبالك اليوم بعد القدّ أظفاري
كن كالسموعلٍ إذ طاف الهمامُ به في جَحْفَلٍ كسواد الليل جرّارٍ (١)
خيرهُ خِطَّتِي خَسَفِي فقال له مها يقله فإني سامعٌ جاري
فشك غير طويلٍ ثم قال له اذبح أسيرك إني مانعٌ جاري
إن له خلفًا إن كنت قاتله وإن قتلت كريمًا غير عوارٍ
والسموعل هذا هو الذي يقول في قصيدته الشبيبة :

إذا الرء يدنس من اللؤم عرْضهُ فكلُّ رذاء يرتديه جميلٌ
وإن هو لم يحْمَلْ على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل (٢)
تعيّرنا أنا قليلٌ عديدنا فقلت لها : إن الكرام قليلٌ
وما قلّ مَنْ كانت بقاياها مثلنا شبابٌ تسامى في العلى وكهول (٣)
وما ضرنا أنا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجار الأكرهين ذليل (٤)
لنا جبلٌ يحْتَلُّهُ من نُجَيْرِهِ منيعٌ يرُدُّ الطرفَ وهو كليل (٥)
رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرغ لا ينال طويل (٥)

(١) جحفل كجعفر الجيش الكثير . (٢) أي أن لم يصبر النفس على مكارها فلا سبيل إلى اكتساب حسن الثناء وليس معنى الضيم الغير لهم لانهم يأنفون من ذلك ويعدونهُ تدللاً . (٣) قوله تسامى أراد تتسامى فحذف إحدى التاءين ومثل هذا كثير في كلامهم ، قال في الخلاصة :

وما بتأعين ابتدى قد يقتصر فيه على تا كتبين العبر
والكهول جمع كهل وهو الذي جاوز الثلاثين وخطه الشيب وقيل من بلغ الأربعين . (٤) يجوز في ما أن تكون نافية والمعنى لم يضرنا ويجوز أن تكون استفهامية على طريق التقرير والمعنى أي شيء ضرنا .
(٥) قيل أنه أراد بذكر الجبل العز والسمو وقيل أن هذا الجبل هو حصن السمؤال الذي يقال له الأبلق الفرد يعني من دخل في جوارنا امتنع على طلابه . (٦) يريد أنه اثبت جبل في الأرض وأعلى طود عليها .

وانا لقوم ما زى القتل سبة (١)
 يقرب حب الموت آجالنا لنا
 وما مات منا سيّد حتف أنفه
 تسيل على حدّ الطباة نفوسنا
 صفونا فلم نكدر وأخلص سرتنا
 علونا إلى خير الظهور وحطنا
 فنحن كماء المزن مافي نصابنا
 ونكر إن شئنا على الناس قولهم
 إذا سيّدنا منا خلا قام سيّدنا
 وما أحمدت ناز لنا دون طارق
 وأيامنا مشهورة في عدونا
 وأسيفنا في كل غرب ومشرق
 معودة أن لا نسل نصالها
 سيل إن جهلت الناس عنا وعنهم
 فإن بنى الديان قطب لقومهم

إذا مارأته عامر وسأل (١)
 وتكرهه آجالهم فتطول
 ولا ظلّ منا حيث كان قتيل (٢)
 وليست على غير الطباة تسيل (٣)
 إناث أطابت حملنا وفحول (٤)
 لوقت إلى خير البطن نزول (٥)
 كهام ولا فينا يمدّ بخيل (٦)
 ولا ينكرون القول حين نقول
 فتولّ لما قال الكرام فمول
 ولا ذمنا في النازلين نزيل (٧)
 لها غرر معلومة وحجول
 بها من قراع الدارعين فلول (٨)
 فتعمد حتى يستباح قبيل (٩)
 فليس سواء عالم وجهول
 تدور رحاهم حولهم وتجول (١٠)

(١) السبة : العار ، وعامر وسلول قبيلتان ، يقول اذا حسب هؤلاء القتل
 عارا عده عشيرتي فخرا . (٢) يقال مات فلان حتف انفه اذا مات من غير
 قتل ولا ضرب ، ومعنى البيت انا لا نموت على الفراش ولكن نقتل ودم القتل
 منا لا يذهب هدرا . (٣) الطبات جمع طبة وهي حد السيف وقيل اراد
 بالطبات السيوف كلها فاضاف الحد اليها . (٤) المراد بالسر هنا الاصل
 الجيد ومعنى ذلك صفت انسانا فلم يشبها كدر . (٥) يشير به الى صريح
 نسبهم وخلوصه مما يحط بشرفهم . (٦) قوله كماء المزن يريد بذات
 تشبيه صفاء انسابهم بصفاء ماء المطر ، والنصاب الاصل ومنه نصاب
 السكين ، والكهام الكليل الحد وهو مجاز عن الضعيف هنا . (٧) يشير بذلك
 الى انهم اكثرهم يديمون ايفاد نار الضيافة ولا يطفئونها دون طارق ايل
 وانهم يشنى عليهم كل نزيل (٨) القراع : المقارعة والمضاربة ، والدارعين : اصحاب
 الدروع ، والفلول جمع فل وهو الثلم في حد السيف (٩) القبيل : الجماعة من آباء
 شتى وجمعه قبل والقبيلة الجماعة من اب واحد وجمعهما قبائل .
 (١٠) القطب الحديد الذى فى الطباق الاسفل من الرحى يدور عليه الطبق
 الاعلى منها ، والمعنى ان امر قبيلتهم لا يستقيم ولا يتم الا بهم مثل الرحى
 لا يتم امرها

ومنهم فُكَيْهَةٌ بنت قتادة بن مَسْنُوءٍ

كانت فُكَيْهَةَ هذه خالة طَرْفَةَ لِأَنَّ أُمَّ طَرْفَةَ وردة بنت قتادة وكان من وفائها أَنَّ السُّلَيْكَ بن سُلَيْكَةَ غزا بكر بن وائل فأبطأ ولم يجد غفلة يلتصقها . فرأى القوم أثر قدم على الماء لم يعرفوها فكمنوا له وأمهله حتى ورد وشرب فامتلاً فهاجوا به فمدا فأنقله بطنه فولج قبة فُكَيْهَةَ فاستجار بها فأدخلته تحت درعها فجاؤا في أثره فوجدوه تحت ثوبها فانتزعوا خمارها ، فنادت إخوتها وولدها فجاءوا عشرة فنمتمهم عنه . وكان سُلَيْكٌ يقول بعد ذلك كأنى أجد خشونة استها على ظهري حين أدخلتني تحت درعها . وفيه قال سُلَيْكٌ :

كَمَرُ أَيْكِ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمَى لَنْعِمَ الْجَارِ أُخْتُ بَنِي عَوَارَا
عَنَيْتُ بِهَا فُكَيْهَةَ حِينَ قَامَتْ لِنَصْلِ السَّيْفِ وَانْتَزَعُوا الْخِمَارَا
مِنَ الْخَفِيرَاتِ لَمْ تَقْضَحْ أَحَاهَا وَأُمُّ تَرْفَعُ لَوْلَايَا شَتَارَا^(١)

ومنهم :

أُمُّ جَمِيلٍ

وهي من رَهْطِ أَبِي هُرَيْرَةَ من دُوسٍ وهم من أهل السراة وكان من وفائها أن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل أبا زهير الزهراني من أزد شنوءة وكان صهر أبي سفيان بن حرب . فلما بلغ ذلك قومه بالسراة وثبوا على ضرار ابن الخطاب ليقتلوه فسمى حتى دخل بيت أم جميل وعاد بها فضربه رجل منهم فوق ذباب السيف على الباب . وقامت في وجوههم فذبتهم ونادت قومها فنعوه لها فلما قام عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ظنت أنه أخوه فأتته بالمدينة وقد عرف القصة ، فقال : إني لست بأخيه إلا في الإسلام وهو غازٍ وقد عرفنا منتك عليه فأعطاها على أنها ابنة سبيل .

الا بالقطب ، والديان هو يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث الأصغر (١) يقال خفرت الرجل حميته وأجرته من طالبه ، والشنار أقبح العيب والعار والأمر المشهور بالشنعة

وأما كونُ العربِ أُغْيَرَ من غيرهم

فَلأنَّهم كانوا أشدَّ الناس حاجةً إلى حفظِ الأنسابِ ، ولذلك اعتنوا بضبطها غايةَ الاعتناء ، لما امتنعوا عن سلطانِ يَهْرَهُم . ويكفُّ الأذى عنهم ليكونوا به متظافرين على من ناوهم متناصرين على من شاقهم وعاداهم حتى بلغوا بألفةِ الأنسابِ تناصرهم على القوى . وتحكموا به حكم التسلطِ المتشطط . فإن الرَّحِمَ إذا تَمَسَّتْ تَمَاطَفَتْ والغيرةُ أساسُ ذلك ومنها ينشأ ضبطُ الأنسابِ وحفظها كما لا يخفى فإنها ثوران الغضبِ حمايةً على إكرامِ الحرم . وجعل الله سبحانه هذه القوةَ في الإنسان سبباً لصيانةِ الماءِ وحفظاً للأنسابِ ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرةَ في رجالها وضعت الصيانةَ في نساءها . وقد وصل العرب في الغيرةِ إلى أن جاوزوا الحد ، حتى كانوا يَتَدُونُ البناتِ مخافةَ لحوقِ العارِ بهم من أجلهنَّ أى يدفنونهن وهن أحياء . وسيجيء تفصيل مذهبهم فيها في الأعمال التي أبطلها الإسلام .

وأول قبيلةٍ وأدت من العرب ربيعة . وذلك أنَّهم أُغْيِرَ عليهم . فنهبت بنت لأمير لهم فاستردَّها بعد الصلح فحُيِّرَتْ رضى منها بين أبيها ومنَّه هى عنده فاخترت منَّه هى عنده وآثرته على أبيها فغَضِبَ وسَنَّ لقومه الوأدَ ففعلوه غيرةً منهم ، ومخافةً أن يَقَعَ لهم بعد ذلك مثلُ ما وقع وشاع في العرب غيرهم . ومن نحوه العرب وغيرتهم أنهم يَكُونُونَ عن حرائرِ النساءِ بالببيض ، وقد جاء القرآن العزيز بذلك فقال سبحانه (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) وقال امرؤ القيس :

وببيضةٍ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤها تَمَتَّعْتُ عن لَهْوٍ بها غيرِ معجلٍ (١)

ويكنون عنهن أيضاً بالنخلة ، وعلى ذلك قول بعض العرب :

ألا يا نخلةً من ذاتِ عِرْقٍ عليكِ ورحمةُ اللهِ السَّلامُ (٢)

(١) أى رب امرأة كبيضة الخدر في حسنها وصيانتها لا يرام سترها ، ومعجل اسم مفعول اعجله فهو معجل يعنى أنه لعزه لا يتعرض منه بغار عليها
(٢) هذا البيت من شواهد النحو يستشهد به على أن النكرة الموصوفة تنصب فنخلة نكرة موصوفة بالجار والمجرور وفيه شاهد آخر وهو تقديم المعطوف بالواو على المعطوف عليه والأصل عليك السلام ورحمة الله

سألتُ الناسَ عنكَ فحَبَّروني هنا من ذاك تَكَرُّهُ الكرامُ
وليس بما أحلَّ اللهُ بأسنَّ إذا هو لم يُحَالِطْهُ الحرامُ
فإن هذا الشاعر كنى عن المرأة بالنخلة وبالهناء عن الرفث . فأما الهنأة فمن
عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك . وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن
طريف الكناية وغريبها ، وأنشد ابن الأعرابي لرجل من بني مُرَّة بن عوف يكنى
عن امرأتين :

أيا نخلتي أول إذا كان فيكما جنى فانظرا من تطمان جناكما
ويا نخلتي أول إذا هبت الصبا وأمست مقروراً ذكرت ذراكا

وقال وضاح البيني

أيا نخلتني وادي بؤانة حبداً إذا نام خراسُ النخيلِ جناكما
وبؤانة نضم الباء الموحدة من أسفل : موضع . ويكنون عنهن بالسرحة^(١)

قال حميد بن ثور :

أبي الله إلا أن سرحة مالك على كل أفنان العضاء تروق^(٢)
فيا طيبَ رباها ويا بردَ ظلها إذا حان من شمس النهار شروقُ
فهل أنا إن عللتُ نفسي بسرحة من السرح مسدود على طريقُ
حي ظلها شكسُ الخليفة طائفُ عليها عرام الطائفين شقيق^(٣)
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفء من برد العشى تذوق

وقال أيضاً في مثله

تجرم أهلوها لئن كنت مشعراً جنونا بها يا طول هذا التجرم
ومالي من ذنب إليهم علمته سوى أنني قد قلت يا سرحة اسلمي^(٤)

(١) هي الشجرة العظيمة من العضاء (٢) العضاء وزان كتاب من شجر الشوك كالطلح والعوسج وأستثنى بعضهم القتاد والسدر فلم يجعله من العضاء ، والهاء أصلية ، والأفنان جمع فتن : الأغصان ، والسرحة : الشجرة العظيمة من العضاء (٣) قوله عرام بالضم أى سبى الخلق (٤) السرحة مر تفسيرها . والمعنى لا ذنب لى اعترف به غير انى قلت يا سرحة اسلمي وكان هذا الشاعر لما قال يا سرحة اسلمي علم أهل المرأة انه يريد صاحبتهم فغضبوا لذلك

نعم فاسلمى ثم اسلمى ثم اسلمى ثلاث تحيات وإن لم تكلمى^(١)
ويكونون عنهن بشجرة أو شاة ونعجة وجؤذر . وهو ولد البقرة الوحشية وريم
وما شاكل ذلك . قال المسيب بن علس :

دعا شجر الأرض داعيهم لينصره السدر والإاثاب^(٢)
فكنى بالشجر عن النساء . وهم يقولون جاء فلان بالشوك والشجر إذا جاء بجيش
عظيم . وقال عنتره :

يا شاة ما تقص لمن حلت له حرمت عليّ وليتها لم تحرم
وإنما ذكر عبلة جارية أبيه فلذلك حرمها على نفسه . وكذلك قوله والشاة
ممكنة لمن هو مرتم . والعرب تجعل المهابة شاة لأنها عندهم صائنة الظباء ولذلك
يسمونها نعجة . وعلى هذا المتعارف في الكناية جاء قول الله تعالى في إخباره
عن خصم داود عليه السلام « إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة
واحدة » كنى بالنعجة عن المرأة . وروى ابن قتيبة أن رجلا^(٣) كتب إلى عمر رضى
الله تعالى عنه :

قلائضنا هـداك الله أنا شغلنا عنكم زمن الحصار^(٤)

فما قلص وجدن معقلات قفا سلع بمختلف النجار^(٥)

(١) نعم فاسلمى نعم يحاب به في الاستفهام المحض ويتوصل به الى بسط
الكلام وصلته كما هنا وثلاث تحيات انتصب على المصدر من فعل محذوف
تقديره احببى ، والمعنى حبيبتها ثلاثا بقولى اسلمى ولم ترد الجواب .
(٢) الاثاب ، شجر الواحدة اثابة قال الكهيت :

وغادرن المقاول فى مكر كخشب الاثاب المتغطر سينا

(٣) هو على ما فى التاج وغيره أبو المنهال بقيلة الأكبر وكان وجهه سيدنا
عمر (رض) الى احدى الغزوات بنواحي فارس وكان ترك عياله بالمدينة فبلغه
أن رجلا من بنى سلم اسمه جمدة يختلف الى النساء الغائبات أزواجهن فكتب
الى سيدنا عمر (رض) يشكو منه (٤) قلائضنا منصوب بالاضمار أى احفظ
قلائضنا وهى فى الاصل جمع قلوص للناقة الشابة واراد بها النساء (٥) قوله
معقلات يعنى نساء معقلات لأزواجهن كما تعقل - أى تشد - النوق للضراب ،
وسلع جبل فى المدينة وجبل لهذيل وحصن بوادى موسى من عمل الشوبك
يقرب بيت المقدس ، ونجار ككتاب موضع عن العمرانى ، وكغراب موضع ببلاد
تميم وقيل من مباههم وماء بالقرب من صفينة حذاء جبل الستار فى ديار ساسيم
عن نصر

يعقلهن جمعد شيطمي وبئس معقل الذود الظوار^(١)
قال فإنما كنى بالقلص وهي النوق الشواب عن النساء ففهم عمر ما أراه وجلد
جمعة ونفاه . ومن نحوه العرب وغيرتهم أنه كان من عاداتهم إذا وردوا المياه أن
يتقدم الرجال . ثم المضاربط^(٢) والرعاء ثم النساء إذا صدرت كل فرقة عنه فكان
يفسلن أنفسهن وثيابهن ويتطهرن آمنات مما يزعمهن فمن تأخر عن الماء حتى
تصدر النساء فهو الغاية في الذل . وإلى ذلك أشارت كبشة^(٣) أخت عمرو بن معدى
كرب . بقولها من أبيات :

ولا تردوا إلا فضول نسائكم إذا ارتملت أعقابهن من الدم
وقد تستعمل الغيرة في صيانة كل ما يلزم الإنسان صيانتته في السياسات
الثلاث التي هي سياسة الرجل نفسه . وسياسة أهله ومنزله . وسياسة مدينته

(١) الجمعد الكريم من الرجال ، والشطمي : الفتى الجسيم ، والظوار
جمع ظئر بالكسر الناقة العاطفة على ولد غيرها المرضعة له ، والذود : ثلاثة
أبيرة إلى التسعة وقيل إلى العشرة أو العشرين وفويق ذلك وقيل غير ذلك
ويروى بدل جمعد

شيطمي أو جمعة من سليم معيدا يتغنى سقط العذارى
أراد أنه يتعرض لهن فكنى بالعقل عن الجماع أي ان أزواجهن يعقلونهن
وهو يعقلهن أيضا كان البدء للأزواج والاعادة له (٢) جمع عضروط وهو الخادم
على طعام بطنه والأجير (٣) كانت كبشة من النساء الشاعرات المتوسطات في
الشعر وكانت متزوجة في بنى الحرث بن كعب وكان عبد الله أخاها لأبيها
وأما دون عمرو وهذا البيت من أبيات لها وهي :

أرسل عبد الله إذ خان يومه إلى قومه لاتعقلوا لهم دمي
ولا تأخذوا منهم أفالا وأبكرا وارك في بيت بصعدة مظلم
ودع عنك عمرا ان عمرامسالم وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم
فان انتم لم تشأروا واتديتم فمشوا بأذان النعام المسلم
ولا تردوا الخ

والسبب في هذا الشعر ان عبد الله بن معد يكرب مر براع المحزم بن
سلمة من بنى مالك بن مازن ابن زبيد فاستقاه لبنا فأبى واعتل عليه فشتمه
فقتله عبد الله فثارت بنو مازن بعبد الله فقتلوه وجاءوا إلى عمرو فقالوا ان
أخاك قتله رجل منا سفيه ونحن يدك وعضدك فمسألك الرحم إلا أخذت
الدية ما أحببت وهم عمرو بذلك ففضبت كبشة وقالت هذه الأبيات وذكر
علماء الأدب أيضا غير ذلك في سبب هذا الشعر وقولها إذا ارتملت يقال ترمل
وارتمل إذا تلطخ بالدم وجعلت النساء متلطخات بدم الحيض تفضيها للامر
وكان من عاداتهم إذا وردوا المياه أن تتأخر النساء حتى تصدر كل فرقة
عنه إلى آخر ما بين في الأصل ومعنى هذا الكلام انه لا شرف لكم بعد أخذكم الدية

وضيعته . ولذلك قيل ليست الغيرة ذبه عن كل ضعيف وتسمى كراهة النعمة عند من لا يستحقها غيره . والغيرة وإن كانت قوة إنسانية يجب وجودها في كل جيل قد كثرت في العرب حتى إن من دخل دار أحدهم والتجأ إلى فئانه عدوا فعله حرمة وجواراً ودماراً بل إن تعلق ذلك بالوحشيات والهوام . حتى إنهم كانوا يسمون بذلك مجير الجراد ومجير الفزال ومجير الذئب ونحو ذلك . وفي الأمثال « أحمى من مجير الجراد » قالوا هو مدلج بن سويد الطائي . ومن حديثه فيم ذكر ابن الأعرابي عن ابن الكلبي أنه خلا ذات يوم في خيمته فإذا هو بقوم من طيء ومهم أوعيتهم ، فقال : ما خطبكم ؟ قالوا جراد وقع بفنائك فحُتْنَا لنأخذه فركب فرسه وأخذ رمحه وقال : والله لا يعرضنَّ له أحد منكم إلا قتلته ، إنكم رأيتموه في جوارى ثم تريدون أخذه فلم يزل يحرسه حتى حميت عليه الشمس وطار فقال شأنكم الآن . وقد تحول عن جوارى ، ويقال : إن المجير كان حارثة ابن مر أبا حنبل ، وفيه يقول شاعر طيء :

ومنا ابن مر أبو حنبل أجار من الناس رجل الجراد

وزيدٌ لنا ولنا حاتم غياث الورى في السنين الشداد

وفي الأمثال أيضاً أحمى من مجير الطُّمن وهو ربيعة بن مكدّم الكنانى ومن حديثه فيما ذكر أبو عبيدة أن نُبَيْشَةَ بن حبيب السلمى خرج غازياً فلقى ظمناً من كنانة بالكديد فأراد أن يَحْتَوِيَهَا فأنه ربيعة بن مكدّم بن فوارس . وكان غلاماً له ذوابة فشده عليه نبيشه فطمعه في عضده فأتى ربيعة أمه فقال :

شدى على العصب أمّ سيارُ فقد رزئت فارساً كالدينار

فقاتل له أمه

إنا بنى ربيعة بن مالك مرزءوا خيارنا كذلك

من بين مقتولٍ وبين هالك

ثم عصبتة فاستسقاها ماءً فقالت : اذهب فقاتل القوم فإن الماء لا يفوتك فرجع

وكرَّ على القوم فكشفهم ورجع إلى الظن وقال إنى هالك لما بي وسأحيكن ميتاً
كماحيكن حياً بأن أقيفَ بفرسى على العقبة وأتكي على رعي فإن فاضت نفسى
كان الرمح عمادى فالنجاء النجاء فإنى أردّ بذلك وجوه القوم ساعةً من النهار فقطمن
العقبة ووقف هو بإزاء القوم على فرسه متكثاً على رحه وزفه الدم ففاض أى مات ،
والقوم بإزائه يجمعون عن الإقدام عليه . فلما طال وقوفه فى مكانه ورأوه لايزول
عنه رموا فرسه قمص وخرّ ربيعة لوجهه فطلبوا الظن فلم يلحقوهن ، ثم إن
حفص بن الأخيف الكنانى (١) مرّ بجيفة ربيعة فمرفها فأمال عليها أحجاراً من
الحرّة ، وقال بيكيه :

لا يبعدن ربيعةً بنُ مكدّمٍ وسقى الغوادى قبرهُ بدَنُوبِ (٢)
نفرتَ فلوصى من حجارةِ حرّةٍ بُنيتَ على طلقِ أليدينِ وهُوبِ (٣)
لا تنفري يا ناقُ منه فإنه شريبُ خمرٍ مسعرٍ لحروبِ (٤)
لولا السفارُ وبُعدُ خرقي مَهْمِه لتركتها تجبو على العُرُوبِ (٥)

قال أبو عبيدة قال أبو عمرو بن الملاء : ما نعلم قتيلاً حى ظمأن غير ربيعة بن
مكدّم . وقصة مجير أم عامر شهيرة إلى غير ذلك مما يطول ذكره . ويسمى الغضب
المقتضى للغيرة الحفيظة فقالوا احفظنى فلان أى أغضبنى الغضب الذى أثار منى
قوة الحفظ .

(١) قال محمد بن سلام : الصحيح ان هذه الايات لعمرو بن شقيق احد
بنى فهر بن مالك ومن الناس من يرويها لكرز بن حفص بن الأخيف العامرى
وعمرو بن شقيق اولى بها وهذا الشعر قيل فى قتل ربيعة بن مكدّم الكنانى
احد فرسان مضر العدودين وشجعانهم المشهورين قتله نبيشة بن حبيب
السلمى فى يوم الكديد (٢) الغوادى جمع غادية وهى سحابة الصباح ،
والذنوب : الدلو العظيمة استعير هنا للغيث يتفجع على ربيعة ويدعو له
بالرحمة والرضوان (٣) نفرت : فزعت ، والقלוص من النوق الشبانة ، وقوله
من حجارة حرّة المراد بها قبر ربيعة والحرّة أرض ذات حجارة سود
(٤) مسعر على وزن مفعل آلة فى ايقاد الحرب (٥) السفار : السفر ، والخرق :
الأرض الواسعة ، والمهمه : المغازة البعيدة الأطراف ، والحبو : المشى على
اليدين والبطن ، وعروقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها ، والمعنى
لولا أنى محتاج إليها فى السفر لطوله لنحرتها عند قبره لتاكلها الناس كما
كانت عادتهم اذا اجتازوا بقبر كريم

والحاصل أن العرب لما كانوا أتم الناس عقولا وأحلاما ، وأطلقهم ألسنة وأوفرهم أفهاما ، استتبع ذلك لهم كل فضيلة ، وأورثهم كل منقبة جلييلة فإن العقل المشرق في الإنسان يحصل عنه العلم والمعرفة والدراية والحكمة والذكاء والذهن والفهم والفتنة وجودة الخاطر وجودة الفهم والتخيل والبداهة والكيس والخير وإصابة الظن والفراسة^(١) والذكاة^(٢) والكهانة^(٣) والعرافة^(٤) والإلهام ودقة النظر والرأى والتدبير وصحة الفكر وجودة الذكرو وجودة الحفظ والبلاغة والفصاحة وسائر الأخلاق المحمودة والأعمال المدوحة ، ولكن كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير معطلة عن فعله ليس عندهم علم منزل من السماء ولا شريعة موروثة عن نبي ، ولا هم أيضاً مشتغلون ببعض العلوم العقلية المحضنة ، كالطب والحساب ونحوهما وإنما علمهم ما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب ، أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم ، أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء^(٥) والنجوم ، أو من الحروب وتحو ذلك مما سيجيء تفصيله عند الكلام على علومهم إن شاء الله تعالى . فلما بعث الله تعالى محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم بالهدى الذى جعله علماً فى الأرض ولا يجعل أجلاً منه وأعظم قدراً وتلقوه عنه بمد مجاهدته الشديدة لهم ومعالجتهم عن نقلهم عن تلك العادات الجاهلية . والظلمات الكفرية التى كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها . فلما تلقوا عنه ذلك الهدى العظيم زالت تلك الريون واستنارت بهدايته فأخذوا هذا الهدى العظيم . لتلك الفطرة الحميدة فاجتمع لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم ، والكمال الذى أنزله الله إليهم ، فهم بمنزلة أرضٍ جيّدة فى نفسها لكننها معطلة عن الحرث أو قد نبت فيها شجرة العضاء

(١) الاستدلال بهيئة الانسان وأشكاله وأوانه واقواله على اخلاقه وفضائله ووزائله (٢) هى ان تركز شيئاً بالظن فتصيب (٣) الكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرهما قيل هى ادعاء علم الغيب كالأخبار بما سيقع فى الأرض مع الاستناد الى سبب (٤) قسيمة للكهانة عند كثير من العلماء وقال بعضهم الكهانة مختصة بالأمور المستقلة والعرافة بالأمور الماضية (٥) جمع نؤ وهو النجم اذا مال للغروب أو سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق

والموسج ، وصارت مأوى الخنازير والسباع ، فإذا طهرت عن المؤذى من الشجر والدواب وازدرع فيها أفضل الحبوب والثمار جاء فيها من الحرث ما لا يوصف مثله فصار السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل خلق الله تعالى بعد الأنبياء وصار أفضل الناس بعدهم من اتبعهم بإحسان من العرب والعجم بمقتضى الشريعة الغراء ، وورد فيها أيضاً أن قريشاً أفضل العرب ، وأن بنى هاشم أفضل من قريش وأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل بنى هاشم ، فهو أفضل الخلق نفساً وأعلامهم نسباً وليس فضل العرب ثم قريش بنى هاشم ، لمجرد كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منهم ، وإن كان هذا من الفضل ، بل هم في أنفسهم أفضل . وبذلك يثبت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه أفضل نفساً ونسباً وإلا لزم الدور (١) .

* * *

مناظرة هرت بين النعمان بن المنذر

وكسرى ملك الفرس في شأن العرب

ذكر كثير من المؤرخين ، ومنهم ابن عبد ربه في تاريخه ما رواه ابن القطاي عن الكلبي ، قال قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم ما ذكروا . فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم . ولم يستثن فارس ولا غيرها . فقال كسرى وأخذته عزة الملك : يانعمان لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الأمم ونظرت في حال من يقدم على من وفود الأمم ، فوجدت الروم لها حظ في اجتماع ألفتها وعظم سلطانتها وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها وأن لها ديناً يبين حلالها وحرامها ويرد سفيها ويقم جاهلها .

(١) توقف الشيء على نفسه

ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها مع كثرة أنهار بلادها وثمارها وعجيب صناعاتها وطيب أشجارها ودقيق حسابها وكثرة عددها . وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وفروسياتها ومهمتها في آلة الحرب وصناعة الحديد وأن لها ملكاً يجمعها . والترك والخزر على ما بهم من سوء الحال في المعاش وقلة الريف والثمار والحصون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لهم ملوك تضم قواصيمهم وتدبر أمرهم . ولم أر للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة . ومع أن مما يدل على مهانتها وذلتها وصغر مهمتها محلتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطيور الحائرة يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل التي يماها كثير من السباع لنقلها وسوء طعمها وخوف دائها . وإن قرى أحدهم ضيفاً عدها مكرمة . وإن أطعم أكلة عدها غنيمة تنطق بذلك أشعارهم ، وتفتنخ بذلك رجالهم ، ما خلا هذه التنوخية التي أسس جدى اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها . فجرى لها ذلك إلى يومنا هذا . وأن لها مع ذلك آثاراً ولبوساً وقرى وحصوناً وأموراً تُشبه بعض أمور الناس يعني اليمن ، ثم لا أراكم تستكثنون على ما بكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس ، حتى تفتنخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس .

قال النعمان

أصلح الله الملك حق لأمة الملك منها أن يسمو فضلها ويعظم حظها وتعلو درجتها إلا أن عندي جواباً في كل ما نطق به الملك في غير رد عليه ولا تكذيب له فإن أمتي من غضبه نطقت به ، قال كسرى : قل فأنت آمن . قال النعمان . أما أمتك أيها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها وبجُبُوحةِ عزها وما أكرمها الله به من ولاية آباءك وولايتك . وأما الأمم التي ذكرت فأى أمة تقرنها بالعرب إلا فضلها . قال كسرى : بماذا ؟ قال

النمان : بعزها ومتميتها وحسن وجوها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة
عقلها وأنفتها ووفائها « فأما عزها ومتميتها » فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين
دوخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل
حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف
وعدتهم الصبر إذ غيرها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور
« وأما حسن وجوها وألوانها » فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من
الهند المنحرفة ، والصين المنحفة ، والترک المشوهة ، والروم المقشرة . « وأما أنسابها
وأحسابها » فليست أمة من الأمم إلا وقد جهت آباءها وأصولها وكثيراً من أولها
حتى إن أحدهم ليسأل عن وزاء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه . وليس أحد من العرب
إلا يسمى آباءه أبا فابا أحاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا به أنسابهم . فلا يدخل رجل
في غير قومه ، ولا ينتسب إلى غير نسبه ، ولا يدعى إلى غير أبيه « وأما سخاؤها »
فإن أدناهم رجلا الذي تكون عنده البكرة والتاب عليها بلاغه في حموله وشيمه
وربه فيطرقة الطارق الذي يكتفي بالفيلذة^(١) ويحتري بالشرية فيمقرها له ويرضى أن
يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الأحداث وطيب الذكر . « وأما حكمة ألسنتهم »
فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم
بالأشياء وضربهم للأمثال وإبلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من السنة الأجناس .
ثم خيلهم أفضل الخيل ، ونساؤهم أعف النساء ، ولباسهم أفضل اللباس ، ومعادنتهم
الذهب والفضة ، وحجارة جبالهم الجزع^(٢) ، ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفن ،
ولا يقطع بمثلها بلد قفر . « وأما دينها وشريعتها » فإنهم متمسكون به حتى يبلغ
أحدهم من تمسكه بدينه أن لهم أشهراً حرماً وبلداً محرماً وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه
مناسكهم وينبجون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثأره
وإدراك رغمه منه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى . « وأما وفاؤها » فإن أحدهم
(١) القطة من الشيء والجمع فلد مثل سدره وسدر (٢) خرز فيه بياض
وسواد الواحدة جزعة مثل تمر وتمريرة .

يلحظ اللحظة ويومئ الإيماء ، فهي وَلَتْ^(١) وعقدة لا يجلها إلا خروج نفسه ، وإن أحدهم يرفع عوداً من الأرض فيكون رهناً بدينه فلا يُفْلَقُ^(٢) رهنه ولا تخفر ذمته^(٣) وإن أحدهم ليبلغه أن رجلاً استجار به وعسى أن يكون نائياً عن داره ، فيصاب فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره ، وأنه لَيَلْجَأُ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتسكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله . وأما قولك أيها الملك : يئدون أولادهم ، فإنما يفعله من يفعله منهم بالإناث أنفة من العار وغيره من الأزواج . وأما قولك : إن أفضل طعامهم لحوم الأبل على ما وصفت منها فما تركوا ما دونها إلا احتقاراً له فعمدوا إلى أجلها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر البهائم شحوما ، وأطيبها لحوما ، وأرقها ألباناً ، وأقلها غائلةً ، وأحلاها مضغمةً ، وإنه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه « وأما تجاربهم » وأكل بعضهم بمضاً وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أنست من نفسها ضعفاً وتخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون إليهم أمورهم ، وينقادون لهم بأزمته وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين مع أنفسهم من أداء الخراج والوظف^(٤) بالعسف وأما اليمن التي وصفها الملك فلما أتى جدُّ الملك إليها الذي أتاه عند غلبة الحبش له على ملك متسق وأمر مجتمع فأتاه مسلوباً طريداً مستصرخاً قد تقاصر عن إيوائه ، وصغر في عينه ما شيد من بنائه ولولا

(١) العهد بين القوم وقيل العهد المحكم ، وقيل الشيء اليسير من العهد وفي حديث ابن سيرين : أنه كان يكره شراء سبى (زابل) - بلد بالسند - وقال ان عثمان ولت لهم ولثا أى أعطاهم شيئاً من العهد ، وقال الجوهري الولت العهد بين القوم يقع من غير قصد ويكون غير مؤكد يقال ولت له عقداً (٢) غلق الرهن غلقاً من باب تعب استحققه المرتهن فترك فكاكه وفي حديث « لا يفلق الرهن بما فيه » أى لا يستحقه المرتهن بالدين الذى هو مرهون به (٣) يقال خفرت بالرجل أخفر من باب ضرب غدرت به (٤) أى استحصال المال منهم بالجبر والظلم يقال سحابة وطفاء أى مسترخية الجوانب بكثرة ماؤها

ماوتر^(١) به من يليه من العرب لمال إلى مجال ، ولو جد من يجيد الطعام ، ويفضبط للأحرار ، من غلبة العبيد الأشرار . قال فموجب كسرى لما أجابه النعمان به . وقال : إنك لأهل لموضعك من الرياسة في أهل إقليمك ولما هو أفضل ثم كساه من كسوته وسرحه إلى موضعه من الحيرة . فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين أمرهم . بعث إلى أكثم ابن صيفي ، وحاجب بن زرارة التميميين . وإلى الحارث بن ظالم . وقيس بن مسمود البكريين ، وإلى خالد بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة ، وطاهر بن الطفيل العامريين ، وإلى عمرو بن الشريد السلمي ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، والحارث ابن ظالم المري ، فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم : قد عرفتم هذه الأعاجم وقرب جوار العرب منها وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غوراً ويكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولاً^(٢) كبعض طباطمته^(٣) في تأديتهم الخراج إليه كما يفعل بلوك الأمم الذين حوله ، فاقترض عليهم مقالات كسرى وما رد عليه . فقالوا : أيها الملك وقلك الله ما أحسن ما رددت وأبلغ ما حججته به فرنا بأمرك وادعنا إلى ما شئت . قال : إنما أنا رجل منكم وإنما ملكت وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم ، وليس شيء أحب إلي مما سدد الله به أمركم ، وأصلح به شأنكم وأدام به عزكم ، والرأي أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط وتنتظروا إلى كسرى فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه . ولا ينطق رجل منكم بما يفضيه فإنه ملك عظيم السلطان كثير الأعوان مترف معجب بنفسه ولا تنخزلوا له أنخزال الخاضع الذليل وليكن أمر بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم ، وفضل منزلتكم وعظيم أخطاركم ، وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صيفي لسنى حاله ، ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها فإنما دعاني إلى التقدمة إليكم على

(١) اخذ ثاره والثرة كذلك (٢) أي عبيدا (٣) جمع طمطم بالكسر الذي في لسانه عجمة لا يفصح

بجميل كل رجل منكم على التقدّم قبل صاحبه فلا يكون ذلك منكم فيجد في آدابكم مطمئناً فإنه ملك قادر مسلط . ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حُللِ الملوك كل رجل منهم حُلّة وعممه عمامة وخنمه بياقوته وأمر لكل رجل منهم بنجبية مهربية وفرس نجبية وكتب معهم كتاباً : « أما بعد فإن الملك ألقى إلى من أمر العرب ما قد علم ، وأجبتة بما قد فهم ، بما أحببت أن يكون منه على علم ولا يتلجلج في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجزت دونه بمملكته وحمت ما يليها بفضل قوتها تبلغها في شيء من الأمور التي يمتاز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة وقد أوفدت إليها الملك رهطاً من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم فليسمع الملك وليغامض عن جفاء إن ظهر من منطقهم وليكرمهم بكرامهم وتمجّلهم سراحهم . وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائهم » ، فخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن ، فدفعوا إليه كتاب النعمان فقرأه وأمر بإزالتهم إلى أن يجلس لهم مجلساً يسمع منهم فلما أن كان بعد ذلك بأيام أمر مرزبته^(١) ووجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله ، ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام الترجمان ليؤدى إليه كلامهم . ثم أذن لهم في الكلام . فقام أكرم بن صبي فقال :

إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أممها
نقماً ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ،
والكذب مهوأة ، والشر لجابة ، والحزم مركب صعب . والعجز مركب وطيء ،

(١) جمع مرزبان بضم الزاي وهو رئيس الفرس تكلموا به قديماً ، كذا في شفاء الغليل وفي لسان العرب : وأما المرزبية من الفرس فمعرب ، وقال ابن بري حكى عن الأصمعي أنه يقال للرئيس من العجم مرزبان ومرزبران بالراء والزاي وأنشد في المعجم لبعض الشعراء :

المدار داران ايوان وغمندان والملك ملكان ساسان وقحطان
والأرض فارس والاقليم بابل وال اسلام مكة والدينيا خراسان
الى ان قال :
قد رتب الناس جم في مراتبهم فمرزبان وبطريق وطاخان

آفة الرأى الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة ، إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى ، من فسدت بطانته كان كالفاس بالماء ، شر البلاد بلاد لا أمير بها ، شر الملوك من خافه البرىء . المرء يعجز لا محالة ، أفضل الأولاد البررة . خير الأعوان من لم يُراء بالنصيحة ، أحق الجنود بالنصر حسنت سيرته . يكفيك من الزاد ما بلغك المحل ، حسبك من شر سماعه^(١) ، الصمت حكم ، وقليل فاعله . البلاغة الإيجاز ، من شدد نقر ، ومن تراخى تألف . فتمجّب كسرى من أكرم . ثم قال : ويحك يا أكرم ما أحكمك وأوثق كلامك ، لولا وضعك كلامك في غير موضعه . قال أكرم : الصدق ينيء عنك لا الوعيد . قال كسرى : لو لم يكن للعرب غيرك لكفى . قال أكرم : ربّ قول ، أنفذ من صوّل^(٢) .

ثم قام حاجب بن زرارة النيمى فقال : ورى زندك ، وعلت يدك ، وهيب سلطانك . إنّ العرب أمة قد غلظت أكبادها ، واستحصدت مريتها^(٣) ، ومنعت درتها ، وهى لك وامقة^(٤) ما تألفتها ، مسترسلة ما لا ينتها ، سامعة ما ساحتها ، وهى العلقم مرارة ، وهو الصاب^(٥) غضاضة ، والعسل حلاوة ، والماء الزلال سلاسة . نحن وفودها إليك ، وألسنتها لديك ، ذمّتنا محفوظة ، وأحسابنا ممنوعة ، وعشائرنا فينا سامعة مطيعة ، إنّ نؤب لك حامدين خيراً فلك بذلك عموم محمّدتنا ، وإنّ ندم لم نخض بالدم دونها . قال كسرى : يا حاجب ما أشبه حيجر التلال بألوان صخرها . قال حاجب : بل زئير الأسد بصولتها . قال كسرى : وذلك .

(١) أى اكتف من الشر بسماعه ولا تعينه ويجوز ان يريد يكفيك سماع الشر وان لم تقدم عليه ولم تنسب اليه مثل قائته فاطمة بنت الخرشب الانمارية أم الربيع بن زياد العبسى لما اراد قيس بن زهير أخذها براحتها ليرتئها بالدرع التى كان ابنها أخذها منه ، يضرب عند العار والمقالة السيئة ويخاف منها كما فى فرائد اللال (٢) ويروى رب قول أشد من صول ، الصول: الحملة والوثبة عند الخصومة والحرب - يضرب عند الكلام يؤثر فيمن يواجه به وقد يضرب فى ما يتبقى منه ، وأشد نعت قول كما فى الفرائد للاحدب .

(٣) المرة بالكسرة القوة والشدة ، واستحصدت : استحكمت

(٤) أى محبة (٥) شجر مر

ثم قام الحارث بن عمار البكري فقال : دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها ، وعلو سنانها ، من طال رشاؤه^(١) كثير متَّحُهُ ، ومن ذهب ماله قل منحه^(٢) تناقل الأقاويل يعرف اللب . وهذا مقام سيوجف^(٣) بما تنطق به الركب وتعرف به كنه حالنا المعجم والعرب ، ونحن جيرانك الأذنون ، وأعوانك الممينون ، خيولنا جمَّة ، وجيوشنا نخمة . إن استنجدتنا فغير رُبض^(٤) وإن استطرقتنا فغير جُهض^(٥) ، وإن طلبتنا فغير مُغض لا ننثنى لدُعر ، ولا تتنكر لدَهْر ، رماحنا طوال ، وأعمارنا قصار ، قال كسرى : أنفُسُ عزيزة والله ضعيفة . قال الحارث : أيها الملك وأنى يكون لضعيف غزاة أو لصغير مرة . قال كسرى : لو قصر عمرك لم تستول على لسانك نفسك . قال الحارث : أيها الملك إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتبية مغرراً بنفسه على الموت فهي منية استقبلها ، وجنان استدبرها ، والعرب تعلم أنى أبعث الحرب قدما وأحبسها ، وهي تصرف بها حتى إذا جاشت نارها ، وسعرت لظاها ، وكشفت عن ساقها ، جعلت مقادها رمحي ، وبرقها سيفي ، ورعدتها زئيري ، ولم أقصر عن خوض ضحضاحها^(٦) . حتى أنغمس في تَمَرَات لججها ، وأكون فلكا لفرسانى إلى مجبوحة كبشها^(٧) . فاستمطرها دما وأترك حماها جزر السباع وكل نَسْرٍ قشعم^(٨) . ثم قال كسرى لمن حضره من العرب : أ كذلك هو ؟ قالوا : فعاله انطلق من لسانه . قال كسرى : ما رأيت كالسيوم وفداً أحشد ، ولا شهوداً أوفد .

ثم قام عمرو بن الشريد السلمي فقال : أيها الملك نعم بالاك ، ودام في السرور حالك ، إن عاقبة الكلام متدبرة . وإشكال الأمور معتبرة ، وفي كثير ثقلة ، وفي قليل بُلغة^(٩) . وفي الملوك سورة العز ، وهذا منطق له ما بعده ، شرف فيه

(١) الرشاء : الحبل والجمع ارشبية مثل كساء واكسيه ، والمتح : الاستقاء
(٢) المنح العطاء (٣) وجف يجف وجيفا : اضطرب (٤) رجل ربض عن الحاجات والاسفار بوزن جنب لا ينهض فيها (٥) أى فغير مانعين
(٦) الضحضاح من الماء الذى يظهر منه القمر (٧) بجبوحه المكان : وسطه
(٨) قشعم كجعفر المسن من الرجال والنسور (٩) ما يتبلغ به من العيش

من شرف ، ونخل فيه من نخل ، لم نأت لضيمك ، ولم نفد لسخطك ، ولم نتمرض
لرِفْدِكَ^(١) إن في أموالنا منتقداً ، وعلى عزنا معتمداً ، إن أوريئنا ناراً أتقبنا ،
وإن أروِدَ^(٢) دهر بنا اعتدلنا ، إلا أنا مع هذا لجوارك حافظون ، ولبن رامك كاخون
حتى يحمد الصدر ، ويستطاب الخبر . قال كسرى : ما يقوم قصد منطقك بإفراطك ،
ولا مدحك بذك ، قال عمرو : كفى بقليل قصدي هاديا ، وبأيسر إفراطي مخبراً ،
ولم يلم من عزبت نفسه عما يعلم ، ورضى من القصد بما بلغ . قال كسرى : ما كل
ما يعرف المرء ينطق به ، اجلس .

ثم قام خالد بن جعفر الكلابي فقال : أحضر الله الملك إسماعداً ، وأرشده إرشاداً ،
إن لكل منطق فرصةً ، ولكل حاجة غصةً : وعيَّ المنطق أشدَّ من عيِّ
السكوت . وعثار القول : أنكأ من عثار الوعث^(٣) وما فرصة المنطق عندنا إلاَّ
بما نهوى ، وغصة المنطق بما لانهوى غير مستساغة ، وتركى ما أعلم من نفسى
ويعلم من سمعى أنى له مطيق أحبُّ إلىَّ من تكافى ما أخوف ويتخوف منى .
وقد أوفدنا إليك ملكنا النعمان ، وهو لك من خير الأعوان ، ونعم حامل
المعروف والإحسان ، أنفسنا بالطاعة لك باخمة^(٤) . ورقابنا بالنصيحة خاضعة ،
وأيدينا لك بالوفاء رهينة . . قال له كسرى : نطقت بعقل ، وسمرت بفضل .
وعلوت بتُّبُل .

ثم قام علقمة بن علاثة العامري فقال : نهجت لك سبل الرشاد ، وخضعت لك
رقاب العباد ، إنَّ للأقاويل مناهج ، وللآراء موالج ، وللمويص مخارج ، وخير القول
أصدقاه ، وأفضل الطلب أنجحاه ، إننا وإن كانت الحجة أحضرتنا . والوفادة قربتنا ،
فليس من حضرك منا بأفضل ممن عزب عنك . بل لو قست كل رجل منهم وعلمت

(١) الرِفْد : العطاء (٢) أى رفق والا رواد الامهال وفي المثل : الدهر ارود
مستبد أى لبن المعاملة غالب على امره (٣) المكان السهل الدهس تغيب فيه
الاقدام والطريق العسر ووعث الطريق كسمع وكرم تعسر سلوكه واوعث
وقع فى الوعث واسرف فى المال . (٤) يقال بضع نفسه بضعاً من باب نفع
قتلها من وجد أو غيظ وبضع لى بالحق بضعاً انقاد وبدله .

منهم ما علمنا ، لوجدت له في آبائه دنيا أندادا وأكفاء كلهم إلى الفضل منسوب ،
وبالشرف والسؤدد موصوف ، وبالرأى الفاضل والأدب النافذ معروف ، يحمي حماه ،
ويروى نداماه ، ويدود أعداه ، لا تحمد ناره ، ولا يحتز منه جازه ، أيها الملك من
يبيل العرب يعرف فضلهم فاصطنع العرب فإنهم الجبال الرواسي عزا ، والبحور
الزواخر طميا ، والنجوم الزواهر شرفا ، والحصى عدداً ، فإن تعرف لهم فضلهم
يمزوك ، وإن تستصرخهم لا يخذلوك ، قال كسرى وخشي أن يأتي منه كلام يحمله
على السخط عليه : حسبيك ، أبلغت وأحسننت .

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني فقال : أطاب الله بك المرشد ، وجنبك
المصائب ، ووقاك مكروه الشصائب^(١) ما أحقنا إذ أتيناك بإسماعك ما لا يحنق
صدرك ، ولا يزرع لنا حقداً في قلبك ، لم تقدم أيها الملك لساماة ، ولم تنتسب
لمادة ، ولكن لتعلم أنت ورعيتهك ومن حضرك من وفود الأمم أنا في المنطق
غير محجمين ، وفي الناس غير مقصرين ، إن جورينا فغير مسبوقين ، وإن
سومينا فغير مغلوبين : قال كسرى : غير أنكم إذا عاهدتم فغير وافين ، وهو
يمرض به في تركه الوفاء بضمانه السواد ، قال قيس : أيها الملك ما كنت في ذلك
إلا كوافٍ غدر به أو تخافر أخفر بدمته . قال كسرى : ما يكون لضعيف ضمان
ولا لدليل خفارة . قال قيس : أيها الملك ما أنا فيما أخفر من ذمتي أحق بإلزامي
العار منك فيما قتل من رعيتهك ، وانتك من حرمتك ، قال كسرى : ذلك من
اثمن الخانة ، واستنجد الأئمة . ناله من الخطأ ما نالني ، وليس كل الناس سواء ،
كيف رأيت حاجب بن زُرارة لم يحكم قواه فيبرم ويعهد فيوفي ويمد فينجز . قال :
وما أحقه بذلك وما رأيت به إلا لي . قال كسرى : القوم بزل فأفضلها أشدها .

ثم قام عامر بن الطفيل العامري فقال . كثر فنون المنطق وليس القول أعمى من
حندس الظلماء ، وإنما الفخر في الفعل ، والمعجز في النجدة ، والسؤدد مطاوعة

(١) أي الشدائد .

القدرة ، وما أعلمك بقدرنا ، وأبصرَكَ بفضلنا ، وبالحرى إن أدالت الأيام ، وثابت الأحلام ، أن تحدث لنا أموراً لها أعلام . قال كسرى : وما تلك الأحلام ؟ قال مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر ، على أمر يذكرك ، قال كسرى : وما الأمر الذى يذكرك ؟ قال : ما لي علم بأكثر مما خبرني به نخب . قال كسرى : متى تكاهنت يا ابن الطفيل ؟ قال : لست بكاهن ، ولكنى بالرمح طاعن . قال كسرى : فإن أتاك آت من جهة عينك العوراء ما أنت صانع ؟ قال : ماهيتي في قفاى بدون هيتي في وجهي وما أذهب عيني في عبث ولكن مطاوعة العيث .

ثم قام عمرو بن معد يكرب الزبيدي فقال : إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، (١) فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجدة الارتياح ، وعفو الرأى خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة ، خير من اعتساف الخبرة ، فاجتنب (٢) طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرنا بملكك (٣) وألن لنا كسفتك (٤) يسلس لنا قيادنا (٥) ، فإن أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضا ، ولكن معنا حمانا من كل من رام لنا هضما .

ثم قام الحارث بن ظالم المري فقال : إن آفة المنطق الكذب ، ومن

(١) هما القلب واللسان لصغر حجمهما وقيل سميا بذلك لانهما اكبر ما في الانسان معنى وفضلا من باب التصغير للتعظيم كأنه قيل المرء يقوم معانيه بهما او يكمل بهما ، قاله شقة بن ضمرة حين قال له النعمان بن المنذر : لان تسمع بالمعدي خير من ان تراه ، فقال ابنت اللعن ان الرجال ليسوا بجزر تراد منها الاجسام وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه ان قال قال بلسان وان قاتل قاتل بجنان ، فلما رأى المنذر عقله وبيانه سماه باسم ابيه ضمرة فقيل ضمرة بن ضمرة . (٢) الجيد والاجتياز : الجذب . (٣) يقال كظم غيظه يكظمه كظما : اجترعه كما في الصحاح وقيل رده وجبسه واحتمل سببه وصبر عليه وهو مجاز مأخوذ من كظم البعير الجرة ومنه قوله تعالى : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » والبادرة : ما يبدر من حدثك في الغضب بلغت الغاية في الاسراع من قول او فعل وبادرة الشر ما يبدرك منه يقال اخشى عليك بادرته وبادرت منه بوادر غضب اى خطأ وسقطات عندما احتد وقال النابغة :

ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
(٤) الكنف بفتح الجيم : الجانب . (٥) يقال فلان يسلس القيادة وصعبه وهو على المثل اى يتابعك على هواك كما في الأساس ، وفي حديث علي (رض) : فمن اللهج باللذة السلس القيادة .

لثوم الأخلاق الملتقى ، ومن حطل الرأي خفة الملك السلط ، فإن أعلمناك أن مواجعتنا لك عن ائتلاف ، وإيفادنا لك عن تصاف ، ما أنت لقبول ذلك منا بخليق ، ولا للاعتماد عليه بحقيق ، ولكن الوفاء بالعهود ، وأحكام واث المقود ، والأمر بيننا وبينك معتدل . ما لم يأت من قبلك ميل أوزلل . قال كسرى : من أنت ؟ قال الحارث بن ظالم . قال : إن في أسماء آباءك لدليلا على قلة وفائك ، وأن تكون أولى بالعدر ، وأقرب من الوزر . قال الحارث : إن في الحق مغضبة ، والسرو والتغافل ، ولن يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة ، فلتشبه أفعالك مجلسك ، قال كسرى : هذا فتى القوم . ثم قال كسرى : قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم : وتفان فيه متكلموكم ، ولولا إني أعلم أن الأدب لم يتقف أودكم^(١) ولم يحكم أمركم ، وإنه ليس لكم ملك يجمعكم فننطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة . فنطقتم بما استولى على ألسنتكم ، وغلب على طباعكم ، لم أجز لكم كثيرا مما تكلمتم به ، وإني لأكره أن أجيء وفودي أو أحنق صدورهم ، والذي أحب من إصلاح مدبركم ، وتألف شواذكم ، والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم ، وقد قبلت فيما كان في منطقتكم من صواب ، وصفحتم عما كان فيه من خلل ، فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا مؤازرتهم ، والزموا طاعته ، وادعوا سفهاءكم ، وأقيموا أودهم ، وأحسنوا أديبهم ، فإن في ذلك صلاح العامة .

كلام لابن المقفع في فضل العرب

روى أبو العيناء الهاشمي عن الفخدي عن شبيب بن شبة قال : كنا وقوفا بالمربد موضع بالبصرة وكان المربد مألَّف الأشراف ، إذ أقبل ابن المقفع فبشبتنا^(٢) به وبدأناه بالسلام فرد علينا السلام ، ثم قال : لو ملتم إلى نبروز

(١) يقال ثقفته بالتشديد أي اقمتم المعوج منه ، والادود الاعوجاج .

(٢) قال يعقوب يقال لقيته فتشبتش بي واصلها تشبتش بي فابدلوا من الشين الوسطى بباء كما قالوا تجفف .

وظلها الظليل ، وسورها المديد ، ونسيميا العجيب ، فعودتم أبدانكم تمهيد الأرض ، وأرحتم دوابكم من جهد الثقل ، فإن الذي تطلبونه لم تفلتوه ، ومهما قضى الله لكم من شيء تنالوه ، فقبلنا وملنا فلما استقر بنا المكان ، قال لنا أيُّ الأمم أعقل ؟ فنظر بعضنا إلى بعض فقلنا : لعله أراد أصله من فارس فقلنا : فارس فقال ليسوا فنظر بعضنا إلى بعض فقلنا : لعله أراد أصله من فارس فقلنا : فارس . فقال ليسوا بذلك إنهم ملكوا كثيراً من الأرض ، ووجدوا عظيماً من الملك ، وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبت فيهم عقد الأمر ، فما استنبطوا شيئاً بعقولهم ، ولا ابتدعوا باقى حكم فى نفوسهم . قلنا : فالروم . قال : أصحاب صنعة . قلنا : فالصين . قال : أصحاب طرفة . قلنا : فالهند . قال : أصحاب فلسفة . قلنا : السودان . قال : شر خاق الله . قلنا الترك . قال : كلاب مختلصة . قلنا : الخزر . قال : بقرسامة قلنا : فقل . قال : العرب . قال فضحكنا قال : أما إني ما أردت موافقتكم ، ولكن إذ فاتني حظى من النسبة ، فلا يفوتنى حظى من المعرفة . إنَّ العرب حكمت على غير مثال مثل لها ، ولا آثار أترت ، أصحاب إبل وغنم ، وسكان شعر وأدم ، يجود أحدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك فى ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بمقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ماشاء فيحسن ، ويقبح ماشاء فيقبح ، أدبهم أنفسهم ورفعتهم همهم وأعلتهم قلوبهم وألسنتهم ، فلم يزل حباء الله فيهم ، وحبائهم فى أنفسهم ، حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتتح دينه وخلافته بهم إلى الحشر على الخير فيهم ولهم ، فقال سبحانه « إنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والمعاقبة للمتقين » ، فمن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خصم ، ودفع الحق باللسان ، أكبت للجنان .

مذهب الشعوبية فى العرب وابطالها

الشعوبية فرقة من الناس ذهبوا إلى تصغير شأن العرب . وإنهم لا يرون لهم

فضلا على غيرهم من سُئوا بذلك لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل . فقد قال جمع من المفسرين في قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل) : إن القبائل للعرب ، والشعوب للعجم ، ومن الناس من قد يفضل بعض أنواع العجم على العرب ، ومنهم أبو عبيدة وكان يرى رأى الخوارج وقد ألف كتابا في مثالب العرب وابن غرسيبة وله رسالة فصيحة في تفضيل العجم على العرب وقد رد عليه علماء الأندلس بعدة رسائل . قال أبو عبيد البكري في شرح أمالي القالي : كتاب مثالب العرب أصله لزيد بن أبيه فإنه لما ادعى أبا سفيان أبا علم أن العرب لا تقر له بذلك مع علمهم بنسبه فعمل كتاب المثالب . وألصق بالعرب كل عيب وعار وباطل وإفك وبهت . ثم ثنى على ذلك الهيثم بن عدى وكان دعياً فأراد أن يعر أهل الشرف تشفياً منهم ثم جدد ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى وزاد فيه لأن أصله كان يهوديا ، أسلم جده على يدي بعض آل أبي بكر فانتمى إلى ولاء تيم ، ثم نشأ غليلان الشعوبى الوراق وكان زنديقا ثنويا لا يشك فيه فعمل لطاهر بن الحسين كتابا خارجا عن الإسلام بدأ فيه بمثالب بنى هاشم وذكرنا كحهم وأمهاتهم ثم بطون قريش ثم سائر العرب ونسب إليهم كل كذب وزور ووضع عليهم كل إفك وبهتان ووصله عليه طاهر بثلاثين ألفا . وأما كتاب المثالب والمناقب الذي بأيدي الناس اليوم فإنه هو للنضر ابن شمير الحميري ، وخالد بن سلمة المخزومي ، وكانا أنسب أهل زمانهما أمرهما هشام بن عبد الملك أن يبيننا مثالب العرب ومناقبها ، وقال لها ولن انضم إليهما : دعوا قريشاً بما لها وما عليها فليس لقرشي في ذلك الكتاب ذكر انتهى وكثير من الأعاجم يرى هذا الرأي ، روى عن بديع الزمان الهمداني أنه قال : كنت عند الصاحب كافي الكفاة أبي القاسم إسماعيل بن عباد يوما وقد دخل عليه شاعر من شعراء العجم ، فأنشده قصيدةً يفضل فيها قومه على العرب ويذمهم وهي :

غنيبا بالطبولِ عن الطلؤلِ وعن عس عذافرة ذمول^(١)
وأذهلني عقاراً عن عقارٍ ففي است أم القضاة مع العدولِ
فلست بتارك إيوانَ كسرى لتوضح أو لِحَوْمَلِ فَالِدَّخُولِ^(٢)
وضبِّ بالفلا ساعٍ وذئبٍ بها يعمى وليثٍ وسطَ غيل^(٣)
يسلّون السيوفَ لرأسِ ضبِّ حِراشاً بالعداةِ وبالأصيل^(٤)
إذا ذَبَحُوا فذلك يومُ عيدٍ وإن نَحَرُوا ففي عرسٍ جليل
أما لو لم يكن للفرس إلا نجارُ الصاحبِ القرمِ النبيل^(٥)
لكان لهم بذلك خير نفرٍ وجيلُهُمُ بذلك خير جيل
فلما وصل إلى هذا الموضع من إنشاده قال له الصاحب : فذاك . ثم اشرب^(٦)
ينظر إلى الزوايا وأهل المجلس وكنت جالساً في زاوية من البهو^(٧) فلم يرني فقال :
ابن أبي الفضل . فقلت وقبّلت الأرض وقلت : أمرك . وقال : أجب عن ثلاثك
قلت : وما هي ؟ قال : أدبك ونسبك ومذهبك . فقلت : لا فسحة للقول ولا راحة
للطبع إلا السرد كما تسمع . ثم أنشدت أقول :

أراك على شفا خطر مهول بما أودعت لفظك من فضول
تريد على مكارمنا دليلاً متى احتاج النهار إلى دليل ؟
ألسنا الضارينَ جزى عليكم وإن الجزى أولى بالدليل
متى قرع المنابر فأرسي متى عرّف الأعرّ من الحجول

(١) العدافر كعلايط الاسد والعظيم الشديد من الابل ، والذمول الناقة التي تدمل في سيرها والذميل السير اللين ماكان او فوق العنق .
(٢) يشير بهذا الى ما قاله امرؤ القيس في معلقته وهو :
قفانك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال
وكل هذه أسماء مواضع . (٣) الفلا جمع فلاة وهي القفر ، والغيل : موضع الاسد . (٤) حرش الضب : صاده ، والاصيل : العشي .
(٥) النجار بالكسر الاصل ، والقرم : السيد . (٦) يقال اشرب اليه مد عنقه لينظر او ارتفع الاسم الشرايبية كالطمائينة . (٧) البهو البيت المقدم امام البيوت .

متى عرَفْتُ - وأنت بها زعيم - أكفُّ الفرس أعراف الخيول
نحرتَ بملء ما ضغنتيك هُجْرًا على قحطانَ والبيت الأصيل^(١)
وتفخر أن ما كولاً ولبساً وذلك نخرُ ربّات الحُجول
ففاخرهن في خدِّ أسيل وفرع في مفارقتها رَسيل
وأجدُّ من أبيك إذا تزيّاً عرأة كالليوثِ على الحُجول

قال : فلما أتممت إنشادى التفت إليه الصاحب وقال له : كيف رأيت ، قال
لو سمعت به ما صدقت . قال : فإذا جأرتك جوازك إن رأيتك بعد هذا ضربت
عنقك . ثم قال : لا أدري أحداً يفضل العجم إلا وفيه عرق من الجوسية ينزع
إليه .^(٢) والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاقٍ إما في الاعتقاد
وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس مع شبهات اقتضت ذلك ، ولهذا جاء
في الحديث « حب العرب إيمان وبغضهم نفاق » ، مع أن الكلام في هذه المسائل
لا يكاد يخلو عن هوى النفس من الطرفين ، وهذا في الشريعة محرم في جميع
المسائل ، فإن الله تعالى قد أمر المؤمنين بالاعتصام بحبل الله ونهاهم عن التفرق
والاختلاف وأمرهم بإصلاح ذات البين : وفي الحديث : مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم وتماطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالسهر والحلمى . وفي حديثٍ آخر : لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباعضوا
ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى . وإني لا أعجب من
غير المسلمين إذا نازع في هذه المسألة ، وإنما العجب ممن يلتزم أمر الشريعة
ويخالف فيما سمعت من فضل العرب مع ما ورد من النصوص الصريحة في ذلك .
فقد روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن العباس رضى الله تعالى عنه ، قال :
بلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعض ما يقول الناس ، قال فصعد المنبر فقال :

(١) الماضغان اصول اللحيين عند منبت الأضراس ، والهجر بالضم القبيح
من الكلام . (٢) أى يميل إليه .

من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله . فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ،
إنَّ الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فرقتين ، فجعلني في خير فرقة ،
وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، فأنا
خيركم بيتاً وخيركم نفساً . . فأخبر صلى الله تعالى عليه وسلم أنه ما انقسم الخلق
فريقين إلا كان هو في خير الفريقين . وقوله في الحديث خلق الخلق فجعلني
في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة يحتمل شيئين . أحدهما : أن الخلق
هم الثقلان أى الجن والإنس أو هم جميع ما خلق في الأرض وبنو آدم خيرهم .
وإن قيل بعموم الخلق حتى تدخل فيه الملائكة ففيه تفضيل جنس بنى آدم على
جنس الملائكة وله وجه صحيح ، ثم جعل بنى آدم فرقتين وهما العرب والعجم ،
ثم جعل العرب قبائل ، فكانت قريش أفضل قبائل العرب ، ثم جعل قريشاً
بيوتاً ، فكانت بنو هاشم أفضل البيوت . ويحتمل أنه أراد بالخلق بنى آدم ،
فكان في خيرهم - أى في ولد إبراهيم أو في العرب - ثم جعل بنى إبراهيم
فرقتين ، بنى إسماعيل ، وبنى إسحاق ، وجعل العرب عدنان وقحطان ، فجعلني
في بنى إسماعيل في بنى عدنان ، ثم جعل بنى إسماعيل وبنى عدنان قبائل ، فجعلني
في خيرهم قبيلة وهم قريش . وعلى كل تقدير فالحديث صريح بتفضيل العرب
على غيرهم ، ولهذا وردت أخبار صحيحة في محبتهم والاعتناء بشأنهم منها : أن
حب العرب إيمان وبغضهم كفر . من أحب العرب فقد أحببني ، ومن أبغض
العرب فقد أبغضني . ومنها : من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي .
وذلك لأن الشمس للنوع لا يكون مع محبتهم بل لا يكون إلا مع استخفاف أو
بغض . ومنها : أحبوا العرب لثلاث لأنى عربى ، والقرآن عربى ، ولسان أهل
الجنة عربى . وروى الترمذى عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه أنه قال :
فضلتمونا يامعشر العرب باثنتين لا تؤمكم ولا تنكح نساءكم . وهذا مما احتج
به أكثر الفقهاء الذين جعلوا العربية من الكفاءة بالنسبة إلى العجمى ، واحتج

به أحمد في إحدى الروايتين على أن الكفاءة ليست حقاً لواحد معين بل هي من الحقوق المطلقة في النكاح حتى إنه يفرق بينهما عند عدمها . واحتج أصحاب الشافعي بهذا على أن الشرف مما يوجب التقديم في الصلاة . وذكر أبو محمد حرب ابن إسماعيل الكرماني صاحب الإمام أحمد في وصفه للسنة التي قال فيها هذا مذهب أئمة المسلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق . وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم . وكان من قولهم : إن الإيمان قولٌ وعملٌ ونية وساق كلاماً طويلاً إلى أن قال : ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : حبُّ العرب إيمانٌ وبفضهم نفاق ، ولا نقول بقول الشعوبية وأردال الموالى الذين لا يحبون العرب ولا يقرون بفضلهم ، فإن قولهم بدعة وضلال ، عند ذوى الفضل والكمال . انتهى . والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، وللحفاظ العراق رسالة في ذلك سماها (القرب في محبة العرب) . وكذا لغيره من العلماء المتقدمين :

* * *

سب الشعوبية وإبطالها

قالت الشعوبية : إنا ذهبنا إلى العدل والتسوية وإن الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد ، واحتججنا بقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم ، ويسمى بذمتهم أدناهم . وهم يد على من سواهم . وقوله في حجة الوداع وهي خطبته التي ودع فيها أمته وختم نبوته : أيها الناس إن الله تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية ونخرها بالآباء كلكم لآدم ، وآدم من تراب ،

ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى . وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافق لقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فأيتيم إلا فخرًا وقلتم لا تساوينا المعجم وإن تقدمتنا إلى الإسلام ثم صلت حتى تصير كالخني وصامت حتى تصير كالأوتار . ونحن نساحكم ونجيبكم إلى الفخر بالآباء الذي نهاكم عنه نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم إذ أيتيم إلا خلفه وإنما نجيبكم إلى ذلك لإتباع حديثه وما أمر به صلى الله تعالى عليه وسلم فنرد عليكم حججتكم في الفاخرة ونقول : أخبرونا إن قالت لكم المعجم هل تمدون الفخر كله أن يكون ملكا أو نبوة ؟ فإن زعمتم أنه ملك ، قالت لكم : وإن لنا ملوك الأرض كلها من الفراعنة والتماردة والمالقة والأكاسرة والقياصرة ، وهل ينبغي لأحد أن يكون له مثل ملك سليمان عليه الصلاة والسلام الذي سخرت له الإنس والجن والطير والريح وإنما هو رجل منا ؟ أم هل كان لأحد مثل ملك الإسكندر الذي ملك الأرض كلها وبلغ مطلع الشمس ومغربها وبني رَدْمًا^(١) من حديد ساوى به بين الصّدْفَيْنِ^(٢) وسجن وراءه خلقًا من الناس تربو على خلق الأرض كلها كثرة ؟ يقول الله عز وجل : (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون)^(٣) ، فليس شيء على كثرة عددهم من هذا وليس لأحد من ولد آدم مثل آثاره في الأرض ولو لم يكن إلا منارة إسكندرية التي أسسها في قعر البحر وجعل في رأسها مرآة يظهر البحر كله في زجاجتها . وكيف ومنا ملوك الهند الذين كتب أحدهم إلى عمر بن عبد العزيز من ملك الأملاك الذي هو ابن ألف ملك ، والذي تحته بنت ألف ملك ، والذي في مربطه ألف فيل ، والذي له نهران ينبتان العود والفوة والجوز والكافور الذي يوجد ريحه على اثني عشر ميلا ، إلى

(١) هو السد بين يأجوج ومأجوج . (٢) الصدفان ناحيتان وقوله عز وجل ساوى بين الصدفين أي ما بين الناحيتين من الجبل .
(٣) الحدب بفتح الحاء ما ارتفع من الأرض، وينسلون أي يسرعون من النسلان وهو مقاربة الخطو مع الاسراع كمشى الدّئب إذا أسرع يقال مر الدّئب ينسل ويهسل .

ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئاً . أما بعد فإنى أردت أن تبعث إلى رجلا يعلمنى الإسلام ويوقفى على حدوده والسلام وإن زعمتم أنه لا يكون الفخر إلا بنبوته فإن منّا الأنبياء والمرسلين قاطبةً من لدن آدم ما خلا أربعةً هوداً وصالحاً وإسماعيل ومحمداً عليهم الصلاة والسلام . ومنا المصطفون من العالمين آدم ونوح وهما المنصران اللذان تفرع منهما البشر فنحن الأصل وأنتم الفرع ، وإنما أنتم غصن من أغصاننا فقولوا بعد هذا ما شئتم وادعوا . ولم تزل الأمم كلها من الأعاجم في كل شق من الأرض لها ملوك تجممها ومدائن تضمها وأحكام تدين بها وفلسفة تنتجها وبدائع تفتقها في الأدوات والصناعات ، مثل صنعة الديباج وهى أبداع صنعة ، ولعب الشطرنج وهى أشرف لعبة ، ورمانة القبان التي يوزن بها رطل واحد ومائة رطل ، ومثل فلسفة الروم في ذات الخلق والقانون والإصطراب الذي يعدل به النجوم ويدرك به علم الأبعاد ودوران الأفلاك وعلم الكسوف وغير ذلك من الآثار المتقنة ، ولم يكن للعرب ملكٌ يجمع سوادها ويضم قواصبيها ، ويقمع ظالمها وينهى سفهها ، ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ولا أثر في فلسفة إلا ما كان من الشعر . وقد شاركتها فيه المعجم ، وذلك أن للروم أشعاراً عجيبة قائمة الوزن والعروض فما الذى تفتخر به العرب على المعجم فأما هى كالدئاب العادية ، والوحوش النافرة ، يأكل بعضها بعضاً ويغير بعضها على بعض . فرجلها موثقون في حلق الأسر ، ونساؤها سبايا مردفات على حقائق الإبل ، فإذا أدركهن الصريح استنقذن بالعشى ، وقد وطئن كما توطأ الطريق المهيع .^(١) فخر بذلك شاعر فقال : وأوثق عند المردفات عشية^(٢) فقيل له ويحك وأى فخر أن تلحق بالعشى وقد نكحن وامتهن . وقال جرير يعيربنى دارم بغلبة قيس عليهم يوم رحرحان :

وبرحرحان غداة كئيل معبد نكحت نساؤكم بغير مهور

(١) الواسع الواضح . (٢) تمامه : لحاقا اذا ما جرى السيف مانع .

وقال عنتره لامرأته

إن الرجال لهم إليك وسيلةٌ أن يأخذوك تكحلي وتخصبي
وأنا امرؤٌ إن يأخذوني عنوةً أقرن إلى شدِّ الركب وأجنب
ويكون مركبك القمود ورحله وابنُ النعامة عند ذلك مركبي

أراد ابن النعامة ، باطنَ القدم . وسبى ابن هبولة الغساني امرأة الحارث بن عمرو الكندي فلحقه الحارث فقتله وارتجع المرأة ، وقد كان نال منها فقال لها : هل كان أصابك ؟ قالت : نعم والله فما اشتملت النساء على مثله . فأوثقها بين فرسين ، ثم استحفظها حتى قطعها ، وقال في ذلك :

كل أنثى وإن بدا لك منها آيةُ الود حبا خيتعمور^(١)
إن من غره النساء بودٍ بعد هنيء لجاهل مغرور

وسبت بنو سليم ريحانة أخت عمرو بن معد يكرب فارس العرب ، فقال فيها عمرو :
أمن (ريحانة) الداعي السميع يُورقني وأصحابي هجوع
وفيهما يقول :

إذا لم تستطع أمراً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع^(٢)

وأغار الحوفزان على بني منقذ بن زيد مناة فاحتمل الزرقاء من بني ربيع بن الحارث فأعجبته وأعجبها فوقع بها ، ثم لحقه قيس بن عاصم فاستنقذها وردّها إلى أهلها بعد أن وقع بها . . فهذا كان شأن العرب والعجم في جاهليتها ، فلما أتى الله بالإسلام كان للعجم شطر الإسلام . وذلك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعث إلى الأحمر والأسود من بني آدم ، وكان أول من تبعه حر وعبد ، واختلف الناس

(١) الخيتعمور : السيئة الخلق وكل ما لا يدوم على حالة .

(٢) قال الدماميني : يحكى أن شخصاً سأل الخليل أن يقرأ عليه علم العروض فاقام مدة يختلف اليه للقراءة ولم يحصل شيئاً فأعيا الخليل امره ولم ير أن يواجهه بالمتع حياء منه فقال له يوماً وقد حضر للقراءة قطع قول الشاعر إذا لم تستطع البيت ففطن الرجل الى ما اراده الخليل فانصرف ولم يعد ، وأنا اعجب ممن تفتن لمثل هذا كيف يصعب عليه فن العروض مع سهولته والله مقدر الامور .

فيهما فقال قوم : أبو بكر ، وبلال . وقال قوم : عليٌّ وصُهَيْب . ولما احتضر عُمَرُ
ابن الخطاب رضی الله تعالى عنه قدم صهيباً على المهاجرين والأنصار فصلى بالناس
وقال له : استخلف . فقال : ما إخواني ممن أستخلف ، فذكر له الستة من أهل
جِراء فكلهم طعن عليه ، ثم قال لو أدركت سالمًا مولى أبي حذيفة حيًا لماشكت
فيه ، فقال في ذلك شاعر العرب :

هذا صُهَيْبُ أُمَّ كُلِّ مُهَاجِرٍ وعلا جميعَ قبائلِ الأنصارِ
لم يرض منهم واحداً لصلاتنا وهمُ الهداةُ وقادةُ الأخيارِ
هذا ولو كان المرمِ سالمٌ حياً لنالِ خلافةَ الأمصارِ
مازال هذى العجم تحيا دوننا إن العريب لقي نعيَّ وخسارِ

وقال بجير يعبر العرب باختلافها في النسب واستلحاقها للأدعياء :

زعمتم بأن الهند أولادُ خِنْدِفٍ وبينكم قربي وبين البرابرِ
وديلمُ من نسلِ ابنِ ضَبَّةِ باسلِ وبرجان من أولادِ عمرو بنِ عامرِ
قد صار كلُّ الناسِ أولادَ واحدٍ وصاروا سواءً في أصولِ المناصرِ
بنو الأصفرِ الأملاكِ أكرمُ منكم وأولى بقرابانا ملوكِ الأكاسِرِ
أطمع في صهرى دَعِيًّا مجاهراً ولم تر سترًا من دعىِّ مجاهِرِ
وتشتم لؤمًا رهطه وقبيله وتمدح جهلا طاهراً وابنَ طاهرِ

وقال الحسن بن هانئ على مذهب الشعوية :

وجاورت قومًا ليس بيني وبينهم أوأصِرُ إلا دعوةً وبطونُ
إذا ما دعى باسمي العَرِيفُ أحبُّهُ إلى دعوةٍ مما علىَّ يهونُ
لارد عمان بن المهلبِ بزوة إذا افتخر الأقوم ثم تلينُ
وبكر يرى أن النبوة أنزلت على مسمع في البطن وهو جنينُ
وقالت تميم : لا ترى أن واحداً كأحنفنا حتى المائة يكونُ

فلالت قيساً بعدها في قتيبة إذا افتخروا إن الحديث شجون^(١)

رد ابن قتيبة على الشعوية

قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب : وأما أهل التسوية فإن منهم قوماً أخذوا
ظاهر بعض الكتاب والحديث فقصوا به ولم يفتشوا عن معناه ، فذهبوا إلى قوله
عز وجل : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . وقوله : (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا
بين أخوتكم) . وإلى قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع :
(أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء ليس لعربي على
عجمي نغز إلا بالتقوى ، كلُّكم لآدم وآدم من تراب) . وقوله صلى الله تعالى عليه
وسلم : (المؤمنون تنكافأ دماؤهم ويسمى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم) .
وإنما المعنى في هذا أن الناس كلهم من المؤمنين سواء في طريق الأحكام والمنزلة عند الله
تعالى والدار والآخرة ، لو كان الناس كلهم سواء في أمور الدنيا ليس لأحد فضل
إلا بأمر الآخرة لم يكن في الدنيا شريف ولا مشروف ، ولا فاضل ولا مفضول ،
فما معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه) . وقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم : (أقبِلوا ذوى الهيئات عثراتهم) . وقوله صلى الله تعالى
عليه وسلم في قيس ابن عاصم : (هذا سيد الوبر) . وكانت العرب تقول : (لا يزال
الناس بخير ما تباينوا فإذا تساؤوا هلكوا) . تقول . لا يزالون بخير ما كان فيهم
أشراف وأخيار فإذا جملا كلهم جملة واحدة هلكوا . وإذا ذمت العرب قوماً قالوا :
« سواسية كأسنان الحمار » .^(٢) وكيف يستوى الناس في فضائلهم والرجل الواحد
لا يستوى في نفسه أعضاؤه ولا تنكافأ مفاصله ، ولكن لبعضها الفضل على بعض ،

(١) هذا مثل ولفظه : الحديث ذو شجون أى ذو طرق الواحد شجون
بسكون الجيم ، يضرب هذا المثل في الحديث يتذكر به غيره ، وأول من قاله
ضبة بن اد بن طابخة بن اياس ابن مضر ، وقصته المذكورة في كتب الامثال
فلترجع . (٢) قال في الصحاح هما في هذا الأمر سواء « وان شئت سواآن
وهم سواء للجمع وهم اسواء وهم سواسية مثل يمانية على غير قياس ، وفي

والرأس الفضل على جميع البدن بالعقل والحواس الخمس وقالوا : القلب أمير الجسد ،
ومن الأعضاء خادمة ومنها مخدومة ، ثم قال : ومن أعظم ما أدعت الشعوبية نخرهم
على العرب بآدم عليه السلام ، ويقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « ولا تفضلوني
عليه فإنما أنا حسنة من حسناته » . ثم نخرهم بالأنبياء أجمعين وأنهم من المعجم غير
أربعة هود وصالح وإسميل ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، واحتجوا بقول الله عزوجل :
(إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريةً بعضها من
بعض والله سميع عليم) . ثم نخرُوا بإسحق بن إبراهيم وأنه لسارة : وأن إسميل لآمة
تسمى هاجر . وقال شاعرهم :

في بلدة لم تصل عُكْلٌ بها طنباً ولا خِباءٌ ولا عاكٌ وهَمْدٌ ان^(١)
ولا لجرمٍ ولا نهدي بها وطن ولكنها لبني الأحرار أوطان^(٢)
أرض تبني بها كسرى مساكنه فما بها من بني اللخناء إنسان^(٣)

فبنو الأحرار عندهم المعجم ، وبنو اللخناء عندهم العرب ، لأنهم من ولد
هاجر وهي أمة . وقد غلطوا في هذا التأويل ، وليس كل أمة يقال لها اللخناء ،

التهذيب : قال الفراء هم سواسية يستونون في الشر ولا أقول في الخير ولا
واحد له وحكى عن ابى القمقام سواسية اراد سوءاً ثم قال سية ، وروى
عن ابى عمرو انه قال ما اشد ما هجا القائل :

سواسية كاسنان الحمار

وذلك ان اسنانه مستوية انتهى ، وفي الفرائد : سواسية كاسنان الحمار ،
ويقال سواسية كاسنان المشط ، قيل لا يعرف للسواسية مفرد وانما هي كلمة
موضوعة موضع سواء في الشر والمكروه وقيل جمع سوء على غير قياس ،
والمراد في المثل في الشر او اول من تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم .
(١) عكل على مافى نهاية الارب للنويرى بطن من طابخة من العدنانية
وهم بنو عوف بن عبد مناة بن اد بن طابخة ، والطنب بضم تين جبل طويل
يشد به سراقق البيت او الوتد والجمع اطناب وطنبة ، وعك : بطن من الازد
من القحطانية ، وهمدان : بطن من كهلان من القحطانية قال في العبر : وديار
همدان لم تزل باليمن من شريقه ولما جاء الاسلام تفرق من تفرق وبقي من
بقي باليمن ، وكانت همدان شيعة أمير المؤمنين على بن ابى طالب (رض)
عند وقوع الفتن بين الصحابة (رض) . (٢) قال المجد : جزم بطن في طيء
وابن زبان بطن في قضاة انتهى والتفصيل في نهاية الارب للنويرى ، ونهد :
بطن من قضاة من القحطانية .

وإنما اللخناء من الإماء الممتهنة في رعى الإبل وسقيها وجمع الحطب ، وإنما أخذ من اللخن وهو نثر الريح يقال لخن السقاء إذا تغير ريجه . فأما مثل هاجر التي طهرها الله تعالى من كل دنس وارتضاها للخليل فراشاً وللطيبين إسماعيل ومحمد عليهما السلام أما ، وجعلهما سلالةً فهل يجوز للمحد فضلاً عن مسلم أن يسميها لخناء ؟ .

رد الشعوبية على ابن قتيبة

قال بعض من يرى رأى الشعوبية فيما يرد به على ابن قتيبة في تباين الناس وتفاضلهم والسيد منهم والسود : إنا لا ننكر تباين الناس ولا تفاضلهم ولا السيد منهم والسود والشريف والمشروف ، ولكننا نزعم أن تفاضل الناس فيما بينهم ليس بأبائهم ولا بأحسابهم ولكنهم بأفعالهم ، وأخلاقهم ، وشرف أنفسهم ، وبعد همهم ، ألا ترى أنه من كان دنى الهمة ، ساقط المروة ، لم يشرف وإن كان من بني هاشم في ذؤابتها^(١) ومن أمية في أرومتها^(٢) ومن قيس في أشرف بطن منها . إن الكريم من كرمت حاله ، والشريف من شرفت همته . وهو معنى حديث النبي عليه الصلاة والسلام : (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه) . وقوله في قيس بن عاصم : (هذا سيد أهل الوبر) وإنما قال فيه لسؤدده في قومه بالذب عن حريمهم وبذل رِفْدِهِ لهم ، ألا ترى أن عامر بن الطَّفَيْل كان في أشرف بطن في قيس يقول :

وإني وإن كنتُ ابنَ سيدِ عامرٍ وفارسها المشهورَ في كلِّ موكبٍ^(٣)
فما سودتني عامر عن وراثتهِ أبي الله أن أسمو بأمةٍ ولا أبِ
ولكنني أحى حماها وأتقى أذاها وأرى من رماها بمنكب

(١) اللؤابة من العز والشرف وكل شيء اعلاه .

(٢) الأرومة بالفتح وتضم الاصل .

(٣) يستشهد النحويون بهذا البيت على تسكين واو اسمو مع الناصب لاجل الضرورة . . والمعنى انه وان كان كريم الاصل شريف المحتد الا انه لم يرث السيادة عن آبائه وانما سيادته من نفسه لحملها على معالي الأمور ثم قال ابي الله ان اسمو بام ولا اب اي لا يكون ذلك ابداً - والموكب : الجماعة ركباناً او مشاة او ركاب الإبل للزينة .

وقال الآخر

إنّا وإن كرمت أوائلنا لسنا على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال قس بن ساعدة « لأقضين بين العرب بقضية لم يقض بها أحد قبلي ولا يردها أحد بعدى ، أيما رجل رمى رجلا بلامه دونها كرم فلا لوم عليه ، وأيما رجل ادعى كرمًا دونه لؤم فلا كرم له » . ومثله قول عائشة أم المؤمنين « كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به ، وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به » . تعنى بقولها أن أولى الأشياء بالإنسان طبائع نفسه وخصالها ، فإذا كرمت فلا يضره لؤم أوليته . وإن لؤمت فلا ينفعه كرم أوليته . وقال الشاعر :

نفس عصام سودت^(١) عصاما وعلمته الكرم والإقداما^(٢)
وجملته ملكاً هماما^(٣)

وقال آخر

مالي عقلي وهمتي حسبي ما أنا مولى ولا أنا عربي
إن اتعنى منتهم إلى أحد فإنني منتهم إلى أدبي^(٣)

وتكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب فأعجب عبد الملك ما سمع منه ، فقال : ابن من أنت يا غلام ؟ قال ابن نفسى يا أمير المؤمنين التى نلت بها هذا المقعد منك . قال : صدقت قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : حسب الرجل ماله وكرمه دينه . وقال عمر بن الخطاب

(١) قيل عصام هو ابن شهير حاجب النعمان بن المنذر الذى قال له انسابه حين حجبه عن عيادة النعمان من قسيده له :

فانى لا الومك فى دخولى ولكن ما وراءك يا عصام
يضرب فى نباهة الرجل من غير قديم . ويسمى الخارجى أى خرج بنفسه من غير أولية كانت له ، وفى المثل : كن عصاميا ولا تكن عظاميا ، الكرم العطف والرجوع ، واقدام على الامر اقداما شجع . (٢) الهمام بالضم الملك العظيم الهمة والسيد الشجاع السخى خاص بالرجال . (٣) الانتماء الانتساب .

رضى الله تعالى عنه : إن كان لك مال فلك حسب ، وإن كان لك دين فلك كرم .
وقد تعجب شهاب الدين الأندلسي في كتابه المقدم حيث قال بعد ذكر ما سبق من
الكلام : وما رأيت أعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب إنه ذهب فيه
كل مذهب من فضائل العرب ، ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية . فنقض في آخره
كل ما بنى في أوله ، فقال في آخر كلامه : وأعدل القول عندي أن الناس كلهم لأب
وأم خلقوا من تراب وأعيدوا إلى التراب ، وجروا في مجرى البول ، وطراً عليهم
الأقذار ، فهذا نسبهم الأعلى الذي يردع به أهل العقول عن التمثيم والكبرياء ،
والفخر بالأباء ، ثم إلى الله مرجعهم فنقطع الأنساب وتبطل الأحساب ، إلا من
كان حسبه التقوى ، أو كانت مآته طاعة الله .

قول الشعوبية في منالكح العرب

إنما كانت العرب في الجاهلية ينكح بعضهم نساء بعض في غاراتهم بلا عقد
نكاح ولا استبراء من طمئت أي الحيض فكيف يدرى أحدهم من أبوه ، وقد
فخر الفرزدق ببني ضبة حين يبتزون العيال في حروبهم في سبية سبوها من بني
عامر بن صعصعة :

فطلت وظلوا يركبون هبيراها وليس لهم إلا عوالها ستر
والهبير : المطمئن من الأرض . وإنما أراد ههنا فرجها ، وهو القائل في بعض
ما يفخر به :

ومنا التيمي الذي قام أيره ثلاثين يوماً ثم زادهم عشرأ

الرد عليهم في ذلك

إن جميع ما ذكره الشعوبية في شأن منالكح العرب ، وما أوردوه في باب
الطمع على أنسابهم بما كانوا يتعاطونه في الغارات من سبى النساء واسترقاقهم
ووطئهم من غير استبراء من طمئت ونحو ذلك لا أصل له ، وكتب التواريخ

صادحةٌ بتبرّتهم مما رماهم به خصومهم وأعداؤهم ، وقد نطق الشعر الجاهلي بما كانوا عليه من الحمية والغيرة ومزيد الاعتناء بأنسابهم وحفظ حريمهم والذب عن أحسابهم وعشائرهم ، ولم يكن من مذاهب العرب وعوائدها قديماً وحديثاً التمرض بسوء للنساء والأهل في الغارات والمنازعات . بل كان ذلك من أكبر الكبائر لديهم . وما روته الشعوبية من الأبيات الشعرية إن صحت عن قائلها وأنه كان من صميم العرب فلا مطمئن فيه فإن ما يصدر عن شخص من قوم لا يسوغ عند ذوى العقول والآراء الصائبة أن يؤاخذ به جميع أفراد نوعه (ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) . ولم يدع أحد أن كل فرد من أفراد العرب معصوم من كل خطيئة وعيب ، وأن كل فرد منهم أفضل من كل فرد من غيرهم في جميع صفات الفضائل ، هيئات ذلك فإن هذا بديهيّ البطلان . ألا ترى أن جميع أهل العقول السليمة قائلون بفضل جنس الرجال على جنس النساء مع أن بعض أفرادهن لا يماذهن في الكالات النفسية والفضائل الإنسانية ألوف مؤلفة من الرجال العارين عن ذلك . وما أحسن قول الشاعر :

ولو أنَّ النساءَ كمن فقدنا لفضلنا النساءَ على الرجالِ (١)

فما كان من شخصٍ أو شخصين من أمة العرب من المنكر لا يزرى بعلو شأنهم ورفيع مجدهم لاسيما إذا كان ذلك المنكر ليس بمقطوع الصحة أو أنه مما له وجه ، فإن السبي عند غزو بعضهم بعضاً كان في حكم الرقيق بمقتضى ديانتهم

(١) البيت للمتنبي من قصيدة يرثى بها والدة سيف الدولة وقد توفيت بمبا فارقين وجاءه الخبر بموتها الى حلب سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وأولها:
نعد المشرفية والموالي وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقربات وما ينحين من جنب الليالي
ومن لم يعشق الدنيا قديما ولكن لا سبيل الى الوصال
نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال
وهي طويلة وكلها فرائد ودرر ، ومعنى البيت يقول لو ان نساء العالم كهذه المفقودة في الكمال والعفاف لفضلن على الرجال ، قال ابن وكيع ينظر الى قول علي ابن الجهم .

اذا ما عد مثلكم رجالا فما فضل الرجال على النساء

وعوائدهم ، ووطء ملك اليمين من غير عقد ليس بزنى عند كافة أهل الأديان .
هذا مع أن الأمر كما ذكرناه سابقاً ، ثم نقول أى أمة من الأمم غير العرب كانت
ممعصومة من السبي والغارات ، وهكذا ديدن الخليقة من أولها إلى آخرها ،
ولو ذكرنا حال مناكح سائر الأمم غير العرب فى الأيام الخالية لاسودَّ
وجه القرطاس . وما قالته الشعوبية من أن العرب كانوا يقربون النساء من غير
استبراء من طمث فهو بهتانٌ عظيم ، وشعر العرب وتواريخهم ناطقة بخلافه ،
وأهم كانوا يحتززون عن الجماع فى الحيض ، وسيأتى بيان ذلك فى الكلام على
عوائدهم وعباداتهم إن شاء الله تعالى .

بجمل القول فى جميع ما قالته الشعوبية فى العرب

اعلم أن جميع ما قالته الشعوبية فى مقام الاستدلال فى مدعاهم واقع فى غير
موقفه وقائم فى غير محله ، فإن المدعى إنما هو فضيلة الجنس فيما هو مناط الفضيلة
بين أنواع بنى آدم ، وهو أن سبب فضل جنس العرب ما اختصوا به فى عقولهم
وأسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم وغير ذلك مما أسلفناه وأوضحناه بآتم وجه وأبسطة .
وليس المدعى أن الفضيلة بنبوّة حتى يقال إن أنبياء غير العرب أكثر من أنبيائهم ،
فإن جميع الأنبياء كما ذكر وهب بن منبه مائة ألف نبى وأربعة وعشرون ألف
نبى ، الرسل منهم ثلاثمائة نبى وخمسة عشر نبياً ، ومنهم خمسة عبرانيون : آدم
وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم . وخمسة من العرب : هود وصالح وإسماعيل
وشعيب ومحمد صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين . وروى أبو صالح عن ابن
عباس^(١) قال : بعث الله إلى أهل الرسّ - والرس : البئر - نبياً منهم يقال له
حنظلة بن صفوان فكذبوه وقتلوه ، فأوحى الله تعالى إلى نبى كان مع بختنصر
يقال له أرميا بن برخيا : مرُّ بختنصر يفتزو العرب الذين لا أعلاق لبيوتهم

(١) أقول أن ابا صالح لم ير ابن عباس الأرض على ما ذكر رجال الجرح
والتعديل منهم الامام الذهبى فى الميزان .

فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم ، وخالد بن سنان كان أيضاً من أنبياء العرب كما ورد الحديث في شأنه ، وهو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : ذاك نبي أضعه قومه ، وباقي الأنبياء من سائر الأمم المختلفة . فليس فضل العرب ثم قريش ثم نبي هاشم لجرد كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منهم وإن كان هذا من الفضل ، بل هم في أنفسهم أفضلُ وبذلك يثبت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه أفضل نفساً ونسباً وإلا لزم الدور ، مع أنه لو ادعى خصوم الشعوبية أن منشأ الفضيلة ذلك لأمكنهم أن يقولوا إن أنبياء العرب على قلتهم يساؤون غيرهم من الأنبياء والرسل في الفضل أو يرجحونهم ، وليس ذلك يبدع فإن التفاوت ما بين إنسان وإنسان ، ظاهر لدى العيان ، فإنك قد ترى واحداً كعشرة وعشرة كإثنية بل واحداً كإثنية وعشرة أخرى هَدْرَةٌ (١) دون واحد . وقيل لامرأة : عشرة هدره أحب إليك أم واحد كعشرة ؟ فقالت بل واحد كعشرة . قال الشاعر :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً لدى المجد حتى عدت ألف بواحدٍ

بل نرى واحداً كعشرة آلاف ، ونرى عشرة آلاف دون واحد ، كما قال عليه الصلاة والسلام وهو أصدق قبيلاً : الناس كإبلٍ مائة لا تكاد تجد فيها راحلة . والإبل في تعارفهم اسم لمائة بغير ، فإثنية إبل هي عشرة آلاف بغير ، بل لو قيل قد نرى واحداً كعالم وعالم كواحد لجاز ، كما قال عليه الصلاة والسلام : وزنت بأمتي فرجحتهم ، وعلى هذا قول الشاعر :

ليس على الله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحدٍ
وليس المدعى أيضاً أن الفضيلة بملك وثروة وكثرة عددٍ وعدد ، فإنها ليست أيضاً مما تستوجب الفضيلة ، وتقتضى الصفات الجميلة .

(١) هدره محركة وكعنبه وهمزة ساقطون ليسوا بشيء والفتح اقيس لأنه جمع هادر مثل كافر وكفرة وكذا الواحد والاثني يقال رجل هدره مثل همزة ساقط قال الحصين بن بكر الربيعي :

انى اذا حار الجبان الهدره ركبت من قصد السبيل شجره

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيت مذاهبه وجاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقاً^(١)
وفي معنى ذلك يقول السموءل من أبيات مر ذكرها :

وما ضررنا أنا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجارنا الأكثرين ذليلٌ
مع أنه قد بلغت مدينة العرب في الأيام الخالية إلى ما لم يبلغها أحد إذ ذاك ،
وإن انقطع عنا أخبارهم ، هذه آثار مبانيهم العظيمة ، وبقايا مدنهم الجسيمة
تشهد لنا بذلك ، ومدينة تدمر كانت إحدى مدن العرب ومبانيها كما في القاموس
وغيره ، وما يشاهد من بقاياها من أعاجيب الأكوان التي تعجز أهل العصور
المتأخرة عن مطاوتها في رصاتها . وتبامة اليمن وإذواؤها بلغ تسلطهم على البلاد
واستيلاؤهم على الأقطار إلى ما يكل القلم عن وصفه . ومنهم الذي ساوى بين
الصدفين ، وطاف بلاد الأرض ما بين المشرقين والمغربين ، وهو الذي كان يلقب
بذئ القرنين على خلاف ما يزعمه الشموبية وغيرهم ، وهم بعض أهل العلم من
أنه إسكندر الرومي ، فإن الشعر القديم شاهدٌ لما قلناه بل هو أقوى دليل على ذلك ،
قال أعشى بن ثعلبة :

والصعب ذو القرنين أمسى ثاوباً بالحِثْوِ في جدث هناك مقيم
والحنو بكسر المهملة وسكون النون في ناحية المشرق . وقال الربيع بن ضبيع :
والصعب ذو القرنين عمرٌ ملكه ألفين أمسى بعد ذاك رمياً

(١) البيت لابن الراوندي الملحد الزنديق المشهور ، وقبله :
سبحان من وضع الأشياء موضعها وفرق العز والاذلال تفريقاً
وبعده :

هذا الذي ترك الاوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقاً
وعاقل الثاني صفة لعاقل الاول بمعنى كامل العقل متناه فيه كما يقال
مرتت برجل رجل أى كامل في الرجولية ومعنى أعيت مذاهبه اعجزته وصعبت
عليه طرق معاشه ، والنحرير بكسر النون الحاذق الماهر العاقل المجرب
المتقن الفطن البصير بكل شيء لانه ينحر العلم نحراً والزنديق بكسر الزاى
من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من يبطن الكفر ويظهر الايمان او من
لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية .

وقال قسّ بن ساعدة الأيادي :

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويّاً بالأحد بين ملاعب الأرياح
وقال تبع الحميري :

قد كان ذو القرنين قبلي مُسليماً ملكاً تدين له الملوك وتحشدُ
من بعده بلقيسُ كانت عمي ملكتهم حتى أتاها الهدهُدُ
وقال بمض الحارثيين يفتخر بكون ذي القرنين من اليمن يخاطب قوماً
من مصر .

تمّوا لنا واحداً منكم فنعرفه في الجاهلية لاسم الملك محتملاً
كالتبعين وذو القرنين يقبله أهل الحجى وأحق القول ما قبله
وقال النعمان بن بشير الأنصاري الصحابي ابن الصحابي :

ومن ذا يمادينا من الناس معشر كرام وذو القرنين منا وحاتمُ
ويؤخذ من أكثر هذه الشواهد أن الراجح في اسمه الصعب . ووقع ذكر ذي
القرنين أيضاً في شعر امرئ القيس وأوس بن حجر وطرفة بن العبد وغيرهم ،
وفي كتاب نشر المحاسن اليمانية شيء كثير من ماثرهم بحيث يطول نقله ، وفي
وصف القحطانيين يقول الكلاعي :

ورتبنا مراتب كلّ ملك فكان لنا الخلائقُ مُقتنينا
سننّاً للبرية كلّ فعل جميلٍ من فعال الأكرمينَا
فهم يتشبهون بما فعلنا وفي آثارنا يتتبعونا
وليسوا مُدركين لنا لأننا جعلنا السابقين الأولينا

وقال في شرح هذه الأبيات أيضاً : إن أول من لبس التاج ورتب وظائف
الملك وعهد عهداً إلى عامل بلد وأمره بالعدل والإنصاف ودون الدواوين وبعث
الأمراء إلى الثغور حمير بن سبأ الأكبر ، وأول من علّق السلسلة على باب قصره
ليتملق بها المتظلمون عبد شمس بن وائل ، وأول من نظر في أمر الشاكي وعزل

عامل البلد بسبب أمر الشكاية سعد الكامل ، وأول من شفع وأفدى في الأسارى
تبع الأصغر ، ولذلك سمي ماء السماء . وأول من اتخذ الخط العربي على أبجد مُرَّة
ابن مرامر^(١) . وأول من قام بالضيافة عامر بن حارثة الأزدي من طيء . وأول
من حكم في الخنبي باتباع المبال عمرو بن سُحمة الدوسي^(٢) . وأول من طيب الميت بالحنوط
مقسم بن بهر القضاعي . وأول من قسم للذكر مثل حظ الأنثيين عامر بن جشم
الجهمي . وأول من صلى على الميت عطيرة بن صعب السكسكي . وأول من أعان مستوفداً
في حمل دية جماد بن عبد التيمي من همدان . فهذه أمور سبقت إليها بنو قحطان
في الجاهلية ، وجاء الإسلام بمثل ذلك ، وهذه غاية من ذكاء فطهم . . ومن ذكائهم
أيضاً أنهم أول من ربط الخيل وراضها ووصفها بما يليق بها وعمل لها السروج واللجم
وفي ذلك يقول مالك بن ملالة بن أرحب الهمداني :

أمرت بإيتاء اللجام فأبدعت وأنملت خيلي في السير حديداً
وأرحبُ جدى أحدث السرج قبلنا ولو نطقتُ كانت بذلك شهودا

وهم أول من أبدع جميع أنواع السلاح من سيف ورمح وقوس وسهم ودرع
وغير ذلك . ولأصناف الخيل وأنواع السلاح عندهم أسماء معروفة يطول ذكرها ،

(١) أقول هذا وهم صراح مخالف لما ورد في كتب الأنساب وغيرها والصحيح
مرامر بن مرة أو مروة وهو أول من وضع الخط العربي على ما يقال . . قال
شرقي بن القطامي : ان أول من وضع خطنا هذا رجال من طيء منهم مرامر
بن مرة . قال الشاعر :

تعلمت باجساد وآل مرامر وسودت أنوابي ولست بكاتب
قال وإنما قال وآل مرامر لانه قد سمي كل واحد من اولاده بكلمة من
(ابجد) وهي ثمانية قال ابن بري الذي ذكره ابن النحاس وغيره عن المدائني
انه مرامر بن مروة . قال المدائني أول من كتب بالعربية مرامر بن مروة من
اهل الانبار ويقال من اهل الحيرة قال وقال سمره ابن جندب نظرت في كتاب
العربية فاذا هو قدمر بالانبار قبل ان يمر بالحيرة ويقال انه سئل المهاجرون:
من ابن تعلمتم الخط ؟ فقالوا : من الحيرة وسئل اهل الحيرة : من ابن تعلمتم
الخط فقالوا : من الانبار . قال الزبيدي وذكر ابن خلكان في ترجمة ا على
بن هلال ا ما يقرب من ذلك وذكر المجد في (ج د ر) ان أول من كتب بالعربية
عامر بن جدرة ولعل الجمع بينهما اما بالترجيح او بالعموم والخصوص او
غير ذلك مما يظهر بالتأمل كما حققه شيخنا .

(٢) تأتي ترجمته في باب الحكام .

ولم يكن لأحد بصر بالخليل ولا بالقسي والنبل والإصابة بالرمي مثل ما للقحطانية .
ومنهم رمة تبع أسعد المعروفون بالقارة كانوا يرمون فيصيبون ما يقصدون ، وبهم
يضرب المثل فيقال « قد أنصف القارة من رامها »^(١) . فهذا كله ونحوه مما يدل
على ما كانوا عليه من التمدن والثروة ، وحب التآلف والترقي في الكمالات ، وليس
المدعى أيضاً أن الفضيلة بمعرفة الصنائع والحرف حتى يرجح غير العرب عليهم
في ذلك ، فإن العرب كانوا يأنفون من تعاطيها ويعدون أصحابها من الأسافل ،
حيث كان التفاخر والتفاضل بينهم يومئذ بالشجاعة والفروسية والفصاحة وغير
ذلك مما هو منشأ الفضيلة في نفس الأمر ، مع أن العرب أكثر استعداداً من
غيرهم لتعلم الصناعات وسائر الفنون العقلية . ألا ترى أنهم بعد ظهور الإسلام
قد بلغوا منها مبلغاً تقدموا به على غيرهم وسبقوا به من سواهم . ففي تاريخ دردى
وزير المعارف العمومية بفرنسا ما معناه : بينما أهل أوروبا تأمّهون في دجى الجهالة
لا يرون الضوء إلا من سمّ الخياط إذ سطع نور قوئى من جانب الأمة الإسلامية
من علوم أدب وفلسفة وصناعات وأعمال يدٍ وغير ذلك حيث كانت مدينة بغداد
والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وفارس وغرناطة وقرطبة مراكز
عظيمة لدائرة المعارف ، ومنها انتشرت في الأمم واغتنم منها أهل أوروبا في القرون

(١) في كتب الامثال : القارة قبيلة وهم عضل والديش ابنا الهون بن
خزيمة وانما سموا قارة لاجتماعهم والتفافهم لما اراد الشداخ ان يفرقهم في
بنى كنانة فقال شاعرهم :

دعونا قارة لا تنفرونا فنجفل مثل اجفال الظليم
وهم رمة الحيق في الجاهلية وهم اليوم في اليمن قيل ان رجلين التقيما
احدهما قارى فقال القارى ان شئت صارعتك وان شئت سابقتك وان
شئت راميتك ، فقال الآخر قد اخترت المراماة قد انصفتنى وانشد :

قد انصف القارة من رامها انا اذا ما فئة نلقاها

نرد اولاهما على اخراها

وقيل ان المثل قيل في حرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناف
ابن كنانة وكانت القارة مع قريش وهم قوم رمة فلما التقى الفريقان رماهم
الآخرون فقيل قد انصفهم هؤلاء اذ ساووهم في العمل الذى هو شأنهم
وصناعتهم يضرب مثلاً لمساواة الرجل صاحبه فيما يدعوه اليه .

المتوسطة مكتشفات وصناعات وفنونا علمية يأتي بيانها . وفيه يقول : كانت الآداب قبل انتشار العرب من جزيرتهم متأصلة فيهم مؤادة بلغتين الحميرية في اليمن والقرشية في الحجاز وبالأخيرة جاء القرآن ، ولا يخفى عليك أن الذي يقابل الحميرية هو المضرية وإن وقع الإجماع في القراءة على خصوص القرشية ولذلك اشتهرت واستمر خلوصها إلى وقتنا هذا باستمرار كتب العلم والديانة ، إلى أن قال : ولم يكن للعرب في أول الأمر إلا تلك الآداب ، ثم لما اتسعت لهم دوائر الفتوحات واختلطوا بالأمم الذين سبقوهم في الحضارة اتسع لهم نطاق المعارف فأخذوا من اليونان تأليف أرسطوا وشرحوها بإمعان نظر لكنهم لم يأخذوا الفلسفة من كتب اليونان الأصلية وإنما تعلموها من الكتب المترجمة بلغة أهل الشام فهم ترجموا المترجمة ! فلذلك لما نقلها الفيلسوف العربي حفيد بن رشد إلى أوروبا في القرون المتوسطة وجد بها من التحريف أكثر مما وقع فيها أولاً .

وأما العلوم الرياضية فقد صادف فيها العرب المرمى والفضل في ذلك للعلماء الذين جلبهم الخليفة المأمون من القسطنطينية ، وفي أوائل القرن التاسع المسيحي أمر الخليفة المشار إليه عالمين من فلكية بغداد أن يقيسا مسافة درجة واحدة من خط الطول بصحراء سنجار ويزانها ليثبت بذلك تكوين الأرض بالمشاهدة ، وقد تبين ذلك باختلاف ارتفاع القطب الشمالي عن طرفي الخط المقيس . وقد شرح العرب كتاب إقليدس ، وهذبوا زيح بطليموس ، وحرروا حساب تعريج منطقة البروج كما حرروا الفرق بين أوقات الاعتدال ، والفرق بين السنين الشمسية والزمنية ، فوجدوا بينهما عدة دقائق ، واخترعوا للتحريرات آلات جديدة إلى غير ذلك مما يدل على ما للعرب من قابلية العلوم الرياضية . ومنهم حازت مدينة سمرقند قبل أوروبا بكثير محل رصد عجيب . قال : وأما ما ينسب من اختراع الجبر والمقابلة والأرقام الحسابية المسماة عندنا بالأرقام العربية فلم يثبت ، بل إنما تعلموا ذلك مع فلسفة أرسطوا بالتلقى من غيرهم وهي من العلوم التي وجدوها بالإسكندرية ، ويمكن أنهم

نقلوا إلينا على ذلك الوجه (البوصلة) أى بيت الإبرة والبارود الذى تعلموه من أهل الصين كما يعترف لهم أهل أوربا بمزية اختراع الكاغد من القماش ، وبذلك كثرت الكتب وددت أسعارها وسهل الطبع وتوفرت نتائجها بعد وجوده .

وقد اشتهرت العرب أيضاً بمعرفة الطب الذى كان تلقوه من كتب اليونان ، ولابن رشد تعليقات عديدة على كتب جالينوس شاهدة بما ذكر . ومن فلاسفتهم عدة أشخاص صاورا فى وقت واحد حكاء وأطباء مشاهير مثل أبى على ابن سينا المتوفى سنة ست وعشرين وأربعمائة وابن رشد المذكور ، وقد بلغا من الشهرة إلى حيث صار أعداؤهم فى ذلك الوقت يرغبون فى معالجتهم إياهم ، كما يحكى أن بعض ملوك قسطنطية كان اعتراه مرض الاستسقاء فاشتغى أن تكون معالجه على يد أطباء العرب ، وحصل من لطف الخليفة على الإذن فى أن يذهب ويداويه المسامون . ومن مآثر حكاء العرب كيفية تقطير المياه واستعمال الراوند وأدوية كثيرة .

ومن العلوم التى لهم الفضل فيها الجغرافيا ، وسبب تقدمهم فيها أن اتساع فتوحاتهم ورغبتهم فى الأسفار الخطيرة لافتراض الحج عليهم أتتجت لهم المعرفة بكثير من البلدان الشاسعة التى لم يصل إليها أهل أوربا أو نسوها بعد ما كانت معروفة لهم . ومن مشاهيرهم فى هذا الفن أبو الفداء والمسمودى والإدريسى ، وهذا الأخير هو الذى استدعاه روجير ملك صقلية ، وألف عنده كتابه الغريب الذى سماه زهرة المشتاق . ثم قال بعد ذكر ما كان لهم من علم التاريخ . وأما صناعة هندسة البناء فى اصطناع الهيئات فلم يشتغل العرب منها إلا بما يرجع إلى إتقان الأبنية حيث كانت شريعتهم تمنع التصوير ، على أن البناء نفسه لم تظهر لهم فيه اختراعات غريبة فالأصل عندهم فى الأقواس المرفوعة على الأسطوانات أن تكون أكبر من نصف دائرة ، وهذا الشكل أخذوه من أبنية البيزنطيين وهم أمة من اليونان ، واعتاض العرب عن الصور الذهبية والمجسدة الترين بالنقش

المسمى عندهم بنقش حديدية ، وكان في الأصل رسوما لها مدلولات . ثم صار مجرد خطوط متقاطعة شبيهة بالحروف العربية التي يمكن أن يصور منها أشكال جيدة ظريفة ، وكثيراً ما تتمجب من إتقان تلك الحروف حين نراها على الزرابي والأوشحة الشرقية .

ومن مآثر العرب اصطناع الجوابي والفوارات والتزيق بالذهب والأحجار الثمينة كالمرمر الذي يجلبونه من المشرق ومن مقاطع أسبانيا الجنوبية . ومن أشهر أبنيتهم الجامع العظيم الذي بناه عبد الرحمن الأول بقرطبة ، وكان به ألف وثلاث وتسعون أسطوانة وأربعة آلاف وسبعمائة قنديل . ثم قصر الزهراء الذي لا يتأخر عن الجامع المذكور في العظم ، وقد بناه عبد الرحمن الثالث على شاطئ الوادي الكبير ، وبه ينبوع عظيم يفور منه شبه باقة من الزيت ثم ينعكس في قصعة من المرمر . ومن بدع أبنيتهم حمراء غر ناطة التي هي في آن واحد قصر وحصن وبها عدة أمور تصلح أن تكون مثالا للطافة البناء وحسنه خصوصاً وسطها المسمى ببطحاء الأسود . وأما التجارة فقد كان للعرب حسن رغبة فيها في سائر الأوقات ، ثم لما امتدت سلطنتهم من البريني وهي جبال بين فرانسوا وأسبانيا إلى جبال هملاي التي بأقصى شمال الهند صاروا أكبر تجار الأرض يومئذ .

وأما الفلاحة فقد كان للعرب حسن رغبة فيها إذ ليس لغيرهم ما لهم من الاقتدار على جلب المياه وتوزيعها بلطف في مزارعهم الواسعة تحت شمسهم المحرقة . انتهى ما نقل من مقدمة أقوم المسالك . وبجميع ما ذكرناه يتبين أن كلام الشعوبية ساقط عن أصله ، ولا يلتفت ذو إنصاف مثله ، ومع ذلك فإن الشريعة حاكمة بأن فضل الجنس لا يستلزم فضل الشخص فرب حبشى أفضل عند الله من ألف قرشي ، فإن المرء كثير بفضله لأباهه ، ومنظور إليه بكرم أخلاقه لا بكرم أصله ، فإذا اجتمعا له كان مقابلا من طرفيه وكتلت له أبهة شرفيه ، ولا ينكر أن للأصول تأثيراً عظيماً في الفروع فلا تكاد ترى ذا أصل زكي إلا وتوهم فيه

خلقاً وسيماً ، وشأنًا كريمًا ، فإذا اجتمع الأصل وحسن الأفعال ، كان ذلك غاية الكمال ، فلا ينبغي لعامل أن يفخر بنسبه ، ويتكبر على الناس بحسبه ، ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد ، فهى سبحانه على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن نوعى الاستطالة على الخلق وهى الفخر والبنى لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر ، وإن كان بغير حق فقد بغي فلا يحل لا هذا ولا هذا ، فإن الرجل من الطائفة الفاضلة مثل أن يذكر فضل بنى هاشم أو قريش أو العرب أو الفرس أو بعضهم ، فلا يكون حظه استشعار فضل نفسه ، والنظر إلى ذلك فإنه مخطيء فى هذا كما لا يخفى . ثم هذا النظر يوجب نقصه وخروجه عن الفضل فضلا عن أن يستعمل بهذا أو يستطيل ، وإن كان من الطائفة الأخرى فليعلم أن اتصافه بالصفات الحمودة يوجب له أن يكون أفضل من جمهور الطائفة المفضلة العارين عنها ، فليفتخر المرء بمجده واجتهاده ، وبمدته وعتاده وكسبه وإعداده ، لأبائه وأجداده ، وقد أتينا فى مقام المشاجرة مع الشعوبية بقدر ما يطاق .

السلام على مساكن العرب فى الجاهلية

اعلم أن غالب مساكن العرب القديمة التى درجوا منها إلى سائر الأقطار كانت بجزيرة العرب الواقعة فى أوساط المعمور ، وأعدل أماكنه وأفضل بقاعه حيث الكعبة العظمة ، والمدينة المنورة ، وما حول ذلك من الأماكن . وهذه الجزيرة متسعة الأرجاء ، ممتدة الأطراف يحيط بها من جهة الغرب بعض بادية الشام حيث اللقاء إلى أيلة ثم بحر القلزم الآخذ من أيلة حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر إلى الحجاز إلى أطراف اليمن حيث طيء وزبيد وماداناها . ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم المتقدم ذكره من جهة الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن حيث بلاد مهرة من ظفار وما حولها . ومن جهة الشرق بحر فارس

الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين ثم إلى البصرة ثم إلى الكوفة من بلاد العراق . ومن جهة الشمال الفرات آخذاً من الكوفة على حدود العراق إلى عانة إلى بالس من بلاد الجزيرة الفراتية إلى البلقاء من بركة الشام حيث وقع الابتداء . والحاصل أن السائر على حدود جزيرة العرب يسير من أطراف بركة الشام من البلقاء جنوباً إلى أيلة ثم يسير على شاطئ بحر القلزم وهو مستقبل الجنوب ، والبحر على يمينه إلى مدين إلى الينبع إلى البروة إلى جدة أول اليمن إلى زبيد إلى أطراف اليمن من جهة الجنوب . ثم يعطف مشرقاً ويسير على ساحل اليمن وبحر الهند على يمينه حتى يمر على عدن ويجاوزها حتى يصل إلى سواحل ظفار من مشايف اليمن إلى سواحل مهرة ، ثم يعطف شمالاً ويسير على سواحل اليمن وبحر فارس على يمينه ويتجاوز سواحل مهرة إلى عُمان من بلاد البحرين إلى جزيرة أوال إلى القطيف إلى كاظمة إلى البصرة إلى الكوفة . ثم يعطف إلى الغرب ويفارق بحر فارس ويسير والفرات على يمينه إلى سلمية إلى البلقاء حيث بدأ كذا في نهاية الأرب . وقال أبو عبيدة : جزيرة العرب في الطول ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن ، وفي العرض ما بين يبرين إلى السماوة . وقال الأصمعي : هي ما بين نجران والمذيب حكاه ابن قتيبة عن الرياشي عنه . قال : وحكى عنه أبو عبيدة أنها في الطول من أقصى عدن إلى ريف العراق ، والعرض من جدة وما والاها من طراز البحر إلى طراز الشام . وأنت تعلم أن هذه الأقوال كلها متقاربة .

مساحة دور جزيرة العرب

دور هذه الجزيرة على ما ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة في تقويم البلدان سبعة أشهر وأحد عشر يوماً تقريباً بسير الأتقال . فمن البلقاء إلى الشراة نحو ثلاثة أيام ، ومن الشراة إلى أيلة نحو ثلاثة أيام ، ومن أيلة إلى الجار وهي فرضة

المدينة النبوية نحو عشرين يوماً ، ومن الجار إلى ساحل الجحفة نحو ثلاثة أيام ، ومن ساحل الجحفة إلى جدة وهي فريضة مكة المشرفة ثلاثة أيام ، ومن جدة إلى عدن نحو من شهر ، ومن عدن إلى سواحل مهرة نحو من شهر ، ومن مهرة إلى عُمان من البحرين نحو من شهر ، ومن عمان إلى حجر من البحرين نحو من شهر ، ومن حجر إلى عبادان من العراق نحو خمسة عشر يوماً ، ومن عبادان إلى البصرة نحو يومين ، ومن البصرة إلى الكوفة نحو اثنتي عشرة مرحلة ، ومن الكوفة إلى بالس نحو عشرين يوماً ، ومن بالس إلى سامية نحو سبعة أيام ، ومن سامية إلى مشاريف غوطة دمشق^(١) نحو أربعة أيام ، ومن مشاريف غوطة دمشق إلى مشاريف حوران نحو ثلاثة أيام ، ومن مشاريف حوران إلى البلقاء نحو ستة أيام ، فهذا هو الدور المحيط بجزيرة العرب .

(١) غوطة دمشق إحدى نزه الدنيا وهي الرابع : غوطة دمشق ، ونهر الابلة ، وشعب بوان ، وصغد سمرقند - يضرب بكل منها المثل في الطيب ، قال انشعالي : وكان الخوارزمي يقول قد رايتها كلها فكانت غوطة دمشق أطيبها واحسنها ولم أميز بين رياضها المزخرقة بالانوار والازاهر وبين غدرانها المعمورة بطيور الماء التي هي احسن من الدواجر والطاويس ولم اشبهها وصورتها منقوشة على وجه الارض .

واما نهر الابلة فهو بالبصرة وحواليه من ميادين النخل والارج والنانج وسائر الاشجار وفيها من اصناف الزرع وانواع الخضروات ما لا ينظر احسن منه وعليه من القصور المتناظرة والابنية الرائقة ما تحار فيه العيون وتهش له النفوس وفيه يقول ابن عيينة :

ويا جيدا نهر الابلة منظرها اذا مد في اثنائه الماء او جرز
واما شعب بوان من فارس فهو الذي يقول فيه القائل :
اذا اشرف المكروب من رأس تلة
على شعب بوان افاق من الكرب
والهاه بطن كالحريرة مسه
ومطردي يجرى من البارق العذب
فبالله ياربح الجنوب تحملي
الى شعب بوان سلام فتى صب
وفيه يقول المتنبي :

مغان طبيبات في المغاني
كايام الربيع من الزمان
ولما نزله عضد الدولة متوجها الى العراق ومعه ابو الحسن السلامي قال له :
قل في الشعب فقد سمعت ما قاله المتنبي فيه فعاد الى خيمته وكتب :
اشرف على الشعب وانزل روضه الانفا
قد زاد في حسنه فازدد به شغفا
اذ اليس الهيف من اغصانه حللا
ولقن العجم من اطياره تنفسا
وانظر اليه تر الاغضان مثمرة
من قارع قرطا او لابس شغفا

ومم تسمية هذه الجزيرة بجزيرة العرب

اعلم أن الجزيرة في أصل اللغة ما ارتفع عنه الماء أخذاً من الجزر الذي هو ضد المد ثم توسع فيه فأطلق على كل ما دار عليه الماء . ولما كان هذا القطر يحيط به بحر القلزم من جهة الغرب ، وبحر الهند من جهة الجنوب وبحر فارس من جهة الشرق ، والفرات من جهة الشمال . أطلق عليه جزيرة وإن كان له اتصال بالبر ، وذلك على سبيل التشبيه والمجاز المشحون منه كلام الفصحاء لا أن العرب لم يفرقوا بين الجزيرة وشبهها كما زعمه بعض المؤلفين الذين لم يقفوا على أسرار كلامهم ، وأضيفت إلى العرب لنزولهم بها ابتداء وسكنائهم فيها .

ما اشتمل عليه جزيرة العرب من الأقسام والنوامي

قال المدائني جزيرة العرب هذه تشتمل على خمسة أقسام : تهامة ونجد والحجاز وعروض وعين . فتهامة هي الناحية الجنوبية عن الحجاز . ونجد هي الناحية التي بين الحجاز والعراق . والحجاز هو ما بين نجد وتهامة وهو جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام وسمى حجازاً لحجزه بين نجد وتهامة . والعروض هي اليمامة إلى البحرين وقال أبو عبيدة : الحجاز هو ما بين الجحفة وجبل طيء وإنما سمي حجازاً لأنه حجز ما بين نجد والغور ، وحكى ابن قتيبة عن الريثي عن الأصمعي أنه قال : إذا خلفت مجزاً صمداً فقد أنجدت ، فلا تزال منجداً حتى تنحدر من ثنايا ذات عرق ، فإذا فملت فقد أتهمت إلى البحر ، وإذا عرضت لك

والماء يشنى على اعطافها ازرا والريح تعقد في أطرافه شرفا

وهي قصيدة طويلة

وأما صفد سمرقند فان قتيبة بن مسلم لما اشرف من الجبل قال لأصحابه شبهوه فلم يأتوا بشيء فقال قتيبة كأنه السماء في الخضرة وكان قصوره النجوم وكان انهاره المجر فاستحسنوا هذا التشبيه وتعجبوا من اصابتة .

الجرار^(١) وأنت مُنجدٌ فتلك الحجاز ، وإذا تصوبت من ثنايا (المرج) واستقبلك
المرخ والأراك^(٢) فقد آتهمت وسمى حجاز لما مر . وقال محمد بن عبد الملك
الأسدي : حد الحجاز ، الأول بطن نخلة وظهر حرة ليل . والحد الثاني مما يلي
الشام شعب وبدا ، والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعُكاظ ،
والحد الرابع شابة وودان ثم ينحدر إلى الحد الأول ، وأما الشام واليمن فن اليد
اليمنى واليد الشوى وهى الشمال لأن الذى يستقبل الشمس تكون اليمن عن يمينه
والشمال الشام .

ما ظهر فى هذه الأقطار من البلاد والمباني المشهورة وغير ذلك

اعلم أن فى كل قطر من هذه الأقطار مدناً وبلاداً مشهورةً ومياهاً
ومعادن مختلفةً ونباتاتٍ متنوعةً قد استقصاها المؤرخون فى كتبهم المؤلفة فى هذه
الجزيرة وأقسامها كتاريخ جزيرة العرب لعدة أناس من أفاضل المتقدمين ، وتاريخ
مكة للإمام الأزرقى ، وتاريخ المدينة للإمام السهمودى ، وتواريخ اليمن ونجد وغير
ذلك مما لا يسعها الحصر وفيها الغنى عن التعرض لما حوته من المطالب فإنه من
يحصيل الحاصل ، ومع ذلك نشير إشارة مجملة إلى ما كانت عليه هذه الأقطار ،
تنشيطاً للقارئ الأخياري (فأما الحجاز) ففيه من البلاد المشهورة المدينة النبوية
على ساكنها أفضل الصلاة وأكمل السلام . وقيل هى من نجد وهى بلدة طيبة
مباركة كثيرة الخيرات عذبة المياه وافرة النخيل والثمار أهلها وسكنتها يودون الغرباء
ويحبون من هاجر إليهم ، ولها أسماء كثيرة نظمها بعض الأفاضل بقوله :

خُذْ جَمَلَةً يَاصَاحِرْ مِنْ أَسْمَاءِ مَدِينَةِ الْهَادِي مِنَ الْأَسْوَءِ
(مُحَمَّدٍ) نَبِينِنَا الْمَشْرِفِ الْهَاشِمِيِّ الْمَصْطَفِيِّ الْبَرِّ الْوَفِيِّ
فَطَيْبَةُ طَيْبَةُ وَوَطَائِبُهُ وَوَطَائِبُهُ تَعْرِفُ بِالْإِطَابَةِ

(١) هى أرض ذات حجارة نخرة سود (٢) المرخ : شجر سريع الورى ،
والاراك : شجر من الحمض يستاك به

حبيبة بيت الرسول والحرم وحرَم الرسول فاحفظ ما انتظم
ودار الإيمان ودار السنة ودار فتح مع دار الهجرة
دار السلامة ودار الأبرار ودار الأخيار لنفى الأشرار
حسنة مختارة مرزوقة مؤمنة مسكينة محفوظة
مدخل صدق قبة الإسلام شافية من جملة الآلام
أكالة القرى مع المقدسة وهى المباركة خذ ما قبسه
من نور أسماء مكان المصطفى نظم به أرجو موارد الصفا

وهى من البلاد القديمة الوضع والتأسيس ، فى كتاب نشر المحاسن اليمانية
كانت مدينة يثرب للعرب فخرج إليها قوم من بنى إسرائيل فى زمن موسى بن عمران
عليه الصلاة والسلام ففتنحوها من العرب العاربة وقتلوا ملكا لهم يسمى الأرقم
وأقاموا فيها ما شاء الله تعالى حتى افتترقت الأزدي من مأرب فى حادثة سيل العرم ،
فنزّل الأوس والخزرج يثرب على الإسرائيليين ، ولهم ملك يقال له القطيعون
فقتلوه ، وكان قاتله سيد الحيين أعنى الأوس والخزرج ، واسمه مالك بن المجلان
وهو ابن عم سالم بن عوف الخزرجى . فلما قتل الملك وقعت الصيحة باليهود
فقتلوهم أبحر القتل وأبقوا منهم بعض القوم لعارة الأراضى ، وملك الأوس
والخزرج يثرب حتى بعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهدهم الله تعالى لطاعته
ولم يسلم قبلهم بطن من العرب ، فصارت تلك فضيلة لهم من أحسن الفضائل
والمآثر . ثم خرب من يثرب سبعون رجلا وامرأة واحدة مهاجرين إلى مكة فبايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جرة العقبة جهراً ثم قالوا يا رسول الله قد
اتبعناك تصديقاً لقولك وإيماناً بحالقتك فاشترط لربك ولنفسك . فقال : اشترط
لربى أن تمبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، ولنفسى ما تمنعون منه نفوسكم وأبناءكم
ونساءكم . قالوا : فإذا فعلنا ذلك فما لنا ؟ قال : الجنة . قالوا : رضينا . فبايعوه بذلك
على رموس الأشهاد ، وجميع الحيين من ربيعة ومضر حاضرون إذ ذلك يمينى ،

ثم قالوا أئامرنا يا رسول الله أن نميل بأسيا فإنا على من في هذه الشعاب؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: ما أمرت بذلك. فلما رأت قريش ما كان من فعل الأوس والخزرج جاء إليهم بنو عمه الأقربين، منهم أبو جهل وعتبة وأبو سفيان وشيبة وأبي وأميمة وسهيل وبنوه ومنبه والنضر بن الحارث وعمرو بن العاص، فقالوا لهم: يا أهل يثرب إنا أولى منكم به لأننا صلته ولحمته. فقال لهم الأوس والخزرج: بل نحن أولى به منكم لأننا نعبد رباً واحداً. فلما رأت قريش منهم صدق الهمة وقوة العزم خافوا حدوث الشر فدافعوا بالتي هي أحسن، وقالوا: خلوا بيننا وبينه على أن له الأمان والذمام فلا يعرض له إلا الخير ولا لمن تبعه، ومن أحب منهم أن يلحق بكم لم نمنعه يريدون بذلك المهاجرين، فكرهت الأوس والخزرج. فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أجيئهم يا معشر الأوس والخزرج فإن الله تعالى بالغ أمره ومنجز وعده فقالوا تطيب عن نفسك يا رسول الله أن نفعل ذلك؟ قال نعم. قالوا: فالسمع والطاعة وضربوا بينهم أجلاً أربعة أشهر ثم رجعوا إلى يثرب، فلما افترقوا همت قريش بالعدو فكفى الله تعالى نبيه شرهم، وخرج من مكة بالوحي الذي أنزل عليه خائفاً يترقب حتى ورد المدينة عن أمر الله تعالى له بذلك، فلما وصل إليهم صلى الله تعالى عليه وسلم هو وأصحابه المهاجرون معه سمحوا له ولجميع من وصل بمشاطرة الأموال، ومن كان له زوجتان من الأوس والخزرج طلق إحداها وزوجها بعض المهاجرين، فأثنى الله تعالى عليهم بذلك فقال: (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(١).

(١) قوله يُؤْتِرُونَ على أنفسهم أي يقدمون المهاجرين على أنفسهم في كل شيء من الطيبات حتى أن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن إحداهما ويزوجها واحداً منهم ويجوز أن لا يعتبره مفعول يُؤْتِرُونَ خصوص المهاجرين: والخصاصة: الحاجة، والشح اللؤم وهو أن تكون النفس كزة حريصة على المنع واضيف إلى النفس لأنه غريزة فيها وأما البخل فهو المنع نفسه، والمفلحون الغائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه

ثم نصر وارسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في جميع المواطن ولم يكن لهم عسكر حتى صار بينهم . فسماهم الأنصار فصار ذلك ألزم لهم من النسب والاسم ، فهذه فضائل خصهم الله تعالى بها ، ثم إنه كان منهم ما كان من غزو المشركين وجهاد الكافرين ما هو مشهور ومذكور في سيرة ابن هشام وغيرها من كتب المبعث مما لا يحتمل بسطه هذا المختصر . وأقام بينهم حتى توفي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وهي دار الأوس والخزرج وهم أكثر الناس بها عدداً ، وأعلامهم فيها يداً . (وفي الحجاز) أيضاً من البلاد : (الطائف) وهو بطن من جبل غزوان بشرق مكة وهو شديد البرد كثير الفواكه لما فيه من كثرة البساتين التي تسقيها العيون والجداول المنحدرة من الجبال وأهلها من ثقيف وهم من قيس عيلان وقيل من إباد ، وقيل هم من بقايا ثمود . ومن بلاد الطائف (وِج) وهو واديهما الذي يقول فيه الثقي :

سقياً لوجٍّ و جنوب وِجٍّ . واحتله غيثٌ دراكُ الشجِّ (١)

وواد يقال له (النَّجْب) وهو من الطائف على ساعة . وواد يقال له (المرج) وهذا غير المرج الذي بين مكة والمدينة . وواد يقال له (لية) أعلاه لثقيف وأسفله لنصر ، وبين لية وبسل بلد يقال له (جلدان) تسكنه بنو نصر ، وبجلدان هضبة سوداء يقال لها (تبعه) ، وبها نقب كل نقب قدر ساعة كانت تلتقط فيه السيوف العادية والخرز ويزعمون أن فيه قبوراً لعاد ، وكانو يعظمون ذلك الجبل . ومن بلاد الطائف (الشديق) وهو واد . و (الهدية) بينها وبين السراة وقرية لبني نصر يقال لها (الفتق) و (عكاظ) نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة زادها الله تعالى شرفاً ثلاث ليال ، وبه كانت تقوم سوق العرب بالابتداء ، وبه كانت أيام الفجار . وكانوا يطوفون بصخرة هناك ويحجون إليها ، وذو المجازم من أصل كنبك وهو لهذيل . وقال أبو عبد الله الواقدي عكاظ

(١) الدراك ككتاب اتباع الشيء بعضه على بعض ، والشج : الصب الكثير .

بين نخلة والطائف . وذو الحجاز خلف عرفة ومجنة بمر الظهران . وهذه أسواق قريش والعرب ولم يكن فيها شيء أعظم من عكاظ . وسيأتي تفصيل ذلك عند ذكر أسواقهم (وفي الحجاز) أيضاً من البلاد (خير) بمجمة وتحتانية وموحدة بوزن جمفر ، وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام . وذكر أبو عبيد البكرى : إنها سميت باسم رجل من المهاليق نزلها وقد خرجت بعد استيلاء المسلمين عليها بقرون وكان فيها قبائل من اليهود المتعربة ، وكانوا يوصفون بالسكر والخبث ، وكان السموعل بن عاديا اليهودى ساكناً فيها . وقيل كانت للمعلقة ثم صارت لبني عنزة بن أسد بن ربيعة . وكانت رديئة ، الهواء كثيرة الوحامة دأمة الوباء ، تولد الحميات وحماها شديدة ، قال بعض الشعراء فى ذلك :

ومن يك أمسى فى بلاد مقامه يسائل أطلالا بها لا تجاوب
وقفت بها أبكى وأشعر سخنة كما اعتاد محموماً (بنجوير) صالب
وخير هذه كانت كثيرة النخل يحمل منها التمر إلى الجهات القصوى وفى ذلك يقول خارجة بن ضرار المري :

أخالد هلا إذ سفهت عشيرة كفت لسان السوء أن يتدعراً^(١)
فإنك واستبضاعك الشعر نحونا كستبضع تمرأ إلى أرض خير^(٢)
وفىها اليوم بقايا من النخيل والبساتين يسكنها على خرابها بعض الفلاحين
والعبيد السود . و (فدك) قرية من قراها كان بها نخيل وصوافى للسلطان
ورروع . قال الشاعر :

من عجوة الشق تطوف بالودك ليست من الوادى ولكن من (فدك)
وأما (الجار) فهى إلى الجنوب الشرقى من المدينة المنورة على نحو يوم وليلة

(١) نصب عشيرة على التمييز أى سفهت عشيرتك ، والدعارة : الخبث وتأتى بمعنى الشراسة فى الخلق أيضاً . (٢) استبضع الشيء جعله بضاعة وهذا مثل وخص خبير بالذكر أكثره نخلها .

وهي فرضة المدينة وإليها ينسب جماعة ، منهم عبد الملك بن الحسن الجارى الأحول ،
وإلى الجنوب الشرق منها على نحو مرحلة ماء يقال له (بدر) وبقره قرية (بدر) .
وفي كتاب فتح البارى : هي قرية مشهورة نسبت إلى بدر بن مخلد بن النصر بن
كنانة كان نزلها ، ويقال (بدر) اسم البئر التي بها سميت بذلك لاستدارتها
أو لصفاء ماؤها فكان البدر يرى فيها . وحكى الواقدي إنكار ذلك كله عن غير
واحد من شيوخ بنى غفار ، وإنما هي مأوانا ومنازلنا وما ملكها أحد قط يقال له
بدر وإنما هو علم عليها كغيرها من البلاد انتهى . وفيها كان يوم بدر وهو اليوم
الذى انتصر فيه المسلمون على المشركين من قريش ، وكان ممن قتل في ذلك
اليوم بدر بن الأسود بن زَمْعَة بن المطلب بن نوفل القرشي وكان من المشركين ،
فرثاه أبوه بقوله :

أتبكي أن يضلّ لها بعير ويمنهما من النوم السهودُ
فلا تبك على بكر ولكن على بدر تقاصرت الجدودُ

وعلى نحو منتصف الطريق بين الجحفة التي هي الآن خراب وبين مكة عُسفان
ويقال لها مدرج عثمان وهي المعنية بقول عنتره العبسي :

كأنها يوم صدّت ما تكلمنا ظبي بعسفان ساجي الطرف مطروف

وإلى شرق المدينة جبالا طبيّ وها (أجا وسلمى) ذكروا أنهما اسما شخصين
من العرب كان أحدهما أجا يعشق سلمى ، وكانت العوجاء تجمع بينهما فصلبوها
على هذه الجبال فسميت بأسمائهم ، وهي المرادة بقول جابر بن رالان السنبسي :

ونحن غلبنا بالجبال وعزها ونحن ورثنا غيتها وبيدنا

أراد بالجبال أجا وسلمى وهضابهما . وبقول حسان بن حنظلة الطائي :

غضبت على أن اتصلت بطبي وأنا امرؤ من طبيّ الأجيال

أى أجا وسلمى وعوارض ، وفي الحجاز جبال كثيرة وأودية وبلاد وقرى وعيون
وآبار لا يمكننا استقصاؤها في هذا المقام .

وأما مهاضنة

ففيها من البلاد مكة المكرمة شرفها الله تعالى ، والقول بأنها من الحجاز مردود . وسيأتى تفصيل الكلام عليها إن شاء الله تعالى قريباً ، وكانت تسمى (أم القرى) لكثرة القرى التي حولها ، وكان من بلاد هذيل في طريق مكة على ليلتين نخلتان نخلة اليمانية يصب فيها (يدعان)^(١) وهو وادٍ به مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبه عسكرت هوازن يوم حنين ، و (نخلة الشامية) ومجتمعها بطن مرّ . و (سبوحه) وهو وادٍ يصب في نخلة اليمانية و (أبام) و (أبيم) ، وكانا لهذيل وهما شعبان بينهما جبل مسيرة ساعة من النهار ، وقد قال فيهما السعدى من سعد بن بكر :

وإن بهذا الشعب بين أبيم وبين أبام شعبة من فؤاديا
ثم فوق ذلك شعب يقال له (نخا) وكان لهذيل أيضاً . ثم (المراه) وهى
لهذيل وهى ثلاثة شعاب تصب من (داءة) . وداءة هى الجبل الذى يحجز بين
نخلتين ، ثم (عشر) وهو شعب لهذيل يصب من داءة أيضاً . وقبالة عشر من
شق نخلة الأخرى شعبان يقال لهما (الصهياتان) يجيئان من السراة وبينهما وبين
(بسوم) جبل يقال له (المرقبة) كان مرقبة لهذيل تكون رقباؤهم فيه . وشعب
يقال له (هلال) يحى من السراة أيضاً من بسوم . ثم شعب مثل هذا أيضاً
يقال له (خيص) وبسوم جبل لهذيل وشعبان يقال لهما (الكفوان) الكفو
الأبيض والكفو الأسود وهما طريقان مختصران يصعدان إلى الطائف . وهما
مغان لا تطلع عليهما الشمس إلا ساعة من نهار وهما شعبا سار وهما بلاد مهاضنة
تهاف الغنم من المرعى الذى فى التار ولا يرعيان إلا فى الصيف وهذه كلها أعلى
نخلة اليمانية . ثم تصير إلى (البوبات) وهى صحراء ، وهى بلاد سعد بن بكر ،

(١) بالياء المشناة .

وقرن وهو بين المناقب والبوبات هو أقصى البوبات ، وهي وادٍ يجيء من السراة لسعد بن بكر ولبعض قريش وقرن منبر . قال الشاعر :

لا تقمرنَّ على قرن وليتته لا إن رضيت ولا إن كنت مغتضبا
ثم تجلس إلى نجد تطلع (المناقب) والمناقب جبل معترض يقال له المناقب
لأن فيه ثنايا طُرُقٍ إلى اليمن وإلى (اليمامة) وإلى أعلى (نجد) وإلى (الطائف)
ففيه ثلاث معاقب ، عقبة يقال لها (الزلالة) ، وعقبة يقال لها (قرين) . وأخرى
يقال لها (البيضاء) . وبالزلالة صخرة وهي التي أحم منها (العقيل) ناقتة فاقتحمت
من شق وذلك أهم خاطرهم ، ومن جبال مكة وشعابها جبل يقال له (الخندمة)
وفيه بنيان مكة منها شعب بن عامر . ومنها (أجيادان) أجياد الصغير وأجياد
السكري . ومنها (أبو قبيس) . ومن جبال مكة (ثور) وهو بالفجر من خلف
مكة على طريق اليمن ، و (ثبيران) وهما جبلان مفترقان يصب بينهما (أفاعية)
وهو وادٍ يصب في (منى) . قال الأصمعي (قُزح) هو القرن الذي يقف عنده
الإمام (بالزدلفة) قال : و (ثبير غيناء) و (ثبير الأعرج) وهما حراء . و (ثبير)
و (أبو قبيس) و (الخندمة) جبال مكة وما حولها وأبناء طمر واحد وعير والجماء
وذباب بالمدينة وقربها . والقموص بخير ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره . ومن
تهامة « ينبع » وهي مدينة قريبة من البحر كانت منزلا لبني الحسن بن علي بن
أبي طالب ولها فُرْضة^(١) على البحر نحو مرحلة منها وبقرها جبل (رضوى)
الذي يحمل منه حجر السنن إلى الآفاق وأما « جُدَّة » فهي على البحر الأحمر وهي
فرضة مكة « والحديبية » قيل بمضها في الحل وبمضها في الحرام « وتَبُوك » على
نصف المسافة بين المدينة ودمشق ، وفيها كانت الواقعة العظيمة بين المسلمين
والروم ، وفي تهامة كثير من البلاد منها ما قد خرب ، ومنها ما بقي على وضعه
الأول ، ومنها ما حدث في الأزمنة الأخيرة . وبيانها على وجه التفصيل في كتب
معدّة لذلك .

(١) محط السفن .

وأما العروص

قد اشتمل على ناحيتين ، الأولى « اليمامة » وهي مدينة دون مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في المقدار ، كان بينها وبين البصرة ست عشرة مرحلةً وبينها وبين الكوفة مثل ذلك ، وهي أكثر نخلاً من بلاد الحجاز وفيها مياه كثيرة ، ومنها كان (مُسَيْلَمَةَ الكَذَاب) (١) الذي ادعى النبوة في زمن النبي

(١) هو ابو ثمامة مسيلمة بن حبيب الحنفي من اهل اليمامة كان صاحب اسجاع ومخاريق وتمويهات وادعى النبوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فمزال يخفى ويظهر ويقوى ويضعف واهل اليمامة فرقنا احدهما تعظمه وتؤمن به والاخرى تسخفه وتضحك منه ، وكان يقول : انا شريك محمد في النبوة وجبريل عليه السلام ينزل على كما ينزل عليه وكان يقول يابنى حنيفة ما جعل الله قريشا احق بالنبوة منكم وبلادكم اوسع من بلادهم وسوادكم اكثر من سوادهم وجبريل ينزل على صاحبكم مثل ما ينزل على صاحبهم ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجد الناس يتذكرونه وما يبلغهم عنه من قوله وقول بنى حنيفة فيه فقام يوماً خطيباً فقال بعد حمد الله والثناء عليه : اما بعد قاما هذا الرجل الذي تكثرون في شأنه فكذاب بثلاثين كذابا قبل الدجال فسماه المسلمون مسيلمة الكذاب واظهروا شتمه وعيبه وتصغيره وهو باليمامة يركب الصعب والدول في تقوية امره ويعتضد برجال ابن عنفوه وهو ينصره ويذب عنه ويصدق اكاذيبه ويقرا اقاويله التي منها :

والشمس وضحاها ، في ضوئها ومجلاها ، والليل اذا عداها ، يطلبها ليغشاها ، فادركها حتى اتاها ، واطفا نورها فمحاها ، ومنها : سبح اسم ربك الاعلى ، الذي يسر على الجبلى ، فاخرج منها نسمة تسعى ، من بين احشاء ومعى ، فمنهم من يموت ويدس في الثرى ، ومنهم من يعيش ويبقى الى اجل ومنتهى ، والله يعلم السر واخفى ولا تخفى عليه الاخرة والاولى .

وكتب مسيلمة الكذاب الى النبي صلى الله عليه وسلم كتابا قال فيه : الى النبي محمد رسول الله من مسيلمة رسول الله اما بعد فاني قد اشركت في الامر معك وان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريش قوم يعتدون ولا يعدلون ، وختم الكتاب وانفذه مع رسولين فلما قرىء الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما ما تقولون ؟ قالا نقول كما قال ابو ثمامة ، فقال اما والله لولا ان الرسل لا يقتلون لقتلتكما ، واملى في الجواب : من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، ولما صدر الرسولان الى مسيلمة الكذاب افتعل كتابا يذكر فيه انه جعل له الامر من بعده فصدقه بنو حنيفة وبلغ من تبركهم به انهم كانوا يسألونه ان يدعو لمريضهم ويبرك لمولودهم وجاءه قوم بمولودهم فمسح راسه ففرع وجاءه رجل يسأله ان يدعو لمولود له بطول العمر فمات من يومه ولما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه وارتدت العرب بعث ابو بكر رضى الله عنه خالد ابن الوليد الى حرب اهل الردة فواقع بهم وانتصف منهم ثم امره ابو بكر (رض)

صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقتل في زمن أبي بكر رضى الله عنه . ومنها أيضاً (زرقاء اليمامة) (١) وكانت مشهورة بمحبة البصر ومزيد الفطنة والذكاء ، ويقال : إنها كانت تبصر من مسيرة أيام ولها قصص شهيرة . وفي اليمامة أيضاً بلاد أخر هي اليوم خراب . الناحية الثانية بلاد البحرين ، ، وهو قطر متسع مجاور لبحر فارس كثير النخل والثمار والمشهور فيه من البلاد « هَجَرَ » بفتح الهاء والجيم ، وكانت هذه البلدة قاعدة البحرين وخرابها القرامطة عند استيلائهم على البحرين ، وبنوا مدينة (الاحساء) ونزلوها وصارت إذ ذاك قاعدة البحرين ، وهي مدينة كثيرة المياه والنخيل والفواكه . وبينها وبين (اليمامة) نحو أربعة أيام ، وفيها غير ذلك من البلاد المنتسمة والقرى والمياه .

وأما نجد

فهى أطيّب أرضٍ في جزيرة العرب ، ولذلك ترى الشعراء قديماً وحديثاً يلهجون بذكرها ويترنمون برُبّائها وربّياً عطرها قال قائلهم :

يقصد اليمامة ومقارعة مسيلمة ففعل وزحف إليها في وجوه المهاجرين والأنصار وتلقاه مسيلمة في خيله ورجله ولما كان يوم اليمامة حمى الوطيس واشتدت الواقعة والتجا بنو حنيفة وفيهم مسيلمة الى حديقة سميت من بعده حديقة الموت فاقترحها خالد رضى الله عنه والمسلمون ووضعوا فيهم السيوف وقتل الله مسيلمة فاشترك في قتله وحشى بحرته وعبد الله بن الزبير بسيفه وفتح الله تعالى اليمامة على المسلمين وأفاء عليهم الغنيمة (١) العرب تضرب المثل بها في جودة البصر وحدة النظر ويقال أن اليمامة اسمها وبها سميت بلدها اليمامة ثم اضيفت الى البلدة فقيل زرقاء اليمامة واسم البلدة جو وربما قيل زرقاء الجو كما قال أبو الطيب المتنبي :
وابصر من زرقاء جو لأننى اذا نظرت عيناي شاءهما علمى

وهى امرأة من جدیس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام على ما يذكر اهل الأخبار والقصص ، والنفس تنفر من تصديق ما يدكرون ، قالوا : ولما قتلت جدیس طسما خرج رجل من طسیم الى حسان بن تبع فاستجاشه وارغبه ، فخرج في جيش جرار فلما كانوا من جو على مسافة ثلاثة أيام صعدت الزرقاء السطح فنظرت الى الجيش وقد أمروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها فقالت يا قوم قد اتتكم الشجرة او اتتكم حمير وقد أخذت أشياء تجرر اى تسحب فلم يصدقوها فقالت : أحلف بالله لقد ارى رجلاً ينهش كتفاً او يخصف نعلاً فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى طبعهم حسان فاجتاحهم وأخذ الزرقاء فشق عينها فاذا فيها عروق سود من الأثمد والله أعلم

أقولُ لصاحبي والعيسُ تهوى بنا بين المنيقة فالضمار: (١)
 تمتع من شميمٍ عرارٍ نجدٍ فما بعد العشيّة من عرارٍ (٢)
 ألا يا حنّداً نفحاتُ نجدٍ وربّاً روضه بعد القطارِ (٣)
 وأهلك إذ يحملُ الحىُّ نجداً وأنت على زمانك غير زارٍ (٤)
 شهورٌ ينقضين وما شعرنا بأنصافٍ لمنّ ولا سرارٍ (٥)
 وقال عبد الله بن الدمينة الخثعمي (٦)

ألا يا صبا نجدٍ متى هجّت من نجدٍ لقد زادني مسراكٍ وجداً على وجدٍ (٧)
 أين هتفت ورقاء في روثق الضحى على فنن غصّ النبات من الرند (٨)
 بكيت كما يئسّ الوليد ولم تكن جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي (٩)
 وقد زعموا أن الحبّ إذا دنا يملّ وأنّ النأى يشقى من الوجد
 بكلّ تدأوينا فلم يشف ما بنا على ذلك قرب الدار خير من البعد
 على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذى ود

وقال الصّمة بن عبد الله

حنّنت إلى رّيا ونفسك باعدت مزارك من رّيا وشعبا كما ممّا (١٠)

(١) المنيقة : ماء لبنى تميم ، والضمار : اسم موضع ، وقوله فالضمار كان حق العطفان يكون بالواو لأن بين لا تدخل الا بين شيئين متباينين أو الأشياء الا اذا أريد بين أجزاء المنيقة فيصير المنيقة كاسم الجمع نحو القوم والعشيرة (٢) الشميم مصدر ويقال تمتع بكذا ومن كذا والعرار : وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة ، وقوله من عرار من لاستغراق الجنس (٣) النفح تضرع الرياح بالنسيم الطيب ، والريا : الرائحة هنا ، والقطار جمع قطر وهو المطر (٤) زرى عليه : عابه وازرى به قصر به (٥) سرار الشهر آخره والمعنى أن الزمان المذكور شهور مضت وما علمناها بانصافها ولا بأواخرها لما كان فيه من اللذة وطيب العيش (٦) الدمينة أمه وهو أحد بنى عامر بن تميم الله ويكنى أبا السرى وهو شاعر إسلامي مجيد محسن وعده جرجى زيدان « تاريخ آداب اللغة العربية » من شعراء الجاهلية وهو خطأ بين لا يخفى على ذى بصيرة فليحذر من سقطاته وزلاته ، بل ودسائسه (٧) الصبا ريح القبول ، وهاجت : ثارت والمعنى الا يا صبا نجد متى كان هبوبك من نجد التي هي أرض المحبوب فلقد زادني مسراك حزننا على حزن أى ما كان منك هبوب الا كان منى وجد (٨) الورقاء : الحمامة التي مال سوادها الى البياض ، والروثق : الضياء ، والرند : نوع من الطيب ، والفنن : الغصن الناعم والغص : العنبر (٩) الجليد : القوى ، والنأى : البعد (١٠) الحنين : تألم من الشوق ، رريا اسم امرأة ، وبعادت أبعدت والواو في الموضعين من البيت واو الحال ، والمزار الزيارة ، والشعب : الحى

فاحسنتُ أن تأتيَ الأمرَ طائماً وتجزعَ إنْ داعى الصبايةَ أسمما
 قفماً ودّعا نجداً ومن حلّ بالحمى وقلّ لنجدٍ عندنا أن يودّعا (١)
 بنفسى تلك الأرض ما أطيبَ الرُّبا وما أحسنَ المصطافَ والمتربعا (٢)
 وليست عشياتُ الحمى برواجعٍ عليك ولكن خلّ عَيْنَيْكَ تدمعا
 ولما رأيتَ البشرَ أعرضَ دوننا وحالتُ بناتُ الشوقِ يُحننُ نزعاً (٣)
 بكتُ عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا (٤)
 تلفتُ نحوَ الحمى حتى وجدتني وجمتُ من الإصغاءِ ليتاً وأخدعا (٥)
 وأذكرُ أيامَ الحمى ثم أثنى على كبدى من خشيةٍ أن تصدعا

وفي نجد بلاد كثيرة ، وفيها أرض العالية التي كان يحميها كليب بن وائل وأفضى
 بذلك إلى قتله وانتشاب حرب البسوس التي استقامت مدة مديدة وأعواماً عديدة ،
 وقد ألف أبو لندة الأصفهاني كتاباً فيما كان في نجد من البلاد والثرى والجبال

(١) الحمى : موضع فيه ماء وكلاء يمنع الناس منه ، والنجد كل ما ارتفع
 من تهامة الى أرض العراق (٢) الألف واللام في الربا عوض عن المضاف اليه
 والربا جمع ربة وهي ما ارتفع من الأرض ، والمصطاف : مكان الصيف ،
 والمتربع : مكان الربيع والمعنى أفدى بنفسى تلك الأرض لطيب رباها العجيب
 وحسن فصلها صيفا وربيعا (٣) البشر جبل بالجزيرة ، وأعرض : أبدى عرضه
 وجانبه ، وحالت : تحركت ، وبنات الشوق : نوازع الحنين كأطفال الحب
 وهذه استعارة لطيفة جميلة وأراد بها مسببات الشوق وآثاره ، والنزع جمع
 نازع أى مشتاق (٤) بكت عيني جواب ما في البيت قبله ، والعجب كل العجب
 من بعض أئمة اللغة المتقدمين فانه لما تكلم على هذا البيت قال « واختلف في
 معناه الصحيح انه كان أعور والعين العوراء لاتدمع » فهلا نظر الى قوله
 واسبلتا معا ، والذي اراه انه لما رأى البشر أعرض دونه وتحركت مسببات
 الشوق بالحنين مشتاقا الى نجد دمعت عينه اليسرى والانسان كثيرا ما اذا
 اشتاق الى الشيء هو مغرم به وحظى يرويته تدمع احدى عينيه فتطاوعها
 الأخرى ، وقوله فلما زجرتها الخ يريد انه لما منعها من البكاء الذي يشعر
 بالجهل بعد الحلم وتيقن أن البكاء لايفيد مع اليأس من القرب طاوعتها اليمنى
 فدمعتا معا ، والظاهر أن المراد بالجهل بعد الحلم الجزع بعد الصبر (٥) تلفت
 التفت ، والبيت صفحة العنق ، والأخدع عرق فيها ، والأصغاء الميل وليتا
 واخدعا منصوبا على التمييز ، والمعنى لما حان الفراق صرت اكثر من الالتفاتات
 جهة الحى حتى وجدت نفسى وجع الليت والاخدع لدوام التفانى تحسرا في
 اثر الفاتت من أحبابى وديارهم

والمادان والمياه ومن ملكها من قبائل العرب في سالف الأيام ، ومن جملة ما ذكر في كتابه ؛ قال ابن الأعرابي : نجد اسمان السافلة والعالية ، فالسافلة ما ولي العراق . والعالية ما ولي الحجاز وتهامة . وقال الأصمعي : إذا جُزَّت ذات عِرْق إلى البحر فأنت في تهامة ، وإذا جُزَّت وَجْرَة وَغَمْرَة فأنت في نجد إلى أن تبلغ المُذِيب ، وغمرة في طريق الكوفة . ووجرة في طريق البصرة إلى هنا ذكر نجد . قال : يقول بعض الناس : إذا بلغت المُذِيب من ناحية الكوفة وهي من الكوفة على مرحلة فأنت في نجد إلى أن تبلغ حدَّ تهامة . وقال الأصمعي : إذا جاوزت عجلز من ناحية البصرة فقد أنجحت ، وإذا بلغت من ناحية الكوفة سميراء أو دونها فقد أنجحت إلى أن تبلغ ذات عرق ، فإذا تصوبت في ثنايا ذات عرق فقد أتممت ، ويقال : إذا خرجت من المدينة على مُشْرِفها أفضل الصلاة وأكمل السلام فأنت منجحان تتصوّب في مدارج العرج فإذا تصوبت فيها فقد أتممت إلى مكة المكرمة . قال : ويقول أهل المدينة أخذت التهامية أم النجدية ؛ فالتهامية التي على عُسْفان والجحفة ، والنجدية التي طريق الرَبْدَة . قال : وللبصرة إلى مكة طريقان : أما أحدهما : فالصحراء عن يسارك وأنت مُصمّدة إلى مكة ليالي ، فإذا ارتفعت فخرجت من فليح فأنت في الرمل فإذا جاوزت النباح والقريتين فقد أنجحت ، وإذا أخذت طريق المُنْكَدِرِ إلى كاظمة فثلاث إلى كاظمة ، وثلاث في الدوّ . وثلاث في الصمان ، وثلاث في الدهناء . وعن غيره قال بعضهم : إذا جاوزت الحفر حفر أبي موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه ، وهو حفر بنى العنبر كان أبو موسى احتفر فيه ركيّةً فأنت في نجد . وقال بعضهم : حدُّ نجد من النباح وهو لبني عبد الله بن عامر ابن كريز . ويقول بعضهم : إذا جُزَّت القصيم فأنت في نجد إلى أن تبلغ ذات عرق ثم تهتم ، والقصيم موضع كان ذا غضى فيه مياه كثيرة ، وقرى منها القريتان قريتا ابن عامر أحدهما يقال لها : المسكران . قال : وكان أهل القصيم يسكنون في خيام الخوص ، وهي منازل بنى عبس وغيرهم وفيه نخل كثير وهو من عمل

المدينة ويقال حد القصيم قاع بولان وهي مفازة . قال : والقصيم رمل وبالقصيم ماء
لبنى أسد في الرمل عليه خيام من الخوص كثيرة يقال له الحويرثية . قال الشاعر :
على الربيع الذي يحوِّيرثاتٍ من الله التحية والسلام
وبالقصيم عجاز^(١) وهي ماءه لبنى مازن وهي المنصف بين البصرة ومكة
قال الراجز :

الله نجاك من العجائز ومن جبال طخفة النواشر^(٢)

والعجائز رحب ، وعجاز وما حولها من المياه ورحب ماء لبنى مازن بالقصيم
أيضاً . وقد ذكر هذا المؤلف رحمه الله جميع القرى والجبال والمياه والمعادن
وما ورد من الشعر في ذلك . قال بعض شعراء العرب يذكر بعض منازل نجد
ويتشوقها ، وهو قائد بن حكيم الربيعي :

خليلي إن حانت بمصر مدينتي وأزعمتا أن تحفرا لي بها قبرا^(٣)
فلا تنسيا أن تقرآ لي على الغضى ونجد سلاماً قليلاً ولا تزرا^(٤)
وإن سرت ياسبحان ربي بالغضى أو المرت من نجد مخيسة صمرا^(٥)

(١) ورد في القاموس وشرحه التاج : عجلزة بالكسر رملة بالبادية بازاء حفر
أبي موسى وتجمع على عجائز ذكرها ذو الرمة فقال :

مررن على العجائز نصف يوم وادين الأواصر والخلالا
قال الصاغاني ولم أجد البيت في شعر ذي الرمة في قصيدته التي أولها :
اناخ فريق جيرتك الجمالا كأنهم يريدون احتمالا
في نسختي من ديوانه التي قابلتها وصححتها باليمن والعراق ولكنه يقضي
منه قطرات عدوبة أنفاسه وسلاسة الفاظه وانما هو لابن احمر والرواية
وقضين وقد وقع ذكر العجائز في رجز اهاب بن عمير العبسي :

قاظ اقربيات الى العجائز يرد شغب الجمع الجوامز
وهي جمع عجلزة التي ذكرها الجوهري بعينها ، قال الزبيدي ومما يستدرك
عليه برملة عجلزة ضخمة صلبة وكتيب عجلز ضخم صلب والعجائز مياه
بضة بنجد هكذا ذكره في مختصر البلدان ويمكن ان يكون المراد في الرجز فتأمل
(٢) طخفة جبل احمر حداؤد ابار ومنهل ومنه يوم طخفة لبنى يربوع على
قابوس بن المنذر بن ماء السماء ، والنواشر : المرتفعة ١٣١ يقال ازمنت الأمر
وعليه أجمعت او ثبت عليه كزمنت (٤) الغضى : شجر وخشبه من أصلب
الخشب ولهذا يكون في فحمة صلابة (٥) المرت : المفازة بلا نبات أو الأرض
لايجف ثراها ولا ينبت مرغاها

وقال أيضاً

متى العيسُ من مصر بنا رافماننا إلى نجدٍ أو باد لعيني قلاها
ومزج إليها الطرف حتى يرده قوس القرى في البعد يخفق آها
على متن عادى كأن أماره رجال تنادى أفلتها جالها
وقوله ومزج أى يسوق نحوها الطرف ينظر إليها ويعنى بقموس القرى
هضبة . وقال عباس بن خليل النصرى ينوح على بنى جذيمة بن مالك بن نصر ،
ويقال إن القائل مرار الفقمسى :

ولقد أرى التَّكْمُوتَ يألف نبتته حتى كأنهم أولو سلطان^(١)
ولهم بلاد طالما عرفت بهم صحر الملا ومدافع السيمان
ومن الحوادث لا أبا لأبيكم إن الأجيْفَرَ قسمة شطران
طردت مخاضَ بنى أنَيْفٍ عنوة سبحانك اللهم ذا السبحان
طردوه إن لاقوا غلاماً واحداً ونسوا موائق معقد الإيمان
فلو الهديم لقوا أو ابني دهمج عرفوا التملك أسرع العرفان
سكنوا شبيثاً والأحصَّ وأصبحت نزلت منازلهم بنو ذبيان^(٢)
وإذا يقال أتيتم لم يرحوا حتى تُقيم الخليل سوق طمانٍ
وإذا فلان مات عن أكرومة رقعوا معاوِزَ فقده بفلان
وقد أحلنا استيفاء بلاد نجد وقراها وجبالها ومماذنها وغير ذلك على كتاب
الأصبهاني السابق ذكره .

وأما اليمن

فهذا إقليم عظيم متسع الأرجاء ، متباعد الأطراف والأجزاء ، لم تزل محمودة

(١) الثلبوت كجبروت واد أو أرض بين طيء وذبيان (٢) شبيث والأحص موضعان بتهامة وموضعان بحلب وفي المثل : تخطى إلى شبيثا والأحص ، قال في الفرائد : شبيث ماء لبنى الأضببط ببطن الجريب في موضع يقال له دارة شبيث ، والأحص : موضع هناك ، قاله جساس الكليب حين طعنه فقال اغثنى بشربة ماء فقال تجاوزت شبيثا والأحص ، يعنى ليس حين طلب الماء يضرب لمن يطلب شبيثا في غير وقته

على أسنة الأصفياء ، لما أودع الله فيها من البركة في جميع الأشياء ، وكانت تسمى الخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها وأشجارها وأثمارها ومراعيها وريعتها . قال الكلاعي في قصيدته :

هي الخضراء فاسأل عن رباها يُخبرك اليقين المخبرونا
ويُظهِرها المهيمن في زمان به كل البرية يظْمُونَا
وفي أجبالها عزّ عزيز يظل له الوري متقاصرينا
وأشجارنا منورة وزرع وفاكهة تروق الآكلينا

وأرض اليمن مقسومة ثلاثة أقسام : قسم برارى سهلة ، وقسم جبال وعرة ، وقسم بحر . فعدّ أبو الحسن الكلاعي من البرارى السهلة مواضع شرقية ، ومواضع غربية ، فمن الشرقية مأرب ونجران وحضرموت وجوف همدان والشحر وبيجان . وعدّ من الغربية زبيدأ وعلافقة وعسيرا وسردد ومورا وأرض حكم وهي من المبيضة إلى جلى ، قال : وفي هذه البرارى والسهول من المنافع والفضائل والخير الطائل ما لا يحصى له عدد ، ولا يبلغ له أمد ، وعدّ من قسم الجبال . جبال اليمن المشهورة بالشموخ والسمة ، والخصب والمنعة ، والجناب والرفعة ، وهي صر ومخلاف جعفر ودخر وبعدان ووصاب وعممة وأريمة وبرع وحفاش وملحان وحضور وتيس ومسور والشرف وجبل هنوم ، وذكر أن فيها من الخيرات والفضائل ما لا يخفى إلا على جاهل أو متجاهل ، وكم فيها من اللساتين والعيون الجارية والفواكه والروعات ، والأشجار والثمرات ، والمعاقل النبعة ، والحصون القاهرة . مما لا يوجد في كثير من الديار مثله ، ولا يوصف شكله . وعدّ أيضاً جزء البحر وما يخرج منه إلى اليمن فقال : يخرج منه اللؤلؤ والمرجان والعنبر الذكي . قال : وأما الذي كان يصل إلى اليمن من البلدان البعيدة بواسطة البحر فالدر واليافوت وأصناف من المسك والكافور والعود الرطب وأنواع العطر والفلفل والحديد ، هذا كله من بلاد الهند . وأما الذي كان يصل من الصين فالحرير

والقصب . وأما الذي كان يَصِلُ من عمان وأرض فارس فكثير من التَّحْفِ التي يطول ذكرها .

بعض ما ظهر في اليمن من المعادن

ذكر في كتاب نشر المحاسن اليمانية إن في اليمن كثيراً من المعادن ، منها مَعْدِنُ عَشْمٍ وَمَعْدِنُ ضَنْكَانٍ وهما معدنا ذهب جليلان . ومعدن القفاعة من أرض حِمْيَرٍ وهو دونهما . ومعدن في أرض بني محيد وهو دونه . وأما معادن الفضة فإن فيها مَعْدِنُ الرصاص وهو موضع بين فهم بطن من همدان وبين خولان العاليسة وبين مراد ، وهو معدن جليل كان اعتماد أهل اليمن عليه فلما ضعفت السلطنة تقالت العرب عليه وخربت قرية الرصاص وكان أهلها من العرنيين^(١) فانتقلوا إلى صنعاء . وأما معادن الجزع واليقران والعقيق فهما جميعاً بأرض مقرى من مخاليف اليمن الشرقية . وأما حجارة الحديد فإن في اليمن جبالا كثيرة يصلح منها الحديد بعضها بعدن أبين وبعضها بأرض وادعة بين صعدة والحجاز ، وفي نجران أيضاً جبل من حديد . ومنها بيجان ضرب من حديد حديد سيوف كثيرة كانت مع ولد سبأ بمأرب لم يكن لها في السيوف قياس ولا مثيل .

ما ظهر في اليمن من القصور والباني الشهيرة

كان في اليمن حصون كثيرة ، ومساكن عامرة ، وقصور عجيبة فاخرة ، منها : قصر غَمْدَانِ الذي كان بصنعاء وهو قصر عجيب فاخر أسَّسه — كما في كتاب نشر المحاسن اليمانية — أزال بن قحطان بأمر أخيه يعرب بناء عشرين طبقةً بعشرين سقفاً بين كل سقفين عشرين ذراعاً وجعل فيه مائة مسكن ، وكان أعلى غرفه مَمْرَدًا بالقوارير . وذكر بعض المؤرخين : أن قصر غمدان هو بظاهر صنعاء اليمن وله غرف شهيرة يسمونها المحاريب وهو محكم البناء عجيب

(١) عرنة بالضم اسم قبيلة ورهط من العرنيين ارتدوا فقتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا في الصحاح .

الارتفاع لأنه سبع طبقات وفيه مالا يوصف من الزخارف والصنائع الغربية .
بناه الملك سُرحبيل بن عمرو بن غالب بن المنتاف بن زيد بن يعفر بن السكسك
ابن وائل بن حمير ، وأقام فيه مدة ملكه ثم صار بعد ذلك دار الملك للتبابعة .
وذكر بعضهم : أن عُمدان قصر باليمن بناه يَشْرُخُ بأربعة وجوهٍ أحمر وأصفر
وأبيض وأخضر ، وبني داخله قصرًا بسبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعًا .
وعلى كل قول من هذه الأقوال أن قصر عُمدان كان من أعاجيب المباني في وقته
فلذلك أكثر شعراء الجاهلية من ذكره في شعرهم ونوهوا بشأته . ومنها : ظفار
وهو قصر الملك أبرهة ، وقد كان أيضًا من الأبنية العظيمة . ومنها : سَلْحِينُ وهو
قصر بناه الحارث الرائش بين صنعاء ومأرب . ومنها : ناعظ قصر ملوك همدان .
ومنها : بينون قصر بناه تَبَعُ الذائد بأرض عنتر . ومنها : صرواخ لسعد بن خولان .
ومنها : قصر المشب . ومنها : قصر العنقاء . ومنها : موكل قصر في المشرق
بناه أبرهة ذو المنار بن الحارث الرائش . ومنها : براتين ومعين قصران مقتبلان
بالجوف . ومنها : تلعم قصر همدان بريدة . ومنها : هكر والأهجر قصران في أرض
عبس . ومنها : دورم لصهر أبرهة بن الصباح . ومنها : أعماذ لسنام بنى شان ،
وهو من ولد سبأ الأصغر .

ومن المدن الشهيرة باليمن « صنعاء » وكانت من أحسن البلاد مساكن
وأطيبها وأصحها هواء ، يقال إن شتاءها في غاية البرودة . ومع ذلك لا يحصل
منه ضرر لأحد . وكانت هذه المدينة من أشهر بلاد العرب وأزهرها وكانت تحاكي
دِمَشْقُ الشام لكثرة مياهها وأشجارها وهي معتدلة الهواء حسنة الأسواق واسعة
التجارة . وكانت كرسى ملوك اليمن في الزمان القديم ، وهي شرقي عدن في الجبال ،
وكانت في الزمن القديم تسمى أزال . ولما كانت هي وما حولها في الأزمنة الأخيرة
تحت حوزة إمام الزيدية استحدث عليها حصن تعز ، فصارت إذ ذاك منزلا لبني
رسول ملوك اليمن وهو حصن في الجبال مُطَلٌّ على التهامم وأرض زبيد وفوقه منتره

كان يقال له (صهلة) قد ساق إليه صاحب اليمن المياه التي فوقه وبني فيه أبنية عظيمة في وسط بستان هناك . ومنها « زبيد » وهي قصبة التهايم وموضعها في مستوى من الأرض والبحر عنها أقل من يوم ، وفيها نخل كثير وكان عليها سور دائر فيه ثمانية أبواب ، وهي إلى الغرب من صنعاء ولها فُرْضة على البحر تسمى (علافة) وبينها وبين البحر خمسة عشر ميلاً ، وإلى الجنوب منها على شط البحر أيضاً « مدينة المخا » التي يجلب منها البن وعلى أربع مراحل من المخا بيت الفقيه وهي من الأراضي التي ينبت فيها البن أيضاً . ومنها « عدن » ويقال لها عدن أبين سميت باسم بانها وهي مدينة على ساحل البحر أعنى بحر الهند جنوبي باب المندب بميلة إلى الشرق ، وكانت مورد حط وإقلاع لمراكب الهند ومصر وغيرها ، وهي في ذيل جبل وتامه سور إلى البحر ، وكان لها باب إلى البر وآخر إلى البحر ، وأرضها مجذبة تنقل إليها اللياه في الغالب على ظهور الدواب ، وهي اليوم بيد الأفرنج وهي فُرْضة اليمن . ومنها : (نجران) بفتح النون . وسكون الجيم ، وهي قطعة عظيمة من أرض اليمن ذات نخيل وأشجار على القرب من صنعاء ، وهي بين عدن وحضرموت ، ويقال : هي جبال من شمال اليمن إلى شمال صعدة تبعد عن صنعاء نحو عشرة مراحل ، وكانت من بلاد همدان بين قرى ومدائن وعمائر ومياه . وبها كان أفعى الجرهمي الذي تحاكم إليه مضر وربيعة وإباد وأتار أولاد نزار بوصية من أبيهم ، على ما سيحى إن شاء الله تعالى بيانه في الكلام على الفراسة . ومن مشاهير بلاده « ظفار » بالطاء المشالة والفاء وهي مدينة على ساحل (جون) يخرج من بحر الهند ويطن في الشمال نحو مائة ميل ، وهي على طرفه بينها وبين صنعاء أربعة وعشرين فرسخاً وعلى شمالها رمال الأحقاف التي كان بها عاد ، وهي قاعدة بلاد (الشجر) ويوجد في أرضها كثير من النبات الهندى كالنارجيل والتنبل^(١) ، وفيها بساتين على سواق ، وفي سواحلها يوجد العنبر .

(١) قال في القاموس والتامول التانبول وهو ضرب من اليقطين طعم ورقه

ومن البلاد التي كانت في اليمن - مأرب

وتسمى سبأ باسم بانها ، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أول ملوك اليمن في قول واسمه عبد شمس ، وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبى السبي من ولد قحطان . وكان ملكه أربعمائة وأربعمائة وأربعمائة سنة ثم سبى به الحى ثم سبى به مسكنهم ، وكانت هذه البلدة من أحسن بلاد اليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ، وهى إلى الجنوب الشرقى من صنعاء لم يكن يومئذ في بلاد العرب أعمر منها . قال عبد الملك في شرح قصيدة بن عبدون : إن أرض سبأ من اليمن كانت العمارة فيها أزيد من مسيرة شهرين للراكب الجيد وكان أهلها يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة أربعة أشهر فزقوا كل ممزق . وذكر غيره من المؤرخين الثقات : أن (مأرب) كانت لطيفة الهواء ، حسنة التربة ، لا تحدث فيها عاهة ، ولا يكون فيها هامة ، حتى إن الغريب إذا دخلها وفي ثيابه قمل أو براغيث ماتت ولذلك نطق القرآن في شأنها أنها بلدة طيبة . وقيل : المراد بطيبتها حجة هوائها وعدوبة مائها ، ووفور زهرتها ، وأنه ليس فيها حرٌّ يؤذى في الصيف ولا برد يؤذى في الشتاء وكان عن يمين البلدة وشمالها بساتين كثيرة ، ويقال : إن لكل منزل من منازل البلد جنة عن اليمن وأخرى عن الشمال ، وذلك بسبب ما كان من كثرة المياه في أرضها . فقد روى أن بلقيس لما ملكت اقتتل قوعها على ماء واديعهم فتركت ملكها وسكنت قصرها وراودوها على أن ترجع فأبت ، فقالوا : لترجعين أو لنقتلنك . فقالت لهم : أنتم لا عقول لكم ولا تطيعونى . فقالوا : نطيعك . فرجعت إلى واديعهم ، وكانوا إذا مطروا أتاهم السيل من مسيرة ثلاثة أيام ، فأمرت فسد ما بين الجبلين بمسناة بالصخر والقار وحبست الماء من وراء السد ، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض ، وبنت من دونه بركة منها اثنا عشر مخرجاً على عدة

كالقرنفل يمضغونه بقليل من كلس وهو مشه مطرب باهى مقو اللثة والمعدة والكبد وهو خمر الهند يمازج العقل قليلاً وهو ينبت كاللوبيا ويرتقى في الشجر

أنهارهم ، وكان الماء يخرج لهم بالسوية إلى أن كان من شأنها مع سليمان عليه السلام ما كان . وقيل : إن الذي بناه هو حمير أبو القبائل اليمنية . وقيل : بناء لقمان الأكبر ابن عاد ، ورصف أحجاره بالرصاص والحديد ، وكان فرسخاً في فرسخ ولم يزالوا في أرغد عيش ، وأخصب أرض ، حتى إن المرأة تخرج وعلى رأسها المِكتل^(١) فتعمل بيديها وتسير فيمتلئ المِكتل مما يتساقط من أشجار بساتينهم إلى أن أعرضوا عن الشكر وكذبوا الأنبياء عليهم السلام ، فسلب الله تعالى على سدّهم الخلد^(٢) فتوالد فيه فخرقه ، فأرسل سبحانه سيلا عظيما فحمل السد وذهب بالجنان وكثير من الناس ، وكان ذلك السيل على ما قيل في ملك ذى الأذعار ابن حسان في الفترة ، وكان أول من أحس بمحادثة (سيل العريم) قبل وقوعها زمن طويل فخرج من اليمن عمرو بن عامر مزيقياً لما أنذرتة بذلك طريفة الكاهنة ، وسيأتي ذكر ما قالته من الأسجاع عند الكلام على الكهانة إن شاء الله تعالى مع بيان من تفرّق من القبائل والمواضع التي سكنوها . وفي أرض (مأرب) اليوم بقايا من آثارهم وكتابات كثيرة منقوشة بالخط الحميري قد اهتدى إلى معرفتها بعض السياحين من الأفرنج الذين طافوا أنحاء هذه البلاد بواسطة مقابلتهم ما نقش منه على الآثار التي اكتشفوها بالخط الحبشي والكوفي والفينيقي والعبرائي ، وعرف بذلك ما كان للقوم من المدنية والمعارف السكّانية .

وفي اليمن بلاد أخرى كثيرة لا يمكننا استيعابها في أقسام اليمن الخمسة ، وهي : حضرموت ومهرة وعُمان وشحر ونجران ، ولذلك كتب ممدة . وكان اليمن منازل العرب العاربة من عادٍ وطسّم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن في معناهم . ثم انتقلت ثمود إلى الحجر من أرض الشام ، فكانوا بها حتى هلكوا وهلك أيضاً من هلك من بقايا العرب العاربة باليمن من عاد وغيرهم ، وخلفهم فيه بنو قحطان بن

(١) بكسر الميم الزنبيل وهو ما يعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره والجمع مكاتل مثل مقود ومقاوذ (٢) الخلد بالضم ويفتح الفارة العمياء .

عامر على قول فعرفوا بعرب اليمن وبقوا فيه إلى أن خرج منه عمرو في حادثة السيل ، ثم خرج منه بقاياهم وتفرقوا في الحجاز والشام وغيرها . وكانت الحجاز أرض بنى عدنان إلى أن غزاهم بمختصر ، ونقل من نقل منهم إلى الأنبار من بلاد العراق ، ولم تزل العرب بعد ذلك تنتشر في الأقطار إلى أن كان الفتح الإسلامي فتوغلوا في البلاد حتى وصلوا إلى بلاد الترك وما داناها وصاروا إلى أقصى المغرب وجزيرة الأندلس وبلاد المشرق وملأوا الآفاق ، وصار بعض عرب اليمن إلى الحجاز ، فأقاموا به وربما صار بعض عرب الحجاز إلى اليمن فأقاموا به وبقي من بقي منهم في الحجاز واليمن إلى يومنا هذا .

ومن بلاد العرب وصانيتها في بواري الشام - ترمز

وهي بلدة قديمة بيادية الشام من أعمال حمص وهي على شرقها وأرضها سباح ، وكان فيها شجر ونخيل وزيتون ، وفيها آثار عظيمة قديمة من أعمدة وصخور ، وكان لها سور وقلعة وبينها وبين حمص نحو ثلاث مراحل : وكذلك بين سلمية وبينها وبين دمشق تسعة وخمسون ميلا ، وبينها وبين الزحمة مائة ميل وميلان ، وكانت منزل آل ربيعة ملوك الشام . واختلف في بانيتها فقال بعض المؤرخين : إنه سليمان عليه السلام فإن هذه البلدة كانت مستقره وأن الجن قد بنتها له بالصفاح والعمد والرخام الأبيض والأشقر ، وفي ذلك يقول النابغة الذبياني في مدح النعمان ابن المنذر :

ولا أرى فاعلاً في الناس يُشبهه^(١) وما أحاشى من الأرقام من أحد^(٢)

إلا سليمان إذ قال الآله له قم في البرية فاصددها عن الفند^(٣)

(١) ولا أرى فاعلاً الخ أي لا أرى أحداً يفعل الخير يشبهه ، ولا أحاشى أي لا استثنى ، ومن في قوله من أحد زائدة (٢) يريد بسليمان ابن داود عليهما السلام وهو في موضع نصب على البدل من موضع أحد وإن شئت على الاستثناء ويروى إذ قال المليك له ، والفند الخطأ .

وخيس الجن أنى قد أذنت لهم يبنون تدمرُ بالصفاح والعمد^(١)
فن أطاع فاعقبه معاقبةً كما أطاعك وادله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبةً تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد^(٢)
ألا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد^(٣)

ذكر ذلك الثعالبي في تفسيره ، وهذا من مذاهب العرب على سبيل المبالغة
لا الحقيقة كما كانوا يزعمون أن عبقرأ اسم بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب ،
فزعوا أن (تدمر) من بناء الجن لما يرون من قوتها الباهرة وصنعها العجيب .
وقال بعضهم . أنها من أبنية العرب الأقدمين ، ففي القاموس تدمر كتتنصر بنت
حسان بن أذينة بها سميت مدينتها وهذا هو المعول عليه ، ولعل مراد من قال :
إن بانها سليمان عليه السلام أنه حسنها وزاد في أبنيتها والله أعلم « ومنها تيماء »
وهي حاضرة طيء وبها الحصن المعروف (بالأبلق الفرد) المنسوب إلى السمومل
ابن عاديا ، وكانت بلدة عظيمة بين الحجر أرض ثمود وبين الشام ، وفيها عين ماء
ونخيل . ويقال : إن أصحاب الأيكة الذين بعث الله تعالى شعبياً إليهم أيضاً
سكنوها ، وفي ذلك الحصن يقول السمومل في قصيدته الشهيرة :

لنا جبلٌ يحثاه من نُجْبِرُهُ منيعٌ يرثُ الطرف وهو كليلٌ
هو الأبلق الفرد الذى شاع ذكره يعزُّ على من رامه ويطول
رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لا ينال طويل

ومنها « مدين » وهي قريبة من البحر إلى غربى (الحجر) ماثلاً إلى الجنوب
وهي التي قال فيها كثير عزة :

رهبان (مدين) والذين عهدتهم ليكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها خرّوا لعزة ركاماً وسجودا

(١) الصفاح : الحجارة كالصفائح عراض ومعنى ذال ويروى وخبر
الجن أنى قد أمرتهم الخ (٢) ، الضمد : الحقد (٣) أى لاتقم على الحقد إلا أن
يمائلك فى حالك أو من فضلك عليه كفضل السابق على المصلى يعنى أو من
يباريك ، والأمد : الغاية

وقد خرجت هذه البلدة من أمد بعيد ، وزمان مديد ، وقد عفت طولها ورسومها
ومنها « دومة الجندل » كان رجل اسمه الأكيذر في بلدة قرب عين التمر في العراق
تسمى (دومة) وكان يزور أخوالاً له من بني كلب في أطراف الشام فيبنا
هو يسير في بعض الطريق ، إذ ظهرت له مدينة منهمة لم يبق منها إلا بعض حيطانها
وكانت مبنية بأرض تسمى الجندل فأعاد (الأكيذر) بناءها وغرس فيها الشجر
وسماها (دومة الجندل) تفرقة بينها وبين (دومة العراق) وكان بنو كلب
ينزلونها ، ومنهم زهير بن جناب السكبي ، وهو القائل في غزوه لمبنى بكر وتغلب
على ماء الحنّ :

أين الفرارُ من حذر الموت وإذ تتقون بالأسلاب
إذ أسرنا مهلهلاً وأخاه وابن عمرو في القيد وابن شهاب
وسبيننا من تغلب كل بيضا رُقود الضحى برُود الرضاب

ومنهم زهير بن شريك السكبي ، وهو القائل لأبناء زوجته :

ألا أصبحت أسماء في الحجر تمذل وترعم أنى بالسفاه موكل
فقلت لها : كفى عتابك نصطيح وإلا فبيني فالتغرب أمثل

« والحجر » بكسر الحاء المهملة هي إلى الجنوب من (دومة الجندل) وبها
كانت ديار ثمود . وأما الحجر بالفتح فهي في اليمامة بقرب مدينة اليمامة وهما منازل
بني حنيفة وبعض مضر ، وبنو حنيفة هؤلاء من بكر بن وائل . ومنهم مسيلمة
الكذاب وهم من العرب المستعربة من قبيلة ربيعة الفرس ، وكان في دومة الجندل
من المباني العظيمة (مارد) وهو حصن للسموئل بن عاديا الغساني ، كما أن (الأبلق)
له أيضاً غير أن (مارداً) في دومة وكان مبنياً من حجارة سود ، والأبلق كان
في أرض تيماء كما سبق وقد بنى من حجارة سود وبيض ، وقد قصدتهما (هند)
ملكة الجزيرة المعروفة بالزباء وعجزت عنهما فقالت : تمرد مارد وعز الأبلق ،
فذهب هذا القول مثلاً . ومن مباني العرب في بادية الشام (صرح الغدير) وهو

من أبنية ملوك غسان في أطراف (حوران) ممالي (البلقاء) بناء ثعلبة بن عمرو ابن جفنة الغساني ، ومنها (القناطر) و (أذرح) و (القسطل) وهي من أبنية جبلة ابن الحارث بن ثعلبة المذكور . ومنها (الحفير) و (مصنعة) و (قصر أبير) و (امعان) وهي من أبنية الحارث بن جبلة المذكور وكان يسكن في البلقاء . ومنها قصر (الغضا) و (صفات العجلات) و (قصر منار) وهي من أبنية عمرو بن الحارث المذكور فإنه أنشأ في دمشق وضواحيها عدة من القصور الشاخصة منها هذه الأبنية . ومنها (قصر السويداء) و (قصر حارب) بناهما النعمان بن عمرو الذي مر ذكره . ومنها (قصر برقع) بنى في البرية لجبلة بن الحارث أخى عمرو المذكور سابقاً ، وكان صاحب تدمر . و (قصر بركة) و (ذات أعمار) بناه له عامله القين . ومنها (جبلة الأهمية) وهي بلدة بناها جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان ، وهو الذى أسلم في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، ثم لحق بقيصر ملك الروم فنصر وأقام عنده والقصة مشهورة^(١) ، وكان يضرب به المثل في عزة الملك فيقال أعز ملكاً من جبلة بن الأيهم .

ما جاور العراق من بلاد جزيرة العرب

اعلم أن كثيراً من العرب في حدود العراق من أرض جزيرة العرب والبعض منهم كان في العراق أيضاً ، واختلف المؤرخون في سبب ذلك فذهب ابن خلدون في تاريخه عند الكلام على الطبقة الثالثة من العرب وهم العرب التابعة للعرب أن يختصر ملك بابل هو الذى أسكن بعضهم في الحيرة بسبب ما كان له مع التبابعة وغيرهم من الوقائع والحروب ، وبعد موته انتقلوا منها إلى الأنبار فانتشروا بعد

(١) حدثنا استاذنا المؤلف انه رأى ابن الشجرى في كتابه « المختلف والمؤتلف » المخطوط ينكر على من يدعى تنصر جبلة انكاراً شديداً ويبالغ في الرد على من يقول بذلك فأحسبت ان أقف على هذه المسألة الغامضة فأخبرنى أنه أرسل نسخة الكتاب - وهي قديمة وحيدة في العالم - الى بعض الوراقين في مصر للطبع والنشر فتجرا ذلك الخؤون الأثيم على بيعها الى بعض المستشرقين فهى اليوم في خزائن كتب الافرنج والأمر لله

ذلك بأرض العراق . وقال الهمداني في كتاب جزيرة العرب : سار تُبَّع أبو كُوب في غزوته الثانية فلما أتى موضع الحيرة خلف هناك مالك بن فهم بن غُهم بن دُوس على أنقاله وتحالف معه من ثقل من أصحابه في نحو اثني عشر ألفاً ، وقال : تحيروا هذا الموضع فسمى الموضع الحيرة ، وهو من قولهم تحير الماء إذا اجتمع وزاد ، وتحير المكان بالماء إذا امتلأ ، فالك أول ملوك الحيرة وأبوهم . وكانوا يملكون ما بين الحيرة والأنبار وهيت ونواحيها وعين التمر وأطراف البراري الغمير والقطقطانة وحفية . وكان مكان الحيرة أطيب البلاد ، وأرقه هواء ، وأخفه ماء ، وأعذبه تربة ، وأصفاه جواً ، قد تعالى عن عمق الأرياف واتضح عن حزونة الغائط واتصل بالمزارع والجنان والتاجر العظام ، لأنها كانت من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر من الهند والصين وغيرها ، والحيرة أرض في العراق فيها بلدة كانت قريبة من الكوفة . وغير الهمداني يقول إن الحيرة بلدة على حافية البادية وحافة سواد العراق وإن تُبَّعاً لما سار من اليمن إلى خراسان وانتهى إلى موضعها ليلاً تحير فنزل وأمر ببنائها فسميت الحيرة وصارت مقام الملوك اللخمييين من آل النعمان بن المنذر ، وبها تنصر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة ، وأقام قصرأ سماه (الزوراء) وهو المعنى بقول النابغة الذبياني :

وتسقى إذا ما شئت غير مصدر زوراء في أكنافها السك كارع
« والأنبار » مدينة كانت في العراق أيضاً على شرق نهر الفرات بينها وبين بغداد نحو عشرة فراسخ ، سميت بهذا الاسم لأن الأكاسرة كانوا يحزبون فيها الطعام ، وبعد الفتح الإسلامي ظهر فيها جماعة من أهل العلم ، وبعد أن مصرر سعد ابن أبي وقاص الكوفة نقل إليها أهل الحيرة فخرت . وكان فيها من مباني العرب الجاهليين قصور عظيمة ، منها قصر (الخورنق) وكان في الحيرة بظهر الكوفة بناه رجل من الروم يقال له سمار للملك النعمان الأكبر ابن امرئ القيس اللخمي الملقب بالحرث في مدة عشرين سنة ، فلما فرغ من بنائه ألقاه الملك المذكور من

أعلاه فقتله لثلاثيني مثله لغیره ، فضربت العرب بذلك المثل ، فقالوا : جزاء جزاء سنمّار .

جزانى جزاه الله شر جزائه جزاء سنمّار وما كان ذا ذنبٍ
سوى رصّه البنيان عشرين حجةً يعلى عليه بالقراميد والسكّب (١)
فلما رأى البنيان تمّ سحقه وآض كمثل الطود والبادخ الصعب (٢)
وظن سنمّار به كل خيرة وفاز لديه بالموّدة والقرب
رى بسنمّار على أمّ رأسه وذلك لعمر الله من أعظم الخطب (٣)

وقال سليط بن سعد

جزى بنوه أبا الفيلان عن كبرٍ وحسن فعل كما يُجزى سنمّار
ويروى أن السبب في قتل سنمّار غير ذلك ، وقصة قصر (الخورنق) مفصلة
في ترجمة (عدى بن زيد) من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ، وهناك أيضاً
ترجمة سليط بن سعد ، ويقال : إن هذا الملك بعد أن مكث في الملك ثلاثين سنة
كان جالساً يوماً في هذا القصر ، فتأمل في الملك الذي له والأموال والذخائر التي
عنده وكانت على جانب عظيم ، فقال : لا خير في هذا الذي ملكته اليوم ويملكه
غيرى غداً ، ومن ثمّ زهد في الملك وأمر حجا به أن يعتزلوا عن بابه ، ولما جنّ
الليل التحف بكساء وخرج سائحاً في الأرض فلم يره أحد بعد ذلك . ومنها
(السدير) وهو قصر آخر من آخر من مباني النعمان الأكبر أيضاً . ومنها (الصنبر)
وهو حصن من مباني امرئ القيس بن النعمان الأعور . ويقال : إن ما وقع لسنمّار
كان مع هذا الملك بعد أن بنى له هذا الحصن . وقد لهجت الشعراء بذكر هذه
القصور وغيرها من مباني العرب القديمة . قال الأسود بن يعفر :

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات من سنداد

(١) القراميد جمع قرميد وهو آجر أو شيء يشبهه وقيل شيء كالجص يطلّى به وقيل حجارة محرقة أو خزف مطبوخ ، والسكّب : النحاس أو الرصاص (٢) آض أى صار ، والطود : الجبل ، والبادخ : العالى : وقوله سحقه أى ارتفاعه (٣) أم رأسه أى دماغه

وقال المنخل يشكرى من أبيات كانت سبب عزل عمر رضى الله تعالى عنه
له عن العمل :

ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير
وإذا سكرت فإنى رب الخورنق والسدير
وإذا صحت فإنى رب الشويبة والبمير

وهذه الأبيات من قصيدة طويلة ، والمنخل هذا كان من شعراء الجاهلية ، وكان
ينادم النعمان بن المنذر وهو الذى سمي بالنابغة الذبياني إلى النعمان فى أمر المتجردة امرأة
النعمان فلحق بآل جفنة الغسانيين ، وقال أبو العتاهية :

كهنى على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

والشعر فى ذلك كثير ، وقد تركنا ذكر كثير من مباني العرب القديمة
فى العراق ، وقد ذكرت فى كتاب معجم البلدان وغيره من الكتب المؤلفة فى هذا
الباب ، واعلم أن العراق ليس من جزيرة العرب ، والسواد سواد كسرى الذى فتحه
المسلمون على عهد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وهو من أرض العراق سمي
سواداً لسواده بالزرع والأشجار لأنه حين تاخم جزيرة العرب التى قل الزرع فيها
والشجر كانوا إذا خرجوا من أرضهم إليه ظهرت لهم خضرة الزرع والأشجار ، وهم
يجمعون بين الخضرة والسواد فى الأسماء كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن
أبي لهب ، وكان أسود اللون :

وأنا الأخضر من يعرفنى أخضر الجلدة من نسل العرب

فسموا خضرة العراق سواداً ، وسمى عراقاً لاستواء أرضه حين خلت من جبال
تملو وأودية تنخفض ، والعراق فى كلام العرب هو الاستواء ، قال الشاعر :

سقم إلى الحق لهم وساقوا سياق من ليس له عراق

أى ليس له استواء وبعضهم يقول : إنما سمي بهذا الاسم تشبيهاً له بعراق
المزادة وهو موضع الخرز المستطيل فى أسفلها . وبعضهم يقول : هو جمع عرق

لاشتباك عروق النخل والشجر في تلك الأرض . وحد السواد طولاً من (حديثه الموصل) إلى (عبادان) وعرضاً من عُذَيْب القادسية إلى حلوان ، فطوله مائة وستون فرسخاً ، وعرضه ثمانون فرسخاً : فأما العراق فهو العرض مستوعباً لأرض السواد عرفاً ، ويقصر عن طوله في العرف لأن أوله من شرق دجلة الملت . وفي غربها حربى ، ثم يمتد إلى آخر أعمال البصرة من جزيرة عبادان فيكون طوله مائة وخمسة وعشرون فرسخاً يقصر عن طول السواد بخمسة وثلاثين فرسخاً ، وعرضه مع تبعة في العرف ثمانون فرسخاً كالسواد . قال قدامة بن جعفر : يكون ذلك مكسراً عشرة آلاف فرسخ وطول الفرسخ اثنا عشر ألف ذراع بالذراع المرسل ، ويكون بذراع المساحة وهي الذراع الهاشمية تسعة آلاف ذراع ، فيكون ذلك إذا ضرب في مثله وهو تكسير فرسخ في فرسخ اثنين وعشرين ألف جريب وخمسمائة جريب ، فإذا ضرب ذلك في عدد الفراسخ وهي عشرة آلاف فرسخ - بلغ مائتي ألف ألف وخمسة وعشرين ألف ألف جريب وخمسمائة جريب ، يسقط منها بالتخمين مواضع التلال والآكام والسبخ والآجام ومداس الطرق والمحاج ومجارى الأنهار وعراض الدُّنْب والقرى ومواضع الأرحاء والبريدات والقناطر والشاذروانات والبنادر ومطارج القصب وأتانيين^(١) الآجر وغير ذلك الثلث وهو خمسة وسبعون ألف ألف جريب يراح منها النصف ويكون النصف مزروعاً مع ما في الجميع من النخل والكريم والأشجار . فإذا أضيف إلى ما ذكره قدامة في مساحة العراق ما زاد عليها من بقية السواد ، وهو خمسة وثلاثون فرسخاً . كانت الزيادة على تلك المساحة قدر ربهما ، فيصير ذلك مساحة جميع ما يصلح للزرع والفرس من أرض السواد ، وفي التمهيد أن يستوعب زرع جميعه وقد يتمطل منه بالعوارض والحوادث ما لا ينحصر . وقد قيل : إنه بلغت مساحة السواد في أيام كسرى بن قباد مائة ألف وخمسين ألف ألف جريب ، فكان مبلغ ارتفاعه

(١) جمع اتون بالتشديد موقد النار مولد وتردد فيه الجوهري .

مائتي ألف ألف وسبعة وثمانين ألف ألف درهم بوزن سبعة ، لأنه كان يأخذ على كل جريب درهماً وقفيزاً ثمنه ثلاثة دراهم بوزن المتقال . وإن مساحة ما كان يزرع منه على عهد عمر رضى الله تعالى عنه من اثنين وثلاثين ألف ألف جريب إلى ستة وثلاثين ألف ألف جريب ، والكثير من أراضي العراق اليوم موات وغالب البلاد خراب .

ديار بكر بن وائل وريبعة ومضر

ذكر بعض المؤرخين : أن ثلاث قبائل من عرب اليمن وهم بكر وريبعة ومضر هاجروا من اليمن عند حادثة سيل العرم ، وسكنوا شمال ما بين نهري دجلة والفرات وهو المسمى بالجزيرة . فسميت حينئذ تلك النواحي ديار بكر وديار ربيعة وديار مضر ، وفيها يجرى نهر (الخابور) وقد قتل في هذا المحل الوليد بن طريف التغلبي ، فرثته أخته ليلي بأبيات منها قولها :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تحزن على ابن طريف
وصحارى هذه الديار مملوءة كلاً وأزهاراً ، ولذا اتخذها آل بكر بن وائل
من بين الديار داراً ، وطيرها كثير جداً لا تكاد تستطيع له عدداً . فما من زهر
تنشقه عرائن السمع إلا وهو مزهر في رياضها ، وما من طير يقع في شباك الوهم
إلا وهو حائم على غياضها . ولم يكن فيها اليوم ممن كان في الأعصر الخالية من
أولئك القوم بل سكنها أناس مختلفوا الملل والأجناس ، ليس فيهم مزايا من
سلف ، ولا فصاحة من مضي وانصراف ، وسبحان من أخلى ديار بكر ممن يرعى
زهر الأدب وريبعه ، وجلها بلاقع لا تجد فيها من يتخذ لفهم كلام العرب ذريعته ،
وكم كان فيها من أديب حلا نظمه ونثره ، وأديب رعى عن قسي الإصابة لا شلَّ
عشره ، فنثرهم ريب المنون من كنانتها نثر السهام ، ونظمهم على الرغم منهم
في ديوان القبور تحت أطباق الرغام^(١) ، سقى الله تعالى ثراهم ، ما يوجب في دار

(١) التراب .

الإقامة ثراهم ، وهناك بلد أحدث بعد الزمن الجاهلي اسمه اليوم (آمد) هو اؤه لا يهواه
جسد أحد ، أسرق للصحة من شر شظاظ^(١) ، وأسرى في الأعصاب من سريان المعاني في
الألفاظ ، ولذا ترى حمّاه في حمّاه عاكفة ، والأمراض في كل بيت من بيوته طائفة ، قلما
تمرّ السنة على رضيع يرّها ، ولم تهزه أم ملدم^(٢) في مهد حجيرها ، فأغلب أهلها حتى
الأحداث ، صفر الوجوه كأنما خرجوا من الأجدات ، ولا ترى منهم من يرد من ماء
شبيته ظمأى العين ، اللهم إلا أن يكون ذلك واحداً أو اثنين ، وربما يتفق من غلط
الزمان ، واحدة من النساء عليها مسحة الجمال كنساء سائر البلدان ، وقبل أن تضحك
تبكيها الأسقام ، وتطمئنها^(٣) على فراش الأمراض الآلام ، هكذا وصفه (الجدّ)
عند مروره على هذه الديار . ثم قال بعد كلام : وسبب تغير الهواء بزعم ساكنيها ،
مزيد تعفن في أرجائها مما فيها ، فترى في أحيائها مياهاً أنقن من صديد الأموات ،
وأوْحالاً تغيرت أحوالها مما جرى على رأسها من القاذورات ، وفي طرقاتها أيضاً ما يجري
على نحو هذا الطريق . ويسرى برفيق من الجيف أمامه ألف فريق ، وكذلك يزعمون
أن ارتفاع السور ، أحد أسباب تلك الأمور ، وهو في بادي النظر كلام منحط عن
القبول ، وآسن^(٤) لا تنشر به أفواه العقول ، ولا يبعد أن الارتفاع ، يكون سبباً لاحتباس
الهواء في تلك البقاع ، فيزداد تعفنا ، ويعظم العنأ . ثم قال : ويقابل (آمد) من

(١) شظاظ ككتاب لص من بنى ضبة كان يصيب الطريق مع مالك بن
الريب المازني ، « قيل انه مر بامرأة من بنى نمير وهي تعقل بعيرا لها وتتعويذ
من شر شظاظ وكان بعيرها مسنا وكان هو على حاشية من الابل وهي الصغير
فنزل وقال لها أتخافين على بعيرك هذا شظاظا فقالت ما آمنه عليه فجعل
يشغلها وجعلت تراعى جملة بعينها فأغفلت بعيرها فاستوى شظاظ عليه
وذهب به وهو يقول :

رب عجوز من نمير شهيرة علمتها الانقاض بعد القرقرة
الانقاض : صوت صفار الابل ، والقرقرة : صوت مسانها ، فهو يقول علمتها
استماع صوت بعيري الصغير بعد استماعها قرقرة بعيرها الكبير (٢) هي
الحمى قال اصحاب الاشتقاق هي مأخوذة من اللدم وهو ضرب الوجه حتى
يحمر ، وقال بعضهم ملدم بالذال من قولهم لدم به اذا لزمه (٣) أى تمسها
والطمث النكاح بالتدمية ومنه قيل للحائض طامث (٤) أى متغير الريح والطعم

الشمال قرية نصارى تسمى (بقطريل)^(١) ونهر دجلة بينهما يشبه وربّ الفلك الدوار دائرة المعدل ، وهذه غير قطريل ببلاد ، التي جاءت في حديث ضعيف الإسناد ، وكان حانا لكل حمزة تنسب إليه ، وتنقل إلى ما حواليه ، فتقادم الزمان ، وتمير ما كان ، واستولى الحين على الحان ، ويس الكرم وتكسرت الدنان ، فلم يبق محتسب الليالي والأيام ، إلا حديثاً تدور به في حانات الكتب سقاة الأفلام في كاسات الأرقام :

زمان بما فيه انقضى فهو ماترى أحاديث تجلوه على السمع أفواه

انتهى ما هو المقصود . ويوجد في بعض النواحي من هذه الديار بعض بني مضر وهم العرب الطائيون ، ومن المدن التي كانت فيها (سروج) و (الرقة) و (رحبة مالك بن طوق) أحد قواد هارون الرشيد ، و (قرقيسيا) وكانت مدينة هند بنت الريان التي قتلت جدّيمة الأبرش ، وكانت هذه البلدة من ديار مضر . ومن مدن هذه الجزيرة (دارا) التي أدار الإسكندر عليها في فنائها من كؤس الفناء ما أدار ، قال فيها بعض الشعراء :

ولقد قلت لرحلى بين حرّان ودارا
اصبرى يارحل حتى يرزق الله حمارا

ومنها مدينة (نصيبين) وهي من ديار ربيعة ، وكانت مختصة بالورد الأبيض وليس فيها وردة حمراء ، ومنها كان يجلب إلى الآفاق ويمجرى إلى القرية نهران أسود وأبيض ثم أنهما يتحدان وبعد ذلك يتشعبان ، ويكون منهما منافع غزيرة للحراث وغيرهم . وعليهما ممّا قنطرة نحو مائة ذراع وغاية ارتفاعها عن وجه الماء نحو ستة أذرع أو أكثر والماء يجرى من تحتها بشدة ثم ينصب ما يبق منه بمد سقى المزارع في (الخابور) ويختلط آخر الأمر بماء الفرات ولرداء ماؤها ، وفساد هوأها كثرت فيها الحمى حتى يقال إنه شوهده أن عصافيرها تتساقط

(١) قال في شفاء الغليل أعجمية لم تسمع في شعر قديم وهو اسم بلدة

ميتة من أعلى الأشجار ، ولولا ذلك لغدت من أوسع البلاد ولعدت منتزها
أبهى من غوطة دمشق الشام ، لما أن تراها ينبت مالا يكاد ينبت بمكان ، واشتهر
أنها كانت قبل بلدة واسعة فضيقتها كأمثالها جيوش البلاء وحوادث الأيام والليالي
وهي اليوم تشتمل من البيوت على نحو ثلاثمائة وخمسين بيتاً . وعلى غربي دجلة
قرية صغيرة تسمى « جزيرة ابن عمر » ومنها ابن الأثير الجزرى وغيره من
الأفاضل الأعلام ، الذين تزينت بمؤلفاتهم نحور الأيام ، وليس هذا مقام ذكرهم .
وهي بلدة غلالية الشكل ، ولكن لا نور فيها ولا فضل ، وذلك لوخامة هوائها ،
وذمامة أرجائها ، ولولا أن تكون دجلة عليها شفيقة ، لجملتها بمجازها جزيرة على
الحقيقة ، وابن عمر الذى تنسب إليه ، وتعمل في الشهرة عليه ، قيل : هو يوسف
ابن عمر الثقفى ، وفي معجم البلدان . جزيرة ابن عمر أحسب أن أول من عمرها
الحسن بن عمر بن خطاب التغلبى ، وكان له إمرة بها سنة ما يتين وخمسين انتهى
وفي تاريخ ابن المستوفى : ابنا عمرها أوس وكامل ابنا عمر بن أوس التغلبى ،
وإليها تنسب الجزيرة المشهورة انتهى . وفي تاريخ ابن خلكان ما يتعلق بذلك .
والممول عليه ما فى معجم البلدان ، ويعد ما فى تاريخ ابن المستوفى فى الجملة أفراد ابن
دون تثنيته والله أعلم .

ومن مساكن العرب فى الجزيرة التى بين دجلة والفرات « الموصل » كان
يسكن فيها وفى نواحيها كثير من قبائل العرب من أبناء ربيعة ومضر . قال فى
اللباب : هى بفتح الميم وسكون الواو وكسر الصاد المهملة وفى آخرها لام ، مدينة
من الرابع من الجزيرة ، وهى على دجلة فى جانبها الغربى انتهى . وفتحها فى زمن
الفاروق رضى الله تعالى عنه قيل : عياض بن غنم الأشعرى ، وقيل : خالد بن
الوليد فتحها عنوة . وسميت بالموصل على ما هو المشهور لأن نوحاً عليه السلام
سبر الماء هناك وهو فى السفينة فوصل السبار الأرض . وفى المرصد : سميت
بذلك لأنها وصلت بين الجزيرة والفرات ، وقيل : وصلت بين دجلة والفرات .

وقيل : لأنها وصلت بين (بلد) و (الحديثة) . وقيل : إن الملك الذي أحدثها كان يسمى الموصل انتهى ، ولا جزم بشيء مما ذكر والله أعلم . وقريب من الموصل المعمورة اليوم محل يسمى الموصل القديمة وهذا ظاهر في أن المعمورة حديثة وفي معجم البلدان ما يدل على أن تلك القديمة هي حديثة الموصل فوصفها بالقديمة لعله لخرابها اليوم . وقد وصفها الجدي في كتابه غرائب الاعتبار إذ مر على هذه البلدة بأوصاف جميلة فقال : هي عذبة الماء ، طيبة التربة والهواء ، طعامها هنيء ، وشرابها مريء ، واسطة البلاد وسرورها ووجهها الصبيح وغرتها ، تلد الربيع في السنة مرتين ، فهي بين البلاد أم الربيعين ، فأراضيها في فصلين قد علا جنسها ، وتجرد عن عوارض الكدر إنسها ، وهي كالعرائس في حليها وزخارفها ، والقيان ^(١) في وشيها ^(٢) ومطارفها ^(٣) زرايتها ^(٤) وإنماطها ^(٥) ناشرة حبرها ^(٦) ورياضها ^(٧) :

كأن نسيم الريح في جنباتها نسيم حبيب أو لقاء مؤمل
لا عيب فيها سوى أنها أيام الربيع ، تسرق المائم الخضر من السادة فتنتشرها
على سطوح دورها وتبيع ، وتقول : لا بأس على أم الربيعين ، لو سرقت غمام
أبناء الريحانيين ، ولعمري إن من اختبر وامتنح ، حكم بأن كل روضة بالنسبة
إلى رياضها خضراء الدمن ، وأنها تنبت العلماء المحققين ، كما تنبت الأحقوان ^(٨)
والنسرين ^(٩) ، وتخرج الأخيار ، كما تخرج الأزهار ، وهذا أظهر من الشمس ،
وأقوى تحقّقاً من الأمس ، فلا حاجة إلى التطويل ، بإقامة الدليل :

(١) جمع قينة وهي المغنية (٢) الوشي نوع من الثياب الموشية تسمية بالمصدر (٣) جمع مطرف ثوب من خزلة اعلام ويقال ثوب مربع من خزر وأطرفته اطرافاً جعلت في طرفيه علمين فهو مطرف وربما جعل اسماً براسه غير جار على فعله وكسرت الميم تشبيهاً بالآلة (٤) الزرابي الطنافس المخملة واحدها زربية (٥) جمع نمط بفتح الحين ثوب من صوف ذو لون من الألوان ولا يكاد يقال للأبيض نمط (٦) الحبر على وزن عنب جمع حبرة على وزن عنة ثوب يمانى من قطن أو كتان مخطط (٧) جمع ريط وهو ثوب رقيق (٨) بالضم : الباونج كالأحقوان بالضم والجمع أقاحى وأقاح (٩) مشموم معروف فارسي معرب وهو فعليل بكسر الفاء فالنون أصلية أو فعلين فالنون زائدة مثل غسلين ، قال الأزهرى ولا ادرى أعربى هو أم لا ؟

وليس يصح في الأعيان شيء متى احتاج النهار إلى دليل
(نفحة الشامه) تهدي من ليس له زكام ، إلى حمى بعض أولئك العلماء
الأعلام ، وفي (الروض النضر) أريح فضلاء منهم ارتدوا رداء أحسن عصر ،
ولا يكاد يحيط نطاق ، بجميع من فاق منهم علماء الآفاق ، والأمر من البديهيات
الأولية عند منصف علماء العراق فهيات أن يكون فيه بين اثنين فيهم نزاع
وشقاق . . ومن مدن الجزيرة « عانات » وهي بلدة على شاطئ الفرات كثيرة
النخيل والأشجار عذبة الماء والهواء ، وكانت في الأزمنة المتقدمة موصوفة بجودة
التمر ، كما يدل ذلك قول الشاعر :

أمن بابل أم من لواحظك السجرُ ومن (عانة) أم من مراشفك التمر ؟
وهل ما أراه الموت أم حادث النوى وهل هو شوق بين جنبي أم حجر ؟

واليوم قد كسرت أهلها حوادث الدهر ، وتركهم لا يميزون بين التمر
والتمر ، وجرى عليها من المصائب ما جرى ، حتى غدت عاناتهم عورة بين القرى ،
هذا وفي هذه الجزيرة كثير من البلاد والقرى القديمة كانت تسكنها العرب
أيام الجاهلية ، قد استوعبها أبو عبيد البكري في معجم ما استمعهم ، والحموي
في كتاب معجم البلدان ، وغيرها في كتب كثيرة ألفت في هذا الباب ،
والله الموفق .

بعض ما ظهر داراً على السنة الشعراء من المواضيع

إن كثيراً من شعراء الجاهلية وغيرهم يذكرون في بعض أشعارهم مواضيع كانت
تطيب بها نفوسهم ، وتهتز من بهجتها قلوبهم ورؤسهم ، كالبرق والدارات ،
والرياض والمنزهات ، وقد ألفت فيها بعض أهل الأدب كتباً مخصوصة بهذا
المطلب . ولندكر شيئاً منها في هذا المقام ، ليكون كالمثال لذوى الأفهام ، أما الدارات
فهي جمع دارة وهي الدار غير أنها أخص فكل دارة دار وليس كل دار يقال لها دارة ،
ودارات العرب مخصوصة في جزيرتهم كلها سهول بيض تنبت النسي والصليل ، وما

طاب ريحه من النبات ، وأنهاها صاحب القاموس إلى ما يزيد على المائة ، وادعى أنها لم تجتمع لغيره مع بحثهم وتنقيحهم عنها^(١) . ثم ذكر ما أضيف إليه الدارات مرتبة على الحروف فراجعها . وقد ألف الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس كتاباً في المواضع المعروفة بهذا الاسم . وقد أحببت أن أذكر منها بعض ما وجدته في شعرهم ، وهي (دارة جُلْجُل) قال امرؤ القيس :

الأربَّ يومٍ لكَّ منهنَّ صالحٍ ولا سيما يومِ بدارةٍ جُلْجُلِ
ودارةٍ (صُلْصُلِ) قال جرير :

ولما حلَّ أهلكِ يا سُلَيْمِي بدارةٍ صُلْصُلِ شَحَطُوا المزارا
ودارةٍ (مَأْسَلِ) قال عمرو بن لُجَأ :

لا تهجُ ضبطةً يا جريرُ فإنَّهم قتلوا من الرؤساء ما لم يقتل
قتلوا شتيراً وابن غولٍ وابنه وابني هتيم يومِ دارةٍ مَأْسَلِ
ودارةٍ (السَّلَمِ) قال البكاء بن كعب :

ما كنت أولَّ من تفرَّقَ شملهُ ورأى الغداةَ من الفراقِ يقينا

(١) أقول : وقد ذكر الاصمعي وعدة من العلماء عشرين دارة وواصلها العلم السخاوي في شرح سفر السعادة إلى نيف وأربعين دارة واستدل على أكثرها بالشواهد لاهلها فيها ، وذكر المبرد في أماليه دارات كثيرة وكذا ياقوت في المعجم والمشارك وأورد الصغاني في تملكته إحدى وسبعين دارة كما في التاج ، قال السيد العلامة عبد القادر بن أحمد الحسيني في فلك القاموس المحيط : راجعت وجزءاً من أصله - أعني العباب - من نسخة محفوظة في خزائن آباءنا (رض) وقد جرى عليها قلم مؤلفها ثم قلم المجد (رح) فرايت تلك الدارات جميعها ممدودة في العباب وقدسها المجد عن سبع فاهملها من قاموسه عند النسخ ولكنه زاد المجد في هامش العباب سبع دارات فزادها في القاموس فلا أدري هل زادها من (المجلد) أو من غيره فلو عد ما في العباب وذلك مائة دار ، ونيف ثم قال وقد وقفت على سبع دارات غير ذلك والله الحمد - إكان أولى ، والدارات التي سها عن نقلها هي دارة أحماد والذيب والديبان وغور محلف والمزد وموقوع ، وظاهر ما في خطبة القاموس أنه لم بجميع معاني أصلية بعبارة وجيزة وزاد عليها فانظر ما أهمله في هذا الموضوع وقس عليه غيره ، وقال في العباب وأما دارة بغير إضافة في قول خلف الأحمر : دويرات برد بين باب ودارة النخ ودارة ابن العمر ودارة بنجران ودارة الكلبى ودارة العبد ودارة المقطع فهذه ليست من دارات العرب وإنما هي دورهم التي تختص بهم وهذه أسامي أصحاب الدور ، ودارات العرب مضافات إلى جبال ومياه وامكنة

وبدارة (السَّلم) التي شوقتها دمن يظلُّ حمامه يبيكيننا
وبهذا الشعر سمي هذا الشاعر البكاء . فإن كثيراً من الشعراء كان يسمى
ببعض ألفاظ شعرة - ودارة (وَشَحَى) وقد تضم الواو . قال الشاعر :

لعمرك إني يوم أسفل عاقلٍ ودارة (وَشَحَى) للهوى لتبوعُ
ودارة (خنزَر) بفتح الخاء والزاي وسكون النون ، ويقال : خنزَر بكسر
الخاء والزاي . قال الجعدي :

ألمَّ خيال من أميمة موهيناً طروقاً وأصحابي بدارة (خنزَر)
ودارة (الجَب) قال جرير :

أصاح أليس اليوم منتظري صبحي نحبي ديار الحى من دارة الجاب
ودارة (مَسْكَن) قال الراعي :

عرفت بها منازل كل حى فلم تملك من الطرب الميونا
بدارة مكن ساقط إليها رياح الصيف آراماً وعينا
ودارة (يمون) ويقال أيضاً يعموز بالزاي . قال الشاعر :

بدارة يعمون إلى جنب حشرم

ودارة (رَهَبِي) قال جرير :

بها كل ذيال الأصيل كأنه بدارة رهبي ذو سواد بن رائج
ودارة (الآرام) قال الشاعر :

فأبرق وأرعد إن العيس خلفت بنا دارة الآرام ذات الشقائق
ودارة (الرَّهَى) قال الشاعر :

برئت من المنازل غير شوق إلى الدار التي بلوى أبان
ومن وادي القنان وأين منى بدارات (الرَّهَى) وادي القنان
ودارة (الصَّفَاخ) قال الأَفوه :

وتبيكها الأرامل بالمبالي بدارات الصَّفَاخ والنصيل

ودارة (هَضْبُ القليب) قال جميل :

أشافل عاقل فألى الكئيب إلى الدارات من هَضْبُ القليب

ودارة (رُمَح) قال الشاعر :

كَأَنَّ النَّمِرَى الذي يتبعنه بدارة رُمَحٍ ضالعُ الرجلِ أَحْتَفِ

ودارة (مِحْصَن) ويقال : محضر . قال دُرَيْدُ بن الصَّمَّة :

ودارة مِحْصَنٍ من ذى طلوح فسرداح الثمان فالضواحي

ودارة (واسط) قال الشاعر :

ما قد أرى الدارات دارات واسطٍ فما قابلت ذات الصليل فجأجل

ودارة (الجمد) قال الشاعر :

ألا يا ديار الحى من دارة الجمد سلمت على ما كان من قدّم المهدي

ودارة (الرّمّيم) قال الشاعر :

أعد نظراً هل ترى ظمهم وقد جاوزت دارة رِمِّيم

ودارة (قَرَح) قال الشاعر :

حبسن في قَرَحٍ وفي داراتها سبعَ ليالٍ غير معلقاتها

ودارة (اليعضيد) قال آخر :

أو ما ترى أضمانها مخروة بين الدخول فدارة اليعضيد

ودارة (الخرج) قال الشاعر :

مخيسة في دارة الخرج لم تدق بلائاً ولم يسمح لها ببخيل

ودارة (الرّدم) قال قائمهم :

لمن سخط من خالق أو لقسوة تبدلت قرقياء من دارة الرّدم

وأما البرق فهي جمع برقة بالضم غلظ كالأبرق ، وفي القاموس : وُبرِقُ

ديار العرب تُتَيْفُ على مائة . منها : بُرْقة الأُمّاد والأجاول والأجداد والأجول

وأخجار وأخدب وأحواذ وأخرم وأرمام وأروى وأظلم وأعيار وأفمى والأمالح
والأمهار وأنقد والأوجر وذى الأوداث وإير بالكسر وبارق وثادق وتمشم
والثور وهمد والجبا وحارب والحرض وحسلة وحسمى أو حسنى والحصاء
وحليت والحمة وحوزة وخاخ والحال والحبيبة والخرجاء وخزير وخو وخينف
والذات ودمخ ورامنين ورحرحان ورعم والركاء ورؤاوة والرؤحان وسعد
وسمر وسلمانين وسمنان وشماء والشواجن وصاير والصراة والصفاء وضاحك
وضارج وطحال وعاذب وعاقيل وعالج وعسس وذى علقى والعناب كغراب
وعوهق والعيرات وعهبل وعيهم وذى غان والغضى وغضور وقاديم وذى قار
والقلاخ والسكبوان ولعلع ولفلف واللكيك واللوى ومأسل ومجول ومروراة
ومسكتل ومنشد وملحوب والنجد ونعمي والنير وواحف وواسط وواكف
والوداء وهارب وهجين وهولى ويترب واليمامة . هذه برق العرب ، وتمين
مواضعها في شروح القاموس وكذا ما ورد من الشعر في ذلك كقول النعمان
ابن النذر :

وما اعتذارك منه بعدما جزعت أيدى المطى به برقاء شمليلاً
وقال طرفة بن العبد البكرى في معلقته
لخولة أطلال بريقة همد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقال الكمي

وقد فاض غرب عند برقاء جندب لعينيك من عرفان ما أنت تعرف
وقال ابن مقبل

طربت إلى الحى الذين تحمّلوا بريقة أحواذ وأنت طروب
وقال آخر

لن الديار بريقة الأجساد عقت سوار رسمها وغوادي
وقد ذكر في معجم البلدان كثير من أسماء المواضع المشتركة ، وكذا

في كتاب المشترك مما يطول الكتاب باستقصائه ، وما ذكرناه نبذة يسيرة بالنسبة إلى ما هنالك . والله الموفق لما هو الأولى في الآخرة والأولى .

* * *

بيانه حال مكة سرفها الله وما طنت عليه في الجاهلية

اعلم أن الله تعالى قد ذكر مكة في كتابه الكريم باسمين مكة وبكة فذكر مكة في قوله عز وجل . (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) . ولفظ مكة مأخوذ من قولهم تمككت الخ من العظم تمككا إذا استخرجته منه لأنها تمك الفاجر عنها وتخرجه منها على ما حكاه الأصمعي ، وأنشد قول الراجز في تليته .

يامكة الفاجر مكي مكا ولا تمكي مذحجا وعمكا (١)

وذكر بكة في قوله عز وجل : (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدي للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً) . قال الأصمعي وسميت بكة لأن الناس يبك بعضهم بعضاً فيها أي يدفع ، وأنشد قول الراجز :

إذا الشريب أخذته أكه فخله حتى يبك بكة (٢)

واختلف الناس في هذين الاسمين فقال قوم : هما لغتان والمسمى بهما واحد ، لأن العرب تبدل الميم بالباء فتقول ضربة لازم وضربة لازب لقرب المخرجين ،

(١) عك بن عدنان أخو معد وهو في اليمن وقال بعض النسابين إنما هو معد بن عدنان فاما عك فهو ابن عدنان من ولد قحطان وعدنان بالنون من ولد اسمعيل ، ومذحج كمسجد أبو قبيلة من اليمن وهو مذحج بن يحامر بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبا ، قال سيبويه : الميم من تقس الكلمة ، وفي القاموس : مذحج كمجلس اكمة ولدت مالكا وطيثا امهما عندها فسموا مذحجا ، وذكر الجوهرى آياه في الميم غلط وان حاله على سيبويه ، انتهى ، فتدبر .

(٢) الشريب الذي يسقى ابله مع ابلك ، يقول فخله يورد ابله الحوض فتبلك عليه أي تزدهم فيسقى ابله سقيه ، والاكه : الضيق والزحمة وآكه يؤكه اكا زاحمه واثك الورد ازدحم معنى الورد جماعة الابل الواردة ، والمعنى : اذا ضجر الذي يورد ابله مع ابلك لشدة الحر انتظارا فخله حتى يزاحمك .

وهذا قول مجاهد . وقال آخرون : بل هما اسمان والمسمى بهذا شيثان لأن اختلاف الأسماء موضوع لاختلاف المسمى . ومن قال بهذا اختلف في المسمى بهما على قولين ، أحدهما : إن مكّة اسم البلد كله وبكّة البيت ، وهذا قول إبراهيم النخعي ويحيى بن أبي أيوب ، والثاني : أن مكّة الحرم كله وبكّة المسجد ؛ وهذا قول الزهري وزيد بن أسلم . وحكى مصعب بن عبد الله الزبيرى قال : كانت مكّة في الجاهلية تسمى (صلاحا) لأنّها ، وأنشد قول أبي سفيان بن حرب بن أمية :

أبا مطر هلمّ إلى (صلاح) فيكفيك الندامى من قریش^(١)

وتنزل بلدة عزت قديماً وتأمّن أن يزورك رب جيش

وحكى مجاهد : أن من أسماء مكّة (أم رحم) و(الباسة) فأما أم رحم فلأنّ الناس يتراحمون فيها ، ويروى أم زحم بالزاي من المزاحمة . وأما الباسة فلأنّها تبسّ من الحّد فيها أى تحطمه وتهلكه ، ومنه قول الله تعالى « وبستّ الجبال بساً » ويروى (الناسة) بالنون . ومعناه أنّها تنسّ من الحّد فيها أى تطرده وتنفيه ، ولها أسماء آخر يطول شرحها . وأصل مكّة وحرمتها ما عظمه الله سبحانه من حرمة بيته حتى جعلها لأجل البيت الذى أمر برفع قواعده وجعله قبلة عباده أم القرى ، كما قال تعالى (لتنذر أم القرى ومن حولها) . وحكى جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي رضي تعالى الله عنهم أن سبب وضع البيت والطواف به أن الله تعالى قال للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء^(٢) ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون) . فغضب عليهم فعادوا للعرش فطافوا حوله سبعة أشواط^(٣) يسترضون

(١) هلم أى تعال مركبة من ها التنبيه ومن لم أى ضم نفسك اليها واستعملت استعمال البسيطة . يستوى فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث عند الحجازيين وتميم تجريبها مجرى رد أهل نجد يصرّفونها ، والندامى : جمع نديم وندامه منادمة ونداما جالسة على الشراب .

(٢) سفك الدم يسفكه فهو مسفوك وسفك ضبه فانسفك .

(٣) جمع شوط وهو الجرى مرة الى الغاية وفي القاموس كره جماعة من الفقهاء ان يقال لظوفان الطواف اشواط .

ربهم فرضى عنهم ، وقال لهم : ابنوا لى فى الأرض بيتاً يعوذ به من سخطت عليه من بنى آدم ويطوف حوله كما فعلتم بمرشى فأرضى عنهم . فبنوا له هذا البيت فكان أول بيت وضع للناس . قال الله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين) الآية ، فلم يختلف أهل العلم أنه أول بيت وضع للناس للعبادة ، وإنما اختلفوا هل كان أول بيت وضع لغيرها ؟ فقال الحسن وطائفة : قد كان قبله بيوت كثيرة . وقال مجاهد وقتادة : لم يكن قبله بيت . والقول الأول مرجح عند الجمهور ، وعليه أكثر المؤرخين وجمع من المفسرين . وفى قوله تبارك وتعالى (مباركا) تأويلان ، أحدهما . ان بركنه ما يستحق من ثواب القصد إليه . والثانى أنه أمن لمن دخله حتى الوحش فيجتمع فيه الطيبى والذئب . (وهدى للعالمين) يحتمل تأويلين ، أحدهما : هدى لهم إلى توحيدى . والثانى : إلى عبادته فى الحج والصلاة . (فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً) . وكانت الآية فى مقام إبراهيم تأييد قدميه فيه وهو حجر صلد^(١) ، والآية فى غير المقام أمن الخائف وهيبة البيت عند مشاهدته وامتناع الطير من العلو عليه وتمجيد العقوبة لمن عتا^(٢) فيه ، وما كان فى الجاهلية من أصحاب الفيل ، وما عطف عليه قلوب العرب فى الجاهلية من تمظيمه ، وأن من دخله من الجبارة وهم غير أهل كتاب ولا متبعى شرع يلتزم أحكامه ، حتى إن الرجل منهم كان يرى قاتل أخيه وأبيه ولا يطلبه بثأره فيه ، وكل ذلك آيات الله تعالى ألقاها على قلوب عباده . وأما أمنه فى الإسلام فى قوله سبحانه وتعالى (ومن دخله كان آمناً) تأويلان أحدهما . أمن من النار ، وهذا قول يحيى بن جمدة . والثانى : أمن من القتل لأن الله تعالى أوجب الإحرام على داخله وحظر عليه أن يدخله محلا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح حلالا : (أحلت لى ساعة من نهار ولم تحل لأحد من قبلى ولا تحل لأحد من بعدى) . ثم قال تعالى : (والله

(١) صلد : الصلب الامس كالصاودد كسفرجل . (٢) استكبر وجاوز الحد

على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) فجعل حججه فرضاً بعد أن صار في الصلاة قبلة لأن استقبال الكعبة في الصلاة فرض في السنة الثانية من الهجرة، والحج فرض في السنة السادسة .

صفة الكعبة شرفها الله تعالى

اعم أن أول من تولى بناءها بعد الطوفان إبراهيم عليه السلام فإنه سبحانه قال :
(وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم)
فدل ما سألاه من القبول على أنهما كانا بينهما مأمورين . وسميت كعبة لعلوها من قولهم كعبت المرأة إذا علا ثديها ومنه سمي كعب كعباً لعلوه وكانت الكعبة بعد إبراهيم عليه السلام مع جرهم والعاقبة إلى أن انقضوا حتى قال فيهم عامر بن الحارث بن مضاض^(١) ، وروى أن اسمه عمرو :

وقائلةٌ والدمع سكبٌ مبادر وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر^(٢)
قلقت لها والقلب منى كأنما يُكجججُهُ بين الجناحين طائر
بلى نحن كنا أهلها فأزلنا صروف الليالي والجود العوائر^(٣)
وكنا ولاة البيت من بعد نابت بعزٍّ فما يحظى لدينا المكائر^(٤)

(١) كان الحرث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن ارقيب بن هب بن نبت ابن جرهم الجرهمي قد نزل بقنونا من أرض الحجاز فضالت له ابل فبغها حتى اتى الحرم فاراد دخوله ليأخذ ابله فنادى عمرو بن لحي من وجد جرهميا فلم يقتله قطعت يده فسمع بذلك الحرث واشرف على جبل من جبال مكة فرأى ابله تنحر ويتوزع لحمها فانصرف بأئسا خائفا ذليلا واعد في الأرض وهي غربة الحرث بن مضاض التي يضرب بها المثل حتى قال الطائي:
غربة نقتدى بغربة قيس بن زيد والحرث بن مضاض

وحينئذ قال الحرث هذا الشعر وهو قوله: وقائلةٌ والدمع سكب مبادر النخ .
(٢) الحجون بفتح الحاء اسم موضع على فرسخ وثلاث من مكة وهو والصفاء جبلان بها ، والسمامر اسم الجماعة يتحدثون بالليل وفي التنزيل سامرا تهجرون . (٣) يقال عثر جده يعثر ويعثر تعس وفي المثل اعثره الله اتمسه . (٤) نابت من ابناء اسماعيل (ع) .

ملكنا فمزّنا فأعظم بملكنا فليس لحى غيرنا ثم فآخر (١)
 ألم تنكحوا من غير شخص علمته فأبناؤه منا ونحن الأصاهر (٢)
 فإن تنن الدنيا علينا بحالها فإن لها حالا وفيها التشاجر
 فأخرجنا منها المليك بقدره كذلك بالناس تجرى المقارد (٣)
 أقول إذا نام الخلى ولم أنم : إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر (٤)
 وبدت منها أوجها لا أحبا قبائل منها حير وبحار (٥)
 وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة بذلك عصتنا السنون الغوارب (٦)
 فسحت دموع العين تبكى لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاعر
 وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه يظل به أمانا وفيه العصافر (٧)
 وفيه وحوش لا تراب أنيسة إذا خرجت منه فليست تغادر (٨)
 وقال أيضا يذكر ساكنى مكة الذين خلفوا فيها بعدهم من بكر وغبشان :
 يا أيها الناس سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا (٩)
 حثوا المطى وأرخوا من أزمته قبل المات وقضوا ما تقضونا
 كنا أناسا كما كنتم فغيرنا دهر فأنتم كما كنا تكونونا
 وخلفهم فيها قريش بعد استيلائهم على الحرم لكثرتهم بعد القلة ، وعزتهم

(١) أى كانت لنا العظمة على غيرنا فلا احد يفخر علينا .
 (٢) يريد بذلك مصاهرة اسماعيل لهم وهو خير شخص فأبناؤه منا ونحن
 الاصاهر ومعناه معلوم . (٣) يحتمل ان يريد بالملك الله عز اسمه فهو الذى
 سلط عليهم من اخرجهم لما عصوه ويحتمل ان يريد عمرو بن لحي ملك
 خزاعة ورئيسهم . (٤) اذا العرش الهمة للنداء وذا العرش هو الله ، وعامر
 جبل من جبال مكة . (٥) أى وبدت عن مكة او اهلها ، وبحار قبيلة لحمير .
 (٦) أى حكايات بين الناس بما جرى علينا كما قال تعالى فى أهل سبا :
 وجعلناهم احاديث الآيه ، والسنون الغوارب المقحطلة لان الارض تغبر اذا
 اجذبت وسنون الجذب تسمى غبرا لا غبرار آفاقها من قلة الامطار .
 (٧) ويظل به امانا أى ذات امن ويجوز ان يكون امانا جمع آمن مثل ركب
 جمع راكب واراد بالعصافر العصافر وحذف الياء ضرورة ورفع العصافر
 على المعنى أى وتامن فيه العصافر . (٨) لا تراب أى لا تخوف من الريب ،
 وقوله انيسة أى لا تنفر من احد : وقوله اذا خرجت الخ أى اذا تجاوزت
 حدود الحرم لا تغادر ولا تترك بل تصاد . (٩) ان قصركم أى غايتكم .

بعد الذلة ، تأسيساً لما يظهره الله تعالى فيهم من النبوة ، فكان أول من جدّد بناء الكعبة من قريش بعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام قصي بن كلاب وسقفاً بخشب الدوم^(١) وجريد النخل . قال الأعشى :

حلفتُ بثوبى رَاهِبِ الشَّامِ وَالَّذِي بَنَاهُ قَصِيَّ جَدِّهِ وَابْنَ جُرْهُمِ
لئنْ شَبَّ نيرانَ العداوةِ بيننا ليرتحلنْ مني على ظهرِ شَيْهَمِ^(٢)

ثم بناها قريش بعده ، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن خمس وعشرين سنة وشهد بناءها ، وكان بابها في الأرض فقال أبو حذيفة بن الغيرة : ارفموا باب الكعبة حتى لا يدخل إلا بسلم فإنه لا يدخلها حينئذ إلا من أردتم ، فإن جاء أحد ممن تكروهون رميت به فيسقط فكان نكالا لمن رآه فعلت قريش ذلك . وسبب بنائها أن الكعبة استهدمت ، وكانت فوق القامة فأراد تمليتها ، وكان البحر قد أتى سفينة لرجل من تجار الروم إلى جدة فأخذوا خشبها ، وكان في الكعبة حية يخافها الناس فخرجت فوق جدار الكعبة فنزل طائر فاختطفها ، فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله سبحانه قد رضى ما أردنا فهدمها وبنوها بخشب السفينة . وكانت على بنائها إلى أن حوضر ابن الزبير بالمسجد من الحصين بن نمير وعسكر الشام حين حاربوه سنة أربع وستين في زمن يزيد بن معاوية . فأخذ رجل من أصحابه ناراً في ليفة على رأس رمح وكانت الريح عاصفة فطارت شرارة فتملقت بأستار الكعبة فأحرقتها فتصدعت حيطانها واسودت وتناثرت أحجارها ، فلما مات يزيد وانصرف الحصين بن نمير شاوور عبد الله بن الزبير أصحابه في هدمها وبنائها فأشار به جابر بن عبد الله وعبيد بن عمير وأباه عبد الله بن عباس ، وقال : لا تهدم بيت الله تعالى . فقال ابن الزبير : أما ترى الحمام يقع على حيطان البيت فتنثائر حجارتها وبطل أحدكم بيني وبينه ولا بيني وبين الله ألا إني هادمه بالعداة فقد بلغني أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : لو كانت لنا سمعة لبنيته على أس^(٣)

(١) هو شجر المقل والنبق وضخام الشجر ما كان . (٢) شيهم هو الفرس السريع التشييط القوى . (٣) الاس مثلثة اصل البناء كالاساس .

إبراهيم ولجملت له بابين شرقياً وغربياً . وسأل الأسود هل سمعت من عائشة رضى الله تعالى عنها شيئاً في ذلك ؟ فقال : أخبرتنى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها : « إن النفقة قصرت بقومك فاقتصروا ، ولو حدّثان عهدهم بالكفر لهدمته وأعدت فيه ما تركوا » . فاستقر رأى ابن الزبير على هدمه فلما أصبح أرسل إلى عبيد بن عمير فقبل هو نائم فأرسل إليه وأيقظه وقال له : أما بلتلك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : إن الأرض لتصيح إلى الله تعالى من نومة العلماء في الضحى فهدمها ، فأرسل إليه ابن عباس إن كنت هادمها فلا تدع الناس بلا قبلة ، فلما هدمت قال الناس : كيف نصلى بلا قبلة . فقال جابر وزيد صلوا إلى موضعها فهو القبلة ، وأمر ابن الزبير بموضعها فستر ووضع الحجر في تابوت في خرقة حرير . قال عكرمة : رأيته فإذا هو ذراع أو يزيد وكان جوفه أبيض مثل الفضة ، وجعل حلى الكعبة عند الحجابة في خزانة الكعبة ، فلما أراد بناءها حفر من قبل الحطيم حتى استخرج أس إبراهيم عليه الصلاة والسلام لجمع الناس ، ثم قال : هل تعلمون أن هذا أس إبراهيم ؟ قالوا : نعم فبناها على أس إبراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم وأدخل فيها من الحجر ستة أذرع وترك منها أربعاً . وقيل : أدخل سبعة أذرع وترك ثلاثاً وجعل لها بابين ماصوقين بالأرض شرقياً وغربياً ، يدخل من واحد ويخرج من الآخر ، وجعل على بابها صفاًخ الذهب ، وجعل مفاتيحها من ذهب . وكان ممن حضر بناءها من رجال قريش أبو الجهم بن حذيفة العدوي ، فقال : عملت في بناء الكعبة مرتين واحدة في الجاهلية بقوة غلام يافع^(١) ، وأخرى في الإسلام بقوة كبير فان . وذكر الزبير بن بكار أن عبد الله بن الزبير وجد في الحجر صفاًخ حجارة خضر قد أطبق بها على قبر ، فقال له عبد الله بن صفوان : هذا قبر نبي الله إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، فكف عن تحريك تلك الحجارة .

ثم بقيت الكعبة في أيام ابن الزبير على حالها إلى أن حاربه الحجاج وحصره

(١) يفع الغلام راهق العشرين كايفع وهو يافع لا موفع وهو من النوادر .

في المسجد ونصب عليه المنجنيقات إلى أن ظفر به . وقد تصدعت الكعبة بأحجار المنجنيق فهدمها الحجاج وبنائها بأمر عبد الملك بن مروان وأخرج الحجر منها ، وأعادها إلى بناء قريش على ما هي عليه اليوم فكان عبد الملك بن مروان يقول : وددت أنى كنت حملت ابن الزبير من أمر الكعبة وبنائها ما تحمله .

« وأما كسوة الكعبة » فقد روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إن أول من كسى الكعبة سعد اليماني ، ثم كساها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الثياب اليمانية . ثم كساها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعثمان رضي الله عنه القباطي^(١) ، ثم كساها يزيد بن معاوية الديباج الحُسرواني^(٢) وحكي محارب بن زياد إن أول من كسى الكعبة الديباج خالد بن جعفر بن كلاب أصاب نظمة في الجاهلية وفيها نَمَطُ ديباج فناطه بالكعبة ، ثم كساها ابن الزبير والحجاج الديباج . ثم كساها بنو أمية في بعض أيامهم الخلل التي كانت على أهل نجران في حربهم وفوقها الديباج ، ثم جدد التوكل رخام الكعبة وأزرها بالفضة وألبس سائر حيطانها وسقفها بالذهب ، ثم كسا أساطينها الديباج ، ثم لم يزل الديباج كسوتها .

« وأما المسجد الحرام » فقد كان فناء حول الكعبة وفضاءً للطائفين ، ولم يكن له على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جدار يحيط به ، فلما استخلف عمر رضي الله تعالى عنه وكثر الناس وسع المسجد واشتري دوراً فهدمها وزادها فيه ، وهدم على قوم من جيران المسجد دوراً أبوا أن يبيعوا ، ووضع لهم الأثمان حتى أخذوها بعد ذلك ، واتخذ للمسجد جداراً قصيراً دون القامة وكانت المصاييح توضع عليه ، فكان عمر رضي الله تعالى عنه أول من اتخذ جداراً للمسجد فلما استخلف عثمان رضي الله تعالى عنه ابتاع منازل فوسع بها المسجد وأخذ منازل أقوام ووضع لهم أمانها فضجوا عند البيت

(١) جمع قبطي وهو ثوب من كتان رقيق يعمل بمصر نسبة إلى القبظ على غير قياس فرقا بينه وبين الانسان كما في المصباح . (٢) نوع من الثياب .

فقال إنما جرأكم عليّ حملي عنكم فقد فعل بكم عمر رضى الله تعالى عنه هذا فأقررتهم ورضيتهم . ثم أمر بهم إلى الحبس حتى كلفه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد نفي سبيلهم وبني للمسجد الأروقة حين وسمه ، فكان عثمان رضى الله تعالى عنه أول من اتخذ للمسجد الأروقة ، ثم إن الوليد بن عبد الملك وسع المسجد وحمل إليه أعمدة الحجارة والرخام . ثم إن المنصور زاد في المسجد وبناه وزاد فيه المهدي بعده وعليه استقر بناؤه إلى زمن طويل .

« وأما مكة » فلم تكن ذات منازل وكانت قريش بمد جرم والمالقة ينتجعون جبالها وأوديتها ولا يخرجون من حرمها اتساباً إلى الكعبة لاستيلائهم عليها وتخصيصاً بالحرم لجلولهم فيه ويرون أنه سيكون لهم بذلك شأن ، ولما كثر فيهم العدد ، ونشأت فيهم الرياسة قوى أملمهم وعلموا أنهم سيتقدمون على العرب ، وكان فضلاؤهم وذوو الرأي والتجربة يتخيّلون أن ذلك لرياسة في الدين ، وتأسيس لنبوّة ستكون ، لأنهم تمسكوا من أمور الكعبة بما هو بالدين أخص ، فأول من شعر بذلك منهم وألممه كعب بن لؤى بن غالب . وكانت قريش تجتمع إليه في كل جمعة ، وكان يوم الجمعة يسمى في الجاهلية عروبة فسماه كعب يوم الجمعة وكان يخطب فيه على قريش . ويخبرهم ببعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم . وهذا من فطن الإلهامات التي تخيلتها العقول فصدقت ، وتصورتها النفوس فتحققت . وسنستوفي الكلام على هذا إن شاء الله في المجتمعات . ثم انتقلت الرياسة بعده إلى قصى بن كلاب فبنى بمكة دار الندوة ليحكم فيها بين قريش ، ثم صارت لتشاورهم وعقد الألوية في حروبهم . قال الكلبي فكانت أول دار بنيت بمكة ثم تتابع الناس فبنوا من الدور ما استوطنوه وكلما قربوا من عصر الإسلام ازدادوا قوة وكثرة عدد حتى دانت لهم العرب فصدقت الخيلة الأولى في الرياسة عليهم ، ثم بعث الله سبحانه نبيه رسولا فصدقت الخيلة الثانية في حدوث النبوة فيهم فأمن به من هدى وجحد من عاند ، وهاجر عنهم صلى الله تعالى عليه وسلم حين اشتد به الأذى حتى عاد ظافراً بعد ثمان سنين من هجرته عنهم .

واختلف الناس في دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم مكة عام الفتح هل دخلها
عنوة أو صلحاً مع إجماعهم على أنه لم يغم منها مالا ولم يسب فيها ذرية ، فذهب
أبو حنيفة ومالك إلى أنه دخلها عنوة فعفا عن الغنائم ومن على السبي ، وأن الإمام
إذا فتح بلداً عنوة فله أن يعمفو عن غنائمه ويمنّ على سبييه ، وذهب الشافعي رضي
الله عنه إلى أنه دخلها صلحاً عقده مع أبي سفيان ، وكان الشرط فيه أن من أغلق
بابه كان آمناً ، ومن تعلق بأستار الكعبة فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو
آمن إلا ستة أنفس استثنى قتلهم ، ولو تعلقوا بأستار الكعبة وهم : « عبد الله بن
سعد » أخو بني عامر بن لؤي لأنه كان قد أسلم . وكان يكتب لرسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم الوحي فارتدّ مشركاً راجعاً إلى قريش « وعبد الله بن خطل »
رجل من بني تميم بن غالب ، فإنه كان مسلماً فبعثه رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم مصدّقاً وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه وكان مسلماً
فنزّل منزلاً ، وأمر المولى أن يذبح له تيساً فيصنع له طعاماً فنام فاستيقظ ولم يصنع
له شيئاً ، فمدا عليه فقتله ثم ارتدّ مشركاً ، وكانت له قينتان وكانتا تغنيان بهجاء
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
بقتلهما معه « والحويرث بن نفيد » بن وهب بن عبد قصي ، وكان ممن يؤذيه
بمكة . « ومقيس بن صبابه » وإنما أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقتله
لقتله الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مشركاً « وسارة
مولاة لبعض بني عبد المطلب » وكانت ممن تؤذى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بمكة . « وعكرمة بن أبي جهل » ثم إن من هؤلاء من عفا عنه بعد
حين . ومنه من ظفر به بعد الهزيمة فقتله ، ولأجل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم
دخلها صلحاً لم يغم ولم يسب . وليس للإمام إذا فتح بلداً عنوة أن يعمفو عن غنائمه
ولا أن يمن على سبييه لما فيها من حقوق الله تعالى وحقوق الغائبين . فصارت مكة
وحرمةا حين لم تغم أرض عشر إن زرعت لا يجوز أن يوضع عليها خراج .

واختلف الفقهاء في بيع دور مكة وإجارتها فمنع أبو حنيفة من بيعها وأجاز إجارتها في غير أيام الحج ، ومنع منهما في أيام الحج لرواية الأعمش عن مجاهد أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال مكة حرام لا يحل بيع رباعها ولا أجور بيوتها . وذهب الشافعي رحمه الله تعالى إلى جواز بيعها وإجارتها ، لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقرهم عليها بعد الإسلام على ما كانت عليه قبله ، ولم ينفها ولم يعارضهم فيها . وكذلك بعده « هذه دار الندوة » وهي أول دار بنيت بمكة صارت بعد قصى لعبد الدار بن قصى ، وابتاعها معاوية في الإسلام من عكرمة ابن عامر بن هشام بن عبد الدار بن قصى ، وجعلها دار الإمارة ، وكانت من أشهر دار ابتيحت ذكراً ، وأشرها في الناس خيراً ، فما أنكر بيعها أحد من الصحابة . وابتاع عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما ما زاده في المسجد من دور مكة وتملك أهلها أثمانها ، ولو حرم ذلك لما بذلاه من أموال المسلمين ، ثم جرى به العمل إلى وقتنا هذا فكان إجماعاً متبوعاً ، وتحمل رواية مجاهد مع إرسالها على أنه لا يحل بيع رباعها على أهلها تنبيها على أنها لم تنعم فتملك عليهم فلذلك لم تبسح وكذلك حكم الإجارة .

« وأما الحرم » فهو ما أطاف بمكة من جوانبها ، وحدّه من طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت بني نفار على ثلاثة أميال ، ومن طريق العراق على ثنية جبل بالمنقطع على سبعة أميال . ومن طريق الجعرانة بشعب أبي عبد الله بن خالد على تسعة أميال ، ومن طريق الطائف على عرفة ومن بطن نمره على سبعة أميال . ومن طريق جُدّة منقطع المشائر^(١) على عشرة أميال . فهذا حدّ ما جعله الله تعالى حرماً لما اختص به من التحريم وبيان بحكمه سائر البلاد . قال الله عز وجل :

(١) ونظم ذلك بعضهم فقال :

والحرم التحديد من أرض طيبة
وسبعة أميال عراق وطائف
وزاد الدميري فقال :

ثلاثة أميال اذا رمت اتقانه
وجدة عشر ثم تسع جعرانه

فلم يعد سبل الحل اذ جاء تبيانه

ومن يمن سبع وكرر لها اهتدى

(وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً (يعنى مكة وحرمة) وارزق أهله من الثمرات) لأنه كان وادياً غير ذى زرع ، فسأل الله تعالى أن يجمع لأهله الأمن والخصب ليكونوا بهما فى رعد من العيش ، فأجابه الله تعالى إلى ما سأل فجعله حرماً آمناً يتخطف الناس من حوله . وجبى إليه ثمرات كل بلد حتى جمعها فيه . واختلف الناس فى مكة وما حولها هل صارت حرماً آمناً بسؤال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، أو كانت قبله كذلك على قولين . أحدهما : أنها لم تزل حرماً آمناً من الجبارة والتسلطين ومن الخسوف والزوال ، وإنما سأل إبراهيم عليه السلام ربه سبحانه أن يجعل حرمة آمناً من الجذب والقحط ، وأن يرزق أهله من الثمرات لرواية سعيد بن أبى سعيد . قال : سمعت أباً شريح الخزاعى يقول إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما افتتح مكة قام خطيباً فقال : (أيها الناس إن الله سبحانه حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام إلى يوم القيامة لا يحمل لامرى يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، أو يعضد^(١) بها شجراً ، وإنما لا تحمل لأجد بعدى ، ولم تحمل لى إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، ألا وهى قد رجعت على حالها بالأمس ألا ليلبغ الشاهد الغائب ، فن قال رسول الله قتل بها فقولوا : إن الله تعالى قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك) . والقول الثانى : إن مكة كانت حلالة قبل دعوة إبراهيم عليه السلام كسائر البلاد ، وإنما صارت بدعوته حرماً آمناً حين حرمها كما صارت المدينة بتحريم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حرماً بعد أن كانت حلالة ، لرواية الأشعث عن نافع عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : (إن إبراهيم عليه السلام السلام كان عبد الله وخليه ، وإبنى عبد الله ورسوله ، وإن إبراهيم حرم مكة ، وإبنى حرمت المدينة ما بين لا بتنها^(٢) غضاها وصيدها ، ولا يحمل بها سلاح

(١) عضد الشجرة عضداً من باب ضرب : قطعها .

(٢) تشنية لابة وهى الحرة والحرة أرض ذات حجارة سود والمدينة لابنان شرقية وغربية وهى بينهما فحرمها ما بينهما عرضاً وما بين جبايها طولاً وهى غير وثور ، وعضاها بكسر العين وتخفيف الضاد كل شجر فيه شوك .

لقتال ، ولا يقطع بها شجر إلا لعلف بعير) . وأما « مروة » فجبيل بمكة يعطف على الصفا يميل إلى الحمرة ، وأما « مزدلفة » فهو مبيت الحاج ومجمع الصلاة إذا صدروا من عرفات ، وهو مكان بين بطن مُحَسَّر والمأزمين وإذا أفضت من عرفات فأنت فيه حتى تبلغ القرن الأحمر دون محسر « وقزح » هو الجبل الذي عند الموقف ومزدلفة على فرسخ من منى بها مصلى وسقاية ومنارة وعدة برك إلى جنب جبل يثرب . وأما « منى » فهي بليدة على فرسخ من مكة ، طولها ميلان تعمر أيام الموسم وتحلو بقية السنة إلا ممن يحفظها ، وقل أن يكون في الإسلام بلد مذكور إلا ولأهله بمنى مضرب ، وعلى رأس منى من نحو مكة عقبة ترمى عليها الجرة يوم النحر . والمسجد في الشارع الأيمن ومسجد الكعبش بقرب العقبة . وبها مصانع وآبار وهي بين جبلين مطلين عليها . قال الأصمعي وهو يذكر الجبال التي حول حنى ضريبة ومنى جبل ، وأنشد :

أتبعهم مقلة إنسانها غرق كالفص في رفرق الدمع مغمور^(١)
حتى ثاروا لشمع والجمال بهم من هضبتها وعن جنبي منى زور
وعرفات والصفا ونحو ذلك . كلها مواضع تؤدي الحجاج فيها المناسك وهي مفصلة آتم تفصيل ، في الكتب المعدة لهذا القبيل .

نبذة مما ورد في فضل مكة

وذكر شيء من حال رؤسائها وأشرفها

قد سبق أن لها عدة أسماء ، وقد سماها الله تعالى (البلد الأمين) أيضاً فقال :
(والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) . وفي هداية الحيارى قوله
(والتين والزيتون) : هما في الأرض المقدسة : التي بعث منها المسيح عليه السلام

(١) المقلة وزان غرفة : شحمة العين التي يجمع سوادها وبياضها وانسان العين حدقتها .

وأُتزل فيها الإنجيل ، وطور سينين هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى تكليماً وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة التى فيه ، وأقسم بالبلد الأيمن وهو مكة التى أسكن إبراهيم إسماعيل وأمه فيه ، وهذا مثل ما ورد فى التوراة : (تجلى الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعان من جبال فاران) . قال ابن قتيبة : ليس بهذا خفاء على من تدبره ولا نموض لأن بحىء الله من طور سيناء إزاله التوراة على موسى من طور سيناء كالذى هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون إشرافه من ساعير إزاله الإنجيل على المسيح من ساعير أرض الخليل بقريه تدعى (ناصرة)^(١) وباسمها تسمى من اتبعه نصارى . وكما وجب أن يكون إشرافه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استملاؤه من جبال (فاران) إزاله القرآن على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وجبال فاران هى جبال مكة ، ولما كان ما فى التوراة خبراً عن ذلك أخبر به على الترتيب الزمانى فقدم الأسبق ثم الذى يليه . وأما القرآن فإنه أقسم بها تعظيماً لشأنها وإظهاراً لقدرته وآياته وكتبه ورسله ، فأقسم بها على وجه التدرىج درجة بعد درجة ، فبدأ بالعالمى ثم انتقل إلى أعلى منه ثم إلى أعلى منهما ، فإن أشرف الكتب القرآن ، ثم التوراة ، ثم الإنجيل وكذلك الأنبياء الثلاثة انتهى بتلخيص . وقال تعالى (لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد) . وقال تعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق) . وقال سبحانه (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس وأمناً) . وكذلك قول إبراهيم عليه السلام (ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم فأجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات) . ولما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وقف على الحزورة^(٢) وقال : إني لأعلم أنك أحب البلاد

(١) هى قرية بالشام ويقال لها نصرانة ونصورية ينسب اليها النصارى او جمع نصران كالندامى جمع ندمان او جمع نصرى كمهرى ومهارى .
(٢) قال ابن الاثير : هو موضع عند باب الحنطين وهو بوزن قسورة ، قال الامام الشافعى (رض) الناس يشددون الحزورة والحديبية وهما مخففتان وفى روض السهيلي : هو اسم سوق كانت بمكة وادخلت فى المسجد

إلىّ وانك أحب أرض الله إلى الله الحديث . وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : (لولا الهجرة لسكنت مكة فإني لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة ولم يطمئن قلبي ببلدة قط ما اطمأن بمكة ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة) . تريد بقرب السماء منها قرب الرحمة ونحوها ، وإلا لجميع أجزاء الأرض بالنسبة إلى بعدها عن السماء سواء كما حقق في محله . وقال ابن أم مكتوم رضى الله تعالى عنه وهو أخذ بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطواف :

ياحبذا مكة من وادى أرضُ بها أهلى وأولادى

أرضُ بها ترسخ أوتادى أرضُ بها أمشى بلاهادى

ولما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وعك^(١) أبو بكر وبلال رضى الله تعالى عنهما فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كلُّ امرئٍ مُصَبِّحٌ في أهله والموتُ أدنى من شرارك نَمَلِهِ^(٢)

وكان بلال إذا أفتتعت عنه الحمى رفع عقيرته وقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتنَّ ليلةً وعندى منها إذْ خِرْ وجليل^(٣)

وهل أريدنَّ يوماً مياه مجنة وهل يدون لى شامةٌ وطفيل

اللهم العن شيبية بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأمّية بن خلف ، كما أخرجونا من مكة . ووقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح على جرة العقبة ، وقال : (والله إنك لخير أرض ، وإنك لأحب أرض الله إلىّ ، ولو لم أخرج منك ماخرجت إنها لم تحل لأحد كان قبلى ، ولا تحل لأحد بعدى ، وما أحلت لى

= لما زيد فيه ونقل بعضهم عن مشارق عياض مثل ذلك وفيه عن الدارقطني مثل قول الشافعى ونسب التشديد للمحدثين قال وهو تصحيف ، ونسبه صاحب المراسد الى العامة وزاد انهم يقولون عزورة بالعين بدل الحاء ، وقال القاضى عياض وقد ضبطنا هذا الحرف على ابن السراج بالوجهين .

(١) أى أخذته الحمى . (٢) شرارك النعل سيرها الذى على ظهر القدم . (٣) الاذخر بكسر الهمزة والحاء نبات معروف ذكى الريح واذا جف ابيض ، والجليل الثمام وهو نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت الواحد جلبة والجمع جلالل ، قال الشاعر :

يلوذ بجنبى مرخة وجلالل

إلا ساعة من نهار ثم هي حرام لا يُعْصَدُ شجرها ولا يختلى خلاها ولا تلتقط ضالتها
 إلا لمنشد) قال رجل : يارسول الله إلا الإذخر . وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم
 (من صبر على حر مكة ساعة تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنة
 مائتي عام) . ووجد على حجر مكتوب فيه : (أنا الله رب مكة الحرام وضمتها يوم
 وضعت الشمس والقمر وحققها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول أخشابها مبارك لأهلها
 في اللحم والماء) ، ومما يدل على فضلها قوله تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى
 يبعث في أمها رسولا) . وقوله سبحانه (ولتنذر أم القرى ومن حولها) . ومن
 شرفها أنها كانت لقاحاً^(١) لا تدين لدين الملوك ولم يؤد أهلها إتاوةً ، تخرج إليها ملوك
 حمير وكندة وغسان ولخم فيدينون للحمس^(٢) من قريش ويزيدون في تعظيمهم ،
 ويرون الاقتداء بآثارهم من الشرف والفرائض . وكان أهلها آمنين يفرزون الناس
 ولا يُفزون ويحكمون على الناس ولا يحكم عليهم أحد ، وقد ذكر الشعراء كل ذلك في
 شعرهم حين مدحهم . قال الزبرقان بن بدر لرجل من بني عوف مهاجراً أبا جهل
 وتناول قريشاً :

أتدرى من هجوت أبا حبيب سليل خضارم سكنوا البطاح^(٣)
 وزاد الركب تذكر أم هشاماً وبيت الله والبلد اللقاح^(٤)

وقال حرب بن أمية ودعا الحضرمي أن لا ينزل خارجاً من الحرم . وكان يكنى
 أبا مطر ، فقال حرب :

(١) سيأتى تفسيرها قريباً (٢) لقب قريش ومن ولدت قريش ، وكنانة
 وجديلة قيس وهم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان وبنو عامر بن
 صمصمة ومن تابعهم في الجاهلية ، هؤلاء الخمس وإنما سموا لتحمسهم في
 دينهم أى تشدهم فيه وكذا في الشجاعة فلا يطاقون أو لالتجائهم بالحمساء
 وهي الكعبة لأن حجرها أبيض الى السواد وقيل غير ذلك
 (٣) الخضارم بالضم الجواد المعطاء والسيد الحمول
 (٤) يقال قوم لقاح وحى لقاح لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصبهم في
 الجاهلية سباً ، وأنشد ابن الأعرابي :
 لعمر أيبك والانباء تنمى نعم الحى فى الجلى رباح
 ابو دين الملوك فهم لقاح اذا هيجوا الى الحرب اشاحوا
 وقال ثعلب : الحى اللقاح مشتق من لقاح الناقة لان الناقة اذا لقحت لم
 تطاوع الفحل وليس بقوى

أبا مطر هلمَّ إلى (صلاح) فيكفيك الندامى من قريش
وتنزل بلدة عزت قديماً وثأمن أن يزورك ربّ جيش
فتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مطر هديت بخير عيش
ومما زاد في فضلها فضل أهلها لأنهم كانوا حلفاء متآلفين متمسكين بكثير
من شريمة إبراهيم الخليل عليه والصلاة والسلام ، ولم يكونوا كالأعراب الذين
لا يوقروهم دين ، ولا يزينهم أدب . وكانوا يحبون أولادهم ويحجون البيت ويقيمون
المناسك ويكفنون موتاهم ويغتسلون من الجنابة ويتبرؤون من الهرطقة^(١) ويتباعدون
في المناكح من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت وغيره وبمبدأ من الجوسية ،
ونزل القرآن بتأكيد صنيعهم وحسن اختيارهم ، وكانوا يزوجون بالصداق والشهود
ويطلقون ثلاثاً ، ولذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما - وقد
سأله رجل عن طلاق العرب - : (كان الرجل يطلق امرأته تطليقة ، ثم
هو أحق بها ، فإن طلقها ثنتين فهو أحق بها أيضاً ، فإن طلقها ثلاثاً فلا سبيل له
إليها . قال الاعشى :

أيا جارتى ببني فإنك طالقه كذاك أمور الناس غادٍ وطارقه
وببني فقد فارقت غير ذميمة ومومقة منا كما أنت وامقه
وببني فإن البين خير من العصا وإلا ترى لى فوق رأسك بارقه

ومما زاد في شرفهم أنهم كانوا يتزوجون من أى قبيلة شاءوا ولا شرط عليهم
في ذلك ، ولا يزوجون أحداً حتى يشترطوا عليه أن يكون متحمساً على دينهم .
يروون أن ذلك لا يحل لهم ولا يجوز لشرفهم حتى يدان إليهم وينقاد ، والتحمس
التشدد في الدين ، ورجل أحسن أى شجاع . فحسوا خزاة ودانت لهم إذ كانت
في الحرم ، وحسوا كنانة وجديلة قيس وهم فهم ، وابنا عمرو بن قيس عيلان
إلا أنهم ساكنوا الحرم ، وعامر بن صعصعة وإن لم يكونوا من ساكني الحرم ، فإن

(١) الهرابذة قومة بيت النار التى للهند فارسى معرب وقيل عظماء الهند
أو علمائهم

أهمهم قرشية . وهي مجد بنت تيم بن مرة . وكان من سنة الحس أنهم لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات إنما يقفون بالزدلفة، وكانوا لا يسألون^(١) ولا يأقطنون^(٢) ولا يرتبطون عنزاً ولا بقرة ولا يمزلون صوفاً ولا وبراً ، ولا يدخلون بيتاً من الشعر والمدر ، وإنما يكتنون بالقباب الحرم في الأشهر الحرم . ثم فرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل إذا دخلوا الحرم ، وأن يتركوا ثياب الحل ويستبدلوها بثياب الحرم إما شراءً وإما عارية وإما هبة ، فإن وجدوا ذلك فيها وإلا طافوا بالبيت عرايا ، وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك غير أن المرأة كانت تطوف في درج مفرج القوائم والمآخير .

قالت امرأة وهي تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله
أختم مثل القعب بادٍ ظله كأن ممحى خبير تممه^(٣)

وكلفوا العرب أن يفيضوا من مزدلفة وقد كانوا يفيضون من عرفة ، وقد كان الملك في جُرم وخزاعة وصدر من أيام قريش . فلولا أنهم أُمع حتى من العرب مع نخوة العرب في إياها لما أجلي قصى خزاعة جرهما ، ولم يكونوا يهتدون الهبيد^(٤) ويأكلون الحشرات كسائر الأعراب ، بل منهم الذي هشم الثريد ، وفيه يقول ابن الزبيرى :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه قوم بمكة مسنتون عجاف^(٥)

(١) سلا السمن : طبخة وعالجه (٢) الاقط شيء يتخذ من الخيض الغنمى واقط الطعام بأقطه اقطا عمله به فهو ما قوط ، قال ابن هرمة : لست بدى ثلة مسونقة اقط البانها واسلوها وانتقط اتخذت الاقط (٣) قال ثعلب : فرج اختم منفتح خرقة قصير السمك خناق ضيق ، والعقب : القدح الضخم الجافى أو الى الصغر أو يروى أرجل ، وحمى خبير يضرب بها المثل لأن خبير مخصوصة بالحمى والوباء ، قال أوس بن حجر :

كان به إذ جثته خبيرية يعود عليه وردده وملالها

الورد يوم الحمى الدائر ، والملال : الضجر والتضايق

(٤) هو الحنظل أو جبه (٥) عمرو هو هاشم بن عبد مناف أبو عبدالمطلب وكان يكنى ابا نضلة ثالث جد لسيدنا رسول الله (ص) سمي هاشما لأنه أول من ثرد الثريد وهشمه في الجذب والعام الجماد ، ومسنتون : مقحوطون : وعجاف : ضعاف

سنت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأضياف
وكان عبد الله بن جُدعان التيمي يطعم الرغو^(١) والعسل والسمن ولبّ البرّ حتى
قال أمية بن أبي الصلت فيه يمدحه :

لكل قبيلة رأسٌ وهاد وأنت الرأس تقدم كل هادي
له دايح بمكة مُشمعلٌ وآخرُ فوق دارته ينادي
إلى رُدح من الشيزاء ملأى لباب البرّ يُلبك بالشهادِ

وفضائل قريش ليس هذا موضع استقصائها ، وقد أفردها الزبير بن بكار
بكتاب أجاد فيه وأفاد ، وقد بلغ تعظيم العرب لمكة أنهم كانوا يحجون البيت
ويعمرون ويطوفون ، فإذا أرادوا الانصراف أخذ الرجل منهم حجراً من حجارة
الحرم ففتحته على صورة أصنام البيت فيجمعه في طريقه قبلةً ويطوف ويصلي له
تشبيهاً بأصنام البيت ، وأفضى بهم الأمر بعد طول المدة إلى أن كانوا يأخذون
الحجر من الحرم فيعبدونه ، فذلك كان أصل عبادة العرب للحجارة في منازلها
شغفاً منها بأصنام الحرم ، وتام الكلام ، في هذا المقام ، نورده إن شاء الله تعالى
عند البحث عن أديانهم ، وما كانوا يتعبدون به في سالف أزمانهم . وأما رؤساء
مكة فذكر أهل السير أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما حمل ابنه إسماعيل عليه
السلام إلى مكة جاءت جُرم وقطوراء وهما قبيلتان من اليمن وهم أبناء عم ؛
فأروا بلداً ذا ماء وشجر فزلوا ونكح إسماعيل عليه السلام من جُرم ، فلما توفى
إسماعيل ولى البيت بعده نابت بن إسماعيل وهو أكبر ولده ، ثم ولى بعده مُضاض
ابن عمرو الجزهمي خال ولد إسماعيل عليه السلام ، إلى أن تنافست جُرم وقطوراء
في الملك وتداعوا للحرب فخرجت جُرم إلى قعيمةان وهي أعلى مكة وعليهم مضاض
ابن عمرو ، وخرجت قطوراء من أجياد وهي أسفل مكة وعليهم السميديع ، فالتقوا
بفاضح واقتتلوا قتالاً شديداً فقتل السميديع وهزمت قطوراء ، فسمى الموضع

فأخيراً لأن قطوراء افتضحت فيه ، وسميت أجياداً لما كان معهم من أجياد الخليل ، وسميت قعيقمان لقعقة السلاح . ثم تداعوا إلى الصلح واجتمعوا في الشعب وطبخوا القدور ، فسمى المطابخ . ونشر الله ولد إسماعيل عليه السلام فكثروا وتفرقوا في البلاد لا ينادون قوماً إلا أتوهم طائمين ، وظهروا عليهم بدينهم . ثم إن جرهما بنوا بمكة فاستحلوا الحرمات ، وأباحوا المنكرات ، وظلموا من دخلها ، وأكلوا مال الكعبة ، وكانت مكة تسمى الباسة^(١) . لا تقر ظالماً ولا بغيماً ولا تبقى فيها أحداً من الملحدين إلا أخرجته ، وكان أبو بكر بن عبد بن مناة بن كنانة وغسان وخزاعة حلولا حول مكة فأذوهم القتال فاقتتلوا فحمل الحارث بن عمرو بن مضاض يقول :

لأهمَّ إنَّ جرهماً عبادك الناس طرف وهم تِلَادُك^(٢)

فملبثهم خزاعة على مكة ونفثهم عنها . وفي ذلك قال عمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض الأصغر * وقائلة والدمع سكب مبادر * إلى آخر الأبيات التي سبق ذكرها . ثم وليت خزاعة البيت ثلاثمائة سنة يتوارثون ذلك كبراً عن كابر حتى كان آخرهم حليل بن أبي حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة وهو خزاعة بن حارثة . وقريش إذ ذاك حلل وحرم وبيوتات متفرقة حول الحرام ، إلى أن أدرك قصي بن كلاب وتزوج بنت حليل بن أبي حبشية وولدت بنيه الأربعة فكثرت ولده وعظم شرفه ، ثم هلك حليل وأوصى إلى ابنه المحترش أن يكون خازناً للبيت وأشرك معه غبشان^(٣) الملكاني . وكان إذا غاب أحجب هذا حتى

(١) من لست الشيء إذا ذهبت وذكروا الخطابي أنه يقال لها الباسة أيضاً بالوحدة وهو من بست الجبال بسا أى فتت وثرثت كما يثرى السويق قال الراجز :

لاتخبز خبزاً وبسا بسا ماترك السير لهن نسا

يقول لا تشتغل بالخبز وثرثا الدقيق والتقمه . (٢) العرب تحذف الالف واللام من اللهم وتكتفى بما بقى ، والطرف : المستحدث من المال ، والتلاد : القديم منه :

(٣) يضرب به المثل في الخسران ، قال الثعالبي : وكانت خزاعة سدنة الكعبة قبل قريش وكان أبو غبشان الخزاعي يلي من بينهم امر الكعبة ويده مفاتيحها فاتفق له أنه اجتمع مع قصي بن كلاب في شرب بالطائف فخدعه

هلك الملكاني فيقال أن قصياً سقى الخترش الحجر وخذعه حتى اشترى منه البيت بدنّ خمر وأشهد عليه وأخرجه من البيت وتملك حجابته وصار رب الحكم فيه ، فقصى أول من أصاب الملك من قريش بعد ولد اسماعيل . وذلك في أيام المنذر ابن النعمان ملك الحيرة ، وملك الفرس يومئذ بهرام جور أبو الفرس وجعل قصي مكة رباعا وبني بها دار الندوة . وكانت صوفة^(١) وهي قبيلة من جرهم تصيب بمكة من بلى الإجازة بالناس من عرفة مدة . وفيهم يقول الشاعر :

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجزوا آل صوفانا^(٢)

ثم أخذتها منهم خزاعة وأجازوا مدّة . ثم عدا عليهم بنو عدوان بن عمرو ابن قيس وصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سيارة^(٣) أحد بني سمد ، وله يقول الراجز :

قصي عن مفاتيح الكعبة بان اسكره ثم اشتراها منه بزق خمر واشهد عليه ودفع المفاتيح في يد ابنه عبد الدار بن قصي وسرحه الى مكة فلما اشرف عبد الدار على دور مكة رفع عقيرته وقال : يامعاشر قريش هذه مفاتيح بيت ايكم اسماعيل (ع) قد ردها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم ، وافاق غبشان من سكره نادما خاسرا فقال الناس احمق من ابي غبشان واندم من ابي غبشان واخر صفة من ابي غبشان ، فذهبت الكلمات الثلاث امثالا واكثرت الشعراء القول فيه فقال بعضهم :

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت بزق خمر فما فازت ولا ربحت وقال آخر :

ابو غبشان اظلم من قصي
فلا تلخو قصيا في شراء
وقال آخر :

اذا افتخرت خزاعة في قديم
تبيع لكعبة الرحمن حمقيا
وجدنا فخرها شرب الحمور
بزق بئس مفتخر الفخور

(١) أبو حنيفة مضر سمي بذلك لان أمه جعلت في رأسه صوفة وجعلته ربيطا للكعبة بخدمها وهو الغوث بن مر بن اد بن طابخة . (٢) قوله اجزوا اي أفيضوا وكان احدهم يقول اجيزي صوفة فاذا اجازت قال اجيزي خندف فاذا اجازت اذن للناس كلهم في الاجازة ، وآل صوفان ويقال لهم آل صفوان قوم من بني سعد بن زيد مناة قال ابو عبيدة حتى يجوز القائم بذلك من آل صفوان والبيت لاوس بن مفرأ . (٣) اسمه هميلة بن خالد بن اعزل وكان له حمار اسود اجاز الناس عليه من مزدلفة الى منى اربعين سنة وعير ابي سيارة مشهور يتمثل به فيقال اصح من عيرابي سيارة للرجل الصحيح في بدنه ، قال الجاحظ : اعمار حمر الوحش تزيد على اعمار الحمير الالهية

خَلَا السَّبِيلَ عَنْ أَبِي سَيَّارَةَ وَعَنْ مَوَالِيهِ بِنِي فَرَازَةَ^(١)
حَتَّى يَجِيزَ سَالِمًا حِمَارَهُ مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ يَدْعُو جَارَهُ^(٢)

وكانت صورة الإجازة أن يتقدمهم أبو سيارة على حماره ، ثم يخطبهم فيقول اللهم أصلح بين نساءنا ، وعاد بين رعايانا ، واجعل المال في سماحنا وسمحائنا ، أوفوا بعهدكم . وأكرموا جاركم ، وأفروا ضيقكم ، ثم يقول : أشرق شمير ، كما نغير ، ثم ينفر ويتبعه الناس . فلما قوى أمر قصي^٣ أتى أبا سيارة وقومه فثمنه من الإجازة وقاتلوا عليها فهزمهم قصي^٣ وصار البيت الحرام إلى قصي^٣ . فلما كبر قصي^٣ ووهن عظمه جعل الأمر في ذلك كله إلى ولده عبد الدار لأنه أكبر أولاده ، وهلك قصي^٣ وأقام قريش على ذلك عبد الدار . ثم إن عبد مناف رأى في نفسه أنه أحق من عبد الدار بالأمر وكذلك قريش لما كان عليه من التباهة والفضل فأجمعوا على أخذ ما بأيديه ، وهما بالقتال فمضى الأكبر منهم حتى تداعوا إلى الصلح بأن يكون لعبد مناف السقاية^(٣) والرِّفَادَة^(٤) ، وأن تكون الحجابة^(٥) واللواء والندوة لبني عبد الدار ، وعقدوا على ذلك حلفاً مؤكداً لا ينقضونه ، فأخرج بنو عبد مناف ومن تابعهم من قريش جفنة مملوءة طيباً وغمسوا فيها أيديهم ومسحوا بها الكعبة تأكيداً على أنفسهم فمسموا المطيبين ، وأخرج بنو عبد الدار ومن تابعهم جفنة من دم وغمسوا فيها أيديهم ومسحوا بها الكعبة

ولا يعرف حمار أهلى عاش أكثر وعمر أطول من غير ابى سيارة فانهم لا يشكون انه رفع عليه اهل الموسم اربعين عاما .

(١) يعنى بمواليه بنى عمه لانه من عدوان وعدوان وفزازة من قيس عيلان
(٢) يدعو جاره أى يدعو الله عز وجل يقول اللهم كن لنا جارا مما نخافه
أى مجيرا (٣) الموضع يتخذ لسقى الناس (٤) هى ماكانت تخرجه من
اموالها وترفد به منقطع الحاج (٥) هى سدانة لبيت وقد أحدثها قصي ،
واللواء منصب أحدثه قصي أيضا بمنزلة وزير الحرب فى عصرنا فاذا أخرجه
من كان بيده اجتمعت عنده صناديد قريش لايتخلف احد منهم عنه وذلك
اذا نابتهم نائبة وغيره لايمكن من ذلك اللواء وكان هذا المنصب مخصوصا بنبى
عبد الدار ، والندوة وهى ايضا مما أحدثه قصي وهى بمنزلة قصر الامارة
ودار الحكومة وهى دار كانوا يجتمعون فيها لابرام أمرهم وتشاورهم والندوة
الجماعة ودار الندوة دار الجماعة .

فسموا الأحلاف ولعقة الدم ، ولم يل الخلافة منهم غير عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه . والباقون من الطيبين لم يزالوا على حالهم حتى جاءهم الإسلام ، وقريش على ذلك حتى فتح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مكة سنة ثمان من الهجرة فأقرّ المفتاح في يد عثمان بن طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ منه المفاتيح عام الفتح فأنزّل الله تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) فاستدعاه ورد المفتاح إليه ، وأقر السقاية في يد العباس رضى الله تعالى عنه .

من انتهى إليه الشرف بمكة من قريش في الجاهلية فوصله بالإسلام :

اعلم أن من انتهى إليه الشرف من قريش إلى أن بزغ نور الإسلام عشرة رهط من عشرة أبطن ، وهم : (هاشم) و (أمية) و (نوفل) و (وعبد الدار) و (أسد) و (تيم) و (مخزوم) و (عدى) و (جمح) و (سهم) فكان من هاشم العباس ابن عبد المطلب يسقى الحجيج في الجاهلية وبق له ذلك في الإسلام ، ومن بنى أمية أبو سفيان بن حرب كانت عنده العقاب راية قريش ، وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا سميت الحرب ، فإذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب وإن لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه . ومن بنى نوفل الحارث بن عامر وكانت إليه الرفادة ، وهي ما كانت تخرجه من أموالها وترفد به منقطع الحاج . ومن بنى عبد الدار عثمان بن طلحة كان إليه اللواء والسدانة مع الحجابة ، يقال : والندوة أيضاً في بنى عبد الدار . ومن بنى أسد يزيد بن زَمعة بن الأسود وكانت إليه المشورة وذلك أن رؤساء قريش لم يكونوا مجتمعين على أمر حتى يعرضوه عليه ، فإن وافقه ولاهم عليه وإلا تخير وكانوا له أعوانا ، واستشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالطائف ومن بنى تيم أبو بكر الصديق ، وكانت إليه في الجاهلية الأشناق وهي الديات والمغرم ، فكان إذا احتمل

شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا حَمَّالَةً^(١) من نهض معه وإن احتملها غيره خذلوه . ومن بنى مخزوم خالد بن الوليد ، كانت إليه القبة والأعنة . فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش . وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش في الحرب . ومن بنى عدى عمر بن الخطاب وكانت إليه السفارة في الجاهلية ، وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيراً ، وإن نافرهم حتى لفأخرة جعلوه منافراً ورضوا به . ومن بنى جَمَحَ صفوان ابن أمية ، وكانت إليه الأيسار وهي الأزلام ، فكان لا يسبق بأمر عام حتى يكون هو الذي تسييره على يديه . ومن بنى سهم الحارث بن قيس ، وكانت إليه الحكومة والأموال المحجرة التي سموها آلهمتهم . فهذه مكارم قريش التي كانت في الجاهلية ، وهي السقاية والمارة والعقاب والرفادة والسدانة والحجاجة والندوة واللواء والمشورة والأشناق والقبة والأعنة والسفارة والأيسار والحكومة والأموال والمحجرة إلى هؤلاء العشرة من هذه البطون العشرة على حال ما كانت في أوليتهم يتوارثون ذلك كبراً عن كبر ، وجاء الإسلام فوصل ذلك لهم وكان كل شرف من شرف الجاهلية أدركه الإسلام فوصله ، فكانت سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وحلوان النفر في بنى هاشم . فأما السقاية فمروفة ، وأما المارة فهو أن لا يتكلم أحد في المسجد الحرام بهجر ولا رَفَثٍ ولا يرفع فيه صوته ، كان العباس ينهأهم عن ذلك . وأما حلوان النفر فإن العرب لم تكن تملك عليها في الجاهلية أحداً فإن كان حرب أقرعوا بين أهل الرياسة فمن خرجت عليه القرعة أحضروه صغيراً كان أو كبيراً . فلما كان يوم الفجار أقرعوا بين بنى هاشم فخرج سهم العباس وهو صغير فأجلسوه على الجن ، وسبحان من صرف الدهور ، على حسب مصالح الأمور .

(١) الحمالة كسحابة الدية يحملها قوم عن قوم .

ذكر ما وقع لأصحاب الفيل في مكة سرفها الله تعالى

اعلم أن أبرهة الأشرم بعد أن استولى على اليمن وقتل أميرها أرياطاً بنى القُدَيْسَ بصنماء فبنى كنيسة لم ير مثلها في زمانها ، ثم كتب إلى النجاشي إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبْنَ مثلها لك كان قبلك ، ونست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب . فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من النساء^(١) أحد بنى ققيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث ابن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر فخرج حتى أتى القُدَيْسَ^(٢) فقمعد فيها يعنى أحدث فيها ثم خرج فالحق بأرضه فأخبر بذلك أبرهة . فقال : من

(١) الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون مكانة الشهر من أشهر الحل ليواطئوا عدة ما حرم الله ويؤخرون ذلك الشهر ففيه أنزل الله تبارك وتعالى انما النسىء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلون ما حرم الله ويحرمونه عاما قومه ليواطئوا أى ليوافقوا ، وكان اول من نسا الشهور على العرب فأحلت منها ما حل وحرمت منها ما حرم القلمس وهو حذيفة بن عبد بن ققيم بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة وقيل له القلمس لوجوده اذ القلمس من أسماء الحرب وتفصيل الكلام يأتى في الجزء الثالث - ٢١٠ هو كنيسة بصنماء سميت لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلائس لأنها في أعلى الرأس ويقال تقلنس الرجل وتقلس اذا لبس القلائسوة وقلس طعاما أى ارتفع من معدته الى فيه ، وكان أبرهة قد استدل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة وجشمهم فيها أنواعا من السخر وكان ينقل إليها العدد من الرخام الجرز والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان (ع) وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ وكان فيه بقايا من آثار ملكها فاستعان بذلك على ما اراده في هذه الكنيسة من بهجتها وبهاؤها ونصب فيها صلبان من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنس وكان اراد ان يرفع في بنائها حتى يشرف منها على عدن وكان حكمه في العامل اذا طلعت عليه الشمسس قبل ان يأخذ في عمله ان يقطع يده !! فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمسس فجاءت معه امه وهى امرأة عجوز فنضرت اليه تستشفع لابنها فأبى الا ان يقطع يده فقالت : اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك وغدا لغيرك ، فقال : ويحك ماقلت ؟ فقالت : نعم كما صار هذا الملك من غيرك اليك فكذلك يصير منك الى غيرك فاخذته موعظتها واعفى الناس من العمل فيها بعد ، فلما هلك اقفر ما حول هذه الكنيسة فلم يعمرها احد وكثر حولها السباع والحيات ولم يقربها احد الى زمن أبى العباس فذكر له امرها وبعث اليها بابل الربيع عامله على اليمن معه أهل الحزم والجلادة فخر بها وحصلوا منها مالا كثيرا يبيع ما يمكن بيعه من رخامها وآلاتها فعفى بعد ذلك رسمها وانقطع خبرها ودرست آثارها

صنع هذا ، فقيل له : رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة لما سمع أنك تريد أن تصرف إليها حج العرب غضب فجاء فقمعد فيها أي أنها ليست لذلك بأهل ، فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرجوا معه بالفيل ، وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفضعوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام ، فخرج إليه رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حزب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمه وإخراجه فأجابه إلى ذلك من أجابه . ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر وأصحابه وأخذ له ذو نفر قاتى به أسيراً ، فلما أراد قتله قال له ذو نفر : أيها الملك لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقاى معك خيراً لك من قتلى فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق وكان أبرهة رجلاً حليماً . ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلي خثعم شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له نفيل أسيراً فأتى به . فلما هم بقتله قال له نفيل أيها الملك لا تقتلني فأني دليك بأرض العرب ، وهاتان يدان لك — يشير إلى شهران وناهس قبيلي خثعم — بالسمع والطاعة فخطى سبيله وخرج به معه يده حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف في رجال ثقيف فقالوا له : أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس بيننا هذا البيت الذي تريد ، يعنون اللات ، إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم ، واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة . قال ضرار بن خطاب الفهري :

وفرت ثقيفٌ إلى لاتها بمنقلب الخائبِ الخاسرِ

فبمشوا معه أبا رغال يده على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال

حتى أنزله المغمس^(١) ، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجت قبره العرب ، فهو القبر الذي يرجمه الناس بالمغمس . فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم — وهو يومئذ كبير قريش وسيدها — فهنت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة وقال له : سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ، ثم قل له : « إن الملك يقول لك إنى لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي في دمائكم فإن هو لم يرد حربى فأنتى به » فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب : والله ما يريد حربته وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، أو كما قال فإنه يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وإن يحل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه . فقال حناطة : فانطلق معى إليه فإنه قد أمرنى أن آتية بك ، فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى المسكر فسأل عن ذى نفر وكان صديقاً له حتى دخل عليه وهو فى محبسه فقال له ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً . ما عندى غناء فى شيء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الفيل صديق لى وسأرسل إليه فأوصيه بك وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك بخير إن قدر على ذلك ، فقال : حسبي فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له : إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسهل ، والوحوش فى رؤوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده

(١) كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فيه قبر أبى رغال دليل أبرهة ويرجم

بما استطعت فقال : أفلئ ، فكلم أنيس أبرهة فقال له : أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فأذن له عليك فليكلمك في حاجته . قال : فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم ، فلما رآه أبرهة أجه وأعضاه وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي أن يرد عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي ، فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتي حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني . أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه . قال له عبد المطلب : أنارب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه . قال : ما كان ليمنع مني قال أنت وذاك . وكان — فيما يزعم بعض أهل العلم — قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة يعمر بن نفاعة بن عدى ، ينتهي نسبه إلى كنانة وهو يومئذ سيد بني بكر ، وخويلد بن وائلة الهذلي وهو يومئذ سيد هذيل ، فمروضوا على أبرهة تلك أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شَمَفِ الجبال^(١) والشعاب تخوفاً عليهم من معرة الجيش^(٢) . ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده . فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لأهمَّ إنَّ المرءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فامْنَعِ حِلَالِكَ^(٣)

(١) الشعف بفتح السين جمع شعفة محرّكة وهي رأس الجبل ، والشعاب جمع شعب بالكسر وهو الطريق وقيل الطريق في الجبل (٢) المعرة : المساءة (٣) العرب تحذف الألف واللام من اللهم وتكتفي بما بقى وكذلك تقول لاه أبوك تريد لله

لايفلبن^١ صليهم ومحالمهم أبدا محالك
إن كنت تاركهم وكم بتنا فأمر ما بدا لك
فلئن فعلت فإنه أمر يتم به فعالك
أسمع بأرجس ما أرا دوا العدو وانتهكوا حلالك
جرؤا جميع بلادهم والفييل كي يسبوا عيالك
عدوا حاك بكيدهم جهلاً وما رقبوا جلالك

وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف :

لاهم^٢ اخز الأسود بن مقصود^١ الأخذ الهجمة فيها التقليد^(١)
بين حراء وثبير^٢ فالبيد^٣ يحبسها وهي أولات التطريد^(٢)
فضمها إلى طماظم^٤ سود أخفره^٣ يارب^٤ وأنت محمود^(٣)

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَمَف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما يفعل أبرهة بمكة إذا دخلها ، فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة وهياً فيه وعبي جيشه ، وكان اسم الفييل (محموداً) وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن . فلما وجهوا الفييل إلى مكة أقبل فييل ابن حبيب حتى قام إلى جنب الفييل ثم أخذ بأذنه فقال ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه فبرك الفييل^(٤) . وخرج

ابوك ويقولون لاهنك اى والله انك وهذا لكثرة دور هذا الاسم على الاسنة وقد قالوا فيما هو دونه في الاستعمال اجنك تفعل كذا اى من اجل انك تفعل كذا وكذا والحلال في هذا البيت القوم الحلول في المكان والحلال مركب من مراكب النساء ، قال الشاعر : ا بغير حلال غادرته مجحفل ؛ والحلال ايضا متاع البيت وجائز ان يستعيره ههنا (١) الهجمة ما بين التسعين الى المائة من الابل والمائة منها هنيذة والمائتان هند ، والأسود بن مقصود صاحب الفييل (٢) حراء وزان كتاب جبل بمكة ، وثبير : جبل بين مكة ومنى ، والبيد بالكسر جمع بيداء وهي الغلاة ، وفي الحديث ان قوما يغزون البيت فاذا نزلوا البيداء بعث الله جبريل فيقول يا بيداء أيديهم فيخسف بهم اى أهلكيهم وهى هنا اسم موضع بعينه (٣) قوله اخفره اى انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه ، وقوله الى طماظم سود يعنى العلوج ويقال لكل أعجمى طمطماني وطمطم (٤) قال ابو القاسم السهيلي : فيه نظر لأن الفييل لا يبرك فيحتمل ان يكون

نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا رأسه
بالبطريز (١) ليقوم فأبى فأدخاوا محاجن (٢) لهم في مرقاه (٣) فبزغوه (٤) بها ليقوم
فأبى فوجهوه راجماً إلى اليمن فقام يهرول (٥) ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ،
ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك ، فقال أبو الطيب
مسعود في ذلك ، وقيل : بل قاله عبد المطلب :

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا سَاطِمَاتٌ لَا يَمَارِي بَهِنَّ إِلَّا الْكَفُورُ (٦)

حبس الفيل بالمغمس حتى مرَّ يَعْوِي كَأَنَّهُ مَعْقُورٌ (٧)

فارسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف (٨) والبلسان (٩) مع كل
طائر منها ثلاثة أحجار ، حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس
لا تصيب منهم أحداً إلا هلك . وخرجوا هارين بيندرون الطريق الذي جاؤا منه
ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن . فقال نفيل حين رأى ما أنزل
الله تعالى بهم من نعمته .

أَيْنَ الْمَرْءُ وَالْإِلَهُ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ

بروكة سقوطه الى الارض لما جاءه من امر الله سبحانه ويحتمل أن يكون فعل
فعل البارك الذي يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك ، وقد سمعت
من يقول ان في الغيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمال فان صح والا فتأويله
ماقدمناه

(١) ذكر البكري في المعجم ان الأصل فيه طبرزين بفتح الباء وقال طبر هو
الفأس (٢) جمع محجن وزان مقود خشبية في طرفها اعوجاج مثل الصولجان
قال ابن دريد كل عود معطوف الرأس فهو محجن والجمع المحاجن (٣) قال في
القاموس ومراق البطن مارق منه ولأن جمع مرق أو لاواحد لها (٤) اي
ادموه ومنه سمي البزغ (٥) يسرع في مشيه يقال هرول هرولة اسرع في
مشيه دون الخبب ولهذا يقال هو بين المشي والعدو وجعل جماعة الواو
أصلاً (٦) الآيات : العلامات وتجمع الآية على أي أيضا ، وقوله ساطعات
أي مرتفعات يقال سطع الغبار سطوعاً وسطيحاً ارتفع وكذا البرق والشعاع
والصبح والرائحة ، وقوله لايمارى أي لايجادل ولا يخاصم (٧) المغمس كمعظم
بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال دليل ابرهة ويرجم (٨) جمع خطاف وهو
طائر معلوم (٩) طير من طيور الماء يسمى مالك الحزين وعبر عنه في حياة
الحيوان بلفظ بلشون

وقال أيضاً

ألا حيت عنا يا رُدِينا نعمناكم مع الإصباح عينا^(١)
ردينة لو رأيتِ فلا تربه لدى جنب المحصب ما رأينا
إذا لعذرتني وسمحتِ أمرى ولم تأسى على ما فات بيننا^(٢)
سمحتُ الله إذ أبصرت طيراً وخفتُ حجارة تلقى علينا
وكلُّ القوم يسألُ عن نُفيلٍ كأنَّ علىَّ للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك ، على كل منهل ، وأصيب
أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أعملةً أعملةً^(٣) حتى قدموا به صنعاء
وهو مثل فراخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون . ويروى أن
أول ما رؤيت الحصبه والجدرى بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤى بها
مرائر الشجر^(٤) الحرمل والحنظل . فلما رد الله تعالى الحبشة عن مكة وأصابهم بما
أصابهم به من النعمة أعظمت العرب قريشاً ، وقالوا : أهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم

(١) قوله ردينا اسم امرأة كأنها سميت بتصغير ردة وهي القطعة من الردن
وهو الحرير ، ويقال لمقدم الكم ردن مذكر وأما ردينة بتقديم الدال فهو اسم
للأحمق ، ونعمناكم الخ دعاء أى نعمنا بكم فعدى الفعل لما حذف حرف الجر
وهذا كما تقول أنعم الله بك عينا (٢) نصب بينا نصب المصدر المؤكد لما
قبله إذ كان في معناه ولم يكن على لفظه لأن فات معنى فارق وبان كأنه قال
على ما فات فوتاً أو بان بينا ولا يصح لأن يكون مفعولاً من أجله يعمل فيه
تأس لأن الأسى باطن في القلب واليبين ظاهر ولا يجوز أن يكون المفعول من
أجله إلا بعكس هذا تقول بكى أسفاً وخرج خوفاً وانطلق حرصاً على كذا ولو
عكست الكلام كان خلفاً من القول وهذا أحد شروط المفعول من أجله
(٣) أى ينتشر جسمه والأعملة طرف الأصبع ولكن قد يعبر بها عن طرف غير
الأصبع والجزء الصغير (٤) يقال شجرة مرة ثم يجمع على مرائر كما تجمع
حررة على حرائر ولا تجمع فعلة على فعائل إلا في هذين الحرفين والقياس
فعل نحو درة ودرر ولكن الحررة من النساء في معنى الكريمة والعقيلة ونحو
ذلك فأجروها مجرى ما هو في معناها من الفعلية وكذلك المرقباسة أن يقال
فيه مرير لأن المرارة في الشيء طبيعة فقياس فعله أن يكون فعل واذا كان
قياسه فعل فقياس الصفة منه أن تكون على فعيل والأنثى فعيلة والشيء
المرعسير أكله شديد فأجروا الجمع مجرى هذه الصفات التى هى على فعيل
لأنها طباع وخصال وافعال الطباع والخصال كلها تجرى هذا المجرى

مؤنة عدوهم ، فقالوا في ذلك أشعاراً يذكرون فيها ما صنع الله تعالى بالحبشة وما رد
عن قريش من كيدهم فقال عبد الله بن الزبعرى :

تنكلوا عن بطن مكة إنها كانت قديماً لا يرام حريمها^(١)
لا تخلق الشعري ليالى حرمت إذ لا عزيز من الأنام يرومها^(٢)
سائل أمير الحبش عنها ما رأى ولسوف ينبي الجاهلين عليها
ستون ألفاً لم يثوبوا أرضهم بل لم يعيش بعد الإياب سقيمها^(٣)
كانت بها عادٌ وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها

وقال أبو قيس صيفي بن الأسلت بن جشم بن وائل :

ومن صنعه يوم فيل الحبوش إذ كل ما بعثوه رزم^(٤)
مجاجهم تحت أقرابه وقد شرموا أنفه فأنخرم

(١) الأبيات من (الكامل) وقد دخل في قوله تنكلوا الخ خرم ولا يبعدان
يدخل الخرم في متفاعل فيحذف من السبب حرف كما حذف من الودد في
الطويل حرف وإذا وجد حذف السبب الثقيل كله فأحرى ان يجوز حذف
حرف منه وذلك في قول ابن مفرغ :

هامة تدعو صدى بين المشقر واليمامة
وهو من المرفل والمرفل من الكامل الا ترى ان قبله :

وشريت بردا ليتنى من بعد برد كنت هامة

فالمحذوف من الطويل اذا خرم حرف من وتد مجموع والمحذوف من
الكامل اذا خرم حرف من سبب ثقيل بعده سبب خفيف قال السهيلي : ولما
كان الاضمار فيه كثيراً وهو اسكان التاء من متفاعلين فمن ثم قال أبو علي :
لا يجوز فيه الخرم لأن ذلك يؤول الى الابتداء بساكن ، وهذا الكلام لمن تدبره
بارد غث لأن الكلمة التي يدخلها الخرم لم يكن قط فيها اضممار نحو تنكلوا
عن بطن مكة والتي يدخلها الاضمار لا يتصور فيها الخرم نحو لا يبعدن قومي
ونحو قوله لم تخلق الشعري الخ فتعليقه في هذا الشعر اذا لا يفيد شيئاً وما
ابعد العرب من الالتفات الى هذه الأغراض التي يستعملها بعض النحاة وهى
أوهى من نسج الخدرنق (٢) ان كان ابن الزبعرى قال هذا في الاسلام فهو
منتزع من قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة ولم يحرمها الناس
ومن قوله في حديث آخر ان الله حرمها يوم خلق السموات والأرض والتربة
خلقت قبل خلق الكواكب وان كان ابن الزبعرى قال هذا في الجاهلية فانما
أخذه والله أعلم من الكتاب الذى وجدوه في الحجر بالخط المسند حين بنوا
الكعبة وفيه أنا الله رب بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض الحديث
(٣) يعنى بقوله بعد الإياب سقيمها أبرهة اذ حملوه معهم حين أصابه
ما أصابه حتى مات بصنعاء (٤) رزم : ثبت ولزم موضعه وأرزم من الرزيم
وهو صوت ليس بالقوى وكذلك صوت الفيل ضئيل على عظم خلقته

وقد جَمَعُوا سَوَطَهُ مَغُولًا إِذَا يَمُوهُ قَفَاهُ كَلِمٌ (١)
فَوَلِيٌّ وَأَدْبَرٌ أَدْرَاجُهُ وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثَمَّ (٢)
فَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِبًا فَلَفَّهِمْ مِثْلَ لَفِّ الْقُرْمِ (٣)
تَحَضُّ عَلَى الصَّبْرِ أَخْبَارُهُمْ وَقَدْ تَأَجَّجُوا كَثُوجَ الْغَنَمِ (٤)
« وَقَالَ أَيْضًا »

فَقَوْمُوا فَصَلُّوا رَبِّكُمْ وَتَمَسَّحُوا بِأَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخْشَبِ (٥)
فَمَنْدُكُمُ مِنْهُ بِلَا مَصْدَقٍ غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكُتَّابِ (٦)
كُتَيْبَتُهُ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرِجْلُهُ عَلَى الْقَازِفَاتِ فِي رُؤْسِ الْمُنَاقِبِ
فَلَمَّا آتَاكُمْ نَصْرُذَى الْعَرْشِ رَدَّكُمْ جُنُودَ الْمَلِيكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ (٧)
فَوَلُّوا سَرَاعًا هَارِبِينَ وَلَمْ يَوُوبُ إِلَى أَهْلِ مَلْحَبِشٍ غَيْرِ عَصَابِ (٨)
وَقَالَ طَالِبُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ :

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاحِسٍ وَجَيْشِ أَبِي يَكْسُومِ إِذْ مَلَّؤُوا الشُّعْبَا
فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرِهِ لِأَصْبَحْتُمْ لَا تَتَمَنَّوْنَ لَكُمْ سَرَبًا (٩)
وَقَالَ أُمِيَّةُ بِنْتُ أَبِي الصَّلْتِ ابْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الثَّقَفِي :

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا ثَاقِبَاتٌ لَا يَمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكُفُورُ
خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَكُلُّهُ مُسْتَبِينٌ حَسَابُهُ مَقْدُورُ
ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارَ رَبُّ رَحِيمٌ بِمَهَاةٍ شُعَاعُهَا مَنْشُورُ (١٠)

(١) المغول كمنبر حديدة تجعل في السوط فيكون لها غلافًا وشبه مشمل إلا أنه أدق وأطول منه ونصل طويل أو سيف دقيق له قفا (٢) يقال أدبر أو رجع فلان أدراجه أي عاد من حيث جاء ، وبآء رجع ، وثم بالفتح اسم يشاربه بمعنى هناك للمكان البعيد طرف لا ينصرف (٣) الحاصب : ريح تحمل التراب أو هو ماتناثر من دقائق الثلج والبرد والسحاب الذي يرمى بهما ، والقزم صغار الغنم ويقال رذال المال (٤) كثوؤج الغنم أي كصوت الغنم (٥) الأخشاب : جبال الصمان (٦) أبو يكسوم كنية أبرهة والكتائب جمع كتيبة وهي الجيش أو الجماعة المستجيزة من الخيل أو غير ذلك ، والهادي المتقدم (٧) السافي الذي يرمى بالتراب ، والحاصب مر تفسيره قريباً (٨) قوله لم يوب أي لم يرجع وملحشش أي من الحيش (٩) السرب بالفتح المال الراعى والسرب بالكسر القطيع من البقر والظباء ومن النساء أيضاً (١٠) المهاة : الشمس سميت بذلك لصفائها وألها من الأجسام الصافي

حبس الفيل بالمغمس حتى ظلَّ يحبوا كأنه معقور
لازماً حلقة الجران كما قط رمى صخر ككب محدود^(١)
حواله من ملوك كندة أبطا ل ملاويث في الحروب صقور^(٢)
خلفوه ثم ابذعروا جميعاً كلهم عظم ساقه مكسور^(٣)
كل دين يوم القيامة عند الآ به إلا دين الحنيفة بور^(٤)
وقال الفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك ويهجو الحجاج بن يوسف:
فلما طغى الحجاج حين طغى به عنا قال إني مرتق في السلام^(٥)
فكان كما قال ابن نوح سأرتقى إلى جبل من خشية الماء عاصم^(٦)
رى الله في جثمانه مثل ماري عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنود تسوق الفيل حتى أعادهم هباءً وكانوا مطرَحِي الطراخم^(٧)
نصرت كنصر البيت إذ ساق فيه إليه عظيم المشركين الأعاجم
وقال عبد الله بن قيس الرقيات أحد بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر
أرهة والفيل :

كادَ الأثرم الذي جاء بالف سيل فوَّى وجيشه مهزوم
واستهلت عليهم الطير بالجنَّة دل حتى كأنه مرجوم^(٨)
ذاك من يفزه من الناس يرجع وهو فل من الجيوش ذميم

الذي يرى باطنه من ظاهره ، والمهاة البلورة ، والمهاة الطيبة (١) الجران العنق يريد القى بجرانه الى الأرض وهذا يقوى انه برك الا تراه يقول كما قطر من صخر ككب وهو جبل محدود أى حجر حدر حتى بلغ الأرض (٢) الملاويث والملاوث جمع ملاث وهو الملاذ السيد الشريف لأن الأمر يلاث به ويعصب أى تقرن به الأمور وتعتد (٣) ابذعروا : تفرقوا من ذعر وهى كلمة منحوتة من أصلين من البذر والذعر (٤) يريد بالحنيفة الأمة الحنيفة أى المسلمة التى على دين ابراهيم الحنيف صلى الله عليه وسلم وذلك انه حنف عن اليهودية والنصرانية أى عدل عنهما فسمى حنيفاً او حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه (٥) السلام جمع سلم كسكر المراقبة وقد تذكر وتجمع على سلايم أيضاً (٦) ابن نوح اسمه يام وقيل كنعان ، وعاصم اسم فاعل عصمه اذا حفظه وحماه (٧) المطرخم المثلث كبرا أو غضباً والطراخم جمع مطرخم (٨) بالجنندل كجعفر ما يقاله الرجل من الحجارة وتكسر الدال ، ومرجوم الرجم القتل والقذف والطرده ورمى بالحجارة

فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة وبه كان يكنى ، فلما هلك يكسوم بن أبرهة ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحميري وكان يكنى بأبي مرة فانتزع ملك اليمن من أيديهم بمعاونة كسرى وقد عدت قصة الفيل من آيات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، فإنه كان في زمانه حملاً في بطن أمه بمكة لأنه ولد بعد خمسين يوماً من الفيل وبعد موت أبيه في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ووافق من شهور الروم العشرين من شباط في السنة الثانية عشر من ملك هرمز ابن أنوشروان . وحكى أبو جعفر الطبرى : أن مولده كان لاثنتين وأربعين سنة من ملك أنوشروان فكانت آيته في ذلك من وجهين . أحدهما : أنهم لو ظفروا لسبوا واسترقوا فأهلكهم الله لصيانة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يجرى عليه السبي حملاً ووليداً . والثانى : أنه لم يكن لقريش من التآله ما يستحقون به دفع أصحاب الفيل عنهم ، وما هم أهل كتاب لأنهم كانوا بين يدي عابدين ، أو متدين وثن ، أو قائل بالزندقة ، أو مانع من الرجعة ، ولكن لما أراد الله تعالى من ظهور الإسلام تأسيساً للنبوة ، وتمظيماً للكعبة ، أن يجعلها قبلة للصلاة ، ومنسكاً للحج ولما انتشر في العرب ما صنع الله تعالى يجيش الفيل تهببوا الحرم ، وأعظموه وزادت حرمة في النفوس ، ودانت لقريش بالطاعة ، وقالوا : أهل الله قاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم ، فزادهم تشريفاً وتمظيماً . وقامت قريش لهم بالوفادة والسدانة والسقاية على ما سبق فصاروا أئمة ديانين ، وقادة متبوعين وصار أصحاب الفيل مثلاً في النابرين . وروى هشام بن محمد الكلبي عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خرج في الجاهلية تاجراً إلى الشام فرز بناع بن روح وكان عشيراً فأساء إليه في اجتيازه وأخذ مكسه ، فقال عمر بعد انفصاله :

متى أَلفَ زَباعَ بنِ رُوحِ بيلدة إلى النصف منها يقرع السن بالندم
ويعلم أنا من لؤى بن غالب مطاعين في الهيجا مضاريب في التهم

فبلغ ذلك زنباعاً فجhez جيشاً لغزو مكة فقتل له لإنها حرم الله ما أرادها أحد بسوء
إلا هلك كأصحاب الفيل فكف زنباع فقال :

تمنى أخو فهري لقاء ودونه قراضبة مثل الليوث الحواظر^(١)
فوالله لولا الله لا شيء غيره وكعبته راقت إليكم معاشري
لأقتل منكم كل كهل معمم وأسبي نساءً بين جمع الأباقر
فبلغ ذلك عمر رضوان الله تعالى عليه فأجابه وقال :

ألم تر أن الله أهلك من بنى علينا قديماً في قديم العاشر
وأردى أبا يكسوم أبرهة الذي أتانا مغيراً كالفنيق الحواظر^(٢)
بجمع كثير يُخرج العين وسطه على رأسه تاجٌ على رأس باكر
فما راعنا من ذلك العبد كيده وكنا به من بين لاه وساخر
وقال سأبنى البيت هدماً ولا أرى بمكة ماش بين تلك المشاعر^(٣)
فرداه رب العرش عنا رداءه ولم ينجه أعظامه بالمرائر
فأهلكه والتابعين له معاً وأسرى به من ناصر ومسامر
وليس لنا فاعلم وليس لبيتنا سوى الله من مولى عزيز وناصر
فدونك زرنا تلق مثل الذي لقوا جميعهم من دارعين وحاسر

وكان شأن الفيل رادعاً لكل باغ ، ودافعاً لكل طاغ ، وقد عاصر رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم في زمن نبوته وبعد هجرته جماعة شاهدوا الفيل ، وطير
الأبابيل^(٤) ، منهم حكيم بن حزام ، وحاطب بن عبد العزى ، ونوفل بن معاوية ،
لأن كل واحد من هؤلاء عاش مائة وعشرين سنة منها ستين سنة في الجاهلية ،
وستين سنة في الإسلام .

- (١) القراضبة : اللصوص الواحد قرضوب وقرضاب .
- (٢) الفنيق الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .
- (٣) المشاعر : مواضع المناسك والمشعر الحرام جبل بآخر مزدلفة واسمه قزح وميمه مفتوحة على المشهور وبعضهم يكسرها على التشبيه بالالة .
- (٤) فرق جمع بلا واحد .

سؤال وجواب

إن سأل سائل لم كان حبس الفيل في زمان الجاهلية عن مكة من الإفساد والإلحاد فيها ، ولم يمنع الحجاج بن يوسف الثقفي في زمان الإسلام عنها ، وقد نصب المنجنيق^(١) على الكعبة وأضر بها بالنار ، فقال فيها على ما حكى عنه :

كيف تراه ساطعاً^(٢) غباره والله فيما يزعمون جاره

وقال راميه بالمنجنيق :

قطارة مثل الفنيق المزيد أرى بها أعواد كل مسجد

وسفك فيها الدم الحرام ، وقتل عبد الله بن الزبير وأصحابه في المسجد ، وكيف لم يحبس عنها القرامطة ، وقد سلبوا الكعبة ، ونزعوا حليتها وقلموا الحجر ، وقتلوا العالم من الحاج وخيار المسلمين بحضرة الكعبة ؟

(الجواب) إن حبس الفيل في الجاهلية كان عاماً لنبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتنويرها بذكر آياته إذ كانوا عمار البيت وسكان الوادي فكان ذلك الصنيع إرهاباً^(٣) للنبوة وحجة عليهم في إثباتها فلو لم يقع الحبس عنها والذب عن حريمها لكان في ذلك أمران ، أحدهما : فناء أهل الحرم وهم الآباء والأسلاف لعامة المسلمين ، ولكافة من قام به الدين . والآخر : أن الله سبحانه أراد أن يقيم به الحجة عليهم في إثبات نبوة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وأن يجعله مقدمة لكونها وظهورها فيهم ، وكان مولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عامئذ

(١) معرب من جه نيك أي ما أجودني أو أنا شيء جيد لأنه لا يجتمع الحميم والقاف في كلمة عربية غير اسم صوت بكسر الميم كما في القاموس وضبطه أبو منصور بفتحها الة أرمى الحجارة بالمنجنوق ومنجنيق لغات فيه معربة وقيل الأقرب انه معرب منجل نيك ومنجل ما يفعل بالحيل وميمه زائدة وقيل أصلية ويدل على الأول قول بعض العرب كانت بيننا حروب عون تفتحاً فيها العيون مرة بمنجنيق وأخرى بوثيق ، وقيل النون زائدة والميم أصلية وعكسه وقيل هما أصليتان وقيل زائدتان كما فصل في التصريف كما في شفاء العليل (٢) أي مرتفعاً (٣) الإرهاب : الإثبات يقال ارهص الشيء اذا أثبته وأسسوه وهو مجاز ومنه ارهاص النبوة

وكانوا قوما عرباً أهل جاهلية ليست لهم بصيرة في العلم ، ولا تقدمة في الحكمة ، وإنما كانوا يعرفون من الأمور ما كان دركه من جهة الحس والمشاهدة ، فلو فلم يجز الأمر في ذلك على الوجه الذي جرى لم يكن يبقى في أيديهم شيء من دلائل النبوة تقوم به الحججة عليهم في ذلك الزمان . فأما وقد أظهر الله الدين ورفع أعلامه ، وشرح أدلته وأكثر أنصاره ، فلم يكن ما حدث عليها من ذلك الصنيع أمراً يضر بالدين ، أو يقدر في بصائر المسلمين ، وإنما كان ما حدث منه امتحاناً من الله سبحانه لعباده ليلو في ذلك صبرهم واجتهادهم وليقبلهم من كرامته ومغفرته ما هو أهل التفضل به ، والله يفعل ما يشاء وله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين . وما ذكرناه نبذةً سيرة مما كان عليه البلد الحرام ، وبقية أبحاثٍ يضيق عنها نطاق الأرقام ، فإن أردت زيادة على ما ذكرنا فعمليك (بشفاء الغرام ، باخبار البلد الحرام) لأبي الطيب محمد المكي المالكي عليه رحمة الملك العلام ، وكذلك تاريخ مكة للإمام الأزرق عليه الرحمة فإن فيهما البغية ^(١) لمن أراد الوقوف التام على أحوال مكة المكرمة .

أسواق العرب قبل الجاهلية

كان للعرب أسواق يقيمونها شهور السنة ويتقلون من بعضها إلى بعض ويحضرها سائر العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر . منها (دومة الجندل) كانوا ينزلونها أول يوم من ربيع الأول يجتمعون في أسواقها للبيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، وكانت المبايعات فيه يبيع الحصاة ، وهو من بيوع الجاهلية التي أبطلها الإسلام وفسر بأن يقول أحد المتبايعين للآخر ارم هذه الحصاة فعلى أي ثوب وقعت فهو لك بدرهم ، وفسر بأن يبيعه من أرضه قدر ما انتهت إليه رمية الحصاة ، وفسر بأن يقبض على كف من حصى ويقول لي بعدد ما خرج في القبضة من الشيء المنيع أو يبيعه سلعة ويقبض على كف من الحصى ويقول لي بكل حصاة ^(١) بالكسر الحاجة التي تبغيها ، وضمها لغة وقيل بالكسر الهيئة بالضم الحاجة

درهم ، وفسر بأن يمسك أحدهما حصة في يده ويقول أى وقت سقطت الحصة
وجب البيع ، وفسر بأن يتبايعا ويقول أحدهما إذا نبذت إليك الحصة فقد وجب
البيع ، وفسر بأن يمرض القطيع من الغنم فيأخذ حصة ويقول أى شاة أصابها
فهى لك بكذا . وهذه الصور كلها فاسدة لما تتضمن من أكل المال بالباطل ومن
الغرر والخطر الذى هو شبيه بالقمار ، ولذلك أبطلتها الشريعة . وكان أكيدر
صاحب دومة الجندل يعرى الناس ويقوم بأمرهم أول يوم فتقوم سوقهم إلى نصف الشهر .
وربما غلب على السوق بنو كلب فيمشوم ويتولى أمرهم يومئذ بمض رؤساء
بنى كلب فتقوم سوقهم إلى آخر الشهر . ومنها (سوق حجر) بفتح الحاء والجيم
اسم لجميع أرض البحرين ومنه المثل « كنبضع تمر إلى حجر » . وقول عمر رضى الله
تعالى عنه « عجبت لتاجر هجر » كأنه أراد لكثرة وبائه أو لركوب البحر .
وسمى بهذا الاسم بلد باليمن بينه وبين (عثَر) يوم وليلة مذكر معسوف وقد يؤنث
والنسبة هجرى وهاجرى والسوق الموضع الأول كانوا ينتقلون إليها في شهر ربيع
الآخر فتقوم سوقهم بها ، وكان يمشوم ويتولى أمرهم المنذر بن ساوى أحد بنى
عبد الله بن دارم . ومنها (سوق عمان) كغراب . ذكر في القاموس أنها بلد باليمن
ويصرف وكشداد بلد بالشام ولم يذكر الموضع الذى كان سوقاً ، وهو فى أرض
البحرين كانوا يرتحون من سوق هجر فتقوم بها سوقهم إلى أواخر جمادى الأولى ،
ومنها (سوق المشقر) كمعظم حصن بالبحرين كان فيه سوق للعرب تقوم من أول
يوم من جمادى الآخرة ، وكان ييمهم باللامسة والإيماء والمهممة خوف الحلف
والكذب . والمهممة : الكلام الخفى وكل صوت معه بحج . وبيع اللامسة
على أوجه وهى : أن يأتى بثوب مطوى أو فى ظلمة فيلمسه الستام فيقول له صاحب
الثوب : بعتك بكذا بشرط أن يقوم لسك مقام نظرك ولا خيار لك إذا رأيته .
الوجه الثانى : أن يجعلا نفس اللمس يبعاً بغير صيغة زائدة . الوجه الثالث : أن
يجعلا اللمس شرطاً فى قطع خيار المجلس وغيره ، وهو أيضاً من البيوع التى أبطلها

الإسلام كبيع المناذرة وهو أن يجعلا نفس النبد بيعاً كما تقدم في الملامسة ، أو أن يجعلا النبد بيعاً بغير صيغة ، أو أن يجعلا النبد قاطماً للخيار ومنها (سوق سُحار) بضم الصاد المهملة تقوم لعشر يمضين من رجب الفرد خمسة أيام . ومنها (الشجر) كالمنع ساحل البحر بين عمان وعدن ويكسر تقوم في النصف من شعبان ، وكان يبيعهم في هذه السوق أيضاً برى الحصاة وإلقاء الحجارة كما في سوق دومة الجندل . ومنها (سوق عدن أئين) كانوا يرتحلون من الشجر فينزلون هذا الموضع ، وعدن جزيرة في اليمن أقام بها (أئين) فنسبت إليه فتقوم سوقهم بها إلى أيام من رمضان فتشترى التجارات وأنواع الطيب ، ومنها (سوق صنعاء) كانوا إذا ارتحلوا من عدن والشجر تقوم سوقهم بصنعاء في النصف من شهر رمضان إلى آخره وصنعاء من أطيب بلاد اليمن ، ومنها كان يجلب الأدم^(١) والبرود ، وكانت تجلب إليها من معافر وهو بلد كان في اليمن ، وقد تقدم بعض الكلام على صنعاء . ومنها (سوق حضر موت) كانت تقوم في النصف من ذي القعدة يحضرها بعض القبائل من العرب والبعض منهم يحضر سوقاً أخرى تقوم في هذه الأيام أيضاً سيأتي ذكرها . ومنها (سوق ذي الحجاز) كانت بناحية عرفة إلى جانبها ، وعند الأزرق من طريق هشام بن الكلبي أنها كانت لهذيل على فرسخ من عرفة ، ووهم هنا صاحب الصحاح فإنه قال فيه ذو الحجاز موضع بمعى كان به سوق في الجاهلية لما رواه الطبراني عن مجاهد أنهم كانوا لا يبيعون ولا يبتاعون في الجاهلية بعرفة ولا بمعى ومنها (سوق مجنة) بفتح الميم وكسرها موضع قرب مكة ، وهو الذي عناه بلال رضى الله تعالى عنه بقوله متشوقاً إليه بعد الهجرة :

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

كانت تقوم سوقهم فيها قرب أيام موسم الحج . ويحضرها كثير من قبائل

(١) بفتحتين وبضميتين أيضاً جمع أديم وهو الجلد المدبوغ ، والبرود جمع برد بالضم وهو ثوب مخطط وكساء يلتحف به

العرب . ومنها (سوق حُباشة) بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة وبعد ألف شين معجمة . كانت في ديار بارق نحو (قنونا) بفتح القاف وبضم النون الخفيفة وبعد النون ألف مقصورة من مكة إلى جهة اليمن ، ولم تكن من مواسم الحج ، وإنما كانت تقام في شهر رجب . ومنها (سوق عكاظ) بضم المهملة وتخفيف الكاف وآخر ظاء معجمة بالصرف وعدمه . قال اللحياني : الصرف لأهلي الحجاز وعدمه لغة تميم . وهو موسم معروف للعرب بل كان من أعظم مواسمهم وأسواقهم وهو نخل في واد بين نخلة والطائف وهو إلى الطائف أقرب بينهما عشرة أميال ، وهو وراء (قرآن المنازل) بمرحلة من طريق صنعاء اليمن ، وكان المسكان الذي يجتمعون فيه منه يقال له الابتداء ، وكانت هناك صخور يطوفون حولها ، وكانوا يتبايعون فيها ويتما كظون^(١) ويتفاخرون ويتحاجون ، وتنشد الشعراء ما تجدد لهم وقد كثر ذلك في أشعارهم كقول حسان :

سأُنشِرُ إنْ حَيِّتُ لَهمْ كَلامًا يَنشُرُ في المَجامِعِ من عِكاظِ
وفيها كان يخطب كل خطيب مصقع . ومهم قس بن ساعدة الأيادي إذ
خطب خطبته الشهيرة هناك وهو على جملة الأورق ، وفيها علق القصائد السبع
الشهيرة افتخاراً بفصاحتها على من يحضر الموسم من شعراء القبائل إلى غير ذلك
وكان كل شريف إنما يحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ فإنهم كانوا يتوافون بها
من كل جهة فكان يأتيها قريش وهوازن وسليم والأحاشيش وعقيل والمصطلق
وطوائف من العرب . ومن كان له أسير سعى في فدائه ، ومن كانت له حكومة ارتفع
إلى الذي يقوم بأمر الحكومة . وكان الذي يقوم بأمر الحكومة في هذه السوق
أناس من بني تميم ، وكان أحدهم الأقرع بن حابس . ولما كانت هذه السوق مجمع القبائل
قال طريف بن تميم العنبري :

أَوْ كَلِّمًا وَرَدْتُ عِكاظَ قَبيلةٍ بَعثُوا إلى عَريِفِهِم بِتَوَسُّمِ^(٢)

(١) أي يتفاخرون

(٢) العريف : رئيس القوم لأنه عرف بذلك أو النقيب وهو دون

فتوسموني إني أنا ذلكم شاكى سلاحى فى الخواث مُعَلِّمٌ (١)
تحتى الأغرُّ وفوق جلدى نثرَةٌ زَغَفَ تَرَدَّ السيف وهو مثل (٢)
حولى أسيد والهجيم ومازنٌ وإذا حلتُ فحول بيتى حَصَمٌ (٣)
ولكل بكرى لى عداوةٌ وأبو ربيعة شانى لا محَلِّمٌ

وطريف هذا كان من مشاهير شجمان العرب وفرسانهم قتل مرة رجلا من بنى شيبان ثم حضر ذلك الموسم فأمن فيه النظر بعض أقارب ذلك المقتول . فسأله طريف عن السبب فقال أريد أن أعرفك فلعل أصادفك يوماً لأقتلك أو تقتلنى ، فأنشد طريف تلك الأبيات . وقد صادف ذلك الرجل طريفاً فى يوم من أيامهم فقتله وأخذ منه ثار قريبه ، وكانت بمكاظ وقائع مرة بعد مرة ، ولذلك يقول دريد ابن الصمة :

تغيبتُ عن يومى عكاظَ كليهما وإن يكُ يومٌ ثالثٌ أنغيب
وإن يكُ يومٌ رابعٌ لا أكن به وإن يكُ يومٌ خامسٌ أنجيب

وذكر أبو عبيدة أنه كان بمكاظ أربعة أيام : يوم شمطة ويوم المباءة ويوم شرب ويوم الحريرة ، وهى كلها من عكاظ قال : « فشمطة » من عكاظ هو الموضع الذى نزلت فيه قريش وحلفاؤها من بنى كنانة بعد يوم نخلة ، وهو أول يوم اقتتلوا فيه من أيام الفجار بحول على ما تواعدت عليه مع هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ولم يقتل من قريش أحد يذكر ، واعتزلت بكر بن عبد مناة بن كنانة إلى جبل يقال له (رخم) فلم يقتل منهم أحد ، وقال خدش بن زهير :

الرئيس ، والتوسم التخيل والتفرس وانما كان يتوسمه لأن فرسان العرب اذا كان أيام عكاظ فى الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضا تقنعوا حتى لا يعرفوا (١) شاكى السلاح : ذو شوكة وحد فى سلاحه ، واعلم نفسه وسمها بسيم الحرب (٢) الزغفة وقد يحرك : الدرع اللينة الواسعة المحكمة الرقيقة الحسنة السلاسل ، درع زغف ايضاً ، والنثرة : الدرع السلسلة الملبس او الواسعة (٣) حضم كضم الجمع الكثير من الناس

فأبلغ إن بلغت به هشاماً وعبد الله أبلغ والوليداً^(١)
بأنا يوم (شمطة) قد أقمنا عمود الدين إن له عموداً
ثم التقى الأحياء المذكورون على رأس الحول من شمطة « بالعباء » إلى جنب
عكاظ ، فكان لهوازن أيضاً على قريش وكنانة . قال خدش بن زهير :
ألم يبلغكم أنا جدعنا لدى العبلاء خندف بالقباد
ضربناهم بيطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد
ثم التقوا على رأس الحول وهو اليوم الرابع من يوم نخلة « بشرب » وشرب
من عكاظ ، ولم يكن بينهم يوم أعظم منه فخافت قريش وكنانة وقد كان تقدم
لهوازن عليهم يومان ، وقيد أبو سفيان وحرب ابنا أمية وأبو سفيان بن حرب أنفسهم
وقالوا لا يبرح منا رجل مكانه حتى يموت أو يظفر ، فانهزمت هوازن وقيس كلها
الابن نصر فإنها صبرت مع ثقيف ، وذلك أن (عكاظ) بلدهم لهم فيه نخل وأموال
فلم يفتنوا شيئاً ، ثم انهزموا وقتلت هوازن يومئذ قتلا ذريماً . قال أمية بن
أسكر الكناني :

الاسائل هوازن يوم لا قوا فوارس من كنانة معلمينا^(٢)
لدى شرب وقد جاشوا وجشنا فأوعب في النفير بنو أيبنا^(٣)

وقال

قومي اللذو بعكاظ طيروا شرراً من روس قومك ضرباً بالمصاقيل^(٤)

(١) حذف نون التوكيد من أبلغن للضرورة ومثله قول الشاعر :
يا راكباً بلغ اخواننا من كان من كندة أو وائل
وقول الآخر :

ان ابن احوص مفرور فبلغه في ساعديه اذا رام العلى نصر
ولا يجوز مثل هذا في سعة الكلام الا شاذاً نحو قراءة ابي جعفر المنصور
الم شرح لك صدرك بفتح الحاء
(٢) المعلم الذي اعلم نفسه اى وسمها بسيماء الحرب (٣) او عب القوم
اذا حشدوا (٤) الشرر بفتح السين هو اما جمع شررة وهو ما نطير من النار
وكذلك الشرار والشرارة واما مصدر شررت يارجل بفتح الراء وكسرها شرا
وشررا وشرارة من الشر نقيض الخير ، وقوله من روس ومك بحذف الهمزة

ثم التقوا على رأس الحول « بِالْحَرِيرَةِ » وهي جرة إلى جنب عكاظ مما يلي
مهب جنوبها فكان لهوازن على قريش وكنانة . وكانت تقوم هذه السوق في قول
أول ذى القعدة إلى عشرين منه ثم يتوجهون إلى مكة فيقفون بعرفات ويقضون
مناسك الحج ثم يرجعون إلى أوطانهم . وفي قول آخر : أنهم كانوا يقيمون به جميع
شوال إلى غير ذلك من الأقوال المختلفة ، ولعل ذلك لاختلاف المادة في السنين
أو لاختلاف القبائل في الإقامة في هذا الموسم . والذي عليه صاحب قبائل العرب
أنهم كانوا يقيمون في هذه السوق من نصف ذى القعدة إلى آخره فإذا أهل ذوالحجة
أتوا (ذا الحجاز) وهو قريب من عكاظ على ما سبق فتقوم سوقه إلى التروية
وهو اليوم الثامن من ذى الحجة سمي بيوم التروية لأنهم كانوا يرتون فيه من
الماء لما بعد ، أو لأن إبراهيم عليه السلام كان يتروى ويتفكر في رؤياه فيه .
وفي التاسع عرف وفي العاشر استعمل ثم يصيرون إلى منى وتقوم سوق (نطاة)
بخيبر ونطاة عين أو حصن بخيبر . وسوق (حَجْرٍ) بفتح الهمة وسكون الجيم
يوم عاشوراء إلى آخر المحرم . ولم تزل هذه الأسواق قائمة في الإسلام إلى أن كان
أول ما ترك منها سوق عكاظ في زمن خروج الخوارج الحورية بمكة مع المختار بن
عوف سنة تسع وعشرين ومائة فنهبها فتركت إلى الآن . وأخذت سوقاً بعد
الفيل بخمس عشرة سنة وكان آخر ما ترك من الأسواق المذكورة سوق (حُباشة)
في زمن داود بن عيسى بن موسى العباسي في سنة سبع وتسعين ومائة . والله أعلم
بحقائق الأمور .

مجتمعات العرب في جاهليتهم

أما المجتمعات في غير هذه الأسواق فهي كثيرة الأنواع والأقسام لا يمكن استيعابها

من رؤس ، والمصاقيل جمع مصقول من الصقل وهو جلاء الحديد وتحديده
أى جعله قاطعاً أراد كل آلة حديد من السلاح مثل السيف والسنان وفي البيت
شاهد على أن النون تحذف من اللدنون

في مثل هذا المقام . منها ما كان لمحض الأنا ، وتنشيط الأنا ، وذكر ما سلف لهم من الحروب والوقائع ، وتناشد الشعر والقريض ونحو ذلك من الكلام الذي تبهج له الطبائع . وهذا الحال لا يكون غالباً إلا في الليالي ، وبعد الاستراحة واستقرار البال ، كما يدل عليه لفظ المسامرة فإن السمر هو المتحدث في الليل والمحاورة . ولله در العرب ، فقد كان لهم من دقيق الفكر ما يوجب العجب ، فإن النهار ولا سيما في الغدو وهو وقت السعى وطلب المعاش وزمان قضاء مصلحة وتكسب وانتعاش ، وهم كانوا يسمعون فيه بما لهم من المصالح والأشغال ، ولا يقضونه في اللهو والبطالة والقيال والقال ، وهذا بمكس ما عليه أهل زماننا من قبيح العوائد ، فتراهم يقضون نفائس الأوقات في كل ما عرى عن الفوائد ، ولذلك تأخروا في الفضائل ، وحرموا والأمر لله تعالى من الصفات الجليلة وجميل السمائل . وأما العرب الأولون فقد ملأوا بطون الدفاتر ، بما كان لهم من المفاخر والمآثر ، وكانوا يتحلقون إذا اجتمعوا من النادى في طرف ، وربما كان وسط الحلقة من ينتهى إليه الشرف ، وإذا أراد أحدهم ذكر حادث غريب ، وإلقاء كلام عجيب ، قام وتلاه على القوم كما يفعل الخطيب ، وإذا حدث شخص آخر مس لحيته في أثناء مخاطبته ، وتناولها بيده في حال محاورته ، وذلك شكل من أشكال العرب وعادة من عاداتهم ، يفعل الرجل ذلك بصاحبه إذا حدثه ويجرى ذلك مجرى الملاطفة من بعضهم لبعض في معتقداتهم كما نبه على ذلك الخطابي في شرح السنن .

« ومنها » ما كان للمذاكرة والمشاورة في تدارك حرب أو إغارة على قوم آخرين فإنهم لا يتحركون حركة في ذلك إلا بعد أن يجتمع أهل الحل والعقد في محل مخصوص كقبة ينصبها لهم من تكفل بأمرها لأجل ذلك كما أشرنا إليه سابقاً ، وعند الاجتماع تدور بينهم أقذاح المذاكرة فما يستقر عليه الرأي يعمل بموجبه ولا يتخلف أحد عنه . « ومنها » ما كان لأجل الحكومة وفصل الدعاوى والمنازعات التي كانت تقع بينهم كما كانوا يجتمعون في دار الندوة وهي دار قضى

ابن كلاب وهو الذي بناها وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، وفيها كانت قريش تقضي أمورها تيمناً بأمر قصي^١ ، فاستنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش ولا يتشاورون في أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا فيها يعقده لهم بعض ولد قصي^٢ ، وما تدرع جارية من قريش إذا بانفت أن تدرع إلا في داره يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها . وكان لا يعذر غلام إلا فيها^(١) ، ولا تفصل خصومة بينهم إلا هناك . قال الكلبي : وهي أول دار بنيث بمكة ثم تتابع الناس فبنوا من الدور ما استوطنوه ، وكلما قربوا من عصر الإسلام ازدادوا قوة وكثرة عدد حتى دانت لهم العرب وصار أمر قصي في قريش كالدين المتبع . وسميت الندوة لأنهم كانوا ينتدون فيها أي يجتمعون للخير والشر . وفي القاموس النادى والندوة والمنتدى مجلس القوم نهاراً أو المجلس ماداموا مجتمعين فيه . وكانت لقريش أندية حول الكعبة يجتمعون فيها كما في السيرة المشامية ويتذاكرون في أمور تخصهم . وكان عبد المطلب يجلس في ظل الكعبة على فراش معد له لا يجلس عليه أحد غيره احتراماً له وإجلالاً لقدره . وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس وهو صغير بجانب جده ولا يدع أحداً يمنعه . وكان يقول : سيكون لابني هذا شأن فكان كما قال بل فوق ما كان يتصوره ويرجوه .

« ومنها » ما كان لطلب مثوبة واتماظ بوعظ كما كانت قريش في الجاهلية تجتمع إلى كعب بن لؤي بن غالب وهو جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم السابع في كل جمعة فيخطب فيه على قريش فيقول على ما حكاه الزبير بن بكار :
أما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا . ليل^(٢) داج^(٣) ونهار صاح ، والأرض والسماء بناء ، والجبال أوتاد ، والنجوم أعلام ، والأولون كالأخريين ،

عذر الغلام والجارية من باب ضرب ختنه فهو معذور واعذرت به بالالف لغة

أي مظلم

فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وثمروا أموالكم ، فهل رأيتم من هالك رجع
أو ميت انتشر ، والدار أمامكم ، والظن غير ما تقولون . وكان يذكركم بمبعث
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويعلمهم بأنه من ولده ويأمرهم باتباعه ، ويقول :
زينوا حرمكم وعظموه ، فسيأتي له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم ، ثم ينشد :

نهارٌ وليل كل أوبٍ تجاذب سواً علينا ليل ونهارها
يثوبان بالأحداث حين تأوبا وبالنعم الضافي علينا ستورها
صروف وأبناء تقلب أهلها لها عقدٌ ما يستحل مريرها
على غفلةٍ يأتي النبي محمدٌ فيخبر أخباراً صدوقاً خيرها

ثم يقول : أما والله لئن كنت فيها ذاسم وبصر ويد ورجل لتنصبت فيها تنصب
الجل ، ولأرقلت فيها أرقال^(١) الفحل ، ثم يقول :

يا ليتني شاهد فحواء دعوته حين المشيرة تبغى الحق خذلانا

وهذا من فطن الإلهامات التي تخيلتها العقول فصدقت ، وتصورتها النفوس
فتحققت ، ويقال : هو الذي سمي يوم العروبة يوم الجمعة . وهو أول من نقلها إلى ماهو
التداول ، لاجتماع الناس إليه في كل جمعة . وقد كانت العرب العاربة تسمى أيام
الأسبوع بأسماء غير هذه الأسماء المتداولة بين الناس اليوم . وكانوا يسمون الأحد
أول ، والإثنين أهون ، والثلاثاء جباراً ، والأربعاء دباراً ، والخميس مونساً ، والجمعة
ماسبق ، والسبت شياراً ، ويقال في أهون أو هن وأوهد وفي شيار الفتح والكسر ،
وقد نظم ذلك بعضهم بقوله :

أؤملُ أن أعيش وأن يوى بأوّل أو بأهون أو جبار
أو التالي دبار فإن أفته فونس فالعروبة أو شيار

أي إني أؤمل البقاء في الدنيا والعيش فيها ، ولا بد من الموت في يوم من هذه

(١) هو ضرب سريع من السير .

الأيام ولا محالة وهذا سفه من الرأى ، فينبغى للحازم أن لا يؤمل البقاء وكل يوم من أيام الأسبوع محتمل أن يكون غاية الأجل وللعمر فيه ختام وانقضاء . وكذلك وضعت العرب لساعات النهار والليل أسماء غير ما هو المتعارف ، وهى الدور ثم البروع ثم الضحى ثم الغزاة ثم المهاجرة ثم الزوال ثم اللؤل ثم العصر ثم الأصيل ثم الصبوب ثم الحدود ثم الغروب ويقال فيها أيضاً البكور ثم الشروق ثم الإشراق ثم الراد ثم الضحى ثم المتوع ثم المهاجرة ثم الأصيل ثم العصر ثم الطفل ثم المشى ثم الغروب ، ذكر هاتين الروايتين ابن النحاس فى كتابه الذى سماه (صناعة الكتاب) . ويقال : إن أول من قسم النهار اثنتى عشرة ساعة آدم عليه السلام : وضمن ذلك وصيته لابنه شيث عليه السلام وعرفه ماوظف عليه فى كل ساعة من عمل وعبادة . وأما ساعات الليل فهى الشاهد ثم الفسق ثم العتمة ثم الفحمة ثم الموهن ثم القطع ثم الجوسر ثم العبكة ثم التباشير ثم الفجر الأول ثم المعترض ثم الإسفار . وفى كتب اللغة أسماء آخر لساعات الليل والنهار فلتراجع . وكذلك كانوا يسمون الأشهر بأسماء غير ما نعلمها اليوم وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى فى الكلام على النسب ، وقيل فى سبب تسمية يوم العروبة بيوم الجمعة أن الأنصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه بعد كل ستة أيام وللنصارى كذلك فلهما نجمل لنا يوماً نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلى ، فقالوا : يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكروهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه ، فأنزل الله تعالى سورة الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الإسلام . وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهى أنه لما قدم المدينة مهاجراً نزل على قبيلة بنى عمرو بن عوف ، وأقام عندهم يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وانتبش مسجدهم . ثم خرج يوم الجمعة قاصداً المدينة فأدركته الصلاة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم فخطب وصلى بهم الجمعة . وحكى السهليل فى كتاب شرح السيرة النبوية : أن يوم الجمعة كان

يسمى بهذا الاسم قبل أن تصلى الأنصار الجمعة وأنه لما كان اليوم الذي جمع فيه خلق آدم عليه السلام سمي بهذا الاسم . قال أهل اللغة : السبت القطع ، ومنه يوم السبت لانقطاع خلق الأشياء فيه . وحكى أيضاً أن هذه الأسماء المتداولة مروية عن أهل الكتاب وأن العرب المستعربة لما جاورتهم أخذتها عنهم ، وأن الناس لم يكونوا يعرفون ذلك إلا الأسماء التي وضعتها العرب العاربة والأسماء التي وضعتها السريان وهي (أبجد ، هوز ، حطى ، كلن ، سعفص ، قرشت) ، ولم يذكرها سابقاً وذكرها أنها أسماء الأيام التي حتى خلق الله تعالى فيها سائر المخلوقات علويها وسفليها . وهذا القول مذكور في كتاب ابن النحاس أيضاً وكأن السهيلي نقله منه .

« ومنها » ما كان لحلف وعقد معاهدة كما اجتمعت قريش في الجاهلية حين كثر فيهم الزعماء وانتشرت فيهم الرياسة وشاهدوا من التغالب والتجاذب ما لم يكفهم عنه سلطان قاهر فمقدوا حلفاً على رد المظالم ، وإنصاف المظلوم من الظالم . وكان سببه ما حكاه الزبير بن بكار : أن رجلاً من اليمن من بني زبيد قدم مكة معتمراً يبضاعة فاشتراها منه رجل من بني سهم ، وقيل إنه العاص بن وائل فلولى الرجل بحقه فسأله ماله أو متاعه فامتنع عليه فقام على الحجر ، وأنشد بأعلى صوته :

يال قصي^(١) لمظلوم بضاعته يبطن مكة نائي الدار والنفر
وأشعث محرم لم تقض حرمة بين المقام وبين الحجر والحجر
أفأتم من بني سهم بذمتهم أو ذاهب في ضلال مال معتمر

ثم إن قيس بن شيببة السلمي باع متاعاً على أبي بن خلف فلواه وذهب بحقه فاستجار
برجل من بني جمح فلم يجره ، فقال قيس :

يال قصي كيف هذا في الحرم وحرمة البيت وأحلاف الكرم

أظلم من لا يمنع عنى الظلم

فأجابه العباس بن مرداس السلمي^(٢) :

(١) ويروى عنه يال فهر . (٢) جدّه أبو عامر بن حارثة أحد بني سليم

إن كان جارك لم ينفعك ذمتهُ وقد شربت بكأس النذل أنفاسا
فأت البيوت وكن من أهلها صددا لاتلق تأديبهم فحشاً ولا باسا
ومن يكن بفناء البيت معتصما يلق ابن حرب ويلق المرء عباسا
قوى قريش بأخلاق مكملة بالمجد والحزم ماعاشا وما ساسا
ساق الحجيج وهذا ناشر فلج والمجد يورث أحماسا وأسداسا

قام أبو سفيان والعباس بن عبد المطلب فرد عليه ماله ، واجتمعت بطون قريش
فتجالفوا في دار عبد الله بن جدعان على رد المظالم بمكة وأن لا يظلم أحد إلا ممنوه
وأخذوا للمظلوم حقه ، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ معهم قبل
النبوة ، وكان إذ ذاك ابن خمس وعشرين سنة فمقدوا حلف الفضول في دار ابن
جُدعان فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذا كراً للحال : لقد شهدت في
دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى إليه
في الإسلام لأجبت . وأتى بقصته وما يزيد الإسلام إلا شدة ، فقال بمض قريش
في هذا الحلف :

تيم بن مرة إن سألت وهاشما وزهرة الخير في دار ابن جدعان
متحالفين على الندى ما غررت ورقاء في فنن من جَدَع كتمان

وهذا وإن كان فعلا جاهليا دعتهم إليه السياسة فقد صار بحضور رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم له وما قاله في تأكيد أمره حكما شرعياً ، وفعلا نبوياً ،
وكما اجتمعوا على الحلف الشهير (بحلف المطيبين) وقد مرت الإشارة إليه عند
الكلام على مكة شرفها الله تعالى . وهو على ما في السيرة الهشامية نقل عن ابن
إسحق : أن قصي بن كلاب لما هلك أقام أمره في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده
فاختطوا مكة رباعا بعد الذي كان قطع لقومه بها . فكانوا يقطعونها في قومهم

ابن منصور و أمه الخنساء الشاعرز بنت عمرو بن الشريد وكان العباس فارسا
شاعرا مخضرا ما شديد العارضة والبيان سيدا في قومه من كلا طرفيه وقد
الى النبي (ص) وأسلم وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه .

وفي غيرهم من حلفائهم ويديمونهم فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بني عبد مناف بن قصي بن عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفلا أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار قصي مما كان قصي جعل إلى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلتهم في قومهم ، فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق من بني الدار لمكانهم في قومهم . وكانت طائفة مع بني عبد الدار يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصي جعل إليهم فكان صاحب أمر بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف ، وكان صاحب بني عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان بنو أسد ابن عبد العزى بن قصي . وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تميم بن مرة بن كعب وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر مع بني عبد مناف ، وكان بنو مخزوم ابن يقظة بن مرة ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص كعب ، وبنو جمح بن عمرو ابن هصيص بن كعب ، وبنو عدى بن كعب مع بني عبد الدار ، وخرحت عامر ابن لؤي ومحارب بن فهر فلم يكونوا مع واحد من الفريقين . فعقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً ما لبَّ ببحر صوفه^(١) ، فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها فتماقدوا وتماهدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم

(١) هذا من الإبديات لامن الأمثال كما زعم بعضهم وحكى اللحياني ما لب البحر صوفة والظاهر أن هاء صوفة فيه للتأنيث كهاء ثمرة وأن المراد بذلك القطعة من الصوف المعروف وذكر بعض أهل اللغة أنه يحتمل أن تكون الهاء هاء الضمير وحمل صوف البحر على شيء يكون فيه يشبه الصوف المعروف من وجه ويسمى سحاب البحر وغمامة والزبد الطرى وقيل هو الطحلب ويسمى غزل الماء كما قال الطبيب داود الضرير ورجح الأول بأن السفنج المتبادر منه البحر المالح بخلاف الطحلب فإنه يكون في مناقع الماء مطلقاً فالأوفق بالإضافة في صوف البحر إرادة ما كان مختصاً وبأن شبه السفنج للصوف الحيواني أقوى من شبه الطحلب له ، والاظهر أن الهاء للتأنيث والصوفة قطعة من الصوف المعروف .

فسموا المطيين . وتعاهد بنو عبد الدار وتعاهدواهم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً بالأحلاف . ثم سوند بين القبائل ولزم بعضها ببعض فعميت بنو عبد مناف لبني سهم ، وعميت بنو أسد لبني عبد الدار ، وعميت زهرة لبني جمح ، وعميت بنو تيم لبني مخزوم وعميت بنو الحارث بن فهر لبني عدى بن كعب . ثم قالوا لتغز كل قبيلة من أسند إليها فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجز الناس عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزد إلا شدة . وبقى لهم اجتماعات كثيرة مذكورة في كتب السير والتواريخ

السلام على مفاخرات العرب في الجاهلية وضايفاتهم

اعلم أن الفخر هو المباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان . وفي القاموس : الفخر والفخار والفخارة بفتح الفاء التمدح بالخصال كالافتخار ، وتفأخر القوم فخر بعضهم على بعض ، وفأخرهم مفاخرة وفخارة عارضه بالفخر ففخره كنصره غلبه ، وفخره عليه كنع فضلته عليه في الفخر كأفخره عليه . والمفخرة وتضم ما فخر به انتهى . والفخر نهاية الحق عند من نظر بعين عقله ، وانحسر عنه قناع جهله . وقد أبطلته الشريعة المحمدية ، ونهت عن تعاطيه بالكلية ، فإن أعراض الدنيا عارية مستردة لا يؤمن كل ساعة أن ترجع . فاللباهي بها مباءٍ بغير ثراه ، ومتبجح بما في نظر سواه ، كالفاجرة تبجح بزبيها بل هو دون ذلك ، فقد قال بعض الحكماء لئثر يفتخر بترائه : إن افتخرت بفرسك فالحسن والفراة له دونك ، وإن افتخرت بأبائك فالفضل فيهم لأفيك ، ولو تكلمت هذه الأشياء لقات هذه محاسننا فالك

من الحسن ؟ وأيضاً فالأعراض الدنيوية سحابة صيف عن قليل تقشع ، وظل زائل عن قليل يضمحل ، كما قال الشاعر :

إنما الدنيا كرؤيا فرّحتْ من رآها ساعة ثم انقضت

بل كما قال الله عز وجل « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض » . فإن افتخرت فافتخر بمعرفة غير خارجة عنك ، وإذا أمجبتك من الدنيا شيء فاذكر فناءك وبقائه ، أو بقاءك وزواله أو فناءك جميعاً ، فإذا أرابك ما هو لك ، فانظر إلى قرب خروجه من يدك ، وبعد رجوعه إليك ، وطول حسابك عليه ، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر . وقد ذم الله تعالى الفخور ، بقوله « والله لا يحب كل مختال فخور » وتفاخر حيان من قريش بنو عدنان وبنو سهم وتكاثروا بالسيادة والإشراف بالإسلام فقال كل حتى منهم : نحن أكثر سيدياً ، وأعظم رجلاً ، وأكثر قائدأ ، فإن التكاثر التفاعل فيكون من اثنين يقول كل واحد منهما لصاحبه أنا أكثر منك مالا وأعزُّ نقرأً فكثروا بنو عبد مناف بنو سهم ، ثم تكاثروا بالأموال فكثرتهم بهم فنزل « أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ » قاله الكلبي . وعن أبي بردة : أنها نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار : في بني حارثة وبني الحارث ، تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداها : فيكم مثل فلان وفلان . وقال الآخرون مثل ذلك . تفاخروا بالأحياء ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور فجملت إحدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان يشيرون إلى القبر ومثل فلان ، وفعل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله تعالى « أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ » ردع وزجر لهم وتنبهه على أنهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة وفيه وعيد شديد ، وفي ذلك دليل على أن الاستغال بالدنيا والمكاثرة بها والمفاخرة فيها من الحصل المذمومة . والعرب لم يكن لهم في الجاهلية من يردعهم ويكفهم عن سفاسف الأمور وذم الأهل إلا أنهم كانوا في زمان فترة من الرسل والأنبياء فلم يكن لهم وقوف على غايات الأمور

والمواقب المحمودة وما يترتب عليه الثواب والعقاب من الفعل الحسن والقبیح ، وكان غالب مفاخراتهم بالشجاعة والكرم والوفاء ونحو ذلك ، وها أنا ذا كرم من مفاخراتهم ومنافراتهم لَمَعاً لَأَنى لو تفصّيت ذلك لأفئيت العمر دون الجزء الذى لا يتجزى منه قلة ، فأقول : نقل عن أبى عبدة أنه قدم على النعمان بن المنذر وفود ربيعة ومضر ابني نزار ، فكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام ابن قيس والحوفزان بن شريك البكران . وفيمن قدم عليه من وفد مضر من قيس ابن عيلان عامر بن مالك وعامر بن الطفيل . ومن تميم قيس بن عاصم والأقرع بن حابس فلما انتهوا إلى النعمان أكرمهم وحباهم ، وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً يطعم فيه معهم ويشرب ، وكان إذا وضع الشراب سقى النعمان فن بدى به على أثره فهو أفضل الوفد فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر إلى النعمان من الذى يأمرها أن تسقيه وتفضله من الوفد فنظر في وجهها ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه وأنشأ يقول :

اسقى وفودك بما كنت ساقيتى وابدئ بكأس ابن ذى الجدِّين بسطام
أغرَّ ينميه من شيبان ذو أنف حامي النمارِ وعن أعراضها رام
قد كان قيس بن مسعود ووالده تبدأ الملوك به أيام أيام
فارضوا بما فعل النعمان في مضرٍ وفي ربيعة من تعظيم أقوام
هم الجاجيم والأذئاب غيرهم فارضوا بذلك أو بوهوا بإرغام
فقال عامر بن الطفيل :

كان التتابع في دهرهم سلف وابن المرارِ وأملاك على الشام
حتى انتهى الملك من لخم إلى ملك بادئ السنان لمن لم يرمه رام
أنحى علينا بأظفار فطوفنا طوق الحمام بإتماس وإرغام
إن يمكن الله في يومٍ يشاء به تركك وحدك تدعور هط بسطام
فانظر إلى الصيد لم يحموك من مضر هل في ربيعة إن لم تدعنا حام

فأجابه بسطام بن قيس فقال :

لعمري لئن صحت تميمٌ وعامرٌ لقد كنت قديماً في حلوقهم شجياً
أروني كسمودٍ وقيسٍ وخالدٍ وعمرو وعبد الله ذى الباع والندي
فكانوا على افناء بكر بن وائل ربيماً إذا ما سال سائلهم جدا
وسرتُ على آثارهم غير تاركٍ وصيتهم حتى انتهيت إلى المدى

« وروى عن ابن الكلبي » أنه قال : قال كسرى للنعمان بن المنذر يوماً : هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة ، قال : نعم ، قال فبأي شيء ؟ قال : من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكال رابع فالبيت من قبيلته فيه وتنسب إليه . قال : فاطلب ذلك فطلبه فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر وآل ذى الجدين وآل الأشعث بن قيس بن كندة فجمع الجميع ومن معهم من عشائهم وأقدم لهم الحكام والمدول وقال : ليتسكلم كل رجل منكم بماثر قومه وليصدق ، فكان حذيفة بن بدر أول متسكلم ، وكان السن القوم ، فقال : قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم ، والعز الأعظم ، وماثر للصنيع الأكرم . فقال من حوله : ولم ذاك يا أخا فزارة ؟ قال . ألسنا الدعائم التي لا ترام ، والعز الذي لا يضيأ ؟ قيل له : صدقت . ثم قام شاعرهم فقال .

فزارة بيت العز والعز فيهمُ فزارة قيس حسب قيس نضالها
لها العزة القمساء والحسب الذي بناه لقيس في القديم رجالها
فن ذاً إذا مد الأوكف إلى الملا يمد بأخرى مثلنا فينالها
فهيات قد أعي القرون التي مضت ماثر قيس مجدها وفعلها
وهل أحدٌ إن مدَّ يوماً بكفه إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها
فإن يصلحوا يصلح لذلك جيمنا وإن يفسدوا يفسد على الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقرايته بالنعمان ، فقال : لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر ، وقديم زحفها الأكبر ، وأنا

غيات اللزبات^(١) . فقالوا : لم يا أخا كندة ؟ قال . لأننا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه ، وتقلدنا منكبه الأعظم ، وتوسطنا بحبويه^(٢) الأكرم ، ثم قام شاعرهم فقال

إذا قست آبيات الرجال بيتنا وجدت له فضلاً على من يفاخر
فمن قال . كلا أو أتانا بخطبة ينافرنا يوماً فنحن نخطا
تعالوا فعدوا يعلم الناس أيتنا له الفضل فيما أورثته الأكار

ثم قام بسطام بن قيس فقال . قد علمت العرب أنا بُناة بيتها الذي لا يزول ، ومغرس عزها الذي لا يحول . قالوا . ولم يا أخا شيبان ؟ قال . لأننا أدركهم للنار ، وأضربهم للملك الجبار ، وأقولهم للحق ، وألدم للخصم . ثم قام شاعرهم فقال :

لعمري بسطام أحق بفضلها وأول بيت العز عز القبائل
فسائل أبيت اللعن عن عز قومها إذا جدَّ يوم الفخر كل مناصل
فيخبرك الأقوام عنها فإنها وقائم ليست نهزة للقبائل
ألستا أعز الناس قوماً وأسرة وأضربهم للكبش بين القبائل^(٣)
وقائم عز كلها رعيّة تذل لهم فيها رقاب المحافل
إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها وعاذ بها من شرها كل فائل
وأنا ملوك الناس في كل بلدة إذا نزلت بالناس إحدى النوازل

ثم قام حاجب بن زرارة التيمي فقال . قد علمت العرب أنا فرع دعامتها ، وقادة زحفها . قالوا . ولم ذلك يا أخا بني تميم ؟ قال . لأننا أكثر الناس عديداً ، وأنجهم طراً وليداً ، وأعطاهم للجزيل ، وأحملهم للثقل . ثم قام شاعرهم فقال :

ولقد علمت أبناء خندف أننا لنا العزُّ قد مآفي الخطوب الأوائل
وأنا كرام أهل مجد وثروة وعز قديم ليس بالمتضائل
فكم فيهم من سيد وابن سيد أغر نجيب ذي فعال ونائل

(١) لزبات بالتسكين جمع لزبة وهي الشدة . (٢) بحبوحة الشيء وسطه

(٣) الكبش : سيد القوم وقائدهم .

فسائل أبيتَ اللعنَ عنا فإننا دعائم هذا الناس عند الجلائل
ثم قام قيس بن عاصم السمدى فقال : لقد علم هؤلاء أنا أرفمهم في الكرمات
دعائم ، وأثبتهم في النائبات مقادم . قالوا : ولم ذلك يا أبا بنى سعد ؟ قال : لأنا
أدركهم للثأر ، وأمنهم للجار ، وأنا لا نكحل إذا حملنا ، ولا نرام إذا حملنا . ثم
قام شاعرهم فقال :

لقد علمت قيسٌ وخندفُ أننا وجل تميم والجوع التي ترى
بأنا عماد في الأمور وأنا لنا الشرف الضخم المركب في الندى
وأنا ليوث البأس في كل مأزق إذا جزّ بالبيض الجاحم والكلا
وأنا إذا داعٍ دعانا لنجدة أجبنا سراعاً في العلام من دعا
فمن ذا ليوم الفخر يعدل عاصماً وقيساً إذا مد الألف إلى العلا ؟
فهيئات قد أعيأ الجميعَ فعالمهم وفاتوا بيوم الفخر مسعاةً من سعى

فقال كسرى حينئذ ايس منهم إلا سيد يصلح لموضعه ، وأسنى حباءهم ،
وأعظم صلاتهم « وافتنخر » رجلان يباب معاوية بن أبي سفيان أحدهما من بني
شيبان والآخر من بني عامر بن صعصعة . فقال العامرى : أنا أعد لك عشرة
من بني عامر ، فمد على عشرة من بني شيبان . فقال الشيباني هات إذا شئت .
فقال العامرى : خذ عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، والطفيل بن مالك قائد
هوازن ، وفارس قردل ، ومعاوية بن مالك معوذ الحكاء ، وربيعة بن مالك
فارس ذى علق ، وعامر بن الطفيل ، وعاقمة بن علاثة وعتبة بن سنان ، ويزيد
ابن الصق وأربد بن قيس وهو أربد الختوف . فقال الشيباني . خذ قيس بن
مسعود رهينة بكر بن وائل ، وهانىء ابن قبيصة أمين النعمان بن المنذر ، وقبيصة
ابن مسعود وافد المنذر ، ومفرق ابن عمرو^(١) حاضن الأيتام ، وسنان بن
مفروق ضامن الدمن ، والأصم عمرو بن قيس صاحب روس بنى تميم ، وعمران
ابن مرة الذى أسرى يزيد بن الصق مرتين ، وعوف ابن النعمان : فقال معاوية :
(١) وسيابى قريبا : مفروق بن عمران فانظر أيهما أصوب .

عامر أفخر هوازن ، وشيبان أفخر بكر بن وائل ، وقد كفا كما الله المؤنة . هذان رجلان من غير قوم كما عندى يحكان بينكما . عدى بن حاتم . وشريك بن الأعرور الحارثى . ثم قال معاوية للشيباني . من تبعاً لعامر بن مالك . قال أصم بن أبي ربيعة : الذى قتل من تميم مائة رجل على دم . فقال معاوية للرجلين : ما تقولان ؟ قالوا : رجح الأصم على عامر بن مالك . قال معاوية : فمن تبعاً لعامر بن الطفيل قال الشيباني : الحوفزان بن شريك . فقال الحكمان : رجح الحوفزان . قال : فمن تبعاً لعقمة بن علاثة ؟ قال الشيباني : بسطام بن قيس . فنظر معاوية إلى الحكمان فقالوا : رجح بسطام بن قيس . قال معاوية : فمن تبعاً لعقمة بن سنان ؟ فقال الشيباني : معروق بن عمران بن مرة . فقالوا له : رجح مفروق . قال معاوية : فمن تبعاً للطفيل بن مالك ؟ قال الشيباني : عمران ابن مرة . فقالا رجح عمران بن مرة . قال فمن تبعاً لمعاوية بن مالك ؟ قال الشيباني عوف بن النعمان . فقالا : رجح عوف بن النعمان . قال فمن تبعاً لعوف بن الأحوص ؟ قال قبيصة بن مسعود . فقالا . رجح قبيصة . قال فمن تبعاً لربيعة بن مالك ؟ قال : هانيء بن قبيصة . قال معاوية : فمن تبعاً ليزيد بن الصمق ، قال : سنان بن مفروق . قال فمن تبعاً لأربد بن قيس ؟ قال الأسود بن شريك . فقال معاوية للشيباني : فأين نسيب قيس بن مسعود ؟ قال : أصلحك الله ليس من هذه الطبقة فإنهم قيس مجدأ وطولاً فقال العامرى فى ذلك :

أعدّ إذا عدت أبراء	وكان علا على الأقوام فضلاً
وكان الجعفرى أبو على	إذا ما هاجت الهيجا علا
ووالده الذى حدث عنه	طفيلٌ خيرنا يقعا وكهلاً
وكان معوذ الحكما المبارى	رياح الصيف أعلى القوم فعلاً
وقد أورت زناد أبى ليبد	ربيعة يوم ذى علق فأبلاً
وعلقمة بن الأحوص كان كهفا	كلايياً رحيباً الباع سهلاً

وعتبه والأعسرّ يزيد إني رأيتهما لكل الفخر أهلا
وعوفا ثم أرْبِدَ ذا المعالي كنى بهما عليك ندى وبذلا
أولئك من كلاب في ذُرَاهَا وخير قُرومها حَسَبًا ونَبِلا
فقال الشيباني مجيئاً له :

أعدّ إذا عددت أبا خفافٍ وعمرانَ بن مُرَّةَ والأصمّا
وهائينا الذي حدثت عنه وكان قبضة الأنف الأشمّا
ومفروقاً وذا النجدات عوقاً وبسطاما ووالده الخضمّا
وأسود كان خيريني شريك ولم يكُ قرنه كبشاً أجمّا
أولئك من عكابة خير بكر وأكرم من يديك أبا وأمّا
وأفضل من ينص إلى المعالي إذا ما حصلوا خلاً وعمّا
وأكثر قومهم بالشر طوقاً وأبعد قومهم في الخير همّا

فقال معاوية للحكّين : ما تقولان ؟ قال : شيبان أكرم الحيين . فقال معاوية :
وذاك قولي فأكرمهما وحبهما ، وفضل الشيباني على العامري .

وصن صديقتي زى الجبرين

أن الملك النعمان قال : لأعطينّ أفضل العرب مائةً من الإبل فلما أصبح
الناس اجتمعوا لذلك ولم يك ابن مسعود فيهم وأراده قومه على أن ينطلق فقال
لا لئن كان يريد بها غيري لا أشهد ذلك وإن كان يريدني بها لأعطينها . فلما رأى
النعمان اجتماع الناس قال : ليس صاحبها شاهداً . فلما كان من الغد ، قال له قومه :
انطلق فانطلق . فقدمها الملك إليه . فقال حاجب بن زرارة أبيت اللعن ما هو بأحق
بها مني . فقال قيس بن مسعود : أنافره عن أكرمنا قعيدةً ، وأحسننا أدب ناقة
وأكرم لثيم قوم . فبعث معهما النعمان من ينظر في ذلك ، فلما انتهيا إلى بادية
حاجب بن زرارة مروا على رجل من قومه فقال حاجب : هذا الأُمّ قومي وهو

فلان بن فلان والرجل عند حوضه يورد إبله فأقبلوا إليه فقالا : يا عبد الله دعنا
فلنستق فإننا قد هلكنا عطشا وأهلكنا ظهورنا فتجههم وأبى عليهم فلما أعيامهم
قالوا لحاجب أسفر فسفر ، فقال : أنا حاجب بن زرارة فدعنا فلنشرب . قال :
أنت ؟ فلا مرحبا بك ولا أهلا فأتوا بيته فقالوا لا مرآته هل من منزل يا أمة الله ؟
قالت : والله مارب المنزل شاهد أو ما عندنا من منزل وأرادوها على ذلك فأبت
ثم أتوا رجلا من بكر بن وائل على ماء يورد فقال قيس : هذا والله الأم قومي فلما
وقفوا عليه قالوا مثل ما قالوا للآخر فأبى عليهم وهم أن يضربهم . فقال له قيس
ابن مسعود : ويحك أنا قيس بن مسعود فقال له : مرحباً وأهلاً أورد . ثم أتوا بيته
فوجدوا فيه امرأته قدرها تَغَطُّ^(١) فلما رأت الركب من بعيد أنزلت القدر
وتردت ، فلما اتهموا إليها قالوا : هل عندك يا أمة الله منزل ؟ قالت : نعم أنزلوا
في الرحب والسعة فلما نزلوا وطعموا وارتحلوا أخذوا ناقتيهما فأناخوها على
قريتين للنمل ، فأما ناقة قيس بن مسعود فتصورت^(٢) وتقلبت ثم لم تنز^(٣) .
وأما ناقة حاجب فكثت وثبتت حتى إذا قالوا قد اطمانت طفقت هاربة ،
فأتوا الملك فأخبروه بذلك فقال له قد كنت يا قيس ذا جد فأنت اليوم ذو جدين ،
فبذلك سمي ذا الجدين . وقيل : إنما سمي بذلك لأسيرين أسرها مرتين . وقيل
بل سبق في سبقين هكذا جاءت الرواية . والذي أعرف أنا أن ذا الجدين إنما هو
عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام سمي بذلك لأنه اشترى كعب بن مامة من
أيدي قوم عنزيين وكنم نفسه وعرفه عبد الله أنه لم يشتريه إلا عن معرفة فوهبه
كل مالقي في طريقه من إبل أبيه بعبداها وكانت سوداً وحمراً وصهباً ، وبلغ
به إلى أبيه ، فأجاز له ذلك وأعطاه قبته بما فيها ، فلما آتى الحيرة قال بمض من رأه
لصاحبه : أنه لذو جد . قال الآخر : بل هو ذو جدين فسمى بذلك .

(١) أى تصوت وذلك عند اشتداد غليانها . (٢) التصور : الصياح والتلوى
عند الضرب أو الجوع . (٣) من ثار يشور .

مفاخرة يمن ومصر

قال الأبرش الكلبى لخالد بن صفوان : هلمّ أفأخرك وهما عند هشام بن عبد الملك فقال له خالد : قل ، فقال الأبرش : لنا ربع البيت يريد الركن اليماني ، ومنا حاتم طيء ، ومنا المهلب ابن أبي صفرة . قال خالد بن صفوان : منا النبي المرسل ، وفينا الكتاب المنزل ، ولنا الخليفة المؤمل . قال الأبرش : لافاخرت مضريا بعدك . ونزل بأبي العباس قوم من اليمن من أخواله من كلب ففخروا عنده بتقديمهم وحديثهم فقال هشام لخالد بن صفوان : أجب القوم فقال : أخوال أمير المؤمنين . قال : لا بد أن تقول قال : وما أقول لقوم يا أمير المؤمنين هم بين خائك بُرد ، وسائس قرد ، ودابغ جلد ، دل عليهم هُدُودٌ ، وملكتهم امرأة ، وغرقهم فارة ، فلم يثبت لهم بعدها قاعة .

مفاخرة الأوس والخزرج

تفاخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة ابن الراهب ، ومنا عاصم بن الأفلح الذي حمت لحمه الدبر^(١) ، ومنا ذو الشهادتين خزيمه بن ثابت ، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد بن معاذ . قالت الخزرج : منا أربعة قرءوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقرأه غيرهم زيد بن ثابت وأبو زيد ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب سيد القراء ، ومنا الذي أیده الله روح القدس في شعره حسان بن ثابت .

المنافرات الشريفة التي وقعت بين العرب في الجاهلية

« منها منافرة عامر بن عاقمة » كانت العرب في الجاهلية إذا تنازع الرجلان منهم في الشرف تنافرا إلى حكائهم وسندكرهم إن شاء الله قريبا فيفضلون

(١) جماعة النحل والزنابير .

الأشرف . ونافر معناه حاكم في النسب وسميت منافرةً لأنهم كانوا يقولون عند
المفاخرة إنا أعز نفرأ . وقد ألف أبو عبيدة وغيره من الأئمة البارعين في اللغة
كتباً في منافرات العرب ، وأشهر منافرة كانت في الجاهلية منافرة عامر بن
الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب مع علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص
ابن جعفر حين قال له علقمة : الرياسة لجدى الأحوص ، وإنما صارت إلى عمك
أبي براء من أجله ، وقد استسن عمك وقعد عنها فأنا أولى بها منك وإن شئت
نافرتك . فقال له عامر : قد شئت والله لأنا أشرف منك حسباً ، وأثبت منك
نسباً ، وأطول قصباً فقال . علقمة : أنا فرك وإني كبرٌ وإنك لفاجر ، وإني لولود
وإنك لعافر ، وإني لوف وإنك لغادر . فقال : عامر : أنا فرك أنى اسمي منك سمة ،
وأطول قة ، وأحسن لمة ، وأجمد حمة ، وأبعد همة ، فقال علقمة : أنا جميل وأنت
قبيح ، ولكن أنا فرك أنا أولى بالخيرات منك . فخرجت أم عامر فقالت : نافر
أيكاً أولى بالخيرات . ففعلوا على أن جعلوا مائة من الإبل يعطيها الحكم الذي
ينفر عليه ، صاحبه ، فخرج علقمة ببني خالد بن جعفر وبني الأحوص ومعهما القباب
والجزر والقذور وينحرون في كل منزل ويطعمون ، وخرج عامر ببني مالك وقال :
إنها لمقارعة عن أحسابكم ، فاشخصوا بمثل ماشخصوا به . وقال لعمه أبي براء أعنى
فقال سبني ، فقال : كيف أسبك وأنت عمي . فقال : وأنا لأسب الأحوص وهو عمي
ولم ينهض معه ، فجعلتا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ثم إلى أبي جهل
ابن هشام فلم يقولا بينهما شيئاً ، ثم رجعا إلى هرم بن قطبة بن سنان الفزاري .
فقال : نعم لأحكمن بينكما فأعطياني موثقاً أطمئن به أن ترضيا بحكمي وتسلما لما
قضيت بينكما ففعلما فأقاما عنده ، أياماً ، ثم أرسل إلى عامر فأتاه سرأ فقال : قد كنت
أحسب أن لك رأياً وأن فيك خيراً ، وما حبستك هذه المدة إلا لتنصرف عن
صاحبك ، أنتافر رجلاً لا تفخر أنت ولا قومك إلا بأبائه فما الذي أنت به خير منه ؟
فقال عامر : نشدتك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة فوالله لئن فعلت لا أفلاح

بعدها أبداً هذه ناصيتي فاجزؤها واحتكم في مالي فإن كنت لا بد فاعلا فسوّ بيني وبينه . فقال : انصرف فسوف أرى من آرائى . فانصرف عامر وهو لا يشك أنه ينفره عليه ، ثم أرسل إلى علقمة سراً فقال له ما قال لعامر ، وقال له : أتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب وأبوه أبوك ، وهو مع ذلك أعظم منك غناء وأحمد لقاء ، وأسمح سماحاً ، فما الذى أنت به خير منه ؟ فرد عليه علقمة ما رد به عامر وانصرف وهو لا يشك أنه ينفر عامراً عليه فأرسل هرم إلى بنيه وبنى أخيه وقال لهم : إني قائل فيهم غداً مقالة فإذا فرغت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينجرها عن علقمة وليطرد بضعكم مثلها فلينجرها عن عامر وفرقوا بين الناس لا يكونوا بينهم جماعة ، ثم أصبح هرم فجلس مجلسه وأقبل عامر وعلقمة حتى جلسا فقال هرم . إنكما يا ابني جعفر قد تحاكمتما عندي وأنتما كركبتي البعير الأدرم الفحل تقعان الأرض وليس فيكما واحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلاكما سيد كريم ، ولم يفضل واحداً منهما على صاحبه لكيلا يجلب بذلك شراً بين الحيين ونجر الجزر وفرق على الناس ، وعاش هرم حتى أدرك خلافة عمر . فقال : يا هرم أى الرجلين كنت مفضلاً لو فعلت ؟ قال : لو قلت ذلك اليوم عادت جذعة ولبلغت شعفات هجر . فقال عمر : نعم مستودع السر أنت يا هرم مثلك فليستودع المشيرة أسرارهم . والحكاية طويلة قد اختصرناها . وقال فيه الأعشى :

حكمتوه قفضى بينكم أبلج مثل القمر الباهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن الخاسر

هذا ما وجدناه في أول شرح المقامات الحبرية للشريشى . وقد شرحها بأكثر من هذا مرتين أو ثلاثاً الأصبهاني في الأغاني^(١) فقال : قال ابن الكلبي حدثني أبى ومخير بن جعفر وجعفر بن كلاب الجعفرى عن بشر بن عبد الله بن حبان ابن سلمى بن مالك بن جعفر عن أبيه عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين قالوا :

أول ما هاج النفار بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، وبين علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص ، وأم عامر كبشة بنت عروة الرحال بن عتبة بن جعفر ، وأمها أم الطباء بنت معاوية فارس الهراز بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة ، وأمها خالدة بنت جعفر بن كلاب ، وأمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وأم أبيه الطفيل أم البنين بنت ربيعة بن عامر بن صعصعه . قال أبو الحسن الأثرم : وكانت أم علقمة ليلي بنت أبي سفیان بن هلال بن النخع سبية وأم أبيه ماوية بنت عبد الله ابن الشيطان بن بكر بن عوف بن النخع مهيرة ، وذكر أن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول فبصر به عامر فقال لم أرَ كالليوم عورة رجل أقبیح . فقال علقمة : أما والله ما وثبت على جاراتها ولا تنازل كنفاتها يعرض بعامر . فقال عامر : وما أنت والقروم والله لفرس أبي حيوة أذكر من أبيك ولفحل أبي غيَّهب أعظم ذكراً منك في نجد . قال : وكان فرسه فرساً جواداً نجبا عليه يوم نبى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان وكان فحله فحلا لبنى حرملة بن الأشعر بن صرمة بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان . قال الأثرم : وأخبرني رجل من جهينة بدمشق قال هو الأشعر بن صرمة . قال الأثرم : وسمى صرمة غيَّهب لسواده . قال ابن الكلبي : فاستماره منهم يستطرقه فغلبهم عليه . فقال علقمة : أما فرسكم فمارة وأما فحلكم ففندرة ولكن إن شئت نافرتك . فقال : قد شئت . فقال عامر : والله لآنا أكرم منك حسباً ، وأثبت منك نسباً ، وأطول منك قصباً . فقال علقمة : لآنا خير منك ليلاً ونهاراً . فقال عامر : لآنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك . فقال عامر : أنا فرك على أني أنحرج منك للثقاح ، وخير منك في الصباح ، وأطعم منك في السنة الشياح . فقال علقمة : أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أني جبان ولأن تلقى العدو وأنا أمامك أعزلك من أن تلقاهم وأنا خلفك وأنت جواد والناس يزعمون أني بخيل ولست كذلك ، ولكن أنا فرك أني خير منك أثراً ، وأحد منك بصراً ، وأعز منك نفراً ، وأشرف منك ذكراً . فقال عامر : ليس لبنى الأحوص فضل على بني مالك

في المدد ، وبصرى ناقص وبصرى صحيح ، ولكنى أنافرك على أنى أنشر منك أمة ، وأطول منك قمة ، وأحسن منك لمة ، وأجعد منك حمة ، وأبمد منك همة . قال علقمة : أنت رجل جسيم ، وأنا رجل قصير ، وأنت جميل وأنا قبيح ، ولكنى أنافرك بأبائى وأعمامى ، فقال عامر : أبأؤك أعمامى ، ولم أكن لأنافرك بهم ، ولكنى أنافرك أنى خير منك عقبا ، وأطعم منك جبدا . قال علقمة : قد علمت أن لك عقبا فى العشيرة ، وقد أطعمت طيبا إذ سارت ، ولكنى أنافرك أنى خير منك ، وأدلى بالخيرات منك ، وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم . قال : فخرجت أم عامر وكانت تسمع كلامهما فقالت : يا عامر نافره أيكما أولى بالخيرات . قال أبو المنذر : قال أبو مسكين قال عامر فى مراجعته والله لأنا أركبُ منك فى الحماة ، وأقل منك للسكاه ، وخير منك للمولى والمولاه . فقال له علقمة : والله إنى كبرُ وإنك لفاجر ، وإنى لوفى وإنك لفادر ، ففيم تفاخرنى يا عامر ، فقال عامر : والله إنى لأنزلُ منك للقفرة ، وأنحر منك للبكرة ، وأطعم منك للهيرة ^(١) ، وأطمن منك للشفرة ، فقال علقمة : والله إنك لكليل البصر . نكد النظر ، وثاب على جاراتك بالسحر . فقال بنو خالد بن جعفر وكانوا يدا مع بنى الأحوص على بنى مالك بن جعفر : لن تطيق عامرا ولكن قل له أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات ، وخذ عليه بالكبر . قال له علقمة هذا القول . فقال عامر (غير وتيس وتيس وعز) فذهبت مثلاً ، نعم على مائة من الإبل إلى مائة من الإبل يمطاها الحكم أيننا نفر عليه صاحبه أخرجها ، ففعلوا ذلك ووضعوا بها رهنا من أبنائهم على يد رجل من بنى الوحيد ، فسمى الضمين إلى الساعة وهو الكفيل . قال : وخرج علقمة ومن معه من بنى خالد وخرج عامر فيمن معه من بنى مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عامر بن مالك وهو أبو براء . فقال : يا عماء أعنى . فقال يا ابن أخى : سبنى . فقال لا أسبك وأنت عمى قال : فسب الأحوص . فقال عامر : ولا أسب والله الأحوص وهو عمى . فقال :

(١) القطعة من اللحم

دونك نعلي فأني قد ربعت فيها أربمين مرّباعاً^(١) فاستمن بها في تفارك ، وجملا منافرتهما إلى أبي سفیان بن حرب بن أمية فلم يقل بينهما شيئاً وكره ذلك لخالها وحال عشيرتهما وقال : أنما كركبتي البمير الأدرم . قال : فأينا اليمين فقال كلا كما يمين . وأني أن يقضى بينهما فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام فأبى أن يحكم بينهما فوثب مروان بن سراقه بن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر فقال :

يالَ قريشِ بينوا الكلاما إنا رَضِينا منكم الأحكاما
فبينوا إن كنتم حُكَّامًا كانَ أبونا لهم إماما
وعبد عمرو منع الفئاما في يوم نخر معاً إعلاما^(٢)
ودعج أقدمه إقداما لولا الذي أجشمهم إجماما
* لاتخذتهم مَدْحِجُ نعاما *

قال : فأبوا أن يقولوا بينهما شيئاً وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش فأتيا عيينة بن حصن بن حذيفة فأبى أن يقول بينهما شيئاً ، فأتيا غيلان بن سلامي ابن معتب الثقفي فردها إلى حرملة بن الأشعر المري فردها إلى هرم بن قطبة ابن سنان بن عمرو الفزاري فانطلقا حتى نزلا به . وقال بشر بن عبد الله بن حبان ابن سلم : إنهما ساقا الإبل معهما حتى أشنت وأربت لاياتيان أحداً إلا هاب أن يقضى بينهما فقال هرم : لعمري لأحكمن بينكما ثم لأفضلن ثم لست أثق إلى أحد منكما فأعطيني موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول وتساما لما قضيت بينكما وأمرهما بالانصراف ووعدها ذلك اليوم من قابل فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل خرجا إليه ، فخرج علقمة بنى الأحوص فلم يتخلف منهم أحد معهم القباب والجزر والقذور وينحرون في كل منزل ويطعمون ، وجمع عامر بنى مالك فقال : إنما تخاطرون عن أحسابكم فأجابه وساروا معه ولم ينهض أبو براء معه وقال لعامر : والله لا تطلع ثنية إلا وجدت الأحوص منيخاً بها وكره أبو براء ما كان من أمرها . فقال عامر فيما

(١) ربع الغنيمة كان رئيس القوم يأخذه لنفسه في الجاهلية

(٢) الفئام : الجماعة من الناس

كان من منافرتيها ودعا عامر إياه أن يسير معه .
أَوْمِرُ أَنْ أَسْبَّ أَبَا شَرِيحٍ وَلَا وَاللَّهِ أَفْعَلُ مَا حَيَّتُ
وَلَا أَهْدِي إِلَى هَرَمٍ لِقَاحًا فَيَحْيَا بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ يَمِيتُ
أَكْفَسَى لِقَمَانَ بْنَ عَادٍ فَيَا لِأَبِي شَرِيحٍ مَا لَقَيْتُ
قَالَ : وَأَبُو شَرِيحٍ هُوَ الْأَحْوَصُ فَكِرَهُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْبَطْنَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا . وَقَالَ
عَبْدُ عَمْرٍو بْنُ شَرِيحٍ بْنِ الْأَحْوَصِ :

لِحَا اللَّهِ وَفَدِينَا وَمَا أَرْتَحِلَا بِهِ مِنْ السُّوءِ الْبَاقِي عَلَيْهِمْ وَبَالِهَا
إِلَّا إِنَّمَا بَرَدِي صَفَاقٌ مَتِينَةٌ أَبِي الضَّمِيمِ أَعْلَاهَا وَأَثْبَتُ حَالَهَا
قَالَ : فَسَارَ عَامِرٌ وَبَنُو عَامِرٍ عَلَى الْخَيْلِ مَجْنِيهِ الْإِبِلِ وَعَلَيْهِمُ السَّلَاحُ . فَقَالَ
رَجُلٌ مِنْ غَنِيٍّ : يَا عَامِرُ مَا صَنَعْتَ أَخْرَجْتَ بَنِي مَالِكٍ تَنَافَرُوا بَنِي الْأَحْوَصِ وَمَعَهُمُ
الْقَبَابُ وَالْجُزْرُ وَلَيْسَ مَعَكَ شَيْءٌ تَطْعَمُهُ النَّاسُ مَا أَسْوَأُ مَا صَنَعْتَ ! فَقَالَ عَامِرٌ لِرَجُلَيْنِ
مِنْ بَنِي عَمَةٍ : أَحْصِيَا كُلَّ شَيْءٍ مَعَ عَلْقَمَةَ مِنْ قَبَةِ أَوْ قَدْرَ أَوْ لَقْمَةَ . ففَعَلَا ، فَقَالَ عَامِرُ :
يَا بَنِي مَالِكٍ إِنِّي الْقَارِعَةُ عَنْ أَحْسَابِكُمْ فَاشْخَصُوا بِمِثْلِ مَا شَخَصُوا بِهِ ففَعَلُوا وَثَارَ مَعَهُ
عَامِرُ لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ وَالْأَعَشَى ، وَمَعَ عَلْقَمَةَ الْحَطِيطَةَ وَفَتَيَانَ مِنْ بَنِي الْأَحْوَصِ مِنْهُمْ
السَّنْدَرِيُّ بْنُ يَزِيدَ بْنِ شَرِيحٍ وَمَرْوَانَ بْنَ سَرَّاقَةَ بْنَ قَتَادَةَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْأَحْوَصِ وَهُمْ
يَرْتَجِزُونَ ، فَقَالَ لَبِيدُ :

يَا هَرَمٌ وَأَنْتَ أَهْلُ عَدْلٍ إِنَّ نَفَرَ الْأَحْوَصِ يَوْمًا قَبْلِي
لِيَذْهَبَنَّ أَهْلُهُ بِأَهْلِي لَا يَجْمَعُنَّ شِكْلَهُمْ وَشِكْلِي
وَنَسْلَ آبَائِهِمْ وَنَسْلِي

وقال أيضاً :

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ عَلِقَمٌ قَدْ نَافَرْتُ غَيْرَ مَنْفَرٍ
نَافَرْتُ سَقْبًا مِنْ سَقَابِ الْعَرَعْرِ

فقال تخافة بن عوف بن الأحوص :

نَهْنِهْ إِلَيْكَ الشَّعْرُ يَا لِبَيْدُ وَاصْدَدُ قَدِّ يَنْفَعُكَ الصَّدُودُ
سَادَ أَبُوْنَا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا سُوْدُكُمْ مَطْرَفُ زَهِيْدٍ
وَقَالَ أَيْضًا :

إِنِّي إِذَا أَكْنَيْتُ الْجَبَاءَ وَضَاعَ يَوْمَ الشَّهْدِ اللُّوَاءُ
أُنْمِي وَقَدْ حَقَّ لِي النَّمَاءُ إِلَى كَهَوْلٍ ذَكَرَهَا سِنَاءُ
إِذْ لَا يَزَالُ جِلْدُهُ كَوْمَاءُ مَبْقُورَةٌ لَسِقِبِهَا رِغَاءُ
لَمْ يَنْهِنَا عَنْ نَحْرِهَا الصَّفَاءُ لَنَا عَلَيْكُمْ سُورَةُ وِلَاءِ
الْمَجْدِ وَالسُّوْدُ وَالْمَطَاءِ

وَقَالَ أَيْضًا :

أَنْتُمْ عَزَلْتُمْ عَامَرَ بْنَ مَالِكٍ فِي سِنَوَاتٍ مُضِرَّ الْهُوَالِكِ
يَا شَرَّ نَاحِيَا وَشَرَّ هَالِكِ

قَالَ : وَأَنْشَدَهَا السَّنْدَرِيُّ يَوْمَئِذٍ وَرَفَعَ صَوْتَهُ قَقِيلًا : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ :

أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَ صَوْتِي السَّنْدَرِيُّ أَنَا الْفَتَى الْجَمْدُ الطَّوِيلُ الْجَعْفَرِيُّ
مَنْ وَلَدَ الْأَحْوَصَ أَخْوَالَ غَنِيٍّ

فَقَالَ عَامَرٌ : أَجِبْ يَا لِبَيْدُ فَرُغْ لِبَيْدٍ عَنِ إِجَابَتِهِ وَذَلِكَ لِأَنَّ السَّنْدَرِيَّ كَانَتْ جَدَّتُهُ

أُمَّةً اسْمُهَا (عِيْسَاءُ) فَقَالَ :

لِمَا دَعَانِي عَامَرٌ لِأَجِيْبِيهِ
لَكِي لَا يَكُونُ السَّنْدَرِيُّ نَدِيدَتِي
وَأَنْشَرُ مِنْ نَحْتِ الْقُبُورِ أُبُوَّةً
لَمَبْتٍ عَلَى أَكْتَانِفِهِمْ وَحَجُورِهِمْ
أَيُّهَا مَا كَانَ شَرًّا لِمَالِكِ
فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا مَلُومًا وَلَا أُمَّةً

قَالَ وَوَثِبَ الْحَطِيئَةُ فَقَالَ :

مَا يَحْبِسُ الْحُكَّامَ بِالْفِصْلِ بَعْدَمَا
بَدَأَ سَابِقُ ذُو غُرَّةٍ وَحَجُولُ

وقال أيضاً :

يا عامُ قد كنتَ ذابح ومكرمة لو أن مسعاة من جاريتيه أممُ
جاريت قرماً أجاد الأحوصان به سمح اليدين وفي عرنيته شممُ
لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه ولا يبيت لمعوبٍ له قسم
هابت بنو مالك مجداً ومكرمةً وغاية كان فيها الموت لو قدموا
وما أساءوا فراراً عن مجلحة لا كاهن يمتري فيها ولا حكمُ

قال : وأقام القوم عنده أياماً ، وأرسل إلى عامر فأتاه سرّاً لا يعلم به علقمة . فقال يا عامر : قد كنت أرى لك رأياً وإن فيك خيراً ، وما حبستك هذه الأيام إلا لتتصرف عن صاحبك أتفاخر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلا بأبائه ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟ قال عامر نشدتك الله والرحم أن لا تفضل عليّ علقمة فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبداً هذه ناصيتي فاجزئها واحتكم في مالي فإن كنت لا بدّ فاعلاً فسوّ بيني وبينه . قال : انصرف فسوف أرى رأيي فخرج عامر وهو لا يشك أنه ينفره عليه . ثم أرسل إلى علقمة سرّاً لا يعلم به عامر فأتاه فقال يا علقمة : والله إن كنت لأحسب فيك خيراً وإن لك رأياً وما حبستك هذه الأيام إلا لتتصرف عن صاحبك ، أتفاخر رجلاً في النسب وأبوه أبوك ، وهو مع هذا أعظم قومك غناءً ، وأحمدهم لقاءً ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة : أنشدك الله والرحم أن لا تنفر عليّ عامراً أجزز ناصيتي واحتكم في مالي وإن كنت لا بدّ أن تفعل فسوّ بيني وبينه . فقال : انصرف فسوف أرى رأيي فخرج وهو لا يشك أنه سيفضل عليه عامراً .. قال أبي : وسمعت أن هرماً قال لعامر حين دعاه يا عامر كيف تفاضل علقمة ؟ فقال عامر : ولهم يا هرم ؟ قال : لأنه أنجل منك عيناً في النساء ، وأكثر منك نفيراً عند ثورة الدعاء ، قال عامر : هل غير هذا ؟ قال : نعم هو أكثر منك نائلاً في الثراء ، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء . ثم قال لعلقمة : كيف تفاضل عامراً ؟ قال . ولهم يا هرم ؟ قال : هو أنفذ منك لساناً ، وأمضى منك سناناً . قال علقمة : فهل غير هذا ؟ قال . نعم هو أقتل منك للسكاة ، وأفك

منك للعناة . قال : ثم إن هرما أرسل إلى بنيه وبنى أبيه إلى قائل غداً بين هذين
الرجلين مقالة فإذا فمات فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينجرها عن علقمة ويطرد
بعضكم عشر جزائر ولينجرها عن عامر وفرقوا بين الناس لا تكونوا لهم جماعة .
وأصبح هرم فجلس مجلسه ، وأقبل الناس وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقام
ليبد فقال :

يا هرْمُ ابن الأكرمين منصبا إنك قد وليت حكما معجبا
فاحكم وصبوبُ رأَى من تصوبا إنَّ الذي يعلو عليها ترتبا^(١)
خيرنا عمًّا وأمًّا وأبا وعامرٌ خيرها مركبا
وعامر أدنى لقيس نسبا

فقام هرم فقال . يا بني جعفر قد تحاكتما عندي وأنما كركبتى البعير الأذرم
تفمان إلى الأرض معاً وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلا كما سيد
كريم . وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر فنجروها حيث أمرهم هرم عن
علقمة عشراً وعن عامر عشراً وفرقوا الناس فلم يفضل هرم أحداً على صاحبه
وكره أن يفعل وهما ابنا عم فيجلب بذلك عداوةً ويوقع بين الحين شراً . قال .
وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معدى كرب بما أعطاه طلب الجوار
والخفرة من علقمة فلم يكن عنده ما طلب ، وأجاره وخفّره عامر حتى أداه وماله
إلى أهله . قال .

علقم ما أنت إلى عامرٍ الناقص الأوتار والواتر^(٢)

(١) الترتب الدائم الثابت كذا في نسخة الأصل (٢) من أبيات أعشى بن
قيس بن ثعلبة يمدح عن مر بن المظفيل ويهجو علقمة بن علاثة وبمعه :

ان تسد الحوص فلم تصدهم	وعامر سداد بنى عامر
عهدي بها في الحى قد درعت	صفراء مثل المهرة الضامر
قد حجم التدى على نجرها	في مشرق ذى بهجة ناضر
لو استندت ميتا الى نجرها	عاش ولم ينقل الى قابر
حتى يقول الناس مما راوا	ياعجبا للميت الناشر

ثم أتمها بمد النفار فلما بلغ علقمة ما قال الأعشى وأشاع في العرب أن هرما قد فضل عامراً ؛ توعد الأعشى فقال الأعشى : (لعمري لئن أمسى من الحى شاخصاً) قال ابن الكلبي : حدثني أبي قال فماش هرم حتى أدرك سلطان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسأله أى الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت ؟ فقال : لو قلت ذلك يا أمير أمير المؤمنين لعادت جذعة ، ولبانت شفاف هجز . فقال : نِعْمَ مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ وَمُسْنَدُ الْأَمْرِ إِلَيْهِ أَنْتَ يَا هَرَمَ ، مثل هذا فليُسَدِ العَشِيرَةَ . وقال : إلى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم . قال أبو الفرج الأصبهاني : وقد أدرك علقمة ابن علاثة الإسلام فأسلم ثم ارتد فيمن ارتد من العرب ، فلما وجه أبو بكر خالد بن الوليد إلى بنى كلاب ليوقع بهم وعلقمة يومئذ رئيسهم هرب وأسلم ، ثم أتى أبا بكر رضى الله تعالى عنه فأعلمه أنه قد نزع عما كان عليه فقبل إسلامه وأمنه ، وهكذا ذكر المدائني . وأما سيف بن عمر فإنه روى عن الكوفيين غير ذلك والله تعالى أعلم .

سافرة بين فزارة وبنى هلال

إن بنى فزارة وبنى هلال تنافراً إلى أنس بن مدرك ، وتراضوا به فقالت بنو هلال : يا بنى فزارة أكلتم أير الحمار . فقال بنو فزارة : لم نعرفه . وكان سبب ذلك أن ثلاثة اصطحبوا فزاري وتغلبى وكلابى فصادفوا حمار وحش ، ومضى الفزاري في بعض حوائجه فطبخها وأكلا وخبأ للفزاري أير الحمار ، فلما رجع قال له قد خبأنا لك سهمك فكل ، وأقبل يأكل ولا يسميه فجعلوا يضحكان ففطن وأخذ السيف وقام إليهما وقال : لتأكلان منه وإلا قتلتكما فامتتما فضرب أحدهما فقتله وتناول الآخر فأكل منه ولذلك روى بنو فزارة بأكل أير الحمار قال الكمي ابن ثعلبة .

نشدتك يا فزاراً وأنت شيخ إذا خيرت تحطىء في الحيار

أصيحانيةٌ أدمتُ بِسَمَنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ الْحَمَارِ
بلى أَيْرُ الْحَمَارِ وَخَصِيَّتَاهُ أَحَبُّ إِلَى فَزَارَةَ مِنْ فَزَارِ

قوله نشدتك أراد به نشدتك بالله أى ذكرتك به واستمطفتك به لتخبرنى عما أسألك ويقال أيضاً نشدتك الله من باب نصر والخيار هو الاختيار . وقوله أصيحانية أدمت : أى أتمرة صيحانية والصحيانى تمر معروف بالمدينة ويقال كان كبش اسمه صيحان بمهملتين شدّ بنخلة فنسبت إليه وقيل صيحانية : وأدمت : من الأدام يقال أدمت الخبز إذا أصلحت إساغته بالأدام وهو ما يؤتدم به مائماً كان أو جامداً . ولكون هذه الأبيات فيها خفاء أشرنا إلى تفسير مبهماتهما . . فقالت بنو فزارة منكم يا بنى هلال من سقى إبله فلما رويت سلح^(١) فى الحوض ومدره بخلا ، يريدون به رجلا من بنى هلال يضرب به المثل فى البخل فيقال (هو أبخل من مادر) . وبلغ من بخله أنه كان يسقى إبله فبقى فى أسفل الحوض ماء قليل فسלح فيه ومدر الحوض به فسمى مادراً ، فنفرهم أنس بن مدرك على الهلالين فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير ، وكانوا تراهنوا عليها ، وفى بنى هلال يقول الشاعر :

لقد جللت خزيًا هلالُ بنِ عامرٍ بنى عامرٍ طرأ لسلحةِ مادرٍ
فأفَّ لسكِّمٍ لا تذكروا الفخرَ بَمَدِّها بنى عامرٍ أنتم شرارُ المشائرِ

هذا ما أورده الجاحظ فى مساوى البخل من كتاب الحاسن والأضداد ، ونقله حمزة الأصبهاني والميداني والزحشرى فى أمثالهم بعبارات مختلفة محصلها ما ذكرناه تعالى أعلم .

* * *

قصة الفقعسى وضمرة وما جرى بينهما من المنافرة

قال أبو محمد الأعرابي فى (ضالة الأديب) : إنَّ ضمرة بن ضمرة بن جابر

(١) السلح ما يخرج من البطن

ابن قطن بن تهلل كان جاراً لنوفل بن جابر بن شحنة بن حبيب بن مالك بن نصر
وأم نوفل عاتكة بنت الأشتر بن حجوان بن قعس بن طريف بن عمرو
ابن قعين ، وكان ضمرة كثير المقامرة فنحز نوفل جزوراً فدعا الحى فأكلوا فدعا
ضمرة فقال يا معشر بني قعين هذا جاركم وأنا منه خلو . ثم إن ضمرة قام فقمز
ماله كله ، وانتجعت^(١) أسد نحو أرض بني تميم وهم مقحمون مضغفون فأرسل
ضمرة إلى من يليهم من بني تميم أن ميلوا عليهم فإنهم لأول من أتاهم ، فأتى بني
نصر الخبر فانصرفوا وأتمروا بضمرة أن يأكلوه حين ينزلون فأمر نسوته سراً
أن يتأخرن ويلحقن بظمن بني قعس وسار هو في سلف بني نصر وقد علم أنهم
آكلوه إذا نزلوا ، فلما نزلوا ركض نحو بني قعس فقال أنا جاركم لكم فقالوا
إنك لست بجار ولك أمان العائد الغادر ومنعوه من بني نصر ، وإذا مالته في بني
نصر قد أحرزوه فلما جاء ظمن بني قعس إذا نسوته فيهن فمدل له بنو قعس
خمسین شائلة^(٢) ونحروا الجزور ، وكان فيهم زماناً ثم لحق بقومه فنافر معبد
ابن نضلة بن الأشتر بن حجوان خالد بن وهب الصيداوى وجمعهما وضمرة مجلس
النمان ، فأرسل ضمرة إلى خالد نافره واجعلنى الكفيل وهو بينى وبينك نصفين
فإنه لا يخافنى ، واجعلهما مائة في مائة في خفرة النمان وأجعل بينكما بها رهناً فإنه
لا بد من أدائها إذا كنت أنا الكفيل . فلما راحوا إلى النمان سب خالد معبدآ ،
فقال : أنسبى ولم تنافرنى قال : أنا فرك قال ما بدالك . قال خالد : إني أجعل الكفيل
من شئت وإن شئت ولى نعمتكم هذا . قال معبد : فإنى قد فعلت وأعتقد عليه
بما أمره به ضمرة . ثم تعاذا على ضمرة ، فقال ضمرة : والله إن بنى طريف لمن
أكرم الناس وما رأينا قط أكرم من خالد فنفره على معبد فى مجلسه فحبس قيس بن
معبد عند النمان رهينة بمائة من الإبل ، فقال معبد لبني جابر بن شحنة : اكفلونى

(١) أى طلبت الكلا فى موضعه . (٢) الشائلة من الإبل ما أتى عليها من حماتها
أو وضعها سبعة أشهر فجفف لبنها

يا بنى عمى فأنى لم يشنى غدر ضمرة ولا كذبه . قال بنو جابر : نرى بنى قعس مقربين بهذا . قال : نعم يرون أنها خيانة ولا تضرم فكفل بنو جابر الإبل فلما أتى معبد بنى قعس قال بنو وثار وبنو نوفل بن قعس : والله ما رضى بهذا أبداً ما بقى منا إنسان فنهضت بنو قعس إلى النعمان فوجدوا عنده ضمرة فقال سبرة بن عمرو بن الحارث بن وثار بن قعس بن طريف :

إنى إن أنكر وجهى سبره الرجل الأثم فيه الزعره^(١)
كالميسم الحامى عليه العبره

إلى أن قال .

والله ما نعقل منها بكره أو يأمر النعمان فيها أمره
فأمرهم النعمان أن يتقاضوا إلى العزى صنم كان بنحلة فعندها قال سبرة .
أضمر بن ضمير أبلق الاست والقفا وهل مثلنا في مثلها لك غافر
أتسنى دفاعى عنك إذ أنت مُسلمٌ وقد سال من ذلّ عليك قراقر^(٢)
ونسوتكم في الرّوع بادٍ وجوهها يُحكّن إماء والإماء حرائر^(٣)
يسلخن بالليل الشوى بأذرع كأيدى السباع والرّعوس حواسر
أعيرتنا ألبانها ولحومها وذلك عارٌ يا ابن ربيعة ظاهر^(٤)
وإنا لتغشانا حقوقٌ ولم تكن تقربنا المخزبات الأباعر^(٥)
نحابي بها أكفاءنا ونهينها ونشرب في أثمانها وتقامر^(٥)
وتكسبها في غير غدر أكفنا إذا عقدت يوم الحِفاظ الدوائر

(١) الزعره : سوء الخلق (٢) المسلم : المخدول الذى لاناصر له ، وقراقر اسم واد (٣) الرّوع هنا الحرب ، وقوله يخلن إماء أى يحسبن إماء وكانت الحرة في ذلك الوقت تتشبه بالأمة خوفاً على نفسها من السبى ، وقوله والإماء حرائر معناه أنكم تفرقتم حتى تركتم إماءكم فيما تركتم فصرن بمنزلة الحرائر (٤) عيره الأمر قال المجد ولا تقل عيره بكذا أى نسبه الى العار والذم ، وظاهر أى زائل ، يريد عيرتنا البان الإبل ولحومها واقتناء الإبل مباح لامحظور فيه وعاره ذاهب (٥) نحابي من المحاباة وهى العطاء ، والأكفاء جمع كفاء وهو النظير المماثل لك ، وقوله ونهينها أى اللاضياف ومن يطلب القرى

وإنا لنقرى الضيف في ليلة الشتا عظيم الجفان فوقهن الحوائر
والحوائر جمع حوير وهو الشحم الأبيض وبعد هذا ثلاثة أبيات آخر .
ثم أورد لسيرة الفقمسى أشعاراً كثيرة يخاطب بها ضمرة ويهجوها بها في
سياقه هذا نقص فإنه لم يذكر فيه وجه تعبيره بالإبل ولا إلى أى شىء تم حالهما
والله أعلم .

منافرة جرير البجلي وخالد بن أوطاة السكبي

قال ابن الأعرابي في نوادره : كان جرير بن عبد الله البجلي تنافر هو وخالد بن
أوطاة السكبي إلى الأقرع بن حابس ، وكان عالم العرب في زمانه . والمنافرة المحاكمة
من النفر لأن العرب كانوا إذا تنازع رجلان منهم وادعى كل واحد أنه أعز من
صاحبه تحاكما إلى عالم فن فضل منها قدم نفره عليه ، أى فضل نفره على نفره . فقال
الأقرع : ما عندك يا خالد ؟ فقال : نزل البراح ^(١) ، ونظمن بالرماح ، ونحن فتيان
الصباح ، فقال : ما عندك يا جرير ؟ فقال : نحن أهل الذهب الأصفر ، والأحمر المعتصر ،
نخيف ولا نخاف ، ونظعم ولا نستظعم ، ونحن حى لقاح ، نطعم ما هبت الرياح ،
نضمن الدهر ، ونصوم الشهر ، ونحن الملوك القسر . فقال الأقرع : واللوات والعزى ،
لو نافرت قيصر ملك الروم ، وكسرى عظيم الفرس ، والنعمان ملك العرب
لنفرت عليهم ، وروى لنصرت عليهم . فقال عمرو بن خثارم البجلي في هذه المنافرة :

يا أقرع بن حابس يا أقرعُ إني أنا أخوك فانظرن ما تصنع
إنك إن يصرع أخوك تصرعُ إني أنا الداعي زاراً فاسمعوا
في باذخ من عز مجد يفرع به يضر قادر وينفع
وأدفع الضيم غداً وأمنع عزُّ ألدُّ شامخ لا يقمع
يتبمه الناس ولا يستتبع هل هو إلا أذنب وأكرع

(١) يأتي شرح هذه الكلمة وما بعدها في الأصل .

وَزَمَعٌ مُؤْتَشَبٌ مَجْمَعٌ وَحَسَبٌ وَغَلٌّ وَأَنْفٌ أُجْدَعٌ

وقوله : يا أقرع بن حابس هو من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، وكانت هذه المنافرة في الجاهلية قبل إسلامه . والصرع : الهلاك . وزار : هو أبو قبيلة وهو زار بن معد بن عدنان . والباذخ : العالى يقال جبل باذخ بمجمتين . والمجد : العظمة والشرف . ويفرع : أى يعلو كل عز ومجد ، يقال فرعت قومي ، أى علوتهم بالشرف ونحوه وهو بالفاء ومهملتين ، والألد : الأشد ولدته يلدّه غلبه في الخصومة والشامخ : المرتفع ، ويقمع : أى يقهر وينذل يقال قمعه بالقاف والميم فانقمع ، وقوله هل هو الضمير لخالد بن أوطاة الكلبي . والأكرع جمع كراع بالضم وهو مستدق الساق أستعماره لأسفل الناس كالذئب . والزمع بفتح الزاى والميم هو رذال الناس ، يقال هو من زمع الناس ، أى من مؤخرهم . والمؤتَشَبُ يفتح الشين قال في الصحاح . فلان مؤتَشَبٌ أى مخلوط غير صريح في نسبه ، والوغل بفتح الواو وسكون المعجمة . قال في الصحاح : والوغل النذل من الرجال . وأجدع بالجيم والدال المهملة مقطوع الأنف . وقوله نزل البراح بفتح الموحدة والحاء المهملة المكان الذى لاسترة فيه من شجرة وغيره وهو منزل الكرماء . وقوله : والأحمر المعتصر هو الخمر . وقوله حتى لقاح بفتح اللام بعدها قاف . قال في الصحاح : يقال حتى لقاح للذين لا يدينون للملوك أو لم يُصِبهُم في الجاهلية سباً . وجري بن عبد الله البجلي صحابي وكان جميلاً .

قال عمر هو يوسف هذه الأمة وقدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيلة وكان لهم أثر عظيم في فتح القادسية ثم سكن جري الكوفة وأرسله على رسولاً إلى معاوية ثم اعتزل الفريفيين وسكن قرقيساء حتى مات سنة إحدى وقيل أربع وخمسين . وفي الصحيح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعثه إلى ذى أُلخِصَة فهدهما وفيه قال ما حجبتني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ أسلمت ولا رأيتني إلا تبسم ، كذا في الإصابة لابن حجر . وخالد بن أوطاة الكلبي جاهلي . وسيأتي ذكر ابن حابس

في الكلام على الحكام . وأما عمرو بن خثارم البجلي فهو جاهلي والله أعلم هذا على وجه الاختصار . وأما على وجه البسط فهو ما أورده أبو محمد الأعرابي في (فرحة الأديب) قال : أملى علينا أبو الندى قال : كان سبب المنافرة بين جرير بن عبد الله البجلي وبين خالد بن أرتاة بن خشين بن شيث الكلبي . أن كلباً أصابت في الجاهلية رجلاً من بجيلة يقال له مالك بن عتبة من بني عادية بن عامر بن قداد فوافوا به عكاظ فر العادي بابن عم له يقال له القاسم بن عقيل ابن أبي عمرو بن كعب بن عريج بن الحويرث بن عبد الله بن مالك بن هلال بن عادية بن عامر بن قداد يأكل تمرأ فتناول من ذلك التمر شيئاً ليتحرم به فجدبه الكلبي . فقال له القاسم إنه رجل من عشيرتي فقال لو كانت له عشيرة منعتني فانطلق القاسم إلى بني عمه بني زيد بن العوث فاستتبهم . فقالوا نحن منقطعون في العرب وليست لنا جماعة نقوى بها . فانطلق إلى آخر فاستتبهم فقالوا كلما طارت وبرة من بني زيد في أيدي العرب أردنا أن نتبعها . فانطلق عند ذلك إلى جرير بن عبد الله البجلي فكلمه فكان القاسم يقول إن أول يوم أريت فيه الثياب المصبغة والقباب الحمر اليوم الذي جئت فيه جريراً في قسر . وكان سيد بني مالك بن سمد بن زيد بن قسر وهم بنو أبيه فدعاهم في انتزاع العادي من كلب فتبعوه . فخرج يمشي بهم حتى هم على منازل كلب بمكاظ فانتزع منهم مالك بن عتبة العادي وقامت كلب دونه . فقال جرير زعمتم أن قومه لا يمنعونه فقالت كلب إن رجالنا خلوف . فقال جرير لو كانوا لم يذفموا عنكم شيئاً . فقالوا كأنك تستطيل على قضاة إن شئت قايسناكم المجد وزعيم قضاة يومئذ خالد بن أرتاة بن خشين بن شيث قال ميعادنا من قابل سوق عكاظ فجمعت كلب وجمعت قسر ووافوا عكاظ من قابل . وصاحب أمر كلب خالد بن أرتاة فحكوا الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع حكاه جميع الحيين ووضعوا الرهون على يدي عتبة بن ربيعة بن عبد شمس في أشراف من قريش . وكان في الرهن من قشر الأصرم بن عوف بن عوف

ابن مالك بن ذبيان بن ثعلبة بن عمرو بن يشكر بن علي بن مالك بن صعصع بن
نذير بن قسر ومن أحمز حازم بن أبي حازم وصخر بن العلية . ومن بني زيد بن
الموث بن أمار رجل ثم قام خالد بن أرطاة فقال لجرير ما تجعل قال الخطر في يدك
قال ألف ناقة حمراء في ألف ناقة حمراء . فقال جرير ألف قينة عذراء في ألف
قينة عذراء . وإن شئت فألف أوقية صفراء لألف أوقية صفراء . قال من لي
بالوفاء ؟ قال كفيك اللات والمزى وإساف ونائلة ويعوق وذو الخلصة ونسر .
فن عليك بالوفاء قال ود ومناة وقلس ورضا . قال جرير لك بالوفاء سبعون غلاماً
مُعمًا مَخُولاً يوضعون على أيدي الأكفاء من أهل الله . فوضعوا الرهن من بجيلة
ومن كلب على أيدي من سمي من قريش . وحكموا الأقرع بن حابس وكان عالم
العرب في زمانه . فقال الأقرع ما عندك يا خالد ؟ فقال نزل البراح . ونظمن
بالرماح . ونحن فتيان الصباح . فقال الأقرع ما عندك يا جرير ؟ قال نحن أهل الذهب
الأصفر . والأحمر المعتصر . نخيف ولا نخاف . ونظم ولا نستظم . ونحن
حتى لَقَّاح . نُظم ما هبت الرياح ، نطم الشهر . ونضمن الدهر . ونحن الملوك لقسر .
فقال الأقرع واللات والمزى لو فاجرت قيصر ملك الروم وكسرى عظيم فارس
والنعمان ملك العرب لنفرتك عليهم وأقبل نعيم بن حجة النمرى . وقد كانت قسر
ولده بفرس إلى جرير فركبه جرير من قبل وحشيته^(١) فقيل لم يحسن أن يركب
الفرس ، فقال جرير الخليل ميامن وإنا لا نركب إلا من وجوهها . وقد كان نادى
عمرو بن خثارم أحد بني جشم بن عامر بن قداد فقال :

لا يغلب اليوم فتى إلا كما يا ابني نزارٍ انصراً أخا كما
إن أبي وجدته أبا كما ولم أجد لي نسباً سوا كما
غيثٌ ربيعٌ سببٌ ندا كما حتى يجلل الناسُ في مرعا كما
أنتم سرور عين من رآ كما قد مُلثتُ فأتري سوا كما

(١) أي الأيسر .

قد فاز يومَ الفخر من دعا كما ولا يمدّ أحدٌ حصاكما
وإن بنوا لم يُدرکوا بنا كما مجداً بناه لكما أبا كما
ذاك ومن ينصره مثلاً كما يوماً إذا ما سمرت ناراً كما
وقال أيضاً

يا لنزار قد نبي في الأخشب دعوة داع دعوة الثوب^(١)
يا لنزار ثم فاسمي واركي يا لنزار ليس عنكم مذهبي
إن أباكم هو جدي وأبي لم ينصر المولى إذا لم تنضبي
يا لنزار إنني لم أكذب أحسابكم أخطرتها وحسبي
ومن تكونوا عزه لا يغلب ينمي إلى عز هجان مصعب
كأنه في البرج عند الكوكب

وقال أيضاً

يا أقرع بن حابس يا أقرع إني أخوك فانظرن ما تصنع
إنك إن يصرع أخوك تصرع إني أنا الداعي نزار فاسموا
لي باذخ من عزه ومفزع به يضر قادر وينفع
وأدفع الضيم غداً وأمنع عز الدّ شامخ لا يقمع
يتبعه الناس ولا يستتبع هل هو إلا ذنب وأكرع
وزممع مؤنّسب مجمع وحسب وغلّ وأنف أجدع
وقال أيضاً

يا أقرع بن حابس يا أقرع إنك إن يصرع أخوك تصرع
إني أنا الداعي نزاراً فاسموا في باذخ من عزه ومفزع
قم قائماً ثمّت قل في المجمع للمرء أرطاة أيا ابن الأقدع
ها إن ذا يوم علا وجمع ومنظر لمن رأى وهسمع

(١) الأخشب : اسم جبل

ففره الأقرع بمضر وربيعة ولولاء نفر الكلبي ، وكانت القرابة بين بجيلة وولد نزار .
أن أراش بن عمرو بن النوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب
بن يعرب بن قحطان خرج حاجاً فتزوج سلامة بنت أعمار بن نزار . وأقام معها في الدار
بغور تهامة فأولدها أعمار بن أراش ورجالا فلما توفي أراش وقع بين أعمار بن أراش
وإخوته اختلاف في القسمة فتنحى عن أخويه ، وأقام أخويه في الدار مع أخوالهم ،
وتزوج أعمار بن أراش بهند بنت مالك بن غافق بن الشاهد فولدت أفتل وهو خثعم .
ثم توفيت فتزوج ببجيلة بنت صعيب بن سعد العشيرة فولدت له عبقر ، فسماه باسم
جدها وهو سعد ولقب بعبقر لأنه ولد على جبل يقال له عبقر وولدت أيضاً النوث
ووادعة وصهبية وحزيمة وأشهل وشهلاء وسنية وطريفاً وفهماً وخدعة والحارث ، انتهى
ما أورده أبو محمد الأعرابي والله أعلم .

مناصرة القعقاع بن زرارة بن مالك

إن القعقاع بن زرارة بن عدس ، وخالد بن مالك بن ربيعي بن سلم بن جندل
ابن نهشل تنافرا إلى أكرم بن صيفي أيهما أكرم وجعلا بينهما مائة من الإبل لمن
كان أكرمهما . فقال أكرم : سفهان يريدان الشر وطلب إليهما أن يرجعا عما
حاء له فأبيا فبعث معهما رجلا إلى ربيعة بن حُذار . وحبس إبلهما التي تنافرا
عليها مائة ومائة . وقال : انطلقا مع رسولي هذا فإنه (قتل أرضاً عالمها ،^(١)) وقتلت
أرض جاهلها) فأرسلها مثلاً . فلما قدما على ربيعة وأخبراه بما جاء له قال ربيعة
للقعقاع : ما عندك يا قعقاع ؟ قال : أنا ابن معبد بن زرارة وأمي معاذة بنت ضرار
رأس من أعمامى عشرة ومن أخوالي عشرة وهذه قوس عمى رهنها عن العرب
وجدى زرارة أجار ثلاثة أملاك بعضهم من بعض قال : وفي ذلك يقول الفرزدق :

(١) أصل القتل التذليل ومنه قتل الخمر وهو مزجها بالماء والمراد بالمثل
أن الرجل العالم بالأرض عند سلوكها يذلل الأرض ويطلبها بعلمه فلم يضل ولم
يهلك ، يضرب في مدح العلم وقتلت أرض جاهلها في مقابلة قتل أرضاً عالمها
يضرب لمن يباشر أمراً لا يعلم له به .

منا الذي جمع الملوك وبينهم حرب يشب سعيها بضرام
ثم قال ربيعة لخالد بن مالك : ما عندك يا خالد ؟ قال أنا ابن مالك . قال :
لم تصنع شيئاً . ثم ابن من ؟ قال : ابن ربي . قال : لم تصنع شيئاً . ثم ابن من ؟
قال : ابن سلم . قال الآن . فمن أمك ؟ قال : قردة . قال ابنة من ؟ قال : ابنة
مندوس . قال ربيعة للقعقاع : قد نفرتك يا ابن الضبية . فقال خالد . أتجعل ابن
معبد بن زرارة كمثل ابن سلم بن جندل فقال ربيعة : (ما جعل العبد كربه)
فأرسلها مثلاً .

منافرة هاشم بن عبد مناف وأمّية بن عبد شمس

كان هاشم بن عبد مناف أحد أجداد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد تولى
أمر مكة بعد أبيه وساد قومه بما كان عليه من محاسن الأخلاق ، وجليل الشيم ،
وكمال الشجاعة ، ووافر الكرم ، وغاية الفصاحة ، وغير ذلك من الصفات الفاضلة
التي لم يطاوله بها أحد . وهو أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء إلى اليمن
ورحلة الصيف إلى الشام وهو الذي كان يقوم بأمر الناس في السنين المقحطة ويطعمهم
أحسن الطعام ، ولذلك لهجت السنة العرب على اختلافهم في القبائل بالثناء
عليه ، فمند ذلك حسده ابن أخيه أمّية بن عبد شمس بن عبد مناف حيث عجز عن
محاكاته في صنيعه ومباراته في شيمه حتى شتمت به أناس كثيرون من قريش . فقال فيه
وهب بن عبد قصى :

تحمل هاشم ما ضاق عنه وأعيان أن يقوم به بريض
أتاهم بالغرأر مشقات من الشام بالبر البغيض
فأوسع أهل مكة من هشيم وشاب اللحم باللحم الغريض^(١)

ونشبت العداوة بين أمّية وهاشم وأراد منافرته فكره هاشم ذلك لنفسه

(١) الغريض : الطرى .

وقدره . فلم تدعه قريش حتى نافره إلى الكاهن الخزاعي في خمسين ناقة سود الحدق ينحرها بيطن مكة والجلاء من مكة عشر سنين فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه خبرهم : والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والنعام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر ، من منجد وغائر ، لقد سبق هاشم أمية إلى المفاخر . فنفر الخزاعي هاشمًا وقال لأمية : تنافر رجلا هو أطول منك قامة ، وأعظم منك هامة ، وأحسن منك وسامة ، وأقل منك لامة ، ، وأكثر منك ولدًا ، وأجزل منك صفرًا ؟ فقال أمية : من انتكاث الزمان أن جعلناك حكام . فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضره ، وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين . فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمие وسيأتي لهاشم ذكر في مبحث حكام العرب ، وما قاله عند تنافر قريش وخزاعة عنده إن شاء الله تعالى .

مظام العرب في الجاهلية

الحاكم منفذ الحكم كالحكم محرمة جمعه حكام . وحكام العرب علماءهم الذين كانوا يحكمون بينهم إذا تشاجروا في الفضل والمجد وعلو الحسب والنسب وغير ذلك من الأمور التي كانت تقع بينهم وكان لكل قبيلة من قبائلهم حكم يتحاكمون إليه وهم كثيرون لا يسمهم الحصر ونحن نذكر منهم من وجدناه فيما عندنا من كتب الأدب ، منهم :

أكثم بن صيفي بن رباح (١)

كان أكثم بن صيفي حكمًا من حكام تميم فصيحًا عالمًا بالأنساب ، وكان من حديثه أنه لما ظهر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة ودعا إلى الإسلام بعث أكثم ابنه حَيْثَشًا فأتاه بخبره فجمع بني تميم وقال . يا بني تميم لا تحضروني سفياً فإنه (١) أقول ومن الحكام أيضا عيينة بن حصن بن خديفة وحرملة بن الأشعر المري وهرم ابن قطبة بن سنان بن عمرو الفزازي وبشر بن عبد الله بن جبان وأبو سفيان بن حرب بن أمية وأبو جهل بن هشام وأنس بن مدرك .

من يَسْمَعُ يَخْلُ^(١) إن السفية يوهن من فوقه ويثبت من دونه ، لا خير فيمن لا عقل له ، كبرت سني ودخلتني ذلة ، فإذا رأيتم مني حسناً فاقبلوه ، وإن رأيتم مني غير ذلك فقوموني أستقيم ، إن ابني شافه هذا الرجل مشافهةً وأنا في بحره وكتابه يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى وخلع الأوثان ، وترك الحلف بالنيران . وقد حلف ذوو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه ، وأن الرأي ترك ما ينهى عنه . إن أحق الناس بمعونة (محمد) ومساعدته على أمره أنتم ، فإن يكن الذي يدعو إليه حقاً فهو لكم دون الناس ، وإن يكن باطلاً كنتم أحق الناس بالكف عنه والستر عليه ، وقد كان أسقف نجران^(٢) يحدث بصفته ، وكان سفيان بن مجاشع يحدث به قبله ، وسمى ابنه محمداً فسكونوا في أمره أو لا تكونوا آخراً . ائتوا طائمين قبل أن تأتوا كارهين ، إن الذي يدعو إليه محمدٌ لو لم يكن ديناً كان في أخلاق الناس حسناً أطيعوني واتبعوا أمرى أسأل لكم أشياء لا تنزع منكم أبداً وأصبحتم أعزَّ حتى في العرب ، وأكثرهم عدداً ، وأوسعهم داراً ، فإني أرى أمراً لا يجتنبه عزيز إلا ذل ، ولا يلزمه ذليل إلا عز ، إن الأول لم يدع للآخر شيئاً وهذا أمر له ما بعده ، من سبق إليه غمر المعالي واقتدى به التالي والعزيمة حزم والاختلاف عجز . فقال مالك بن نويرة : قد خرف شيخكم . فقال أ. كتم ويلٌ للشجى من الخلى^(٣) ، ولحقى على أمر لم أشهده ولم يسبقني فذهب مثلاً .

(١) المعنى أن من يسمع الشيء ربما ظن صحته ، وقيل من يسمع أخبار الناس ومعاييرهم يقع في نفسه عليهم المكروه أي أن المجانبية للناس أسلم ، ومفعولاً يخل محذوفان أي يخل مسموعه صادقاً على ما في كتب النحو ، قال الكمي :

فان تصغ تكفاء العداة اناعنا وتسمع بنا اقوال اغدائنا يخل

(٢) هو قس بن ساعدة أحد بل أوحد حكماء العرب وبلغائهم — راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب — (٣) يضرب مثلاً لسوء مشاركة الرجل صاحبه ، يقول أن الخلى لا يساعد الشجى على ما به ويلومه ، والخلى الخالى من الهم ويأوه مشددة وياء الشجى مخففة وقد تشدد ، وقيل أن أول من قاله لقمان وقصته في صغراهن شراهن وقيل بل أن أول من تكلم به أكثم بن صيفى لما اتاد ابنه من عند رسول الله (ص) بكتاب فدعى قومه وحزبهم على الإسلام

قال المدائني : أول من قال ذلك أكرم بن صيفي التميمي ومن كلامه : مقتل الرجل بين فكيه . والمقتل القتل وموضع القتل أيضاً . ويجوز أن يحمل اللسان قتلاً مبالغة في وصفه بالإفضاء إليه ، كما قال الشاعر : (فإنما هي إقبال وإدبار) ويجوز أن يحمل موضع القتل أى في سببه يحصل القتل . ويجوز أن يكون بمعنى القاتل فالمصدر ينوب عن الفاعل كأنه قيل قاتل الرجل بين فكيه . قال المنفلوطي : أول من قال ذلك أكرم بن صيفي في وصيته لبنيه وكان جمعهم فقال : تباروا فإن البر يبقى عليه العدد ، وكفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكيه . إن قول الحق لم يدع لي صديقاً . الصديق منجاة . لا ينفع التوق مما هو واقع . وفي طلب المعالي يكون العناء . الاقتصاد في السمي أبقى للحمام . من يأس على فاته ودع بدنه . ومن قنع^(١) بما هو فيه قرت عينه . التقدم قبل التندم . أصبح عند رأس الأمر أحب إلي من أن أصبح عند ذنبه . لم يهلك من مالك ما وعظك . ويل لعالم أمر ومن جاهله . يتشابه الأمر إذا أقبل . وإذا أدبر عرفه الكيس والأحمق . البطر عند الرخاء حق . والعجز عند البلاء أفن . أى نقص . لا تمضبوا من اليسير فإنه يجنى الكثير . لا تجيبوا فيما لم تسألوا عنه . ولا تضحكوا مما لا يضحك منه . تناءوا في الديار ولا تباغضوا فإنه من يجتمع يتفجع عمده . أزموا النساء المهانة . نعم لهو الحرة المغزل . حيلة من لا حيلة له الصبر ، إن تعيش تر ما لم تره .

فقال مالك بن نويرة قد خرف شيخكم انه ليدعوكم الى الفناء ويعرضكم على البلاء ان تجيبوه تفرق جماعتكم وتظهر اضعافكم ويدل عزيزكم فمهلاً مهلاً فقال اكرم بن صيفي : ويل للشجي من الخطي فيالهف نفسى على امر لم ادركه ولم يفتنى ما آسى عليك بل على العامة يمالك انك هالك وان الحق اذا قام دفع الباطل وصرعه صرعى قياما فتبعه مائة من عمرو وحنظلة وخرج الى النبى (ص) فلما كان في بعض الطريق عمد حبيش الى رواحلهم فنحسرها وشق ما كان معهم من قربة وهرب فأجهد اكرم العطش فمات واوصى من معه باتباع النبى (ص) واشهدهم انه اسلم فانزل الله فيه : ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله .

(١) قنع بالكسر قنوعاً وقناعة اذا رضى واما قنع بالفتح فمعناه سأل وما احسن ما قال بعضهم :

العبد حر ان قنع والحر عبد ان قنع
فانقع ولا تقنع فما شئ يشين سوى الطمع

المكثار كحاطب ليل . من أكثر أسقط . لا تجعلوا سرّاً إلى أمة . فهذه تسعة وعشرون مثلاً كماها من كلام أكنم . وقد أحسن من قال في معنى قوله (مقتل الرجل بين فكليه) : رحم الله امرأ أطلق ما بين كفيه ، وأمسك ما بين فكليه . والله درّ أبي الفتح البستي حيث يقول في معنى هذا المثل أيضاً :

تكلّم وسدّد ما استطعت فإنما كلامك حتى والسكوت جاد
فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السديد سداد

واحتذاه القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الهروي فقال :

إذا كنت ذا علم وما راك^(١) جاهل فأعرض في ترك الجواب جواب
وإن لم تصب في القول فاسكت فإنما سكوتك عن غير الصواب صواب
وضمن الشيخ أبو مهمل النيلي شرائط الكلام في قوله حيث يقول :

أوصيك في نظم الكلام بخمسة إن كنت للموصى الشفيق مطيعاً
لا تُغفلن سبب الكلام ووقته والكيف والكم المكان جميعاً
وقد ذكرت نبذة من كلام أكنم مع كسرى وما خطب به فيما سبق ، وسيأتي إن شاء الله في الخطب شيء منه . ومنهم .

حاجب بن زرارة بن عرس التميمي

كان حاجب أيضاً من حكام تميم ، وله معرفة تامة بأخبار العرب وأحوالها وأسابيها وكان من مشاهير فصحاء زمانه وبلغائهم ، ومن المعروفين بالوفاء بين العرب . وفد على كسرى لما منع تيمناً من ريف العراق فاستأذن عليه فأوصل إليه فقال : أسيد العرب أنت ؟ قال : لا . قال : فسيد مضر ؟ قال : لا . قال : فسيد بني أبيك أنت ؟ قال : لا . ثم أذن له فلما دخل عليه قال له : من أنت ؟ قال : سيد العرب . قال : أليس قد أوصلت إليك أسيد العرب . فقلت : لا . حتى

(١) أي جاد لك وخاصمك .

انتصرت بك على بنى أبيك . فقلت : لا . قال له : أيها الملك ألم أكن كذلك حتى دخلت عليك فلما دخلت عليك صرت سيداً العرب . قال كسرى : آه املاؤا فاه دُرّاً . ثم قال : إنكم معشر العرب غُدُز فإن أُذِنْتُ لكم أفسدتم البلاد ، وأغرتم على العباد ، وأذيتموني . قال حاجب فإني ضامنٌ للملك أن لا يفعلوا . قال : فمن لي بأن تقي أنت ؟ قال : أرهناك قوسى . فلما جاء بها ضحك من حوله وقالوا : لهذه العصافير . قال كسرى : ما كان ليلسامها لشيء أبداً فقبضها منه وأذن لهم أن يدخلوا الريف . ثم إن مضر أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله هلك قومك ، وأكلتهم الضبع يريدون الجوع . والعرب يسمون السنة الضبع والذئب . قال جرير (من ساقى السنة الشهباء والذئب)^(١) وقال آخر :

أبا خُرَاشَةَ أما أنت ذا نقرٍ فإن قومي لم يأكلهم الضبع^(٢)

فدعا لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأحيوا . وقد كان دعا عليهم فقال : « اللهم اشدّد وطأتك على مضر ، وابعث عليهم سنين كسنى يوسف » . ومات حاجب بن زرارة فارتحل عطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه . فقال له : ما أنت الذى رهنتها . قال : أجل ، قال : فما فعل ؟ قال : هلك وهو أبى وقد وفى له قومه ووفى هو للملك فردها عليه وكساه خلة . فلما وفد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عطارد بن حاجب وهو رئيس تميم وأسلم على يديه أهداها للنبي

(١) قبله : ياوى اليك فلا من ولا جحد والبيت من قصيدة له يمدح بها أيوب بن سليمان ابن عبد الملك ومعناه ياوى اليك أهل الحاجة الذين ساقتهم السنة الشهباء وهى التى لاخضرة فيها أولا مطر والذئب أى الجوع
٢١ نسبه الزمخشري فى المفصل الى أبى ذؤيب الهذلى ونسبه غير واحد الى العباس بن مرداس من ابيات يخاطب بها خفاف بن ندبة السلمى ، وأبو خراشة كنية خفاف بن ندبة ، والنقر فى اصل معناه اسم لمادون العشرة والمراد هنا القوم والجماعة والضبع السنة المجذبة : قيل ان ذلك اسم لها وقيل بل اطلاقه عليها على سبيل التشبيه كانه شبه نقص السنة المجذبة لمن تانى عليه باكل الضبع وهذا البيت من شواهد النحو والشاهد فى اما أنت حيث حذف فيه كان بعد ان المصدرية .

صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلها فباعها من رجل من اليهود بأربعة آلاف درهم . وهذه رواية ابن عبد ربه في العقد الفريد . وقال الإمام الرزوقي : وقد روى القصة بأبسط مما ذكر . كان السبب في ذلك أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان دعا على مضر وقال : « اللهم اشد وطأتك على مضر ، وابعث عليهم سنيناً كسنى يوسف » فتوات الجدوبة عليهم سبع سنين ، فلما رأى حاجب الجهد على قومه جمع بنى فزارة وقال : إني أزمعت^(١) على أنى آتى الملك يعنى كسرى فأطلب أن يأذن لقومنا فيكونوا تحت هذا البحر حتى يمحيوا . فقالوا : رشدت فافعل غير أنا نخاف عليك بكر بن وائل . فقال : ما منهم وجه إلا ولى عنده يذ إلا ابن الطويلة التميمي وسأداويه . ثم ارتحل فلم يزل ينتقل في الاتحاف والبر من الناس حتى انتهى إلى الماء الذى عليه ابن الطويلة فنزل ليلاً فلما أضاء الفجر دعا بنطع^(٢) ثم أمر فصب عليه التمر ، ثم نادى حتى على الغداء فنظر ابن الطويلة . فإذا هو بحاجب ، فقال لأهل المجلس : أجيئوه . وأهدى إليه جزراً ، ثم ارتحل فلما بلغ كسرى شكاً إليه الجهد في أموالهم وأنفسهم وطلب أن يأذن لهم فيكونوا في حد بلاده . فقال : أنتم معشر العرب غدُر فإذا أذنت لهم عاثوا^(٣) في الرعية وأغاروا . قال حاجب : إني ضامن للملك أن لا يفعلوا . قال : فمن لى بأن تفى أنت . قال : أرهناك قوسى . فلما جاء بها ضحك من حوله ، فقال الملك ، ما كان ليسامها اقبضوها منه . ثم جاءت مضر إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موت حاجب فدعا لهم نخرج أصحابه إلى بلادهم وارتحل عطارد ابن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه . فقال : ما أنت بالذى وضعتها . قال : أجل إنه هلك وأنا ابنه وفى للملك . قال ردوا عليه وكسأه حلة . فلما وفد إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهداها إليه فلم يقبلها فباعها من يهودى بأربعة آلاف درهم فصار ذلك نخرأ ومنقبة لحاجب وعشيرته . وإلى هذه القوس أشار أبو تمام يمدح بها أبا دُلْفِ المجل :

(١) يقال ازمعت الأمر وعليه أى اجمعت أو ثبت عليه كزهمت بالتشديد

(٢) هو بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكعب : بساط من الأديم

(٣) أى افسدوا

على مثلها من أرْبَعٍ وملاعِبٍ تَذال مصونات الدموع السواكِب (١)
أقول لقرحان من البين لم يجد رسيس الهوى بين الحشا والترائب (٢)
أعنى أفرّق شمل دمعى فأنى أرى الشمل منهم ليس بالمتقارب
إلى أن قال

إذا العيسُ لاقت أبى دُلفٍ فقد تقطع ما بينى وبين النوايب (٣)
هنالك تلقى الجودَ حيثُ تقطعت تمامه والجدُّ مرخى النوايب (٤)
تكاد عطاياه يجنّ جنوبها إذا لم يعوِّذها بنعمة طالب (٥)
يرى أقبیحَ الأشياءِ أوبَةَ آملٍ كسته يد المأمول حلة خائب (٦)
وأحسن من نورٍ يفتّحه الندى بياض العطايا في سواد المطالب (٧)
إذا أُلحمت يوماً لحيمٍ وحولها بنوالحسن نجل المحصنات النجائب (٨)
فإن المنايا والصوارم والقنا أقاربهم في الرّوع دون الأقارب
ججافل لا يتركنَ ذا جبرية سليماً ولا يحزبنَ من لا يحارب (٩)
يمدونَ من أيدٍ عواصٍ عواصمٍ تصولُ بأسيافٍ قواصٍ قواضبٍ (١٠)

(١) الأربع: المنازل، وتذال: تحتقر وتهان، ويروى تذييل وأهينت أيضاً
(٢) قرحان: سالم، والبين الفراق، والرسيس: الثابت، والترائب عظام
الصدر (٣) العيس: الأبل البيض بشقرة، والنوايب: المصائب (٤) التمانم:
خرزات رقط تعلق في عنق الصبى لدفع العين والمفرد تميمية، وفي الحديث
من علق تميمية فلا تم الله له، والجود: الكرم، والدوايب: النواصي وهي
قصاصات الشعر (٥) هذا البيت انتقد به على أبي تمام حتى قال بعضهم
ومآتاله ينسبها إلى الجنون ويلتمس لها العوذ والرقى هلافك أسارها وعجل
خلاصها ولم ينتظر بها نعمة الطالب ففعل كما قال المتنبي:

وعطاء مال لو عداد طالب انفقته في أن تلاقى طلبا

(٦) الأوبة: الرجعة، والحلة ثوبان: وهنا استعارة. (٧) النور: زهر
النبت، والصبأ الريح الشرقية، وهذا البيت من أحسن الشسواهدي على
المقابلة (من صناعة البديع، وهو مأخوذ من قول الأخطل:

راينا بياضا في سواد كأنه بياض العطايا في سواد المطالب

(٨) النجل النسل وبطلق على الولد، والمحصنات: الحرائر العفيفات.
(٩) الججافل: الجيوش وذا جبرية أي متجبرة، ويحزبن: يسلبن.
(١٠) عواصم: موانع، وقواض قاضيات، وقواضب: قواطع، وهذا
البيت يستشهد به في البديع على الجناس الناقص المطرف

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها نحراراً على ما وطدت من مناقب^(١)
فأنتم بذى قارٍ أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
يقول إذا افتخرت تميم بذلك ، فأنتم قتلتم الذين أكسبهم هذا المجد بما
ارتبهوه وهدمتم عزهم . وإنما يعنى وقعة ذى قار حين قتلت بنو شيبان المعجم
ونكثوا فيهم . وكان رئيسهم سيار بن حنظلة العجلي ، وأبو ذؤلف عجلي فلذلك
خاطبه بهذا . ومنهم :

الأقرع بن حابس أبو عيينة التميمي

كان الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي الداري
من حكام تميم ومرجعهم في واقعاتهم ومنافراتهم . قال ابن إسحق : وفد على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشهد فتح مكة وَحَنِينًا وَالطَّائِفَ ، وهو من المؤلفة
قلوبهم وقد حسن إسلامه . وقال الزبير في النسب : كان الأقرع حكماً في الجاهلية ،
وقد نادى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من وراء الحجرات يا محمد فلم يجبه . فقال :
والله يا محمد إن حمدي لزين ، وإن ذمي لشين . فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم : ذلكم الله . وروى ابن شاهين من طريق المدائني ، قال : لما أصاب عيينة بن
حصن بن العنبر قدم وفدهم فذكر القصة وما فيها فكلم الأقرع بن حابس رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم في السبي . وكان في المدينة قبل قدوم السبي فنازعه عيينة
ابن حصن . وفي ذلك يقول :

وعند رسول الله قام ابن حابسٍ بخطّة أسوارٍ إلى المجدِ حازم
له أطلق الأسرى التي في قيودها منللة أعناقها في الشكائم^(٢)
وشهد الأقرع مع شُرْحَبِيل بن حسنة دُومَةَ الجندل وشهد مع خالد حرب

(١) وطدت ثبتت .

(٢) الشكائم جمع شكيمة وهي في اللجام الحديدية المعترضة في فم الفرس
فيها الفأس .

أهل العراق وفتح الأنبار . وقال ابن دريد : اسم الأقرع بن حابس فراس ، وإنما قيل له الأقرع أقرع كان رأسه وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام واستعمله عبد الله ابن عامر على جيش سيره إلى خراسان فأصيب بالجوزجان هو والجيش ، وذلك في زمن عثمان . وذكر ابن الكلابي : أنه كان مجوسياً قبل أن يسلم . وذكر الرضبي الشاطبي : أنه قتل الأقرع بن حابس باليرموك في عشرة من بيته والله أعلم . ومنهم :

ربيعة بن محاسن التميمي

كان من حكام تميم وإليه المرجع في عصره حيث كان عالمهم واقفاً على أنساب قومه وغيرهم من قبائل العرب مقدراً لمراتبهم ، ومع ذلك كان من أفصح أهل زمانه ومن الخطباء المشهورين مضيافاً شجاعاً لا يعدل قومه عن رأيه ولا يقطعون أمراً دونه . وهو أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم وبنو تميم يزعمون أنه هو الذي أوّل من قرعت له العصا . وقد ذكرنا الخلاف في ذلك عند الكلام على ذكاء العرب . ومنهم :

ضمرة بن ضمرة التميمي

كذلك كان من حكام تميم وإليه يتنافرون وعنده يتجأكون لا يرون في وقته كراهه رأياً ، ولا يستغنون عن مشورته في وقائعهم وأيامهم لوقوفهم على ما كان عليه من غزارة العقل وذكاء الفطنة وطلاقة اللسان وكرم السجية وخبرته بأحوال العرب وأنسابهم . وفي القاموس : أنه ضمرة بن أبي ضمرة وصوابه ما ذكرناه كما نبه عليه شارحه الزبيدي . وفي مجمع الأمثال للميداني عند قولهم : « إن العصا قرعت لذي الحلم » أن ضمرة حكم فأخذ رشوة فقدر . ومنهم :

عامر بن الظرب العمروالي

كان عامراً هذا من حكام قيس ، وقد ذكرنا في ذكاء العرب أن أبا عميرة

قال : أول من قرعت له العصا عامر بن الظرب ، والقصة هناك . وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهماً ، ولا بحكمه حكماً ، وفي كتاب مجمع الأمثال : يُقال إنه عاش ثلاثمائة سنة ، ثم ذكر ما يدل على ذلك من شعره ، وقد نقلناه سابقاً مع نبذة من خبره . وكان عامر من فصحاء العرب . ومن كلامه : رَبِّ أَكَلَةٍ تَمْنَعُ أَكَلَات . قال المفضل : أول من قال ذلك عامر بن الظرب المدواني ، وكان حديثه أنه كان يدفع بالناس في الحج فرآه ملك من ملوك غَسَّان فقال : لا أترك هذا المدواني أو أذله فلما رجع الملك إلى منزله أرسل إليه أحب أن تزورني فأحْبُوك وأَكْرِمَكَ واتخذك خِلاً . فاتاه قومه فقالوا : أَتَفِدُّ وَبِفِدِّ مَعَكَ قَوْمَكَ إِلَيْهِ فَيَصِيبُونَ بِجَنَابِكَ وَيَتَجَهَّوْنَ بِجَاهِكَ فَخَرَجَ وَأَخْرَجَ مَعَهُ نَفَرًا مِنْ قَوْمِهِ ، فلما قدم بلاد الملك أكرمهم وأكرم قومه . ثم انكشف له رأى الملك فجمع أصحابه وقال : « الرأى نائم والهوى يقظان ، ومن أجل ذلك يغلب الهوى الرأى عجبت حين عجلم ولن أعود بمدها ، إنا قد توردنا بلاد هذا الملك فلا تسبقوني بريث^(١) أمر أقيم عليه ولا بمجلة رأى أخف معه فإن رأيت لكم » فقال قومه ، لقد أكرمنا كما ترى وبعد هذا ما هو خير منه . قال : لا تمجلوا فإن لكل عام طعاماً رَبِّ أَكَلَةٍ تَمْنَعُ أَكَلَات فَكُتِبُوا أَيَّامًا . ثم أرسل إليه الملك فتحدث عنده . ثم قال له الملك : قد رأيت أن أجعلك ناظرًا في أموري . فقال له : إن لي كنز علمٍ لست إلا به تركته في الحى مدفوناً وإن قومي أضنأء بي فاكتب لي سجلاً ببجباية الطريق فيرى قومي طعاماً تطيب به أنفسهم فأستخرج كنزى وأرجع إليك وأقرأ . فكتب له بما سأله ، وجاء إلى أصحابه فقال : ارتحلوا ، حتى إذا أدبروا وقالوا : لم نر كاليوم وافد قوم أقل ولا أبعد من نوال منك . فقال : مهلاً فليس على الرزق فوت ، وغنم من نجبا من الموت ، ومن لا يرى باطناً ، يعش واهناً ، فلما قدم على قومه أقام فلم يمُد .

ومن كلامه أيضاً : « رب زارع لنفسه حاصد سواه » قال ابن الكابي : أول

من قال ذلك عامر بن الظرب ، وذلك أنه خطب إليه صعصعة بن معاوية ابنته فقال : « يا صعصعة إنك جئت تشتري مني كبدى ، وارحم ولدى عندى ، منمتك أو بعتك ، النكاح خير من الأيمة ، والحسب كفاء الحسب ، والزوج الصالح يمدُّ أباً ، قد أنكحتك خشية أن لا أجد مثلك » ثم أقبل على قومه فقال يا معشر عدوان أخرجت من بين أظهركم كريمتكم على غير رغبة عنكم ، ولكنه من خط له شيء جاءه ، رب زارع لنفسه حاصد سواه ، ولولا قسم المخطوظ على غير الحدود ، ما أدرك الآخر من الأول شيئاً يعيش به ، ولكن الذى أرسل الحيا^(١) أثبت المرعى ، ثم قسمه أكلا لكل فم بقلة ، ومن الماء جرعة ، إنكم ترون ولا تعلمون ، لن يرى ما أصف لكم إلا كل ذى قلب واع ، ولكل شيء راع ، ولكل رزق ساع ، ما أكتسب وما أحق ، وما رأيت شيئاً قط إلا سمعت حسه ، ووجدت مسه ، وما رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ، وما رأيت جائياً إلا داعياً ولا غانماً إلا خائباً ، ولا نعمة إلا ومعها بؤس ، ولو كان يميت الناس الداء لأحياهم الدواء ، فهل لكم فى العلم العاليم ؟ » قيل : ما هو قد فات فأصبت وأخبرت فصدقت ؟ فقال : « أرى أموراً شتى وشيئاً شياً حتى يرجع الميت حياً ، ويعود اللاشئ شيئاً ، ولذلك خاقت الأرض والسماء » فتولوا عنه راجعين ، فقال : وَيَلْمَهَا نصيحة لو كان من يقبلها . ومن كلامه أيضاً : « من طلب شيئاً وجده » وفى مجمع الأمثال للميدانى أن أول من قال ذلك : عامر بن الظرب وكان سيد قومه فلما كبر وخشى عليه قومه أن يموت اجتمعوا إليه فقالوا : إنك سيدنا وقائلنا وشريفنا فاجعل لنا شريفاً وسيداً وقائلاً بعدك . فقال : (يا معشر عدوان كلفتموني بغيراً إن كنتم شرفتموني فإني أريتكم ذلك من نفسى فأنى لكم مثلى . أفهموا ما أقول لكم إنه من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به ، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل ، ولم يزل الباطل ينفر من الحق ، يا معشر عدوان

لا تسمتوا بالدلة ولا تفرحوا بالعزة فبكل عيش يعيش الفقير مع الغنى ومن ير يوماً
ير به ، وأعدوا لكل أمر جوابه ، إن مع السفاهة الندامة ، والعقوبة نكال
وفيها ذمامة ، ولليد العليا العاقبة والقود راحة لا عليك ولا لك ، وإذا شئت وجدت
مثلك إنَّ عليك كما أنَّ لك ، وللكترة الرعب ، وللصبر الغلبة ، ومن طاب شيئاً
وجدته ، وإن لم يجده يوشك أن يقع قريباً منه ، ومنهم :

غيلان بن سلمة الثقفي

وهو غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف
ابن ثقيف وسمى أبو عمرو جدّه شرحبيل : قال المرزباني في معجم الشعراء : غيلان
شريف شاعر أحد حكام قيس في الجاهلية .

« وأنشد له »

لم ينتقص مني المشيبُ قلاماً^(١) الآن حينَ بدا ألبُّ وأكيسُ
والشيب إنَّ يحلل فإنَّ وراءه عمراً يكونُ خلاله متنفسُ

وفي مجمع الأمثال للميداني : غيلان بن سلمة الثقفي من حكام قيس ، وكانت
له ثلاثة أيام يوم يحكم بين الناس ، ويوم ينشد فيه شعره ، ويوم ينظر فيه إلى جماله ،
وجاء الإسلام وعنده عشر نسوة فتخيره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاختار أربعاً .
وعده أيضاً صاحب القاموس من حكام قيس . وأسلم بعد فتح الطائف ، وكان
أحد وجوه ثقيف وأسلم أولاده عامر وعمار ونافع وهو أحد من نزل فيه قوله تعالى
(على رجل من القريتين عظيم) وقد روى ابن عباس عنه شيئاً من شعره ، وهو
ممن وفد على كسرى فبنى له حصناً بالطائف ، وله معه خبر ظريف قال أبو الفرج
الأصبهاني بعد أن ساق سنده : كان غيلان بن سلمة قد وفد على كسرى فقال
له ذات يوم أى ولدك أحب إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ
قال : عجبت لك هذا العقل . وقد روى الهيثم بن عدى هذه القصة أبين من

(١) القلامه بالضم ماسقط من الظفر .

هذه ، وفيها : كان أبو سفيان في نفر من قريش ومن ثقيف فوجهوا بتجارة إلى العراق فقال لهم أبو سفيان : إنا نقدم على ملك جبار لم يأذن لنا في دخول بلاده فأعدوا له جواباً . فقال غيلان : أنا أكفيكم على أن يكون نصف الربح لي قالوا نعم فتقدم إلى كسرى وكان جميلاً فقال له الترجمان : يقول لك الملك كيف قدمتم بلادى بغير إذنى ؟ فقال : لسنا من أهل عداوتك ولا تجسسنا عليك وإنما جئنا بتجارة فإن صلحت لك خذها وإلا فائذن لنا في بيعها ، وإن شئت رجعنا بها . قال : وسمعت صوت الملك فسجدت فقيل له لم سجدت ؟ قال : سمعت صوت الملك حيث لا ينبغي أن ترفع الأصوات . فأعجب كسرى وأمر أن توضع تحتة مرققة فرأى عليها صورة كسرى فوضعها على رأسه . فقيل له : لم فعلت ذلك ؟ قال : رأيت عليها صورة الملك فأجلتها أن أجلس عليها . فاستحسن ذلك أيضاً ثم قال له : ألك ولد ؟ قال نعم . قال : فأيتهم أحب إليك ؟ قال الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم . قال : أنت حكيم من قوم لا حكمة فيهم . وأحسن إليه ، وذكرها أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل بغير إسناد أطول مما هنا فقال : خرج أبو سفيان بن حرب في جمع من قريش وثقيف يريدون بلاد كسرى بتجارة لهم فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان فقال : إنا في سيرنا هذا لعلنا نخطر ، ما قدومنا على ملك لم يأذن لنا بالقدوم عليه وليست بلاده لنا بمتاجر فأياكم يذهب بالغير فنحن برآء من دمه إن أسيب ، وأن يغنم فله نصف الربح ؟ فقال غيلان بن سلمة أنا أمضى بالغير وأنشده :

فلو رأيت أبو غيلان إذ حسرت عني الأمور بأمر ماله طبق^(١)
لقال : رعبٌ ورهبٌ أنتَ بينهما حبُّ الحياة وهول النفس والشفق
أما مشف على مجدٍ ومكرمةٍ أو أسوة لك فيمن يهلك الورق^(٢)

(١) الطبق غطاء كل شيء ، والحسر : الكشف (٢) قوله مشف على مجد هكذا هو في الأصل وامله مسف الى مجد من اسف اليه اى دنا ، والمكرمة بضم الراء اسم من الكرم والأسوة : القدوة ، والورق : الدراهم المضروبة

فخرج بالير وكان أبيضَ طويلًا جعداً^(١) فتخلَّق^(٢) ولبس ثوبين أصفرين وأشهر نفسه وقعد يباب كسرى حتى أذن له فدخل عليه وشباك بينه وبينه فقال له الترجمان : يقول لك ما أدخلك بلادى بغير إذنى ؟ فقال : لست من أهل عداوة لك ولم أكن جاسوساً ، وإنما حملت تجارة فإن أردتها فهى لك وإن كرهتها رددتها . قال : فإنه ليتكلم إذ سمع صوت كسرى فخرَّ ساجداً . فقال له الترجمان يقول لك ما أسجدهك ؟ قال : سمعت صوتاً مرتفعاً حيث لا ترفع الأصوات فظننته صوت الملك فسجدت . قال : فشكر له ذلك وأمر بمرقعة فوضعت تحته فرأى فيها صورة الملك فوضعها على رأسه . فقال له الحاجب : إنا بعثنا بها إليك لتقعد عليها . فقال : قد علمت ولكننى رأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم أعضائى . فقال : ما طعامك فى بلادك ؟ قال : الخبز . قال : هذا عقل الخبز ثم اشترى منه التجارة بأضعاف أثمانها وبعث معه من بنى له أطماً^(٣) بالطائف فكان أول أطم بنى بالطائف . ومن أخبار غيلان فى الجاهلية ما حكاه أبو سعيد السكرى فى ديوان شعره أن بنى عامر أغاروا على ثقيف بالطائف فاستنجدت ثقيف بنى نصر بن معاوية وكانوا حلفاءهم فلم ينجدوهم فخرجت ثقيف إلى بنى عامر وعليهم يومئذ غيلان بن سلمة فقاتلوهم حتى هزموا بنى عامر ، وفى ذلك يقول غيلان فذكر شعراً يذكر فيه الوقعة ، وأخباره كثيرة مفصلة فيما أعيدَ لمثلها من الكتب . ومنهم :

هاشم بن عبد مناف القرشى

وهو من أكابر رجال قريش . وساداتهم وحكامهم ، وملك بعد أبيه الرفادة والسقاية واستقرت له الرياسة وصارت قريش له تابعة تنقاد لأمره وتعمل برأيه .

(١) جعد الشعر جعودة إذا كان فيه التواء وتقبض فهو جعد وذلك خلاف المسترسل (٢) أى تطيب بالخلوق وهو ضرب من الطيب (٣) الأطم : القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح

وكان يعمل الطعام للحجاج يأكل منه من لم يكن له سسمة ولا زاد ويقال لذلك الرفادة ، وأخباره كثيرة مشحونة منها كتب السير . وكان ذا أهل هلال ذى الحجة قام صبَّيخته وأسند ظهره إلى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول في خطبته : يامعشر قريش إنكم سادة العرب ، أحسنها وجوهاً ، وأعظمها أحلاماً ، وأوسط العرب أنساباً ، وأقرب العرب بالعرب أرحاماً ، يامعشر قريش إنكم جيران بيت الله . أكرمكم الله بولايته ، وخصكم بجواره ، دون بني إسماعيل ، وإنكم يأتاكم زوار الله يظلمون بيته فهم أضيافه ، وأحق من أكرم أضياف الله أتم فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتون شعثاً غبراً من كل بلد على ضوامر^(١) كالقذاح ، فأكرموا ضيفه وزوار بيته ، فورب هذه البنية^(٢) . لو كان لي مال يحمثل ذلك لكفيتكموه ، وأنا مخرج من طيب مالى وحلالى مالم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ بظلم ، ولم يدخل فيه حرام . فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل ، وأسألكم بحرمه هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم إلا طيباً لم يؤخذ ظاماً ، ولم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ غصباً ، فكانوا يجتهدون في ذلك ويخرجونه من أموالهم فيضمونه في دار الندوة . وتنافرت قريش وخزاعة إليه فخطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة فقال في خطبته : أيها الناس نحن آل إبراهيم وذرية إسماعيل وبنو النضر بن كنانة وبنو قصي بن كلاب وأرباب مكة وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب ومعدن المجد ، ولكل في كل حلف يجب عليه نصرته وإجابة دعوته إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة وقطع رحم ، يا بني قصي أنتم كفصن شجرة أيهما كسر أوحش صاحبه والسياف لا يصابان إلا بغمده ، وراى العشيرة^(٣) يصيبه سهمه . ومن أمحكه^(٤) اللجاج أخرجه إلى البنى ، أيها الناس الحلم شرف ، والصبر ظفر .

(١) جمع ضامر وهو الجمل المهزول (٢) البنية على فعيلة الكعبة لشرفها إذ هي أشرف مبنى يقال لا ورب هذه البنية ماكان كذا وكذا وفي حديث البراء رأيت بان لا أجعل هذه البنية منى بظهر يريد الكعبة وكانت تدعى بنية إبراهيم عليه السلام لأنه بناها وقد كثر قسمهم برب هذه البنية (٣) وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

قومي هم قتلوا أميم أخى فاذا رميت أصابنى سهمى
(٤) أغضبه

والمعروف كثر ، والجود سؤدد ، والجهل سفه ، والأيام دول ، والدهر عُيْر ، (١) والمرء منسوب إلى فعله ومأخوذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا الجليس يعمر ناديكم ، وحاموا الخليط يرغب في جواركم ، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم ، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة . وإياكم والأخلاق الدنية فإنها تضع الشرف ، وتهدم المجد ، وإن نهضة الجاهل (٢) ، أهون من حزيرته ، ورأس المشيرة يحمل أثقالها . ومقام الحليم عظة لمن انتفع به ، فقالت قريش : رضينا بك أبا نضلة وهي كنيته . قال الإمام الماوردي بعد إيراد هذه الخطبة في كتابه أعلام النبوة : فانظروا إلى ما أمر به من شريف الأخلاق ، ونهى عن مساوى الأعمال ، هل صدر إلا عن غزارة فضل ، وجلالة قدر وعلو همة ، وما ذاك إلا لاصطفاء يراد ، وذكر يشاد . لأن توالى ذلك من الآباء ، يوجب تناهيه في الأبناء . ومنهم :

عبد المطلب بن هاشم القرشي

وكان أيضاً من حكام قريش ، وهو جد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعى (شبيبة الحمد) لكثرة حمد الناس له لأنه كان مفزع قريش في النوائب وماجأهم في الأمور فكان شريف قريش وسيدها كمالاً وفعالاً من غير مدافع ، وكان مجاب الدعوة ، وكان يقال له (الفياض) لجوده و (مطعم طير السماء) لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤس الجبال ، وكان من حماة قريش وحكائها ، وكان ممن حرم الحجر على نفسه في الجاهلية ، وكان نديمه حرب بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف والد أبي سفيان ، وكان في جوار عبد المطلب يهودى فأغلظ ذلك اليهودى القول على حرب في سوق من أسواق (تهامة) فأغرى عليه حرب من قنله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ

(١) أى متقلب (٢) زجره .

منه مائة ناقة دفنها لابن عم اليهودي حفظاً لجواره . ثم نادى عبد الله بن جُدعان ، وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبنى ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيئات الأمور . وكان يقول : لن يخرج من الدنيا ظالم حتى ينتقم منه ، وتصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظالم من أهل الشام لم تصبه عقوبة فليل لعبد المطلب في ذلك ، ففكر وقال : والله إن وراء هذه الدار داراً يجزى فيها المحسن بإحسانه ، ويعاقب المسيء بإساءته — أى فالظالم شأنه في الدنيا ذلك حتى إذا خرج من الدنيا ولم تصبه العقوبة فهي معدة له في الآخرة — ورفض في آخر عمره عبادة الأصنام ووجد الله سبحانه وتعالى ، وتوثر عنه سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنن بها ، منها الوفاء بالنذر ، والنهي عن نكاح المحارم ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل الموءودة ، وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان . ومنهم :

أبو طالب بن هاشم بن عبد مناف

وهو عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وناصره ولد قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخمس وثلاثين سنة ، ولما مات عبد المطلب وصى بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم إليه فكفله وأحسن تربيته ، وسافر به إلى الشام وهو شاب . ولما بعث صلى الله تعالى عليه وسلم قام بنصرته وذب عنه من عاداه ومدحه عدة مدائح واسمه عبد مناف على المشهور واشتهر بكنيته ، وقيل اسمه عمران ، وقيل شيبه . وكان من حكام قريش وساداتها ومرجعها في الملل . قال الواقدي : وتوفي أبو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة وهو ابن بضع وثمانين سنة واختلف في إسلامه . قال ابن حجر : رأيت لعل بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب ، وزعم أنه كان مسلماً ومات على الإسلام وإن الحشوية تزعم أنه مات كافراً ، واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه انتهى . ومن شعره قوله

ودعوتى وزعمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت قبل أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
ومن شعره الذى قاله وهو فى الشعب :

ألا أبلغنا عنى على ذات بيننا لؤياً وخصاً من لؤى بنى كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كوسى خطاً فى أول الكتب
وأن عليه فى العباد مودةً ولا خير ممن خصه الله بالحب

وهى قصيدة جيدة على هذا الأسلوب ، وله قصيدة لامية طويلة تزيد على
مائة بيت وهى من جيد شعره عاذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها إلى
أشراف قومه ، وأخبر قريشاً أنه غير مسلم محمداً رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لأحد حتى يهلك دونه ومدحه فيها أيضاً ، وقالها فى الشعب لما اعترل مع بنى هاشم
ونبى عبد المطلب قريشاً . وسبب دخوله الشعب أن كفار قريش اتفق رأيهم على
قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا : قد أفسد أبناءنا ونساءنا ، فقالوا
لقومه : خذوا منا ديةً مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش وتريحوننا وتريحون
أنفسكم فأبى بنو هاشم من ذلك ، وظاهرهم بنو عبد المطلب فاجتمع المشركون
من قريش على منا بدتهم وإخراجهم من مكة إلى الشعب ، فاما دخلوا الشعب أمر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى
أرض الحبشة وكانت متجراً لقريش ، وكان يثنى على النجاشى بأنه لا يظلم عنده
أحد ، فانطلق عامة من آمن بالله ورسوله إلى الحبشة ودخل بنو هاشم وبنو عبد المطلب
الشعب مؤمنهم وكافرهم فالؤمن ديناً والكافر حمية ، فلما عرفت قريش أن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قد منعه قومه أجمعوا على أن لا يبايعوه ولا يدخلوا إليهم
شيئاً من الرفق وقطعوا عنهم الأسواق ولم يتركوا طعاماً ولا إداماً إلا بادروا إليه
واشتروه ولا يبايعوهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رافة حتى
يسلموا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها

في الكعبة ، وتمادوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاث سنين فاشتد البلاء على
بنى هاشم ومن معهم فأجمعوا على تقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة ،
وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأبي طالب : يا عم إن ربي قد سلط الأرضة
على صحيفة قريش فلحستها إلا ما كان اسماً لله فأبقتة . قال : أربك أخبر بهذا ؟
قال : نعم . قال : فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج إلى قريش . فقال : يا معشر
قريش إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أن هذه الصحيفة التي في أيديكم قد بعث الله
عليها دابة فلحست ما فيها فإن كان كما يقول فأفيقوا فلا والله لا نسله حتى نموت ،
وإن كان يقول باطلا دفعناه إليكم . فقالوا : قد رضينا ففتحو الصحيفة فوجدوها
كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا : هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك
بغياً وعدواناً ، فقال أبو طالب : يا معشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر
وتبين أنكم أهل الظلم والقطيعة ؟ ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة وقال :
اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ، ثم انصرف
إلى الشعب وقال هذه القصيدة . قال ابن كثير : هي قصيدة بليغة جداً لا يستطيع
أن يقولها إلا من نسبت إليه ، وهي أخل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى .
منها قوله :

خليلي ما أذني لأولِ عاذلٍ بصغواءٍ في حقٍ ولا عند باطلٍ^(١)
خليلي إن الرأي ليس بشركةٍ ولا نهنه عند الأمور البلابل^(٢)

(١) بصغواء خبر ما النافية وهي حجازية ولذا زيدت الباء ، والصغوا المييل
واصغيت الى فلان اذا ملت بسمعك نحوه ولأول عاذل متعلق بصغواء وفي
حق متعلق بعاذل أي لا اميل بأذني الأول عاذل في الحق وانما قيد العاذل
بالاول لانه اذا لم يقبل عدل العاذل الأول فمن باب اولي أن لا يقبل عدل
العاذل الثاني فان النفس اذا كانت خالية الذهن ففي الغالب أن يستقر فيها
أول ما يرد عليها . (٢) أراد ان الرأي الجيد يكون بمشاركة العقلاء فان لم
تشاركوا بان كانوا متباغضين لم ينتج شيئاً والرأي ما لم يتخمر في العقول
كان فطيراً ، والنهنه بنونين وهاءين كجعفر : المضيء والنير الشفاف الذي
يظهر الاشياء على جليتها وأصله الثوب الرقيق النسج ومن شأنه ان لا يمنع
النظر الى ما وراءه وهو معطوف على شركة ، والبلابل اما جمع بلبله بفتح
الباءين أو جمع بلبال بفتحهما وهما بمعنى الهم ووساوس الصدر كزلازل
جمع زازلة وزلازل بالفتح وهو اما على حذف مضاف أي ذات البلابل أو انها
بدل من الامور .

ولما رأيتُ القومَ لا وُدَّ عندهم وقد قطعوا كلَّ العُرا والوسائل (١)
 وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طأوعوا أمرَ العدوِّ المزائل (٢)
 وقد حالفوا قوماً علينا أظنةً يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل (٣)
 صبرتُ لهم نفسى بسمراءَ سمجةٍ وأبيض عصبٍ من تراثِ القاول (٤)
 وأحضرتُ عند البيت رهطى وإخوتى وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل (٥)
 قياماً ممّا مستقبليين رتاجه لدى حيث يقضى خلفه كل نافل (٦)
 أعوذُ ربِّ الناس من كل طاعن علينا بسوءٍ أو مُلحٍّ بباطل (٧)
 ومن كاشحٍ يسمي لنا بعميةٍ ومن مُلحقٍ في الدين مالم نحاول (٨)

وكلها على هذا المنوال وهي مذكورة مع شرحها في كتاب لب لباب لسان العرب . وعن هشام بن محمد بن السائب الكلبى أنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال : يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدم الشجاع ، الواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلنكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب وعلى حربكم إلب (٩) ، وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية (يعنى السكبة) فإن فيها

(١) أراد بالقوم كفار قريش ، والعرا جمع عروة وهي معروفة وأراد هنا ما يتمسك به من العهود مجازاً مرسلًا ، والوسائل جمع وسيلة وهي ما يتقرب به . (٢) صارحونا أى كاشفونا بالعداوة وصريحاً والصراحة وان كانت لازمة لكنها لما نقلت الى باب المفاعلة تعدت ، والمزائل اسم فاعل من زائله مزائلة وزيالاً فارقه وبابنه وإنما يكون العدو مفارقاً اذا صرح بالعداوة فلا تمكن العشرة . (٣) حالفوا قوماً مثل صارحونا في أنه كان لازماً وتعدى الى المفعول بنقله الى باب المفاعلة والتحالف التعاهد والتعاقد على أن يكون الامر واحداً في النصرة والحماية وعلينا متعلق بحالفوا ، والاظنة جمع ظنين وهو الرجل المتهم والظنة بالكسر التهمة والجمع الظن . (٤) الصبر والحبس ، والسمراء : القنادة ، والسمجة اللدنة اللينة بالهز والانعطاف ، والابيض : السيف ، والعصب : القاطع ، والمقاول جمع مقول بكسر الميم الرئيس وهو دون الملك . (٥) الوصائل ثياب مخططة يمانية كان البيت يكسب بها . (٦) الرتاج : الباب العظيم وهو مفعول مستقبليين ، والنافل فاعل من النافلة وهو التطوع . (٧) قوله ملح اسم فاعل من الح على الشيء اذا أقبل عليه مواظباً . (٨) العمية العمية والنقيصة ، ونحاول : نريد ، والكاشح : مضمر العداوة . (٩) واحد مجتمعون عليه بالظلم والعداوة .

مرضاة للرب وقواماً للمعاش ، وثباتاً للوطأة ، صلوا أرحامكم فإن في صلة الرحم منسأة (أى فسحة) في الأجل ، وزيادة في العدد ، أتركوا البنى والمعوق ففيهما هلكت القرون قبلكم ، أجيئوا الداعي ، وأعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والمات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة فإن فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام ، وإنى أوصيكم بحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاءنا بأمر قبيلة الجنان^(١) ، وأنكره اللسان ، مخافة الشنآن وأيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس ، قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، فخاص بهم غمرات الموت وصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناً ، ودورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً ، وإذا أعظمهم عليه ، أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها ، وأصفت له بلادها ، وأعطته قيادها ، يامعشر قريش كونوا له ولاية ، ولحزبه حماة ، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ، ولا يأخذ بهديه أحد إلا سعد ، ولو كان لنفسى مدة ، وفي أجل تأخير ، لكففت عنه الهزاهز ولدافقت عنه الدواهي ، ثم هلك ، ومنهم :

العاص بن وائل القرشي

عده صاحب القاموس من حكام قريش وكذلك الميداني فإنه قال في كتاب مجمع الأمثال : العاص بن وائل من حكام قريش . وقد ذكر نسبه الزبيدي في شرحه على القاموس فقال : العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤي انتهى وهو والد عمرو بن العاص الصخابي المشهور وكان له قدر في الجاهلية ولم يوفق للإسلام . قال ابن الكلبي : كان من حكام قريش ، وأجار عمر رضي الله تعالى عنه حين أسلم . وقد أخرج الزبير بن بكار

هذه القصة مطولة وفيها : أنَّ العاص بن وائل قال رجل اختار لنفسه أمراً فإلکم وله فردٌ الشركين عنه . وكان موته بمكة قبل الهجرة ، ولم أقف على كمال خبره فيما بين يدي من كتب الأدب سوى ما ذكرت وهو كاف في المقصود . ومنهم :

العلو بن هارثة القرشي

وهو على ما في القاموس أيضاً من حکام قريش ، واسم جده نضلة بن عبد العزى بن رياح وكان عند قريش بمكان مكين من علو المنزلة ونفوذ الحكم وسمة الاطلاع بأحوال العرب وأنسابهم وأحسابهم . ومنهم :

ربيعة بن حذار الأسدي

كان حکماً من حکام بني أسد وإليه مرجعهم في كل ما يعين لهم من الحوادث وإليه نافر خالد بن مالك بن تميم النهشلي القمقاع بن معبد التميمي كما ذكرناه سابقاً عند ذكر المنافرات وكان ما أوردناه من رواية الميداني في كتاب مجمع الأمثال . ورأيت القصة في كتاب أسد الغابة عند ترجمة خالد هذا بلفظ آخر وكلام أبسط وأشمل فأحببت ذكرها هنا تكميلاً للفائدة وهي : إن خالداً هو الذي نافر القمقاع إلى ربيعة بن حذار الأسدي فقال هاتيا مكارمكما . فقال خالد : أعطيت من سأل ، وأطعمت من أكل ، ونصبت قدوري حين وضعت السمك ذيولها ، وطعمت يوم (شواخط) فارساً فجعلت فخذيه بفرسه . فقال : يا قمقاع ما عندك ؟ فأخرج قوس حاجب فقال : هذا قوس عمي رهنها عن العرب وهاتان نملا جدي قسم فيها أربعين مرباعاً وهذه زريبة^(١) زرارة لم ير ناره خائف إلا أمن ولم يمسك بطنب فسقاطه^(٢) أسير إلا فك . فنأدى ربيعة بن حذار إن الساحة واللهي^(٣) والمرباع والشرف الأسبغ للقمقاع إلا أني نفرت من كان أبوه معيداً وعمه حاجباً وجده زرارة . قال أبو أحمد العسكري : ثم أدرك القمقاع بن معبد وخالد بن مالك النهشلي

(١) البساط أو كل ما بسط واتكىء عليه . (٢) يضم الفاء وكسرهما بيت من الشعر والجمع فساطيط . (٣) العظايا .

الإسلام فوفدا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أبو بكر : أمر هذا^(١) .
وقال عمر : أمر هذا^(٢) . فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لولا أنكما اختلفتما
لوليتهما وأخذت برأيكما ، وهذه المقالة من أبي بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما قد
ذكرت في ترجمة القعقاع بن معبد من كتاب أسد الغابة ، وكان الثانى الأقرع بن
حابس التميمي ، وهو الأكثر . وقد نسب خالد المذکور ابن السكبي فقال خالد
ابن مالك بن ربي بن مسلم بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك
ابن زيد مناة بن تميم . وقال كان شريفاً ولم يذكر له صحبة إلا أبو أحمد المسكري .
والله أعلم . ومنهم :

يعمر الشدّاخ الكنانى^(٣)

وهو يعمر بن عوف بن كعب ولقب بالشدّاخ لأنه شدّخ دماء خزاعة وكان حكاماً
من حكام كنانة ، وكان عالم العرب في وقته خبيراً بأنسائهم وأحسابهم . ومنهم :

صفوان بن أصبة

كان أيضاً من حكام كنانة وإليه مرجعهم فيما ينويهم من المهمات وكان فصيح
اللسان مشهور البيان ، وأخباره كثيرة تدل على رفعة شأنه وعلو مكانه بين
العرب . ومنهم :

سلمى بن نوفل الكنانى

كان أيضاً من حكام كنانة وعرفائها حيث كان في الفهم والفتنة بمنزلة أذعن له بها
العرب غير أنهم كانوا يفضلون عليه عامر بن الظرب العدوانى . ومنهم :

(١) هو القعقاع بن معبد بن زرارة . (٢) هو على ما في الاصابة الأقرع
ابن حابس التميمي . (٣) قال في القاموس ويعمر الشدّاخ كطوال وطيباب
وقد يفتح : احد حكامهم حكم بين قضاة وقضى في امر الكعبة وكثر القتل
فشدّخ دماء قضاة تحت قدمه وابطالها ففرض بالبیت القصى وهذا - الذى
ذهب اليه صاحب القاموس - تبعاً لبعض المؤرخين وقيل يوجد في بعض
النسخ بين خزاعة .

مالك بن حنبل بن حنبل بن حنبل

كان من حكام العرب وحكائها المشهورين بجودة الفهم وجزارة العقل وسعة الاطلاع . ومن كلامه الذي ضرب به المثل : (على الخبير سقطت) والخبير العالم والخبر العلم ، وسقطت أي عثرت عبر عن العثور بالسقوط . لأن عادة العائر أن يسقط على ما يمش عليه . وقد تمثل الفرزدق بهذا المثل للحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما حين أقبل يريد العراق فلقية وهو يريد الحجاز فقال له الحسين : ما وراءك ؟ قال : (على الخبير سقطت) قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والأمر ينزل من السماء . فقال الحسين رضي الله تعالى عنه : صدقتي . ومنهم :

عمرو بن صخرة الرومي

وحمة بضم المهملة وفتح الميم الخفيفة بعدها مثلها . ذكر أبو بكر بن دريد أنه وفد على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي ذكره غيره أنه مات في الجاهلية وكان معمرأ . وهو الذي يقول :

أخبرٌ أخبارَ القرون التي مضت ولا بدَّ يوماً أن تطار لمصرعي
أنشده له ابن الكلبي . وقال المرزباني : كان أحد حكام العرب في الجاهلية وأحد المعمرين . يقال إنه عاش ثلاثمائة وتسعين سنة . وأنشده البيت المذكور وقبله :

كبرت وطال العمر مني كأنني سليم أفاع لييله تغير مودع

وبعده

وما السقم أبلاني ولكن تنابعت
على سنون من مصيف ومربع
ثلاث مئين من سنين كوامل
وها أنا هذا أرتجي مرّ أربع
فأصبحت بين الفخ والعش نادياً
إذا رام تطياراً يقال له : قع (١)

(١) الفخ : آلة يصاد بها .

أخبر أخبار القرون البيت . قال : ويقال إنه الذي كان يقال له ذو الحلم وضربت به العرب المثل في قرع العصا لأنه بعد أن كبر صار يذهل فاتخذوا له من يوقظه فيقرع العصا ، فيرجع إليه فهمه وإليه أشار الحارث بن وعله :

وزعمتم أن لا حلوم لنا إن العصا قرعت لدى الحلم

وقال الفرزدق :

* كأنّ العصا كانت لدى الحلم تقرع *

وقال الآخر :

لدى الحلم قبل اليوم ما تفرّع العصا وما غلّم الإنسان إلا ليما
قال ابن دريد بسنده إلى الشعبي قال : كنا عند ابن عباس وهو في ضفة زمزم يفتى إذ قام إليه أعرابي فقال : أفتيتهم فافتنا . قال : هات قال : مامعنى قول الشاعر لدى الحلم قبل اليوم ، وأنشد البيت السابق ؟ فقال له ابن عباس : ذاك عمرو بن حمزة الدوسي قضى بين العرب ثلاث مائة سنة فكبر فألزموه السابع أو التاسع من ولده ، فكان إذا غفل قرع له العصا ، فلما حضره الموت اجتمع إليه قومه فأوصاهم وصية حسنة فيها حلم ، وهذا كله منقول من الإصابة لابن حجر . وقد حقق الميدنى أن أول من قرعت له العصا عامر بن الظرب ، والقول بأنه عمرو ابن حُمّة هو قول أهل اليمن ، والأبيات السابقة نسبتها إلى عامر أيضاً وجمل بدل قوله « كبرت وقد طال » تقول ابنتي لما رأته كأنني . روى أبو علي القالي في أماليه ^(١) قال حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثني عمي أبيه عن ابن السكبي عن أبي مسكين وعن الشرقى بن قطامي قال : لما مات عمرو بن حمزة الدوسي وكان أحد من تتحاكم إليه العرب مر بقبوره ثلاثة نفر من أهل يثرب قادمين من الشام الهدم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث زيد بن كلثوم (أبو كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) وعتيك بن قيس بن هيشة

ابن أمية بن معاوية ، وحاطب بن قيس بن هيشة الذي كان بسببه حرب حاطب
فمقروا رواحلهم على قبره وقام الهدم فقال :

لقد ضمت الأثره منك مرزاً عظيم رماد النار مُشترك القدرِ
حليماً إذا ما الحلم كان حزامه وقوراً إذا كان الوقوفُ على الجبرِ
إذا قتلت لم تترك مقالاً لقائلٍ وإن صلت كنت الليث يحمي حتى الأجرِ
ليبيك من كانت حياتك عزه فأببح لا بنت يُغضى على الصغرِ
سقى الأرض ذات الطول والعرض مُتجيم أحمر الرحي وأهى الثرى دائم القطرِ (١)
وما بي سقى الأرض لكن تربة أضلك في أحشائها ماخذ القبرِ
الرحى وسط الغيم ومعظمه ووسط الحرب ومعظمها . وقام عتيك فقال :

يرغم العلاء والجود والمجد والتدى طواك الردى يا خير حافٍ وناعلِ
لقد غال صرف الدهر منك مرزاً نهوضاً بأعباء الأمور الأناقلِ
يضم الغفاة الطارقين فساؤه كما ضم أم الرأس شعب القبائلِ
ويسرو دجى الهيجا مضاه عزيمة كما كشف الصبح أطراق القياطلِ (٢)
ويُسهرزم الجيش العرمرم باسمه وإن كان جرّاراً كثير الصواهلِ
وينقاد ذو البأو الأبى لحكمه فيرتد قسراً وهو جمّ الدغاولِ (٣)
ويَمْضِي إذا ما الحرب مدّت رواقها على الرّوع وأرفضت صدور العواملِ
فإمّا تُصيّبنا الحادثات بنكبة رمتك بها إحدى الدواهي الضائلِ
فلا تبعدن إن الختوف موارِدُ وكل فتى من صرفها غير وائلِ

الضائل الضواهي واحدها ضئيل . وقام حاطب بن قيس فقال :
سلام على القبر الذى ضم أعظماً تحوم المعالى حوله فتسلم

(١) ائجم المطر اذا دام وانجمت السماء اسرع مطرها ثم اقلعت وقيل
انجمت السماء دام مطرها كئجمت شجما . (٢) الغيطة : الظلمة والغيطة
اختلاط الاصوات قال ابو النجم : مستاسدا ذبابة في غيطل) وهو جمع
غيطة والغيطة البقرة الوحشية والغيطة الشجر المتف ، قال ابن الاعرابي :
الغيطة التفاف الناس واجتماعهم والغيطة غلبة النعاس .
(٣) الدغاول : الدواهي .

سلام عليه كلما ذرَّ شارقُ
فيا قبرَ عمرو جادَ أرضاً تعطفتُ
تضمَّنتَ جسمًا طابَ حيًّا وميتًا
فلو نطقتَ أرضُ لقالَ ترابها
إلى مرَّسٍ قد حلَّ بينَ ترابها
فلو وآلتُ من سَطوةِ الموتِ مُهَجَّةٌ
ولا يُبعدنكَ اللهُ حيًّا وميتًا
وقد كنتَ تُمضى الحكمَ غيرَ مهلَّلِ
لعمْرُ الذي حطَّتْ إليه على الونى
لقد هدَّ مِلمِلياءَ موتكُ جانبًا
ومنهج :
وما امتدَّ قِطْعُ من دُجَى الليلِ مُظْلِمِ
عليك مُلثٌ دائمُ القطرِ مُرْزِمِ
فأنتَ بما ضمَّنتَ فى الأرضِ مُعْلَمِ
إلى قبرِ عمرو الأزديِّ حلَّ التَّكْرُمِ
وأحجاره بدْرٌ وأضبطُ ضيغِ
لكنَّتَ ولكنَّ الردى لا يُشْمِثُ (١)
فقد كنتَ نورَ الحطبِ والحطبِ مُظْلِمِ
إذا غَالِ فى القولِ الأبلُّ الشَّمْشِمْ (٢)
حدابيرُ عوجُ نَيْهَا مُهْمِمْ (٣)
وَكانَ قديمًا ركنها لا يهدم

الحارث بن عباد السريعي

قال أبو ريش في شرح الحامسة : كان الحارث بن عباد بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة من حكام ربيعة وفرسانها المدودين ، وكان اعترل حرب بنى وائل وتنحى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه وحل وتر قوسه ونزع سنان ربحه ولم يزل معتزلا حتى إذا كان في آخر وقائعهم خرج ابن أخيه بجير بن عمرو بن عباد في أثر إبل له نَدَّتْ (٤) يطلبها فمرض له مهلهل في جماعة يطلبون غرَّة (أى غفلة) بكر بن وائل فقال لمهلهل امرؤ القيس بن أبان بن كعب بن زهير بن جشم (وكان من أشرف بنى تغلب . وكان على مقدمتهم زماناً طويلاً) : لا تفعل فوالله لئن قتلته ليقتلن به منكم كبش لا يستل عن خاله من هو وإياك أن تحقر البغي فإن عاقبتنه وخيمة ، وقد اعترلنا عمه وأبوه وأهل بيته وقومه فأبى مهلهل إلا قتله فطعنه

(١) والت . نجت ، ويشمثم : يبطىء ويشمثم بحرك ويدفع .
(٢) المهلل : المتوقف ويقال حمل عليه فما هلل ، والأبل : الظلوم ، والغشمشم : الذى يركب براسه لا يشنيه شىء عما يحب وبهوى . (٣) الحدابير جمع حدبار وهى المنحنية الظهر . والننى الشحم ، والمتهمم : الذئب ، وقوله ملعياء أى من العلياء . (٤) أى شردت ونفرت .

بالرمح وقتله وقال بوء بشسع نمل كليب . يقال أبأت فلاناً بفلان فباء به إذا قتله به ولا يكاد يستعمل هذا إلا والثاني كفاء للأول ، وسيأتي باقي القصة عند ترجمته في مبحث الفرسان . ومنهم :

الفلمس الكسائي^(١)

كان أحد حكام العرب في الجاهلية ، وكان أيضاً من نساة الشهور كان يقف عند جرة العقبة ، ويقول : اللهم إني ناسي الشهور وواضعها مواضعها ولا أعاب ولا أجاب ، اللهم إني قد أحللت أحد الصفرين وحرمت صفر المؤخر ، وكذلك في الرجيين يعني رجياً وشمبان ، انفراً على اسم الله تعالى . وذلك قوله تعالى (إنما النسيء زيادة في الكفر) وسيأتي له ذكر إن شاء الله تعالى في ترجمة ابنة الخس ، ومنهم :

ذو الأصبع العرواني

كان أحد حكام العرب في الجاهلية وشعراهم المممرين ، قال أبو حاتم في كتاب المممرين : عاش ذو الإصبع وهو حرثان بن محرث من عدوان بن عمرو بن قيس عيلان ثلاثمائة سنة وقال :

أصبحت شيخاً أرى الشخصين أربعة والشخص شخصين لما مسني الكبير
لا أسمع الصوت حتى استدير له ليلا وإن هو ناغاني به القمر
وإنما قال ليلا لأن الأصوات هادئة ، فإذا لم يسمع بالليل والأصوات ساكنة كان من أن يسمع بالنهار مع ضجة الناس ولغظهم أبعد . وإنما قيل له ذو الإصبع لأنه كانت له في رجله أصبع زائدة . وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء : ذو الإصبع حرثان بن عمرو بن عمرو بن قيس عيلان ، وكان جاهلياً وسمى ذو الإصبع لأن حية نهشت إصبعه فقطعها انتهى . وقال ابن الأنباري في شرح الفضليات :

(١) الفلمس معناد البحر .

نسبه أحمد بن عبيد وغيره ، فقالوا : هو حرثان بن الحارث والأصمى يقول :
ابن السمومل بن محرث بن شبابة بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن الظرب
ابن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان وهو الحرث بن عمرو بن سعد بن قيس
ابن عيلان بن مضر بن زرار ، وإنما سمي ذا الإصبع لأن أفعى نهشت إبهام رجله
فقطعها ، ويقال إنه كانت له إصبع زائدة انتهى . وقال السيد المرتضى في أماليه غرر
الفوائد ودرر القلائد : ومن الممرين ذو الإصبع العدواني واسمه حرثان بن محرث
ابن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر
ابن عدوان وهو الحرث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر وإنما سمي الحرث
عدوان لأنه عدا على أخيه فهم قتلته وقيل بل فقا عينه ، وقيل إن اسم ذي الإصبع
محرث بن حرثان ، وقيل حرثان بن حويرث ، وقيل حرثان بن حارثة ويكنى
أبا عدوان ، وسبب لقبه بذى الإصبع أن حية نهشته على إصبعه فشلت فسمى بذلك ،
ويقال إنه عاش مائة وسبعين سنة . وقال أبو حاتم : إنه عاش ثلاثمائة سنة وهو أحد
حكام العرب في الجاهلية ، ثم أورد السيد جملا من أحواله إلى أن أورد هذه الحكاية
وأوردها الزجاجي أيضا في أماليه الصغرى بسندهما إلى سعيد بن خالد الجدلي أنه قال :
لما قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير دعا الناس إلى
فرائضهم فأتيناه فقال : ممن القوم ؟ فقلنا : من جديلة . فقال جديلة عدوان ؟ قلنا :
نعم . فتمثل عبد الملك .

عَدِيرَ الحَيِّ من عَدْوَا نَ كانوا حَيَّةَ الأَرْضِ (١)
بني بَعْضُهُمْ بَعْضًا فلم يرعوا على بَعْضِ (٢)

(١) اختلف في العدير فمنهم من جعله مصدرا بمعنى العذر وهو مذهب
سيبويه ومنهم من جعله بمعنى عاذر كعليم وعالم والمعنى عنده بات عذرك
واحضر عاذرك وامتنع أن يجعله بمعنى العذر لأن فعلا لا يبنى على المصدر
إلا في الأصوات نحو الصهيل والنهيق والنبيح والأولى مذهب سيبويه لأن
المصدر يطرد وضعه موضع الفعل بدلا منه لأنه اسمه ولا يطرد ذلك في اسم
الفاعل وقد جاء فعيل في غير الصوت كقولهم وجب القلب وجيبا إذا اضطرب ،
وقوله كانوا حية الأرض أي كانوا يتقى منهم أكثرتهم وعزتهم كما يتقى من
الحية المنكرة . (٢) الأرعاء الإبقاء على أخيك .

ومنهم كانت الساداتُ والموفون بالقرض
ثم أقبل على رجل كنا قدمناه أمامنا جسيم وسيم ، فقال . أيكم يقول هذا الشعر؟
فقال : لا أدري . فقلت من خلفه : يقوله ذو الإصبع فتركني وأقبل على ذلك الجسيم .
فقال : وما كان اسم ذى الإصبع ؟ فقال لا أدري . فقلت أنا من خلفه : اسمه حرثان ،
فأقبل عليه وتركني ، فقال : لم سمى ذا الإصبع ؟ فقال : لا أدري ، فقلت أنا من
خلفه : نهشته حية على إصبعه . فأقبل عليه وتركني . فقال : من أيكم كان ؟ فقال :
لا أدري . فقلت أنا من خلفه : من بنى ناج ، فأقبل على الجسيم فقال : كم عطاؤك ؟
فقال : سبعمائة درهم . ثم أقبل على فقال . كم عطاؤك ؟ قلت : أربعمائة درهم فقال
لكتابيه : حط من عطاء هذا ثلاثمائة وزدها في عطاء هذا فرحمتُ وعطاني سبعمائة
وعطاؤه أربعمائة انتهى . وأورد له من شعره قوله :

أكثر كالظن المبين منهم وأضحك حتى بيدو النابُ أجمعُ
وأهدنه بالقول هدياً ولو يرى سريرة ما أخفى لبات يفرع
ومعنى أهدنه أسكنه . ومن شعره أيضاً قوله :

إذا ما الدهرُ جرد على أناسٍ شرأشيرةً أناخ بأخربنا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيئلقى الشامتون كما لقينا
ومنه قوله أيضاً :

ذهبَ الذين إذا رأوني مقبلاً هَشُوا إلىَّ ورحبوا بالمقبل
وهم الذين إذا حملت حمالةً ولقيتهم فكأنى لم أحمل
والحمالة بالفتح تحمل دية القتيل عن القاتل ومعنى الشرأشرة في البيت السابق
الثقل ومنه قوله :

ولى ابن عمِّ على ما كان من خلقٍ مختلفان فأقليةً ويقليني
أزرى بنا أننا شالت نعماتنا فخالني دونه بل خلتني دوني^(١)

(١) يقال ازرى به إذا قصر وزرى عليه إذا عابه ، وقوله شالت نعماتنا أى
تفرق أمرنا واختلف والمعنى تنافرنا فصرت لا اطمئن اليه ولا يطمئن الى .
(٢٢ - أول)

لاه ابن عمك لا أفصلت في حسب عني ولا أنت ديتاني فتخزوني^(١)
إني لعمرك ما بابي بندي غلق عن الضيوف ولا خيري بممنون
ولا لساني على الأدني بمنطق بالفاحشات ولا أغضي على الهون
ماذا علي وإن كنتم ذوى رحمي أن لا أحبكم إن لم تحبوني
يا عمرو إن لم تدع شتمى ومنقصتى أضربك حتى تقول الهامة اسقوني^(٢)
كل امرئ صائر يوماً لشيمته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين
لا يخرج القسر منى غير مفضبة ولا ألين لمن لا يبتغى ليني^(٣)
وهي قصيدة طويلة مذكورة في شرح الشواهد للعيني^(٤) وكان لدى الإصمعي
بنات أربع فمرض عليهن أن يزوجهن فأبين وقلن خدمتك وقربك أحب إلينا ثم
أشرف عليهن يوماً من حيث لا يرينه قلن . لتقل كل واحدة ما في نفسها . فقالت
كل منهن شعراً تعرض به إلى حب الأزواج ، وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل
القصة عند ذكر مناكح العرب وأنه زوجهن .

مكيمات العرب

كان في نساء العرب أيام الجاهلية ذوات كمال ، ووفور معرفة ، ومزيد فطانة
وذكاء ، ووحدة نظر ، حتى تربت بذكر مآثرهن صحف التواريخ ، وقد دونت

(١) قوله لاه ابن عمك قال قوم اراد الله ابن عمك وقال ابن دريد : اقسام
بالله ابن عمك ، وقوله عني أي على ، والديان القيم بالأمر المجازى به وتخزوني :
تسوسنى سياسة وتخزوني بالخاء والزاي المعجمتين مضارع خزاه خزوا
بالفتح ساسه وقهره وملكه وأما الخزى بالكسر وهو الهوان والذل فالفعل
منه كرضى . (٢) قوله أضربك حتى تقول الهامة اسقوني ، قال الاصمعي
العطش في الهامة واراد أضربك في ذلك الموضع أي على الهامة حتى تعطش .
وقال آخرون : ان العرب تقول ان الرجل اذا قتل خرجت من رأسه هامة
تدور حول قبره وتقول اسقوني اسقوني فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بشاره
وهذا من مذاهب العرب في الجاهلية - راجع الجزء الثانى من هذا الكتاب .
(٣) القسر : القهر أي ان أخذت قسراً لم أزد إلا أباء .
(٤) وذكرها القالى في اماليه ايضا انظر ج ١ ص ٢٥٩

كتب ودواوين مشهورة في شعرهن وفصاحة كلامهن ، وكانت منهن جملة اشتهرن
بإصابة الحكم وفصل الخصومات وحسن الرأي في الحكومة . منهن :

ابنة الخس

وهي هند بنت الخس الأيادية جاهلية قديمة ، وقد أدركت القلمس أحد حكم
العرب وقد سبق ذكره . تحاكت هي وأختها جمعة إليه ومدحته بأبيات منها :
إذا الله جازى منعماً بوفائِهِ فجازاك عنى يا قلمسُ بالكرم
وبعض الرواة يزعم أنها ماتت في زمن النعمان عند هند ابنته ويستشهد على ذلك
بقول الفرزدق :

وفيت بعهد كان منك تكرماً كما لابنة الخس الأيادى وقت هند
وليس الأمر كذلك ، وإنما مراد الفرزدق أن هنداً وقت لأختها جمعة ابنة
الخس لأنها عند ابنة النعمان ، وقد ترجمها الشريف المرتضى في أماليه وذكر
طرفاً من أمورها . ولها أسجاع كثيرة وشعر قليل ، وكانت تحاجي^(١) الرجال
إلى أن مرَّ بها رجل فسألته المحاجة فقال لها : كاد . فقالت : كاد . العروس يكون
أميراً . فقال : كاد . فقالت : كاد المتعلم يكون ركباً . فقال : كاد . فقالت :
كاد البخيل يكون كلباً . وانصرف ، فقالت له : أحجيك . فقال قولى .
فقالت : عجبت . فقال : عجبت للسبخة لا يحف ثراها ولا يبت مرعاها .
فقالت : عجبت . فقال : عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها .
فقالت : عجبت . فقال : عجبت لحفرة بين فخذيك لا يمل حفراها ، ولا يدرك
قمرها . فخبجات وتركت المحاجة . وقد روى الحريرى هذه القصة في كتابه درة
النواص ونسبها لامرأة من الجن والصواب ما ذكرناه . ومن أسجاعها : قيل لها
أى الخليل أحب إليك ؟ قالت : ذو الميمة^(٢) الصنيع ، السليط التليع^(٣) ، الأيد

١) يقال حاجيته محاجة وحجاء فحجوته فاطنته فغلبته .
٢) يقال ماع الشيء يميع جرى على وجه الأرض منسبطاً في هيئة
والفرس جرى . ٣) السليط : الشديد ، والتليع : الرافع رأسه في مشيه .

الضليع^(١) ، الملهب^(٢) السريع . فقيل لها : أى الغيوث أحب إليك ؟ قالت :
ذو الهَيْدَب^(٣) المنبثق ، الأضخم المؤتلق^(٤) ، الصخب المنبق^(٥) ، وروى الشريف
المرتضى فى أماليه عن ابن الأعرابى أنه قيل لابنة الخس : ما مائة من المعز . قالت :
مويل يشف من ورائه مال الضميف وحرفة العاجز . قيل : فما مائة من الضأن ؟
قالت : قرية لاجمى لها . قيل : فما مائة من الإبل ؟ قالت : بخ جمال ومال ، ومنى
الرجال . قيل : فما مائة من الخيل ؟ قالت : طغى من كانت له ولا يوجد . قيل :
فما مائة من الحجر ؟ قالت : عازبة الليل ، وخزى المجلس ، لابن فيحلب ولا صوف
فيجز ، إن ربط غيرها أدلى ، وإن ترك ولى . وقيل لها : من أعظم الناس فى عينك ؟
قالت : من كانت لى إليه حاجة . وعن ابن الأعرابى أيضاً قيل لابنة الخس : ما أحسن
شئ ؟ قالت غادية فى إثر سارية فى بنحاء قاوية . قال : بنحاء أرض مرتفعة لأن
النبات فى موضع مشرف أحسن . وفى أمالى أبى على القالى شئ من أسجاعها .
وشقرها جيد ، ومنه قولها :

أشمَّ كُنْصَلِ السيفِ جَعْدَ مرَجَلٍ شغفتُ به لو كانَ شئَ مدانيا
وأقسم لو خيرت بين لقائه وبين أبى لاخترتُ أن لا أباليا

والخس بضم الخاء المعجمة وتشديد السين المهملة ابن حابس رجل من إباد
قال فى القاموس : وهو أبو هند بنت الخس أو هى من العاليق والأيدية جمة
بنت حابس كتأها من الفصاح انتهى . وأغرب الجوالقي فقال : قال الأصمى
سمعت ناساً يحدثون أن ابنة الخس كانت قاعدة فى جوارٍ فر بها قطا واردٌ
فى مضيق من الجبل . فقالت : يا ليت ذا القطا لنا * ومثل نصفه معه * إلى قطة
أهلنا * إذا لنا قطة مائة * فاتبعت القطا فمدت على الماء فإذا هى ست وستون

(١) الأيد : القوى ، والضليع : التام الخلق المجفر والغليظ الألواح والكثير
العصب . (٢) هو الذى يجتهد فى عدوه حتى يثير الغبار . (٣) الهيدب :
السحاب ما تهدب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط ، والمنبثق : السحاب
المتصّب بشدة . (٤) ائتلق البرق : لمع واضاء . (٥) الصخب ذو الصياح
والجلبة ، والمنبثق : المنفجر .

انتهى^(١) والصواب أن صاحبة القطاهي زرقاء اليمامة . وإلى هذه القصة أشار النابغة
الذياني بقوله من أبيات يخاطب بها النعمان بن المنذر ويمتابه ويمتذر إليه مما
أتهم به عنده :

فاحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرتُ إلى حمامٍ شرعٍ وارد الثمد
يحفه جانباً نيقٍ وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمذ
قالت ألا ليتنا هذا الحمامُ لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد
خسبوه فألفوه كما ذكرت تسمأً وتسمين لم تنقص ولم تزد^(٢)
فكملت مائة فيها حمامتها وأسرت حسبةً في ذلك العدد

قال من شرح هذه القصيدة قوله فاحكم كحكم أى كن حكيماً كهذه الفتاة أى
أصب في أمرى كإصابتها في حدسها بالنظر . وأراد بفتاة الحى زرقاء اليمامة . قال
الزنجشري : أبصر من الزرقاء من مستقصى الأمثال هى من بنات لقمان بن عاد ملكة
اليمامة ، واليمامة اسمها فسميت البلدة باسمها وقيل اسمها عنز وهى إحدى الزرق الثلاث
أعينها والزباء والبسوس . وكانت جدسية ، وحين قتل جديس طسما استجاش قبيلة
طسم حسان بن تبع إلى اليمامة فلما صاروا من جو على مسيرة ثلاث ليال صعدت
الأطم^(٣) الذى يقال له (السكب) فنظرت إليهم وقد استتر كل بشجرة تلبساً
عليها فارتجزت بقولها :

(١) أقول ان هذه القصة قد تداولها الناس في كتبهم وتلقوها بالقبول ،
وانى لا أرى من المستحيل ان يتفق هذا لاحد مع التساهل في تجويز الرؤية
وسرعتها على ان احصاء هذا العدد والحمام والقطا في طيرانه كيف يتهيأ
وبعضه يتقدم وبعضه يتأخر وبعضه يتسفل وبعضه يستعلى . والأغرب
ما ذكره النابغة في بيته :

يحضه جانباً نيقٍ وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمذ
يريد بجانبى النيق : حافى الجبل واذا كان الحمام بين جبلين
ضاق المكان عليه وركب بعضه بعضاً متراكماً فيكون أبعد لاحصاء عدده
بخلاف ما اذا كان منبسطاً في الجو ، والأغرب أيضاً ما يذكر ونه من ان زرقاء
اليمامة كانت تنتظر الفارس من مسيرة ثلاثة أيام وقد ذكر فخر الدين الرازى
في (السر المكتوم) ما هو أسخف من هذه السخافات والأمر لله .

(٢) قوله فحسبوه فحسبوه بعضهم يشدد السين لثلاث تتوالى أربع متحركات
وبعضهم يخففها ويقول بجواز ذلك في بحر البسيط ، والفوه : وجدوه .
(٣) القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح .

أقسمُ بالله لقد دبَّ الشجرُ أو حمير قد أخذتُ شيئاً تجر
فكذبها قومها فقالت : والله لقد أرى رجلاً ينهس كتفا أو يخصف نعلا ،
فما تأهبوا حتى صبحهم الجيش ولسا ظفر بها حسان قال : ما كان طعامك ؟ قالت :
درمكة^(١) في كل يوم بمخ . قال فبم كنت تكتحلين ؟ قالت : بالإثمد وشق عينها
فرأى مروقاً سوداً من الإثمد وهي أول من اكتحل بالإثمد من العرب انتهى
المقصود منه . ومنهن :

جمعة بنت عباس الزبدي

وكانت من حكيما العرب ذات فصاحة ومنطق عذب لاتبارى ببيانها وسلاطة
لسانها ، وقد سبق أنها أخت هند بنت الحس وأنهما تحاكما إلى القلمس في كلام
لها ، وذكرها صاحب القاموس والميداني في جملة حكيما العرب وسبق القول أن جمعة
ليست أخت هند . والأول أشهر . ومنهن :

صحر بنت لقمان

كانت من نساء العرب المشهورات بالمقل والكمال والفصاحة ، وكانت العرب
تتحاكم عندها فيما ينوبهم من المشاجرات في الأنساب وغيرها . وصحُر بالصاد
والحاء المهماتين وكون أبيها لقمان هو الأصح ، وبمضهم يقول : هي أخت لقمان لابنته
والله أعلم . ومنهن :

خبيصة بنت عامر بن الطرب العمرواني

كانت خبيصة من حكيما العرب كما في القاموس وجمع الأمثال ، ولعلها هي
التي كان أبوها عامر يقول لها (مَسِي سَخِيلُ بعدها أو صَبْحِي) بناء على أنها
كانت تسمى سخيلاً أيضاً . قال الميداني عند شرحه لهذا المثل : سخيل جارية

(١) الدرمة كجعفر : دقيق الحواري .

كانت لعامر بن الظرب العدواني وكان عامر حُكِّمَ العرب . وكانت سخيل ترعى عليه غنمه ، فكان عامر يعاتبها في رعيته إذا سرحت قال : أصبحتِ يأسُخِيلِ ، وإذا أراحت قال : أمسيتِ يأسُخِيلِ وكان عامر عيٌّ في فتوى قوم اختلفوا إليه في خنثى يحكم فيه وسهر في جوابهم ليالى فقالت الجارية . أتبعه المبال فبأيهما بال فهو هو ففرج عنه وحكم به . وقال مَسَى سَخِيلَ بَمَدِّهَا أَى بَعْدَ جَوَابِ هَذِهِ الْمَسْئَلَةِ أَى لِأَسْبِيلِ لِأَحَدٍ عَلَيْكَ بَعْدَ مَا أَخْرَجْتَنِي مِنْ هَذِهِ الْوَرطَةِ ، يَضْرِبُ لِمَنْ يَبَاشِرُ أَمْرًا لَا اعْتِرَاضَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ فِيهِ . وَمِنْهُمْ :

هذام بنت الريان

وهي القائلة (لو تُرِكَ القَطَا لَيْلًا لَنَامَ) قال المفضل الضبي : أول من قال ذلك جَدَامُ بنت الريان ، وذلك أن عاطس بن خَلَّاجٍ سار إلى أبيها في حمير وخشم وجمفي وهمدان ولقيهم الريان في أربعة عَشَرَ حَيًّا مِنْ أَحْيَاءِ الْيَمَنِ فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ عَسَكُرُوا تَحَاجَزُوا وَأَنَّ الرِّيَانَ خَرَجَ تَحْتَ لَيْلَتِهِ وَأَصْحَابَهُ هَرَابًا فَسَارُوا يَوْمَهُمْ وَلَيْلَتَهُمْ ، ثُمَّ عَسَكُرُوا وَأَصْبَحَ عَاطِسٌ فَعَدَا الْمُقَاتِلِينَ فَإِذَا الْأَرْضُ مِنْهُمْ بَلَّاقِعٌ فَجَرَدَ خَيْلَهُ فَانْتَهَوْا إِلَى عَسْكَرِ الرِّيَّانِ لَيْلًا فَلَمَّا كَانُوا قَرِيبًا مِنْهُ أَثَارُوا الْقَطَا ، فَمَرَّتْ عَلَى أَصْحَابِ الرِّيَّانِ فَخَرَجَتْ حَدَامُ بنت الريان إلى قومها فقالت :

أَلَا يَا قَوْمَنَا ارْتَجَلُوا وَسَيَرُوا فَلَوْ تُرِكَ الْقَطَا لَيْلًا لَنَامَا

أى أن القطا لو ترك لما طار هذه الساعة وقد أتاكم القوم ، فلم يلتفتوا إلى قولها وأخذوا إلى المضاجع لما نالهم من الكلال فقام ديسم بن طارق فقال بصوت عال :

إِذَا قَالَتْ حَدَامُ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَدَامُ

فثار القوم فليجأوا إلى واد كان قريباً منهم فاعتصموا به حتى أصبحوا وامتنعوا منهم . قال الميداني : قلت وفي رواية أبي عبيد أن البيت للجيم بن صعب في امرأته

حدام ، وقد ذكرته في باب القاف . قال : وهذا مثل يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته . هذا ما وقفت عليه من هذا الباب ، وعليك بالكتب المؤلفة فيه إن أردت الاستيعاب ، وما ذكرته كاف في المقصود ، ونسأله تعالى التسهيل إنه ذو الكرم والجود .

الكلام على أعياد العرب في الجاهلية وأفراسهم

اعلم أن العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً ما تعود السنة أو يعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك فالعيد يجمع أموراً منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة ، ومنها اجتماع فيه ، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات ، وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقاً وكل من هذه الأمور قد تسمى عيداً ، فالزمان كقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (إن هذا يوم جملة الله للمسلمين عيداً) يعني يوم الجمعة . والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس (شهدت العيد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان ، فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة) والمكان ، كقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تتخذوا قبري عيداً) وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم للذي نذر أن ينحر بيوانة^(١) (أيتها وثن من أوثان المشركين أو عيد من أعيادهم ؟ قالوا : لا . قال : فأوف بنذر . وقد يكون لفظ العيد اسماً للمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب كقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من جملة حديث (دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا) إذا عرفت ذلك فاعلم أن العرب كانوا في الجاهلية شيعاً متفرقين وفاقاً مختلفين . قال ابن قتيبة في أديان العرب : إن النصرانية كانت في ربيعة وغسان وبعض قضاة ، وكانت اليهودية في حمير وبنو كنانة وبنو الحارس بن كعب وكندة ، وكانت المجوسية في تميم منهم زُرارة بن عدس التيمي وابنه حاجب ابن زُرارة وكان تزوج ابنته ثم ندم ، ومنهم الأقرع بن حابس فقد كان مجوسياً ،

(١) بوانة كشمامة : هضبة وراء ينبع ومآء لبني جشم ومآء لبني عقيل .

وأبو الأسود جد وكيع بن حسان فقد كان مجوسياً أيضاً ، وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة والمراد بالزندقة هنا عدم الإيمان بالآخرة وبالربوبية ولها غير هذا المعنى وكان بنو حنيفة اتخذوها في الجاهلية إلهاً من حيس^(١) فمبدوه دهرأ طويلاً ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه فقال رجل من تميم :

أكلت ربها حنيفة من جو ع قديم بها ومن إعواز
وقال آخر :

أكلت حنيفة ربها زمن التقم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة

والتقم القحط والحيس الخلط وتمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم ينذر^(٢) منه نواه وربما جعل فيه سويق ، وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل الكلام في ذلك كله . والمقصود أن العرب لم يكونوا متفقين المذهب ، ولا متحدين المسلك والمشرب ، ولا شك أن الأعياد من الديانات ، ولو احق العبادات ، وإلى ذلك ذهب المفسرون في قوله تعالى : (ولكل أمة جعلنا منسكاً م ناسكوه) فقد فسروا المنسك بالمعيد فلم يكن العرب يومئذ متفقين في الأعياد ، كما لم يتفقوا في الدين والاعتقاد ، فلزم أن نبين ما لكل فرقة منهم من الأعياد والمواسم على وجه الإجمال ، ولو ذكرنا ما كان لكل قبيلة من ذلك على وجه التفصيل لطال المقال ، ومن الله نستمد التوفيق وعليه الاتكال .

أعياد المشركين من عبادة الأصنام

كان لعباد الأصنام من العرب في الجاهلية أعياد كثيرة منها مكانية ومنها زمانية أما « المكانية » فكثيرة ، وهي مواضع أصنامهم وأوثانهم وأمكنة طواغيتهم وكانت الطواغيت الكبيرة التي كانت تشد إليها الرحال وتتخذ عيداً ثلاثة : اللات

(١) سيأتي تفسيره . (٢) ندر الشيء ندورا من باب قعد سقط أو خرج من غيره ومنه نادر العجبل وهو ما يخرج منه ويبرز وندر فلان من قومه .

والعُرْمَى وَمَنَاةُ الثَّالِثَةُ الأُخْرَى كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه حيث قال : (أفرايم اللات والعُرْمَى وَمَنَاةُ الثَّالِثَةُ الأُخْرَى أَلَسَمَ الذِّكْرُ وله الأُنثَى تلك إذا قِسَمَتُ ضِيزَى)^(١) وكل واحد من هذه الثلاثة لمصر من أمصار العرب ، والأمصار التي كانت من ناحية الحرم ومواقيت الحج ثلاثة : مكة والمدينة والطائف ، فكانت اللات لأهل الطائف . ذكروا أنه كان في الأصل رجلاً صالحاً يُلْتَمَسُ^(٢) السوق للحاج فلما مات عكفوا على قبره مدة ثم اتخذوا تمثاله ثم بنوا عليه بنية سموها بيت الربة . وأما العُرْمَى فقد كانت لأهل مكة قريباً من عرفات ، وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون ، فبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد عقب فتح مكة فأزالها وقسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مالها وخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها فيئست العُرْمَى أن تعبد . وأما مَنَاةُ فكانت لأهل المدينة يهاون لها شركاء بالله تعالى ، وكانت حذو قديد الجبل الذي بين مكة والمدينة من ناحية الساحل . وكانت لهم مواسم من السنة مخصوصة للاجتماع في هذه الثلاثة ، وكانت العرب تَقْصِدُهَا من كل فجٍّ وتمظمها كتعظيم الكعبة ، وكان لها سدنة^(٣) وحُجَّاب ، وكانوا يهدون إليها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها وينحرون عندها مع اعترافهم بفضل الكعبة عليها لعلمهم أنها بيت أبيهم إبراهيم الخليل عليه السلام ومسجده ، وكان ذو الخليفة بيتاً باليمن لختم وبجيلة فيه نصب يعمدونها ولهم فيه من السنة موسم وعيد ، وفي الحديث : (كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخليفة والكعبة الليمانية والكعبة الشامية ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لجرير ألا تريجنى من ذى الخليفة ؟ قال جرير : فنفرت في مائة وخمسين راكباً فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده فأتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته فدعا لنا

(١) أى ناقصة ويقال جائرة ويقال تضارده حقه اذا نقصه وضار في الحكم اذا جار فيه وضيزى وزنه فعلى وكسرت الضاد للياء ولييس في النعوت فعلى .
(٢) لت الرجل السوق لنا من باب قتل بله بشيء من الماء وهو اخف من البس .
(٣) يقال سدنت الكعبة سدنا من باب قتل نخدمتها فالواحد سدان والجمع سدنة والسدانة باكسر الخدمة .

ولأحس) وفي رواية أخرى فقال رسول جرير: والذي بعثك بالحق ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال فبارك في خيل أحس ورجالها خمس مرات، وهذا غير ذى الخليفة الذى نصبه عمرو بن لُحَيٍّ أسفل مكة. وكانوا يلبسونه القلائد ويحملون عليه بيض النعام ويذبجون عنده.

وكان أهل نجران يمدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد وموسم في كل سنة إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وحلى النساء ثم خرجوا إليها وعكفوا عليها يوماً فابتاع فيمون - وكان مؤمناً بعيسى عليه السلام - رجل من أشرف أهل نجران وابتاع صالحاً آخر، فكان فيمون إذا قام من الليل يتهد في بيت له أسكنه إياه سيده فإذا صلى أضاء له البيت نوراً حتى يصبح، فأحس بذلك سيده فأعجبه ما يرى منه فسأله عن دينه فأخبره به فقال له فيمون: إنما أنتم في باطل إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ولو دعوت عليها إلهى الذى أعبدته أهلها وهو الله وحده لا شريك له فقال سيده فافعل فإنك إن فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه. فقام فيمون فتطهر وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى عليها فأرسل الله عليها ريحاً فجعلتها أى قلمتها من أصلها فألقتها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام ثم دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب.

وأما «الزمانية» فهى أيام مسراتهم وأفراحهم لظفرهم على عدوهم ونصرتهم على خصومهم ومحاربتهم، وذلك إنما يكون بحسب قوم دون قوم ولقبيلة دون أخرى فيتفق في يوم هو عيد لقوم وسرور وهو لآخرين حزن وبؤس. وكان لأهل المدينة يومان يلعبون فيهما^(١) فلما قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة قال لهم (قد أبدلكم الله تعالى بهما خيراً منهما يوم الفطر والأضحى) ويوم (السبع) عيد من أعياد قبيلة من قبائل العرب فى الجاهلية يشتغلون فيه باللهو

(١) ذكر بعض شراح الحديث انهما النيروز والمهرجان وكانهم اخذوهما من الفرس.

واللب ، وكذلك يوم (السباسب) كان عيداً تقوم من العرب في الجاهلية ، قال
النايمة .

رفاقُ النعال طيبُ حُجُزَاتِهِمْ يُحَيِّونَ بِالرِّيحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ^(١)
يقول : هم أعفَاء الفروج لا يحلون إزارهم لريبة ، وكانوا إذا حيوا يقدمون
مع التحية الريحان لا أنهم يحيون بنفس الريحان . وذلك في هذا الموسم خاصة
وبعض الأدباء عمم .

أعياد الجوس وهم الفرس وشرذمة من العرب وغيرهم

وهي كثيرة جداً حتى إن علي بن حمزة الأصبهاني عمل فيها كتاباً ذكر فيه
سبب اتخاذها لها وسنن ملوكهم فيها فكرهت أن أقتني أثره في ذلك خوف التطويل
فاقتصرت منها على المشهور الذي أولع الشعراء بذكره ، واعتنى الأحرار بأمره ،
وهو (النوروز) و(المهرجان) و(السدق) فأما «النوروز» فهو تعريب نوروز
وهو أعظم أعيادهم فيقال : إن أول من اتخذ (جمشاد) أحد ملوك الطبقة الأولى
من الفرس وهذا الاسم في الأصل مركب من جم وهو القمر وشاد وهو الشماع
والضياء وسبب اتخاذهم لهذا اليوم عيداً إن (طمهورة) لما هلك ملك بعده جمشاد
فسمى اليوم الذي ملك فيه نوروزاً أي اليوم الجديد ، ونقل عن بعض المجاميع
إن جمشاد ملك الأقاليم السبعة والجن والإنس ، وأنه لما مضى من ملكه ثلثمائة
وستة عشر سنة أقبل على عجلة من زجاج عملتها له الشياطين سار بها إلى (دنياوند)
إلى (بابل) في يوم واحد ، وجعل يسير بها في الهواء حيث شاء ، وأن اليوم الذي
ركبها فيه كان أول من شهر (أفروريزماه) وكان مدة ملكه لا يريهم وجهه
فلما ركبها أبرز لهم وجهه ، وكان له حظ وافر من الجمال فحملوا يوم رؤيتهم له عيداً
وسموه نوروزاً والله تعالى أعلم بصحة ذلك . والفرس يصفون جمشاد بما وصف

(١) الحجزة . بالضم مقعد الازار ومن السراويل موضِع التكة .

به سليمان بن داود عليهما السلام ، وأنه كان مجاب الدعوة ، وأنه سأل ربه أن يرفع عن رعيته الموت والسقم فكثر الخلق حتى ضاقت بهم الأرض فسأل ربه أن يوسمها عليهم فأمره أن يأتي جبل (البيز) وهو جبل (قاف) المحيط بالأرض فيأمره أن يتسع ثلثمائة فرسخ في أحوار الأرض فاتسع ، ثم بعد ذلك طغى وتجبر فذهب بهاؤه وشماعة وهرب يجول في الأرض مائة سنة ثم ظفر به الضحاك فنشره بالندشار . ومن الفرس من يزعم أن النيروز هو اليوم الذي خلق الله تعالى فيه النور ، وأنه كان معظماً قبل جمشاد . وبعضهم يزعم أنه أول الزمان الذي ابتدأ الفلك فيه بالدوران ، ومدته عندهم ستة أيام أولها اليوم الأول من شهر (أفرودريزماه) الذي هو أول شهور سنتهم ويسمون اليوم السادس النيروز الكبير لأن ، الأكاسرة كانوا يقضون في الأيام الخمسة حوائج الناس على اختلاف طبقاتهم ، ثم ينتقلون إلى مجالس أنسهم مع خواصهم .

وحكى ابن المقفع : أنه كان من عاداتهم فيه أن يأتي الملك رجل من الليل قد أُرصد لما يفعله حسن الاسم والوجه فيقف على الباب حتى يُصبح ، فإذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان ووقف حيث يراه ، فيقول له الملك : من أنت ومن أين أقبلت وأين تريد وما اسمك ولأى شيء وردت وما معك ؟ فيقول : أنا المنصور واسمى المبارك ومن قبل الله أقبلت والملك السعيد أردت وبالهناء والسلامة وردت ومعى السنة الجديدة ، ثم يجلس ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة وعليه حنطة وشمير وجلبان وحمص وسمسم وأرز ، من كل جنس سبع سنابل وسبع حبات وقطعة سكر ودينار ودرهم جديان فيضع الطبق بين يدي الملك ، ثم تدخل عليه الهدايا ويكون أول من يدخل عليه وزيره ثم صاحب الخراج ثم صاحب الثونة ثم الناس على مراتبهم ، ثم يقدم للملك رغيف كبير مصنوع من تلك الحبوب موضوع في سلة فيأكل منه ويطعم من حضره ، ثم يقول : هذا يوم جديد من شهر جديد من عام جديد من زمان جديد يحتاج

إلى أن نجدد فيه ما أخلق الزمان ، وأحق الناس بالفضل والإحسان الرأس لفضله على سائر الأعضاء . ثم يخلع على وجوه مملكته ويصلبهم ويفرق فيه ما حمل إليه من الهدايا . وأما عوام الفرس فكانت عاداتهم إيقاد النار في ليلته ورش الماء في صباحه ، وزعموا أن إيقاد النار فيه لتحليل العفونات التي أبقاها الشتاء في الهواء وقيل : إنما فعلوا ذلك تنوياً بذكره وإشهاراً لأمره . وقيل في رش الماء إنما هو بمنزلة النشرة^(١) لتطهير الأبدان مما انضاف إليها من دخان النار الموقدة في ليلته . وقال آخرون : إن سبب رش الماء أن فيروز بن يزدجرد لما استتم بناء سور (جى) ^(٢) وأصبهان القديمة لم يقع المطر سبع سنين من ملكه ، ثم مطرت في هذا اليوم ففرح الناس بالمطر فصبوا من مائه على أبدانهم من شدة فرحهم به فصار ذلك سنة عندهم في ذلك اليوم من كل عام ^(٣) . وكثيراً ما نحا الناس هذا النحو لمواقفه إياهم بالكدر بدلاً عن الصفو ، وعند القبط بمصر عيد يسمونه (النيروز) أيضاً ويتخذونه في رأس سنتهم ويسميه نصارى الشام (القلنداس) وهم يظهرون فيه من الفرح والسرور وإيقاد النيران وصب المياه ضعف ما يفعله الفرس ويشاركونهم في ذلك العوام من المسلمين إلا أن أهل مصر يزيدون فيه التصانع بالنطاع ، وربما حملهم ترك الاحتشاد على أن يجترئوا على الرجل المطاع ، ولولا أن ولاية الأمر يردعونهم ويمنعونهم من ذلك لمنعوا الطريق من السالك وهم مع هذا من ظفروا به لا يتركونه إلا بما يرضيهم من الفداء ، كما يفعل بمن حصل في أيدي الأعداء ، ويقال إن أول من عمل نيروز القبط أشمود بن قبطم ابن مريم أحد ملوك القبط الأول ، وأول من رسم هدايا النيروز والمهرجان في الإسلام الحجاج بن يوسف الثقفي ، وأول من رفع ذلك عمر بن عبد العزيز ،

(١) بالضم رقية يعالج بها المجنون والمريض (٢) بالفتح لقب أصبهان قديماً (٣) وما أحلى قول بعضهم يخاطب من يهودا ويذكر مايمتمد في النيروز من شب النيران وصب الافواه :

وكسل ما فيه يحكيني واحكيه	كيف ابتهاجك بالنيروز ياسكني
وتارة كتوالي عبرتي فيسه	فتارة كلهب النار في كسدي
فكيف تهدي الى من أنت تهديه	اسلمتني فيه ياسؤلى الى وجب

واستمر ذلك إلى أن فتح الهدية فيه (أحمد بن يوسف الكاتب) فإنه أهدى فيه للأموون
سفظاً ذهب فيه قطعة عود هندی في طوله وعرضه وكتب معه هذا يوم جرت فيه
العادة ، بألطف العبيد للسادة ، وقد قلت :

على العبد حقٌ وهو لاشك فاعله وإنَّ عَظْمَ المولى وَجَلَّتْ فواضِلُهُ (١)

وكتب سعيد بن حميد إلى صديق له يوم نيروز : هذا يوم سهلت فيه السنة
للعبيد الإهداء للملوك وتملت كل طائفة من البر بحسب القدرة والهمة ولم أجد فيما
أملك ما يفي بحقك ، ووجدت تفريطك أبلغ من أداء ما يجب لك ومن لم يؤت
في هدية إلا من جهة قدرته ، فلا طمن عليه في همته . ولم يزل الناس على سنن
الفرس في استجباء الخراج عند دخول النيروز حتى دخل عليهم الخلل في دور
السنين فحاولوا أن يؤخروه وذلك في زمن هشام بن عبد الملك ، وبدلوا لخالد
ابن عبد الله القسري مائة ألف دينار على ذلك فكتب فيه إلى هشام ، فكتب
إليه هشام : أخاف أن يكون هذا من النسيء الذي قال الله تعالى فيه : إنما النسيء
زيادة في الكفر . فامتنع خالد من ذلك ثم سئل يحيى بن خالد بن برمك في أيام
الرشيد أن يؤخر النيروز إلى شهرين فمزم على ذلك فبذنه أن قوماً قالوا أراد أن
ينصر المجوسية فامتنع من ذلك إلى أن رأى المتوكل وقد ركب للصيد يوم النيروز
والزرع لم يسبل بعد وقال : قد استؤذنت في فتح الخراج والزرع لم يسبل بعد
فمرّقه إبراهيم بن عباس الصولي أن الأكاسرة كانت تسقط في كل عشرين ومائة
سنة شهراً ، وإن الروم طرحت بعد موت الإسكندر من كل أربع سنين يوماً
وربع يوم ، وإعما فملوا ذلك لأن الشمس تقطع الفلك في كل ثلاثمائة وستين يوماً
وربع يوم فيجمع من هذا الربع يوم في كل أربع سنين فيطرح وتسمى هذه السنة

(١) ويروى بعده :

وان كان عنه ذا غنى فهو قابله
لقصر عنه البحر يوماً وساحله
وان لم يكن في وسعنا مانسأله

الم ترنا نهدي التي الله ما له
فلو كان يهدى للجليل بقدره
واكننا نهدي الى امن نجسله

كبيسة فلما جاء الإسلام عملوا على رهنهم دواوين المعجم من غير أن يطرحوا هذا اليوم ، فأمر المتوكل الحُساب أن يحسبوا ما طرحوه فحسبوا الذي مضى من السنين التي لم تكبس فيها بعد ذهاب الفرس فوجدوه مائتين وخمسين سنة فحملوا الكل مائة وعشرين سنة شهراً ، فوافق السابع عشر من حزيران ، وأمر أن يجعل النيروز في هذا اليوم ، وأن لا يفتح الخراج إلا فيه ، وكان هذا في أواخر سنة اثنتين وأربعين ومائتين . ثم قدم في أيام المعتضد إلى الحادي عشر من حزيران تحريراً للحساب الأول ، ونقلت في أيام المطيع لله سنة خمسين وثلاثمائة الخراجية إلى سنة إحدى وخمسين . وأما « المهرجان » فوقعه في السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان ، ومن شهور الفرس في السادس عشر من مهرماه وهذا الأوان وسط زمن الخريف ولهذا قال الشاعر :

أَجِبُّ المهرجانَ لأنَّ فيه سروراً للملوك ذوى السناء
وباباً للمصير إلى أوانٍ تفتح فيه أبواب السماء

وهو ستة أيام ويسمى اليوم الثالث المهرجان الأكبر . قال المسعودي وسبب تسميتهم لهذا اليوم بهذا الاسم أنهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم ، وكان لهم ملك يسمى مهراً يسير فيهم بالعنف والعسف فمات في نصف الشهر الذي يسمونه مهرماه ، ومعنى ماه القمر فسمى ذلك اليوم مهرجان وتفسيره : نفس مهر ذهبت لأن المعجم يقدمون المضاف إليه على المضاف بخلاف العرب ، وهذه اللغة لغة الفرس الأولى وتسمى الفهلوية ويقال مهر وفاء وجان سلطان وكان معناه سلطان الوفاء . وزعم آخرون أن مهر بالفارسية حفاظ وجان الروح^(١) . ويقال : إنما ظهر في عهد إفريدون الملك ، ومعنى هذا الاسم أدراك النار بعده عن دين المجوسية

(١) وفي ذلك يقول عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر :

إذا ما تحققت بالمهرجانا ن من ليس يعرف معناه غاظا
ومعناه ان غلب الفرس فيه فسمود الروح فيه حفاظا

وسبب اتخاذهم له أن بيوراسب وهو الضحاك^(١) . ويقال له الإزدهاق ذو الجنتين

(١) قال ابن الاثير في الكامل ذكر بيوراسب وهو الإزدهاق الذي يسميه العرب الضحاك قال واهل اليمن يدعون أن الضحاك منهم وأنه أول القراعنة وكان ملك مصر لما قدمها ابراهيم الخليل .

والفرس تذكر أنه منهم وتنسبه اليهم وأنه بيوراسب بن اروناسب ابن رينكال بن وندريشتك بن يارين بن فروال بن سسيامك بن ميشى بن جيومرث ومنهم من ينسبه هذه النسبة .

وزعم اهل الاخبار أنه ملك الاقاليم السبعة وأنه كان ساحرا فاجرا ، قال هشام ابن الكلبي ملك الضحاك بعد جم فيما يزعمون والله أعلم ألف سنة ونزل السواد في قرية يقال لها برس في ناحية طريق اكوفة وملك الارض كلها وسار بالفجور والعسف وبسط يده في القتل وكان أول من سن الصليب والقطع وأول من وضع العصور وضرب الدراهم وأول من تغنى وغنى له ، قال وبلغنا أن الضحاك هو نمرود وان ابراهيم عليه السلام ولد في زمانه وأنه صاحبه الذي اراد احراقه .

وتزعم الفرس أن الملك لم يكن الا اللبطن الذي منه اوشهينج وجم وطهمورث وان الضحاك كان غاصبا وأنه غصب اهل الارض بسحره وخبثه وهول عليهم بالحيثين اللتين كانتا على منكبيه وقال كثير من اهل الكتب ان الذي كان على منكبيه كان لحيثين طويلتين كل واحدة منهما كراس الثعبان وكان يسترهما بالثياب ويذكر على طريق التهويل انهما حيثان يقتضيانه الطعام وكانتا تتحرران تحت ثوبه اذا جاعا . ولقى الناس منه جهدا شديدا وذبح الصبيان لان اللحيثين اللتين كانتا على منكبيه كانتا تضربانه فاذا طلاههما بدماع انسان سكتنا فكان يذبح في كل يوم رجلين فلم يزل الناس كذلك حتى اذا اراد الله هلاكه وثب رجل من العامة من اهل اصبهان يقال له كابي بسبب ابنين له اخذهما اصحاب بيوراسب بسبب اللحيثين اللتين كانتا على منكبيه، وأخذ كابي عصا كانت بيده فعلق بظرها جرابا كان معه ثم نصب ذلك كالعلم ودعا الناس الى مجاهدة بيوراسب ومحاربه فاسرع الى اجابته خلق كثير لما كانوا فيه من البلاء وفتون الجور فلما غلب كابي تفاعل الناس بذلك العلم فعظموه وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم علمهم الاكبر الذي يتبركون به وسموه درفش كابين فكانوا لا يسيرونه الا في الامور الكبار العظام ولا يرفع الا لاولاد الملوك اذا وجهوا في الامور الكبار ، وكان من خبر كابي انه من اهل اصبهان فثار بمن اتبعه فالتفت الخلائق اليه فلما اشرف على الضحاك قذف في قلب الضحاك منه الرعب فهرب عن منازلته وخلق مكانه فاجتمع الاعجام الى كابي فاعلمهم انه لا يتعرض للملك لانه ليس من اهله وأمرهم أن يملكوا بعض ولدجم لانه ابن الملك اوشهينج الاكبر ابن فروال الذي رسم الملك وسبق في القيام ، وكان افريدون بن اثفيان مستخفيا من الضحاك فوافى كابي ومن معه فاستبشروا بموافاته فملكوه وصار كابي والوجه لافريدون اعوانا على امره فلما ملك واحكم ما احتاج اليه من أمر الملك واحتوى على منازل الضحاك وسار في اثره فأسره دنياوند في جبالها .

وبعض المجوس تزعم انه وكل به قوما من الجن وبعضهم يقول انه اقم سليمان بن داود وحبسه سليمان في جبل دنياوند وكان ذلك الزمان بالشام فما برح بيوراسب بحبسه يجره حتى حمله الى خراسان فلما عرف سليمان

والأنفواة الثلاثة والأعين الستة الداهية الخبيث المتمرد لما قتل جمشاد وملك .
جاءه إبليس في صورة خادم فقبل منكبيه فبذت فيهما حبتان وكانت تؤله فوصف
له أدمغة الناس فقتل كل يوم غلامين لذلك فأجحف قتل الولدان بالرعية فخرج
رجل بأصهبان يقال له (كابي) وعقد لواء من سنبك جدى ، وقيل من جلد أسد
ودعا الناس إلى محاربة الضحاك فاجتمع له خلق كثير ، وشخص إلى الضحاك
فهاهم وهرب منهم فاجتمع الفرس إلى (كابي) ليمسكوه عليهم ، فقال : ما أنا من
أهله وذكر لهم أن معه صبياً من ولد جمشاد يسمى أفريدون ، فقال : أرى أن
تمسكوه وتعيدوا الملك إلى أهله . فمسكوه فخرج أفريدون في طلب الضحاك فوجده
فأخذه وشده وحبسه في جبل دنباوند ، وجعل ذلك اليوم عيداً وسماه المهرجان .
ويقال إن ذلك اللواء لم يزل عند الفرس مغطى بالديباج المذهب المرصع بضروب
الجواهر ، وكان يسمى (درفس كابي) ومعنى درفس قائم ، وكانت ملوك الفرس
لا تخرجه إلا في يوم حرب تبركابه ، ولا يحمل إلا على رأس ملك أو ولى عهد ،
ولم يزل عندهم إلى أن جاء الإسلام فحمل على رأس رستم في وقعة القادسية ، فلما
هزمت الفرس وقتل رستم صارت هذه العنائم إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى
عنه فقومت بألثى ألف ومائتى ألف وثلاثين ألف درهم . وقيل : كان أخذها يوم
فتح المدائن . وقيل : يوم فتح نهاوند . وزعم بعض الفرس أن الضحاك هو
نمرود ، وأفريدون هو إبراهيم عليه السلام . ويقال : إن المهرجان هو اليوم الذى

ذلك امر الجن فوثقوه حتى لا يزول وعملوا عليه طلسماً كرجلين يدقان باب
الغار الذى حبس فيه ابداً لئلا يخرج فانه عندهم لا يموت . وهذا أيضاً من
اكاذيب الفرس الباردة ولهم فيه اكاذيب اعجب من هذا تركنا ذكرها .
وبعض الفرس يزعم ان أفريدون قتله يوم النيروز فقال العجم عند قتله امر
وزنروز أى استقبلنا الدهر بيوم جديد فاتخذوه عيداً وكان اسره يوم
المهرجان فقال العجم امد مهرجان تمثّل من كان يذبح وزعموا انهم لم
يسمعوا في امور الضحاك بشيء يستحسن غير شيء واحد وهو ان بليته لما
اشتدت ودام جوره تراسل الوجوه في امره فاجمعوا على المصير الى بابه
فوافاه الوجوه فاتفقوا على أن يدخل عليه كابي الا صهباننى فدخل عليه
ولم يسلم فقال ايها الملك أى السلام عليك سلام من يملك الاقاليم كلها
ام سلام من يملك هذا الاقليم ، فقال بل سلام من يملك الاقاليم كلها لانى
ملك الارض .

هذا ما اردنا ذكره توضيحاً لما اجمل فى الاصل ليسن الا .

عقد فيه التاج على رأس أزدشير بن بابك أول ملوك الفرس الساسانية وقال عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر يفضل المهرجان على النيروز :

أخا الفرس إنَّ الفرسَ تعلمُ أنه لأطيبُ من نيروزها مهرجانتها
لإدبار أيامِ يغمُّ هواؤها وإقبال أيامِ يسر زمانها

وكان مذهب الفرس فيه أن تدهن ملوكهم بدهن البان تبركا وكذلك عوامهم وأن يلبس المصّب والوشى وأن يتنوج بتاج عليه صورة الشمس وحجلتها الدائرة عليها ، ويكون أول من يدخل عليها الموبدان يطبق فيه أترجة وقطعة سكر ونبق وسفرجل وعناب وتفتح وعنقود عنب أبيض وسبع طاقات آس قد زمزم عليها ، ثم تدخل الناس على تفاوت طبقاتهم بمثل ذلك . وكان أزدشير وأنوشيروان يأمران بإخراج مافي خزائهم في المهرجان والنيروز من أنواع الملابس والفرش فيفرك كلها في الناس على مراتبهم ويقولان . إن الملوك تستغنى عن كسوة الصيف في الشتاء وعن كسوة الشتاء في الصيف ، وليس من أخلاقهم أن تجبي كسوتهم في خزائهم وتساوى العامة في فعلها . وزعم أصحاب التاريخ أن النيروز عملته الفرس قبل المهرجان بألثى سنة وخمسة سنة . وكانوا يهدون في النيروز والمهرجان المسك والعنبر والعود الهندي ويعرضون في النيروز عن الزعفران الكافور . وأما « السدق » ويعمل في ليلة الحادى عشر من شهر أيارماه ويسمى هذا اليوم عند الفرس روزابان لأن لكل يوم من أيام الشهر عندهم أسماء ويقال في سبب اتخاذهم له : إن فراسياب لما تملك سار إلى بلاد بابك فأكثر فيها الفتنة وخرب ما كان عامراً منها فخرج عليه زفرب بن طهماز شب فطرده عن مملكة فارس إلى بلاد الترك . وكان ذلك في يوم روزابان فاتخذ الفرس هذا اليوم عيداً وجعلوه ثالثاً لعيدى النيروز والمهرجان ، ولما تملك وضع عن الناس خراج سبع سنين فعمرت البلاد . ويقال أيضاً في سبب اتخاذهم لهذا العيد : إن الأب الأول وهو عندهم كيومرت لماكمل له من بنيه مائة ولد زوج الذكور بالإناث وصنع لهم

عرساً أكثر فيه من إيقاد النيران ، وقد وافق هذا تلك الليلة المذكورة فاستنت ذلك الفرس بعمه وهم يوقدون النيران بسائر الأدهان ويزيدهم الولوع بها حتى أنهم يلقون فيه سائر الحيوانات .

وللفرس أعياد دون ما ذكرناه . منها عيد يسمى « نيركان » زعموا أنه لما وقعت المصالحة بين منوهر وفراسياب التركي على أن يعطى فراسياب منوهر من المملكة قدر رمية سهم فانبوا رجلاً يقال له آيس ، وكان مؤيداً في الرمي ففرز سهماً في قوسه ورى وامتدّ السهم من جبال طبرستان إلى أعلى طخرستان ، وهذا يكون في الثالث عشر من تيرماه . وأيام « الفيروزجان » وهي خمسة أيام أولها السادس والعشرون من أبان ماه ومعناه تربية الروح لأنهم كانوا يصنعون فيها أطعمة وأشربة لأرواح موتاهم ، ويزعمون أنها تأتي وتقتدى بها « وركوب الكوسج »^(١) يعمل في أول يوم من آذرماه . وسُنّتهم فيه أن يركب في كل بلد من بلادهم رجل كوسج قد أعدّ لما يصنع به يأكل الأطعمة الحارّة ويشرب الشراب الصّرف أياماً قبل حلول الشهر ، فإذا حل لبس غلالة صبورية وركب بقرة وأخذ على يده غراباً ، ويتبعه الناس يصبون عليه الماء ويضربون وجهه بالثلج ويروّحون عليه بالمرّاح وهو يصيح بالفارسية كرم كرم . ومعناه : الحرّ الحرّ ، يفعل ذلك سبعة أيام ومعه أوباش الناس ينهبون ما يجدون من الأمتعة في الحوانيت ، وللسلطان عليهم مال فإذا وجدوا بعد عصر اليوم السابع ضربوا وحبسوا . ويقال : إن هذا الفعل كان يتداوله أهل بيت كل منهم كوسج . وحكى الزمخشري في كتاب (ربيع الأبرار) في سببه : أن كوسجاً كان يشرب في هذه الأيام ويطلّي بدنه فيها فعملته الفرس . وفي ركوبه يقول الشاعر :

قد ركب الكوسجُ يا صاحِ فالتنّدُ بالزهرِ وَالرّاحِ
وَأنعمُ بأزرماءِ عيشاً وخذ من لذة العيشِ بمفتاحِ

(١) الكوسج معرب كوسه بمعنى ناقص الشعر وقيل ناقص الاسنان والاول هو المعروف واشتقوا منه فعلاً فقالوا من طالت لحيته تكوسج عقله ، ويقال كوسق وهو اسم سمكة وهو معرب أيضاً .

و « عيد بهمنجه » يتخذونه في يوم بهمن في شهر بهمن ماه يؤكل فيه بهمن الأبيض باللبن الخالص على أنه ينفع الحفظ ، ورؤساء خراسان كانوا يعملون فيه الدعوات على طبيخ فيه كل حب مأكول ولحم كل حيوان يؤكل ويحضر ما يوجد في ذلك الوقت من بقل أو نبات .

أعياد القبط والنصارى

قال الشيخ شهاب الدين الحموى في كتابه (عجائب المخلوقات) : للقبط أربعة عشر عيداً سبعة يسمونها كباراً وسبعة يسمونها صغاراً فالكبار :

« البشارة » ويمنون بها بشارة (غبريال) وهو جبريل عليه السلام على زعمهم لمريم عليها السلام بميلاد عيسى صلوات الله عليه يعملونه في اليوم التاسع والعشرين من برمهات من شهور القبط .

و « الزيتونة » وهو عيد الشعانين وتفسيره التسييح يعملونه في سابع أحد من صومهم وكانت سنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة وهو ركوب المسيح العفو في القدس وهو معنى الحمار ودخوله صيور وهو راكب والناس يسبحون بين يديه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

و « الفصح » وهو العيد الكبير عندهم يقولون إن المسيح قام فيه بعد الصلبوت بثلاثة أيام وخلص آدم من الجحيم وأقام في الأرض أربعين يوماً آخرها يوم الخميس ثم صعد إلى السماء ، وكان يوافق فصح اليهود قبل زمان قسطنطين . ولما تنصر قسطنطين وانين واجتمع الأساقفة حينئذ على وضع الأمانة وهي العقيدة التي يدين بها جميع فرق النصارى فاتفقوا أيضاً على مخالفة اليهود في الفصح فأخروه عنه وجعلوه يوم الأحد .

و « خميس الأربعين » ويسميه الشاميون (السلاق) وهو الثاني والأربعون من الفطر يزعمون أن المسيح عليه السلام تسلق فيه من بين تلاميذه إلى السماء بعد القيام ووعدهم إرسال (الفار قليط) وهو روح القدس .

و « عيد الخمسين » وهو العنصرة يعمل بعد خمسين يوماً من عيد القيامة يقولون إن روح القدس حلت في التلاميذ وَفَرَّقَتْ عَلَيْهِمُ السَّنَةَ النَّاسَ فَتَكَلَّمُوا بِجَمِيعِ الْأَسْنَةِ وَرَاحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى بِلَادِ لِسَانِهِ يَدْعُونَهُمْ إِلَى دِينِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

و « الميلاد » وهو الذي ولد فيه المسيح عليه السلام . يقولون : إنه وُلِدَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَجْعَلُونَ عَشِيَّةَ الْأَحَدِ لَيْلَةَ الْمِيلَادِ وَهُمْ يَقْدُونَ فِيهَا الْمَصَابِيحَ بِالْكَنَائِسِ وَيَزِينُونَهَا ، وَوُلِدَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بَيْتِ لَحْمِ قَرِيَّةٍ مِنْ أَعْمَالِ فِلَسْطِينَ يَعْمَلُ فِي التَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ كَيْفِ كَرٍ مِنْ شَهْرِ الْقِبْطِ . وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ : يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لَسْتُ مِنْ كَانُونِ الثَّانِي ، وَكَانَتْ مَرِيَمٌ عَلَيْهَا السَّلَامُ يَوْمَ وُلِدَتْ بِنْتُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ .

و « الفطاس » ويعمل في الحادي عشر من طوبة من شهرهم ، يقولون إن يوحنا وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام غمس بالمعمدان ، وفيه غسل عيسى عليه السلام في بحيرة الأردن . وَيَزْعَمُونَ أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْمَاءِ اتَّصَلَ بِهِ رُوحُ الْقُدُسِ عَلَى هَيْئَةِ حَمَامَةٍ وَالنَّصَارَى يَغْمِسُونَ أَوْلَادَهُمْ فِي الْمَاءِ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَوَقْتَهُ شَدِيدَ الْبَرْدِ . وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ هَذِهِ الْأَعْيَادَ ، وَذَكَرَ فِيهِ يَوْمَ ظُهُورِ الْجُوسِ وَأَنَّهُمْ أَهْدَوْا لَهُ دَقِيقًا وَبَابَانًا وَتَمْرًا وَهُوَ يَوْمُ النُّجْمِ .

وَأَمَّا الْأَعْيَادُ الصَّنَاعِيَّةُ « فَالْحَتَانِ » وَيَعْمَلُ فِي سَادِسِ (بُونَةِ) وَيَقُولُونَ : إِنَّ الْمَسِيحَ خَتَنَ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَهُوَ الثَّامِنُ مِنَ الْمِيلَادِ .

و « الأربعون » عيد دخول الهيكل ، يقولون : إن سيمان الكاهن دخل بعيسى عليه السلام مع أمه وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَيَعْمَلُ فِي ثَامِنِ أَمْشِيرِ .

و « خميس العهد » ويعمل قبل الفطير بثلاثة أيام وسنتهم فيه أنهم يأخذون إناءً وَيَمَلُّونَهُ مَاءً وَيُزْمِزِمُونَ عَلَيْهِ ثُمَّ يَغْسِلُ الْبَطْرِيكَ بِهِ أَرْجُلَ سَائِرِ النَّاسِ وَيَزْعَمُونَ أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَلَ هَذَا بِتِلَامِيذِهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ يَعْلَمُهُمُ التَّوَاضِعَ وَأَخَذَ

عليهم المهد أن لا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض والعامه من النصارى يسمون هذا الخميس (خميس العدس) لأنهم يطبخون فيه العدس على ألوان شتى ويسميه أهل الشام (خميس الرز وكان) ويسميه أهل الأندلس (خميس إبريل) وهو اسم شهر من شهور الروم .

و «سبت النور» وهو قبل الفصح بيوم يقولون : إن النور يظهر على مقبرة المسيح في هذا اليوم فتشتمل منه مصابيح كنيسة القيامة التي بالقدس وما ذلك إلا من التخييلات النيرنجية التي يفعلها القسيسون منهم ليستميلوا بها العقول الضعيفة وذلك أنهم كانوا يعلقون القناديل في بيت المذبح ويتحياون في إيصال النار إليها بأن يمدوا على سائرها شريطاً من حديد في غاية الدقة مدهونا بدهن البلسان ودهن الزنبق فإذا صلبوا وحان وقت الزوال فتحوا المذبح فدخل الناس إليه وقد اشتملت فيه الشموع ويتوصل به بعض القوم إلى أن يعلق بطرف الشريط النار فتسرى عليه فتتقد القناديل واحد بعد واحد إذ من طبيعة دهن البلسان علق النار فيه سريعاً بأدنى ملامسة له فيظن من حضر من ذوى العقول الناقصة أن النار نزلت من السماء فأوقدت القناديل وكذلك اتخذوا شريطاً دقيقاً من حديد مدهون بهذا الدهن منصوباً من أعلى القبة إلى فتيلة قنديل معلق في وسط القبة فيوقد طرف الشريط فتسرى النار فيه إلى الفتيلة فتشتغل . وقد أراد بعض ملوك الشام من بنى أيوب إبطالها فقبل له : إنك تحصل بهذا كثيراً من المال في كل سنة فكف عنها وتركها .

و «الأحد الجديد» وهو بعد الفصح بثمانية أيام يعمل أول أحد بعد الفطر لأن الأحاد قبله مشغولة بالصوم وفيه يجددون الآلات والأثاث واللباس ومنه يأخذون في العدد للمعاملات والقبالات والأمور الدنيوية .

و «التجلى» يقولون : إن المسيح عليه السلام تجلى لتلاميذه بعد أن رفع في هذا اليوم وتمنوا عليه أن يحضر لهم إيليا وموسى عليهما السلام فأحضرهما لهم بمصلى

بيت المقدس ثم صعد وصعدوا ويعمل في ثالث عشرة مسرى .
و « عيد الصليب » وتزعم النصارى أن قُسطنطين بن هيلانة انتقل من
اعتقاد اليونان إلى اعتقاد النصرانية فيه وبني كنيسة قُسطنطينية العظمى وسائر
كنائس الشام ، ويزعمون في سبب ذلك أنه كان مجاوراً للرومان فضايق بهم
ذرعاً من كثرة غاراتهم على بلاده فهم أن يصانهم ويفرض لهم عليه أتاوة
في كل عام ليكفوا عنه فرأى ليلة في المنام أن ملائكة نزلت من السماء ومعهما أعلام
عليها صلبان فخاربت الرومان فانهزموا فلما أصبح عمل أعلاماً وصور فيها صلباناً
ثم قاتل فيها الرومان فهزمهم . وقيل : إنه رأى في المنام صليباً من بعد في السماء
وقائلاً يقول : اعمل مثل هذا على رؤس أعلامك فإنك تنتصر . فلما أصبح أمر
بعمل صلبان من ذهب على رؤس أعلامه وقاتل بها ونصر فسأل من كان في بلده
من التجار الذين طافوا في بلاد الدنيا فقالوا له هذا دين النصرانية ، وإنه في بلد
الخليل من أرض الشام فأمر أهل مملكته بالرجوع عن دينهم إليه وأن يقصوا
شعورهم ويحلقوا لحاهم ، وإنما فعل ذلك بهم لأن رسل عيسى عليه السلام كانوا
قد وردوا على اليونان قبل أن يأمرهم بالتمرد بدين النصرانية فأعرضوا عنهم
ومثلوا بهم بهذه المثلة نكالاً ففعلوا ذلك تأسياً أى اقتداء بهم ولما انتصر قسطنطين
خرجت أمه هيلانة إلى الشام ، فبنت فيه الكنائس وسارت إلى بيت المقدس
وطلبت الخشبة التي صلب عليها المسيح على ما تزعم النصارى وكانت مدفونة
في مربطة عظيمة فأخرجت منها وفيها موضع سبعة مسامير ، وكانت اليهود قد وثبت
على يعقوب بن يوسف أخى عيسى في الصليبية على زعم النصارى ببيت المقدس
فألقوه من أعلى الشكل (لعله الهيكل) فمات لا متناعه من الرجوع إلى دينهم ومقامه
على دين النصرانية وهدموا البيعة وأخذوا خشبة الصلب وخشبتى اللصين اللذين
صلبا معه على زعمهم فدفنوه في قبر واحد . وهدده الأعياد عندهم يصومونها

وإذا كان أحدهم في موطن أو قرية لا يرتحل حتى يعيد فلما حملت إليها غلفتها بالذهب وحملتها إلى ابنها ، فعمل من المسامير لجاماً لفرسه وعمل صليياً من ذهب ووضع على جبهته واتخذت يوم رؤيتها لها عيداً وذلك لأربع عشرة ليلة خلت من أيلول ووافق ذلك سبع عشرة ليلة من توت من شهور القبط . قال السمودي وكان من مولد المسيح إلى اليوم الذي وجدت فيه الخشبة ثلاثمائة وثمان وعشرون سنة .

أعياد اليهود

وهي على ما ذكره الحموي أيضاً خمسة نطقت بها التوراة بزعمهم وهي « عيد رأس السنة » يعملونه عند رأس سنتهم ويسمونه (عيد رأس هيشا) أى عيد رأس الشهر وهو أول يوم من تشرين ينزل عندهم منزلة عيد الأضحى عندنا ، ويقولون إن الله تعالى أمر إبراهيم بذبح ولده اسحق فيه وفداه بذبح^(١) عظيم .

و « عيد صوماريا » ويسمى (الكبور) وهو عندهم الصوم العظيم الذى فرض عليهم صومه ، ومدة الصوم خمسة وعشرون ساعة يبدأ فيها قبل غروب الشمس فى اليوم التاسع من شهر تشرين وتختتم بعضى ساعة بعد غروبها من اليوم العاشر ، ولهذا ربما يسمى العاشر ويشترطون رؤية ثلاثة كواكب عند الإفطار وهو عندهم تمام الأربعين الثالثة التى صامها موسى عليه السلام . ولا يجوز أن يقع عندهم فى يوم الأحد ، ولا فى يوم الثلاثاء ، ولا فى يوم الجمعة ، ويزعمون أن الله تعالى يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم ما خلا الزنى بالمُحصنة وظلم الرجل أخاه وجحده لربوبية الله تعالى .

و « عيد المظال » وهو ثمانية أيام أولها الخامس عشر من تشرين وكلها أعياد ، واليوم الآخر منها يسمى عرايا . تفسيره : شجر الخلاف . وهو أيضاً حج لهم وهم يجلسون فى هذه الأيام تحت ظلال من جريد النخل وأغصان الزيتون والخلاف وسائر الشجر الذى لا ينتشر ورقه على الأرض . ويزعمون أن ذلك

(١) الذبح بكسر الدال ما ذبح ، والذبح يضمها المصدر .

تذكار منهم لإظلال الله تعالى إياهم في التيه بالغمام . وكيفية عمل هذه الظلال أن يصنع كل من أمكنه في بيته طارمة من قصب وسقفها من الجريد الأخضر وسعفه ويترك داخلها أسفار التوراة . ومنهم من يوزرها بالديباج ومتى زالت من السعف سعفه حتى تدخل الشمس المكعب فسد عليه عيده ، وتكون هذه الظلة في علو الدار تحت السماء ويمعمل كل واحد في أول يوم من هذه الأيام الثمانية قبضة مرسين فيها ثلاثة عيدان في كل عود ثلاثة أغصان بعضها أعلى من بعض في كل غصن ثلاثة أوراق وفي وسطها قلب من سمف النخل مستقيم طوله ثلاث قبضات ، وعود من الصفصاف وأترجة سالمة من الخدوش صحيحة من التعفن ويحمل ذلك إلى البيعة ويودع عند القمص ، وإذا كان قبل يوم من الأيام الثمانية دخلوا البيعة وصلوا وأعطى قيم البيعة إلى كل رجل منهم بيده اليمنى قبضة ، وبيده اليسرى الأترجة فيكون في أيديهم وهم قيام . ويقرأ عليهم مزموراً من المزامير ، فإذا فرغ من المزمور سلم عليهم الختران وهو المعلم وقرأ عليهم شيئاً من التوراة فإذا فرغ من القراءة صلى صلاة ثانية قرب الظهر . ومنهم من يبرد إلى العصر في بيته ، ومنهم من يعلم القيم وينصرف .

و « عيد الفطير » ويسمونه الفصح فيكون في الخامس عشر من نيسان وهو سبعة أيام أيضاً يأكلون فيها الفطير وينظفون فيها من خبز الخمير لأنها عندهم الأيام التي خلاص الله تعالى بني إسرائيل من يد فرعون وأغرقه ونحرجوا إلى أرض التيه ، وجعلوا يأكلون اللحم والخبز الفطير وهم بذلك فرحون ، وفي آخر هذه الأيام غرق فرعون وانفق أن كان القمر في ذلك اليوم تام الضوء فأصمروا بحفظ ذلك اليوم فصاروا يراعون وقوعه في ذلك الزمن .

و « عيد الأسابيع » وهي الأسابيع التي فرضت فيها الفرائض وكل فيها الدين ، ولهم فيها حساب طويل امتطوا فيه مطى التعسف ، ويسمى (عيد العنصرة) و (عيد الخطاب) . ويكون بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع ، ويقولون : إنه اليوم

الذي خاطب الله تعالى فيه بنى إسرائيل من طور سيناء ، وفي جملة هذا الخطاب الكلمات العشر ، وهي وصايا تضمنت أمراً ونهياً وتضمنت التوفيق ، وهو حجج من حجوجهم ، وحجوجهم ثلاثة الأسابيع والفطير والمظال وهم يعظمونه ويأكلون فيه القطايف ويتفننون في عملها ويجعلونها بدلاً عن المنّ الذي أنزل عليهم في هذا اليوم على ما يزعمون . واتخاذهم لهذا العيد السادس من سيوان ، ويسمى عشرتا مشتق من الاجتماع . و « عيد الفوريم » وهو عيد أحدثوه ويسمونه الغوريم ، وذكر في سبب اتخاذهم له أن بختنصر لما أجلى من كان بيت المقدس من اليهود إلى عراق العجم أسكنهم (بيجي) وهي إحدى مدينتي أصفهان ، ثم ذهبت أيام الكلدانيين ، وملكت الفرس الأولى والأخيرة . فلما ملك أزدشير بن بابك وتسميه اليهود بالعبرانية احشويرش . وكان له وزير يسمونه بلغتهم هامان ، ولليهود يومئذ حبر يسمونه بلغتهم مردخاي ، فبلغ أزدشير أن له ابنة عم من أحسن نساء أهل زمانها وأكلمهن عقلا ، فطلب تزويجها منه فأجاب لذلك فخطبت عنده حظوة صار بها مردخاي قريباً منه فأراد هامان إصغاره واحتقاره حسداً له وعزم على إهلاك طائفة اليهود التي في جميع مملكة أزدشير ، فرتب مع نواب الملك في سائر الأعمال أن يهلك كل واحد منهم من بعمله من اليهود ، وعين له يوماً وهو النصف من آذار وإنما خص هذا اليوم دون سائر الأيام لأن اليهود يزعمون أن موسى ولد فيه وتوفى فيه ، وأراد بذلك المبالغة في نكايتهم ليتضاعف الحزن عليهم بهلاكهم ويموت موسى عليه السلام ، فأتضح لمردخاي ذلك من بطانة هامان فأرسل إلى ابنة عمه يمامها بما عزم هامان في أمر اليهود وسألها إعلام الملك بذلك وحضها على أعمال الحيلة في خلاص نفسها وخلاص قومها ، فأعلمت الملك بالحال وذكرت له إنما حمله على ذلك الحسد على قربنا منك ونصحنا لك ، فأمر بقتل هامان وقتل أهله وأن يكتب لليهود بالأمان والبر والإحسان في ذلك اليوم فاتخذوه عيداً واليهود يصومون قبله ثلاثة أيام . وهذا العيد عندهم عيد

سرور ولهو وخلاعة يهدى بعضهم فيه إلى بعض ، ويصورون من الورق صورة هامان ويملاؤن بطنها نخالة وملحاً ويلقونها في النار حتى تحترق يخذعون بذلك صبيانهم .

و « عيد الحنكة » وهو أيضاً مما أحدثوه ، وهو ثمانية أيام أولها ليلة الخامس والعشرين من كسلا ، ويقدون في الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجا ، وفي الثانية سراجين وهكذا إلى أن يكون في الثانية ثمانى سرج . وسبب اتخاذهم لهذا العيد أن بعض الجبارة تغلب على بيت المقدس وفتك بيتى إسرائيل واقتض أبكارهم ، فوثب عليه أولاد كاهنهم وكانوا ثمانية فقتله أصغرهم ، وطلب اليهود زيتاً لوقيد الهيكل فلم يجدوا إلا يسيرا وزعوه على عدد ما يوقدونه من السرج على أبوابهم في كل ليلة إلى تمام ثمان ليال ، فاتخذوا هذه الأيام عيدا وسموه (الحنكة) وهو بمعنى التنظيف لأنهم نظفوا فيه الهيكل من أقذار شيعة الجبار . وبعضهم يسميه (عيد التبريك) . وقيل : إن عيد التبريك كان فيه استتمام نزول التوراة وسامت إلى أئمتهم لتوضع في الهيكل . وهم يخرجون فيه التوراة ويتبركون فيها .

القول في أعياد المسلمين

ولما انجرت الكلام إلى ذكر غالب أعياد الأمم ، وبيان عاداتهم وسننهم في مواسمهم على الوجه الأتم ، اقتضى ذلك أن نذكر ما اشتهر من أعياد المسلمين على سبيل الاختصار ، إذ قد بسط الكلام عليها العلماء الأخيار ، فنقول : قد أسلفنا أنه كان لكل قوم من الأمم يوم يتجملون فيه ويخرجون من بلادهم بزيتهم وتلك عادة لا ينفك عنها أحد من طوائف العرب والعجم ، وقد قديم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال ما هذان اليومان ؟ فقالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال : قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر قيل : هما النيروز والمهرجان ، وإنما بدلا لأنه ما من عيد

في الناس إلا وسبب وجوده تنويه بشعائر دين أو موافقة أئمة مذهب أو شيء مما
يضاهي ذلك نخشى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن تركهم وعاداتهم أن يكون
هنالك تنويه بشعائر الجاهلية أو ترويح لسنة أسلافهم فأبدلها بيومين فيهما تنويه
بشعائر الملة الحنيفة ، وضم مع التجمل قيها ذكر الله وأبواباً من الطاعات لئلا
يكون اجتماع المسلمين بمحض اللعب ولئلا يخلو اجتماع منهم من إعلاء كلمة الله
إحداها : يوم فطر صيامهم وأداء نوع من زكاتهم فاجتمع الفرح الطبيعي من
قبل تفرغهم عما يشق عليهم وأخذ الفقير الصدقات ، والعقل من قبل الابتهاج
بما أنعم الله عليهم من توفيق أداء ما افترض عليهم وأسبل عليهم من إبقاء رءوس
الأهل والولد إلى سنة أخرى . والثاني : يوم ذبح إبراهيم ولده إسماعيل وإنعام
الله عليهما بأن فداه بذبح عظيم . إذ فيه تذكر حال أئمة الملة الحنيفة والاعتبار
بهم في بذل المهج والأموال في طاعة الله تعالى وقوة الصبر وفيه تشبه بالحاج
وتنويه بهم وشوق لما هم فيه ولذلك سن التكبير وهو قوله تعالى (ولتكبروا الله على
ما هداكم) يعني شكراً لما وفقكم للصيام ، ولذلك سن الأضحية والجهر بالتكبير أيام
منى واستحب ترك الحلق لمن قصد التضحية وسن الصلاة والخطبة لئلا يكون
شيء من اجتماعهم بغير ذكر الله وتنويه شعائر الدين وضم معه مقصد آخر من
مقاصد الشريعة وهو أن كل ملة لا بد لها من عرصة يجتمع فيها أهلها لتظهر شوكتهم
وتعلم كثرتهم ولذلك استحب خروج الجميع الصبيان والنساء وذوات الخدور
وَالْحَيْضُ ويعتزلن المصلي ويشهدن دعوة المسلمين ولذلك كان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يخالف في الطريق ذهاباً وإياباً ليطلع أهل تلك الطريقين على شوكة
المسلمين . ولما كان أصل العيد الزينة استحب حسن اللباس والتقليل أي ضرب
الدفوف ومخالفة الطريق والخروج إلى المصلي وسنة صلاة العيدين أن يبدأ بالصلاة
من غير أذان ولا إقامة يجهر فيها بالقراءة يقرأ عند إرادة التخفيف : « سبح اسم
ربك الأعلى » . و« هل أتاك » . وعند الإتمام « ق » و« اقتربت الساعة » يكبر في الأولى

سبعاً قبل القراءة والثانية خمساً قبل القراءة ، وعمل الكوفيين أن يكبر أربعاً
كتكبير الجنائز في الأولى قبل القراءة وفي الثانية بعدها ، وهما سنتان وعمل
الحرميين أرجح ثم يخطب يأمر بتقوى الله ويمعظ ويذكر . وفي الفطر خاصة أن
لا ينفدوا حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترأ وحتى يؤدي زكاة الفطر إغناء للفقراء
في مثل هذا اليوم ليشهدوا الصلاة فارغى القلب وليستحق مخالفة عادة الصوم عند
إرادة التنويه بالتقضاء شهر الصيام . وفي الأضحية خاصة أن لا يأكل حتى يرجع
فياً كل من أضحيتها اعتناء بالأضحية ورغبة فيها وتبركاً بها ولا يضحى إلا بعد
الصلاة لأن الذبح لا يكون قربة إلا بتشبه الحاج وذلك بالاجتماع للصلاة والأضحية
سنة من معز أو جذع من ضأن في كل أهل بيت وقاسوها على الهدى فأقاموا
البقرة عن سبعة والجوزور عن سبعة مقامها . ولما كانت الأضحية من باب بذل
المال لله تعالى وهو فوله تعالى (إن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى
منكم) كان تسميتها واختيار الجيد منها مستحباً لدلالته على صحة رغبته في الله
فلذلك يتقى من الضحايا أربع : المرجاء البين ضلعها ، والموراء البين عورها ،
والمريضة البين مرضها ، والمعجفاء التي لا تنقى ، وينهى عن أعظب القرن والأذن
وسن استشراف العين والأذن وأن لا يضحى بمقابلة ولا مدارية ولا شرقاء ولا خرقاء .
والمقابلة : ما يقطع من قبل أذنها أى مقدمها . والمدارية : التي تقطع من مؤخر أذنها
والشرقاء : مشقوقة الأذن . والخرقاء : مقطوعة الأذن ثقباً مستديراً . وسن الفحل
الأقرن الذى ينظر في سواد - أى سواد العينين - ويبرك في سواد - أى
سواد البطن والصدر - ويطأ في سواد - أى سواد الأرجل - لأن ذلك
تمام شباب العز ومن أذكار التضحية : إني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والأرض الخ اللهم منك وإليك ولك من الله والله أكبر . واستيفاء الكلام على
الأعياد الزمانية والمكانية والاجتماعية وما حدث منها في الإسلام في كتاب
(اقتضاء الصراط المستقيم) لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله .

بيان ما كان العرب يصنعونه في أعيادهم ومواسمهم

كانوا في أيامهم ومواسمهم يتزينون بأحسن الثياب والملابس المفتخرة والحلل الثمينة والبرود المعجبة والفرسان منهم يتسابقون على الخيل والأجواد يبسرون أى يلعبون باليسر^(١) وصبيانهم يلعبون أنواعا من الملاعب قد استوفاهما صاحب القاموس، ويزمرون بالدفوف والمزاهر ونحو ذلك مع التغنى بأراجيز وأبيات من الشعر أنشدوها في أيامهم كيوم بغاث^(٢)، وكان لهم أولا فن الشعر يؤلفون فيه الكلام أجزاء متساوية على تناسب بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة ويفصلون الكلام في تلك الأجزاء تفصيلا يكون كل جزء منها مستقلا بالإفادة لا ينقطع على الآخر ويسمونه البيت فتلائم الطبع بالتجزية أولا ثم بتناسب الأجزاء في المقاطع والمبادئ ثم بتأدية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليها فلهجوا به فامتاز من بين الكلام بحظ من الشرف ليس لغيره لأجل اختصاصه بهذا التناسب وجعلوه ديوانا لأخبارهم وحكمهم وشرفهم ومحكما لقراءتهم في إصابة المعاني وإجادة الأساليب واستمروا على ذلك . وهذا التناسب الذى من أجل الأجزاء والمتحرك والساكن من الحروف قطرة من بحر من تناسب الأصوات كما هو معروف في كتب الموسيقى إلا أنهم لم يشعروا بما سواه لأنهم حينئذ لم ينتحلوا علما ولا عرفوا صناعة وكانت البداوة أغلب نحلهم ، ثم تغنى الحداة منهم في حداة إبلهم والفتيان في فضاء خلواتهم فرجموا الأصوات وترنموا ولم يزل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليتهم فلما جاء الإسلام واستولوا على ممالك الدنيا وحازوا سلطان المعجم وغلبوه عليه وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال التى عرفت لهم مع غضارة الدين وشدته في ترك أحوال الفراغ وما ليس بنافع في دين

(١) أى القمار .

(٢) بالعين المهملة والعين المعجمة ويثالث : موضع على ليلتين من المدينة

ويومه معلوم .

ولا معاش فهجروا ذلك شيئاً ما ولم يكن اللذوذ عندهم إلا ترجيح القراءة والترنم بالشعر الذي هو دينهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الأمم صاروا إلى فضارة العيش ورقة الحاشية واستحلاء الفراغ . وافترق الغنون من الفرس والروم فوقموا إلى الحجاز وصاروا موالى للعرب وغنوا جميعاً بالعبدان والطنابير والممازف والمزامير وسمع العرب تاجينهم للأصوات فلحنوا عليها أشعارهم وظهر بالمدينة (نشيظ الفارسي) و (طويس) و (سائب) و (حائر) مولى عبيد الله بن جعفر قسمعوا شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه وطار لهم ذكر ثم أخذ عنهم (معبد) وطبقته (وابن سريج) وأنظاره وما زالت صناعة الغناء تتدرج إلى أن كملت أيام بنى المباس عند إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلى وابنه إسحق وابنه حماد وكان من ذلك في دولتهم ببغداد ما تبعه الحديث بعده به وبجالسه إلى زمن بعيد وأمعنوا في اللهو واللعب . واتخذت آلات الرقص في الملابس والقضبان والأشمار التي يترنم بها عليه وجعل صنفاً وحده واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكركج وهي تماثيل خيل مسرجة من الخشب معاقبة بأطراف أقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكروون ويفرّون ووثاقفون . وأمثال ذلك من اللعب الممدّ للولائم والأعراس وأيام الأعياد ومجالس الفراغ واللهو وكثر ذلك في بغداد وأمصار العراق وانتشر منها إلى غيرها . وكان للموصلين غلام اسمه (زرياب) أخذ عنهم الغناء فأجاد فصرفوه إلى المغرب غيرة منه فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس فبالغ في تكريمته وركب للقائه وأثنى له الجوائز والإقطاعات والجراريات وأحله من دولته وندمائه بمكان فأورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف وطغى منها بإشبيلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضايتها إلى بلاد العدو بأفريقية والمغرب وانقسم على أمصارها وهذه الصناعة آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لأنها كالية في غير وظيفة من الوظائف إلا وظيفة الفراغ والفرح وهو أيضاً ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه . كذا في مقدمة العبر .

ذكر هراء العرب والغناء والتغبير

تغنن بالشعر إن ما كنتَ قائله إنَّ الغناء لهذا الشعرِ مضمَّارٌ
يقولون فلان يتغنى بفلان أو فلانة إذا صنع في أحدهما شعراً قال ذو الرثمة :
أحبُّ المكانَ القفرَ من أجل أنني به أتغنى باسمها غيرَ مُعجمٍ
وكذلك يقولون حداً به إذا عمل فيه شعراً . قال المرار الأسدي :
ولو إني حدوتُ به أرفانتُ نعماتُه وأبصر ما يقول^(١)

وغناء العرب على ثلاثة أوجه : النصب ، والسناد ، والمهزج . « فأما النصب »
فغناء الركبان وغناء الفتيان . قال إسحق بن إبراهيم الموصلي : وهو الذي يقال له
المراثي وهو الغناء الجنابي اشتقه رجل من كلب يقال له جناب بن عبد الله بن هبل
فنسب إليه ، ومنه كان أصل الحداء كله ، وكله يخرج من الطويل في العروض .
« وأما السناد » فالثقل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات ، وهو على ست
طرق : الثقيل الأول وخفيفه والثقل الثاني وخفيفه والرمل وخفيفه « وأما
المهزج » فالخفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيطرب ويستخف
الخلوم . قال إسحق : هذا كان غناء العرب حتى جاء الله تعالى بالإسلام وفتحت
العراق وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم فغنوا الغناء المجزء المؤلف بالفارسية
والرومية وغنوا جميعاً بالميدان والطنابير والمعازف والمزامير . قال الجاحظ :
العرب تقطع الألحان الموزونة والمعجم تمطط الألفاظ فتمقبض وتبسط حتى تدخل
في الوزن اللحن فتضع موزوناً على غير موزون : ويقال : إن أول من أخذ من
ترجيعة الحداء مضر بن زرار بن معد بن عدنان سقط عن جبل فأنكسرت يده
فحمأوه وهو يقول وايداه وايداه ، وكان أحسن خلق الله تعالى صوتاً وجرماً فأصفت

(١) قال المجد : أرفان أرفئنا نافر ثم سكن ، والنعامه الجهل ، قال في
التاج يقال سكننت نعمته ثم قال : قال المرار الفقعسي :

ولو إني حدوتُ به أرفانتُ نعمته وأبغض ما أقول
(٢٤ - أول)

إليه الإبل وجدت في السير فجملت العرب مثالا لقوله هايدا هايدا يحدون في الإبل ،
حكى ذلك عبد الكريم في كتابه ، وزعم ناس من مضر أن أول من حدا رجل
منهم كان في إبله أيام الربيع فأمر غلاماً له بيمض أمره فاستبطأه فضربه بالعصا فجعل
يشتم في الإبل ويقول يا يداه يا يداه قال له : الزم الزم فاستفتح الناس الحداء من ذلك .
وذكر ابن قتيبة : إنهم قالوا ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وحكى الزبير
ابن بكار في حديث رَفَعَه : أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقوم من
بنى غفار حين سمع حادِيَهُمْ بطريق مكة ليلاً فقال إليهم : إن أباكم مضر خرج
إلى بعض رعائه فوجد إبله قد تفرقت فأخذ عصاً فضرب بها كف غلامه فعدا
الغلام في الوادي وهو يصيح وايداه وايداه فسمعت الإبل ذلك فمطفت عليه .
فقال مضر لو اشتق مثل هذا انتفعت به الإبل واجتمعت فاشتق الحداء « وأما
التعبير » فهو تهليل أو ترديد صوت بقراءة أو غيرها حكى ذلك ابن دريد . وحكى
أبو إسحق الزجاج قال : سألت بعض الرؤساء لم سمي التعبير تعبيراً ؟ قلت : لأنه
وضع على أنه يرغب في الغابر أى الباقي أى يرغب في نعيم الجنة وفيما يعمل للآخرة
وقال غيرى : إنما قيل له تعبير لأن ما يخرج من الفم بمنزلة الغبار فعرض جوابانا على
أبي العباس ثعلب فاستجاد جوابي . ويقال للمراسل في الغناء : المتألى حكاة غلام ثعلب ،
والله تعالى ولىّ التوفيق .

* * *

الكلام على عادات عرب الجاهلية في المأكل والمشرب

إعلم أن جميع سكان الأقاليم الصالحة اتفقوا على مراعاة آدابهم في مطعمهم
ومشربهم وملبسهم وقيامهم وقعودهم وغير ذلك من الهيئات والأحوال وكان
ذلك كالأمر المفطور عليه الإنسان عند سلامة مزاجه وظهور مقتضيات نوعه عند
اجتماع أفراد منه ورأى بعضها لبعض وكانت لهم مذاهب في ذلك ، فكان منهم
من يتخذها على قواعد الحكمة الطبيعية فيختار في كل ذلك ما يرجى نفعه ولا

يخشى ضرره بحكم الطب والتجربة ، ومنهم من يتخذها على قوانين الإحسان حسبا تعطيه ملته ، ومنهم من يريد محاكاة ملوكهم وحكامهم ورهبانهم ، ومنهم من يتخذها على غير ذلك ، وكانت عادات العرب في ذلك أوسط العادات ولم يكونوا يتكفون في المطاعم والمشارب تكلف المعجم ، وكانت لهم في هذا الباب عوائد مستحسنة ومألوفات يتلقاها دوو العقول بالقبول ، من ذلك أنهم كانوا يبكرون في الغداء ويرون أن ذلك أقرب إلى راحة البدن وصحته . وسئل ابن هبيرة عن ذلك فقال : إنَّ فيه ثلاثَ خصال ، الأولى أنه ينشف المرة . والثانية : يطيب النكهة^(١) . والثالثة : أنه يعين على المروءة . قيل . وكيف يعين على المروءة ؟ قال إذا خرجت من بيتي وقد تغديت لم أتطلع على طعام أحد من الناس . وكانوا يؤخرون المشاء رغبة في ورود الأضياف واجتماع الأكلة بعد انقضاء حاجاتهم وعودهم من مسارحهم وغاراتهم ولأن بلادهم حارة الهواء فكما ذهبت منه شدة ببرد الليل كان الطعام أمسى ، والشاهية في الأكل أدعى ، والأصل الأصيل في ذلك مراعاة الضيوف فقد كان لهم مزيد اعتناء بأمرهم كما تنطقُ بذلك أثمارهم وأخبارهم . قال قائمهم :

إِنِّي إِذَا خَفَيْتُ نَارَ لُرْمَلَةٍ أَلْنِي بِأَرْفَعِ تَلٍّ رَافِعًا نَارِي

ذَاكَ وَإِنِّي عَلَى جَارِي لَدُوْحَدَبٍ أَحْنُو عَلَيْهِ بِمَا يَحْنِي عَلَى الْجَارِ

المرملة : الجماعة التي نفذ زادها ورجل مرملة لاشيء له مشتق من الرمل كأنه لا يملك غيره كما يقال ترب الرجل إذا افتقر يقال أرمل الرجل إذا نفذ زاده وافتقر فهو مرملة وجاء أرمل على غير قياس والجمع أرامل وأرملت المرأة فهي أرملة للتي لازوج لها لافتقارها إلى من ينفق عليها . وقال الأزهري لا يقال لها أرملة إلا إذا كانت فقيرة فإن كانت موسرة فليست بأرملة والجمع أرامل . والتل ما ارتفع من الأرض . وإيقاد النار في الأماكن المالية من أخلاق الكرام حتى يهتدى الضيف

(١) يقال نكه الرجل على فلان ونكه له نكها من بابي نفع وضرب إذا تنفس على أنفه ونكبه نكها يتعدى بنفسه أيضا إذا فعل ذلك ليشم ريح فمه ليعلم هل شرب أم لا واستنكبه كذلك والنكهة مثل تمرز اسم منه كذا في المصباح .

إليه في الليل المظلم ويأتي . يقول : إذا خفيت نار غيرى بأن لا توقد في أيام الجذب
والقحط فأنا أو قدها في تلك الأيام لتمتدى إلى الضيوف يصف نفسه بشدة الكرم
وبسط الكف للمسترفدين . وقال الأحوص :

عوّدت قومي إذا ما الضيف نهني . عقر العشار على عسرى وإيسارى

أراد بقوله نهني طرفني ليلا فنهني . والعقر ضرب قوائم البعير بالسيف ولا
يكون المقر في غير القوائم . وربما قيل عقره إذا نحره ، والعشار جمع عشاء وهي
الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وهي عند العرب أعز الإبل فذبجها للضيف
يكون غاية في الجود والإكرام . وقوله على عسرى وإيسارى أي أعقرها له على
كل حالة سواء كنت معسراً أو موسراً . وعقر العشار مشتمل على إيقاد النار ودال
عليه فكأنه قال عودت قومي أي أوقد النار للطارق . وقال حريث بن عتاب الطائي :

عوى ثم نادى هل أحستم قلائصاً وسمن على الأنخاذ بالأمس أربما^(١)
غلام قليمي يحف سباله ولحيته طارت شعاعاً مقرعاً^(٢)
غلام أضلته النبوح فلم يجد بما بين خبت فالهبائة أجماً^(٣)
أناساً سوانا فاستمانا فلم يرى أدا دلج أهدى بليل وأسمماً^(٤)

(١) فاعل عوى هو غلام في اول البيت الذي بعده وقوله هل أحستم يريد
أحسستم قال الجوهرى وربما قالوا ما أحسست منهم فقالوا أحد السنين
استثقالا وهو من شواذ التخفيف والقلائص جمع قلوبس وهي الناقة الشابة،
وجملة وسمن على الأنخاذ صفة قلائص . (٢) قليمي منسوب الى قليم
بضم القاف وفتح اللام وهي قبيلة أو منسوب الى القليعة مصغر قاعة
وهي موضع في طرف الحجاز واسم مواضع اخر ، ويحف بالحاء المهملة يقال
يقال حف الرجل شارب حفا من باب قتل إذا احفاه أي بالغ في قصه ،
والسبالى بالكسر الشارب ، والشعاع بالفتح المتفرق ، والمقرع بالقاف وفتح
الزاي المشددة المفتول يعني أن لحيته من الهواء والبرد تفرقت وصارت كالفتائل
(٣) النبوح بضم النون والموحدة وحاء مهملة ضجة الحى وأصوات كلابهم ،
وخبت بفتح الخاء المعجمة وسكون الموحدة اسم ماء لكلب وقيل اكندة وموضع
آخر ، والهبائة موضع في أطراف الربذة خارج المدينة المنورة وكانت فيه
حرب من حروب داخس لعيس على ذبيان . (٤) قوله فاستمانا أي تصيدنا
والتسمى التصيد والمسماة جورب يلبسه الصائد البحر وقوله فلم يرى
هذه الالف نشأت من اشباع فتحة الراء وهو بالبناء للمفعول بمعنى يعلم
والضمير فيه للغلام ، والدلج بفتحين اسم مصدر من ادلج ادلاجاً أي سار
الليل كله فان خرج آخر الليل فقد ادلج بتشديد الدال كذا في المصباح .

فقلت أجراً ناقة الضيف إننى جدير بأن تلقى إنائى مترعا^(١)
 فما برحت سجواء حتى كأنما تفادر بالزيزاء برساً مقطما^(٢)
 كلا قادميها يفضل الكف نصفه كجلد الحبارى ريشه قد تزلما^(٣)
 دفعت إليه رسل كوما جلدة وأغضيت عنه الطرف حتى تضلما^(٤)
 إذا قال قطنى قلت آليت حلقة لتغنى عني ذا إنائك أجمأ^(٥)
 يدافع حيزوميه سخن صريحها وحلقاً تراه للثالة مقنما^(٦)
 إذا عم خرشاء الثالة أنفه تقاصر منها للصریح وأقما^(٧)

وشرح هذه الأبيات يطول وقد أراد الشاعر أن هذا الغلام شردت له
 قلائص أربع نخرج في طلبها حتى أظلم عليه الليل فضل عن الطريق فعوى حتى
 سمعت الكلاب صوته فنبخته فاستدل بصوتها علينا فجاء فسأل عن قلائصه .
 والمرب تزعم أن سارى الليل إذا أظلم عليه فلم يستبين محجة ولم يدر أين الحلة

(١) اجر بفتح الهمزة وكسر الجيم امر من اجررته رسنه اذا تركته يصنع
 ما يشاء يعنى خلدوا رسنها ودعوها تاكل ما شاءت، وناقة الضيف الناقة التي
 جاء ركبها عليها وهذا من اخلاق الكرام فان اكرام دابة الضيف غاية الاكرام
 عند الضيف وانائى بالمد والاضافة الى الياء والاناء الوعاء ، ومترع من ترعت
 الاناء بالتشديد وانرعتة اى ملأته وهذا كناية عن الخصب والكثرة .

(٢) سجواء بالنصب خبر برج وسجواء بالمهملتين والمد اى ساكنته عند
 الحلب ، وتفادر تترك ، والزيزاء بكسر الزاى الاولى والمد الموضع الصلب من
 الارض والبرس بكسر الموحدة واهمال الراء والسين القطن شبه ما سقط من
 اللبن به . (٣) الحبارى بضم المهملة بعدها موحدة وبالقصير طائر على شكل
 الاوزة براسه وبطنه غبرة ولون ظهره وجناحيه كلون السماني غالبا ، وتزلع
 تغلح . (٤) الرسل بكسر الراء اللبن ، والكوما بفتح الكاف والمد الناقة العظيمة
 السننم والجلدة بفتح الجيم وسكون اللام هى اُدسم الابل لبنا والجمع
 الجلالد بالكسر ، والطرف العين ، وتضلع امتلا ما بين اضلاعه . (٥) قطنى اى
 حسبى اى قلت قد حلفت ان تشرب جميع ما فى انائك . (٦) قوله حيزوميه
 هو ما اكننف حاقومه من جانبي الصدر ، والسخن الحار ، والصریح اللبن
 الذى ذهب رغوته ، والثالة بضم المثناة رغوة اللبن يريد انه يرفع حلقه
 لاستيفاء اللبن ومقنع اسم مفعول من اقنع راسم اذا رفعه . (٧) الخرشاء
 بكسر الخاء جلد الحية وقشرة البيضة العليا بعد ان تكسر ويخرج ما فيها ثم
 يشبه به كل شىء فيه انتفاخ وتفتق وخروق ، واقمعا يقال اقمعت ما فى
 السقاء اى شربته كله .

أى القوم النزول وضع وجهه مع الأرض وَعَوَى عواء الكلب لتسمع ذلك الصوت
الكلاب إن كان الحى قريباً منه فتجيبه فيقصد الأبيات . قال الفرزدق :

وداع بلحن الكلب يدعو ودونه من الليل سجفًا ظلمة وغيومها
دعا وهو يرجو أن ينبه إذ دعا فتي كابن ليلي حين غارت نجومها
بعثت له دهاء ليست بلقحة تدر إذا ما هب نحسًا عقيمها
ابن ليلي : هو أبو الفرزدق . ومعنى بعثت له دهاء : أى رفعتها على أنفائها .
ويعنى بالدهاء القدر واللحمة الناقة أراد أن قدره تدرّ إذا هبت الريح عقياً لا مطر
فيها . وما أحسن قول ابن هرمة :

ومستنجح يستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب مُعْصِمُ
عوى فى سواد الليل بعد اعتسافه لينسج كلب أو ليفزع نُومُ
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له مع إتيان المحبين مَطْعَمُ
يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو أعجم
يقال فرغت لفلان : إذا أغثته . والمهبون : الموقظون له ولأهله وهم الأضياف .
وإنما كان له معهم مطعم لأنه ينجر لهم ما يصيب منه وأراد بقوله يكلمه من حبه الخ
بصبصته وتحريكه ذنبه . ومثله قوله أيضاً :

وإذا أتانا طارق متنورٌ نبحت فدلته على كلابي
وفرحن إذ أبصرنه يضربنه من أنسها بشرائش الأذئاب
يقال شرشر الكلب إذا ضرب بذنبه وحركه للأنس . وأما قول الأخطل :
دعاني بصوتى واحد فأجابه منادٍ بلا صوت وآخر صيت

فمعناه أن ضيفاً عوى بالليل والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله بصوتى
واحد . وقوله فأجابه مناد بلا صوت : أى نار رفعها له فرأى سناها فقصدها ،
والصيت الآخر الكلب لأنه أجاب عواءه . والمقصود من ذكر هذه الأبيات
بيان ما كان للعرب من مزيد الاعتناء بالضيف حتى أوقدوا النيران فى الليل

وأتخذوا الكلاب ليهتدى إليهم من لم يعرف المنازل . ومن عاداتهم المحمودة وأفعالهم الجميلة ، أنهم كانوا إذا ألمَّ بأحدهم ضيف ظهرت البشاشة على وجهه وتلقاه بالترحيب والتكريم ، وأدّوا له آداب الضيافة كلها فإنه حين يستقر بالضيف للمقام يسرع إلى أهله ليحييهم بنزلهم بحيث لا يكاد يشعر به أحد ، وهذا من كرم رب المنزل المضيف أنه يذهب باخْتِفاء بحيث لا يشعر به الضيف فيشق عليه فيستحي فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام بخلاف من يسمع ضيفه ويقول له أو لمن حضر مكانكم حتى أتىكم بالطعام ونحو ذلك مما يوجب حياء الضيف واحتشامه ، وقد تأمروا هذه السنن من أبيهم إبراهيم عليه السلام فهو أول من قرى الضيف ، وتأمل ثناء الله سبحانه عليه في إكرام ضيفه حيث يقول سبحانه (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال سلام قوم منكرون ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون) ففي هذا من الثناء على إبراهيم وجوه متعددة . منها : أنه وصف إكرام ضيفه بأنهم مكرمون أى إن إبراهيم أكرمهم . ومنها : قوله تعالى إذ دخلوا عليه فلم يذكر استئذانهم ، ففي هذا دليل على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قد عرف بإكرام الضيفان واعتياد قراهم فبقى منزل مضيفه مطروقا لمن ورده لا يحتاج إلى استئذان ، بل استئذان الدخول دخوله وهذا غاية ما يكون من الكرم . ومنها : قوله لهم سلام بالرفع وهم سالموا عليه بالنصب والسلام بالرفع أكل فإنه يدل على الجملة الإسمية الدالة على الثبوت والتجديد والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد ، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام حياهم بتحية أحسن من تحيتهم فإن قولهم سلاما يدل على سلامنا سلاماً وقوله سلام أى سلام عليكم . ومنها : أنه حذف المبتدأ من قوله قوم منكرون ، فإنه لما أنكروهم ولم يعرفهم احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفر الضيف لو قال أنتم قوم منكرون ، فحذف المبتدأ هنا من لطف الكلام . ومنها : أنه راغ إلى أهله ليحييهم بنزلهم والروغان هو الذهاب في اختفاء بحيث لا يكاد يشعر

به وهذا من كرم المضيف على ما سبق . ومنها : أنه ذهب إلى أهله فجاء بالضيافة .
فدل على أن ذلك كان معداً عندهم مهياً للضيغان ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم
من جيرانه أو غيرهم فيشتريه أو يستقرضه . ومنها : قوله فجاء بمجل سمين دل
على خدمته للضيف بنفسه ولم يقل فأمر لهم بل هو الذي ذهب وجاء به بنفسه
ولم يبعثه مع خادمه وهذا أبلغ في إكرام الضيف . ومنها : أنه جاء بمجل كامل
ولم يأت ببضعة منه وهذا من تمام كرمه . ومنها : أنه سمين لا هزيل . ومعلوم أن
ذلك من أنحر أموالهم . ومثله يتخذ للاقتناء والتربية فأثر به ضيفانه . ومنها :
أنه قربه إليهم بنفسه ولم يأمر خادمه بذلك . ومنها أنه قربه إليهم ولم يقرهم إليه :
وهذا أبلغ في الكرامة أن تجلس الضيف ثم تقرب الطعام إليه وتحمله إلى حضرته
ولا تضع الطعام في ناحية ثم تأمر ضيفك بأن يتقرب إليه . ومنها : أنه قال لهم
ألا تأكلون ، وهذا عرض وتلف في القول وهو أحسن من قوله كلوا أو مدوا
أيديكم ونحوها وهذا مما يعلم الناس بمقولهم حسنه ولطفه ، ولهذا يقولون بسم الله
أو ألا تتصدق ألا تجبر ونحو ذلك . ومنها : أنه إنما عرض عليهم الأكل لأنه
رآهم لا يأكلون ولم يكن ضيوفه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل بل كان إذا
قدم إليهم الطعام أكلوا وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم : ألا
تأكلون ، ولهذا أوجس منهم خيفة أي أحسها وأضرها في نفسه ولم يبدها لهم .
فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب وابعادها من
التكلفات التي هي تحلف وتكلف إنما هو من أوضاع الناس وعاداتهم وكفى بهذه
الآداب شرفاً وغزراً . ومن تصفح أخبار العرب وأشعارهم وجدهم في أمر
الضيافة على تلك الآداب ، وأنهم لم يغيروا شيئاً منها بعد مرور الأزمان
والأحقاب . حتى إنهم كانوا يقومون بأمر من يرد إلى مكة من الحاج بالفا ما بلغ ،
وكان هاشم وهو أحد أجداد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا حضر الحج قام
في قريش فقال : يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وهم ضيف الله وأحق

الضعيف بالكرامة ضيفه فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة فيها فإنه والله لو كان لي مال يسع لذلك ما كلفتكموه فيخرجون لذلك خرجاً من أموالهم كل امرئ على حسب قدرته وطاقته فيصنع به للحاج طعاماً حتى يصدروا وهذه هي الرفادة التي هي من سنن قصي على ما سبق . وهاشم هو الذي هشم الثريد لقومه بمكة وكان اسمه عمراً كما يشعر به قول الشاعر :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الأضياف

أشار في البيت الثاني إلى رحلة الشتاء والصيف ، وهو أول من سنهما لقريش .

ومن عاداتهم في هذا الباب أنهم يقولون من الأكل ويقولون البطنة تذهب القطنة . أى الذى يملأ بطنه من الطعام تذهب منه فطنته . وكانوا يعمييون الرجل الأكل الجشع . قال الشنفرى :

إذا مُدَّتِ الأيدي إلى الزادِ لم أكنُ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أُجْشِعُ القومَ - أَعْجَلُ^(١)

وقيل للحارث بن كلدة طبيب العرب في الجاهلية : ما أفضل الدواء ؟ قال : الأزم . يريد قلة الأكل وقد أصاب في ذلك . قال بعض حكمائهم : أى بنى لأمر ما طالت أعمار الهند وصحت أبدان العرب ، والله درابن كلدة إذ زعم أن الدواء هو الأزم فالداء كله من فضول الطعام فكيف لا ترغب في شيء يجمع لك صحة البدن وذكاء الذهن وصلاح الدين والدنيا والقرب من عيش الملائكة ، أى بنى لم صار الضب أطول عمراً لأنه يتتلع النسيم ، أى بنى قد بلغت تسمين عاما ما نقص لي سن ولا انتشر لي عصب ولا عرفت ذنين أنف^(٢) ولا سيلان عين

(١) الجشع : اشد الحرص والماضى جشع بكسر الشين وتجشع كذلك ورجل جشع وقوم جشعون وهذا من جنس قول حاتم :

أف يدي من أن تنال أكفهم إذا نحن أهوينا وحاجاتنا معا

(٢) الذنين رقيق المخاط أو ماسال من الأنف رقيقاً أو عام فيهما وذنين

كفرح والأذن من يسيل منخراه والذناء للأنثى .

ولا سلس بول ما لذلك علة إلا التخفيف من الزاد فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة وإن كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك انتهى . وقال الأصمعي : تقول العرب في الرجل الأكل : إنه برم قرون . البرم الذي يأكل مع الجماعة ولا يجعل شيئاً . والقرون الذي يأكل تمرتين تمرتين ، ويأكل أصحابه تمر تمر . والحاصل أن الشبع مذموم بالمقل والنقل ومضاره كثيرة فإنه يقسى القلب بخلاف الجوع فإنه يرقه ويصفيه فيتهيأ به لإدراك لذة المناجاة وللتأثر بالذكر فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يتأثر به حتى كأن بينه وبينه حجاباً وذلك من قساوة القلب الحاصلة من الشبع ولذلك قال بعض العارفين : القلب إذا جاع أو عطش صفا ورق ، وإذا شبع عمى . ومن مضاره أنه يفسد الذهن لأنه يكثر البخار فيورث البلادة حتى إن الصبي إذا أكل أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والإدراك . ومنها : أنه يمطل القوى الباطنة عن إدراك المعاني الكاملة والعلوم الفاضلة واستجلاء المعارف ، واستجلاء العوارف . قال لقمان لابنه : يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادات . ومنها : أنه ينشط الأعضاء على المعصية لأن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادتهما لا محالة الأطعمة فبتقليلها يضعفان ويتكثيرها يقويان . وإذا قويتا تحصل المعاصي ، وقد وردت عدة أحاديث في ذم الشبع . منها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : (المؤمن يأكل في ميعى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء) أى يأكل سبعة أضعاف المؤمن ، أو أن شهوته سبعة أمثال شهوة المؤمن وتكون الأمعاء كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما تأخذ الأمعاء وليس المعنى زيادة أمعاء الكافر على أمعاء المؤمن ، حسب ابن آدم لقيمت يقمن صلبه إن كان ولا بد من التجاوز عما ذكر فلتكن أثلاثاً ، فثلث للطعام . وثلث للشراب ، وثلث للنفس . ولله در العرب حيث رعوا في ما كلهم هذه الدقائق والأسرار وهم زمن الجاهلية .

تفصيل الوصف بكثرة الأكل وترتيبه عند العرب

لما كان كثرة الأكل عندهم معيياً وليس ذلك بمنزلة واحدة بل هو درجات متفاوتة كما تدل عليه لغتهم فقد قالوا: إذا كان الرجل حريصاً على الأكل فهو نهمٌ وشرةٌ. فإذا زاد حرصه وجودة أكله فهو جشع. فإذا كان لا يزال قرماً^(١) إلى اللحم وهو مع ذلك أكل فهو جهم. فإذا كان يتتبع الأطعمة بحرص ونهم فهو لعوس ولحوس. فإذا كان رغيب البطن كثير الأكل فهو عيصوم. فإذا كان أكله عظيماً اللقم واسع المنجور فهو هبلع. فإذا كان مع شدة أكله غليظ الجسم فهو جمظرى. فإذا كان يأكل أكل الحوت الملتقم. فهو هلقام وتلقامة وجراضم. فإذا كان كثير الأكل من طعام غيره فهو مجلح. فإذا كان لا يبقى ولا يندر من الطعام فهو قحطى. وهو من كلام الحاضرة دون البادية. قال الأزهرى أظنه نسب إلى القحط لكثرة أكله كأنه نجا من القحط. فإذا كان يعظم اللقم ليسابق في الأكل فهو مدهبل. فإذا كان لا يزال جائعاً أو يرى أنه جائع فهو مستجيع وشحذان ولهمس. فإذا كان يتشمم الطعام حرصاً عليه فهو أرشم. فإذا كان شهوان شهماً حريصاً فهو لعمظ ولعموظ. فإذا دخل على القوم وهم يطعمون ولم يدع فهو وارش. فإذا دخل عليهم وهم يشربون ولم يدع فهو واغل. فإذا جاء مع الضيف فهو ضيفن. وقال الجاحظ في عيوب الأكل الزقاق الذى فى فيه لقمة لم يسفها فيشرب الماء ويسمى زاق الفرخ أيضاً. والمبلعم الذى فى فيه لقمة لم يسفها ويبادر خلفها بأخرى. والمحلجل الذى يأخذ سكرجة فيحركها ليختمع الأبرار فيأكل ويترك ملحاً ساذجاً. والمغربل الذى يحرك طبق الرطب والباقلان وما أشبهه ثم يأكل نقاوته. والمقرب الذى يجمع اللحم بين يديه على رغيب كأنه قبة ويدع رفقاءه بنير لحم. والمنعل الذى يأخذ لقمة أكبر مما يسع فاه فيضع يده أو كسرة تحتها. والمعلق الذى فى فيه لقمة وفى يديه أخرى.

(١) القرم محركة شدة شهوة اللحم.

مطاعم العرب الشهيرة

كان مأكولهم في غالب الأزمان لحوم الصيد والسويق والألبان وربما ابتلع أحدهم الريح أو مضغ القيصوم^(١) والشيخ أو حرش اليربوع^(٢) والضب أو صاد الظبي والأرنب. وكان الغالب من أهل باديتهم لا يعاف شيئاً من المأكول لقلتها عندهم. ومنهم من كان يعاف القدر ويتجنب عن أكل كل مادب ودرج. وكان أحسن اللحوم عندهم لحوم الإبل ولا يفضلون شيئاً عليها، وكان منهم من يستطيب أكل الضب.

« يقول قائلهم »

أَكَلْتُ الضَّبَابَ فَمَا عَفَّتْهَا وَإِنِّي اشْتَهَيْتُ قَدِيدَ النَّعْمِ^(٣)
وَلَحْمَ الخُرُوفِ حَنِيدًا وَقَدْ أَتَيْتُ بِهِ فَارًا فِي الشَّبَمِ
وَأَمَّا البَهْضُ وَحَيْتَانِكُمْ فَأَصْبَحْتَ مِنْهَا كَثِيرَ السَّقَمِ
وَرَكِبْتُ زُبْدًا عَلَى تَمْرَةٍ فَنَعِمَ الطَّعَامُ وَنَعِمَ الأَدَمُ
وَقَدْ نَلْتُ مِنْهَا كَمَا نَلْتُمْ فَلَمْ أَرَفِهَا كَضْبٍ هَرَمِ
وَمَا فِي التِّيُوسِ كَبِيضِ الدَّجَاجِ وَبِيضِ الدَّجَاجِ شِفَاءُ القَرَمِ
وَمَسْكَنُ الضَّبَابِ طَعَامُ العَرَبِ وَكَاشِيهِ مِنْهَا رُؤْسُ العَجَمِ

قوله الحنيد: أى الشوى. وماء الشبم بفتح الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة ماء الأسنان. والبهض بكسر الباء الموحدة وفتح الهاء وبالضاد المعجمة الأرز باللبن. والقرم بفتح القاف وكسر الراء الرجل يشتهى اللحم. والمكن بفتح الميم وإسكان الكاف وبالنون فى آخره بيض الضب. والكشى كشية بضم الكاف وإسكان الشين المعجمة وهى شحمة بطن الضب أو أصل ذنبه. . وكان الاصطياد

(١) نبت وهو صنغان أنثى وذكر النافع من أطرافه وزهره مر جدا .
(٢) يقال حرش الضب يحرشه حرشا وتحراشا صاده كاحترشه بأن يحرك يده على باب حجره ليظنه حية فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذ .
(٣) هذه الاييات لأبى الهندي .

ديدنا لهم وسيرة فاشية حتى كان ذلك أحد المكاسب التي عليها معاشهم ، وكان لهم شغل شاغل عن الاعتناء بأمر المأكل لاضطرارهم إلى النقلة في الغالب لرعي مواشيهم وتشاغلهم بالحروب وغزو بعضهم بعضاً . وأما ما كان يتعاطاه غيرهم من التأنق في الأطعمة المتنوعة والألوان الشهية فلم تكن العرب تعرفها ولا كانت تمر على أذهانهم ، حتى حكى أن عبد الله بن جُدعان وكان سيداً شريفاً في قريش وفد على كِسْرَى مرة وأكل عنده الفالوذج فتمعجب منه وسأل عن حقيقته فقيل له هي لباب البر يُلبِكُ مع العسل فابتاع من عنده غلاماً يصنعه وقدم به مكة فصنع بها الفالوذج فوضع موائده بالأبطح إلى باب المسجد ثم نادى من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر فكان ممن حضر أمية ابن أبي الصلت ، فقال مادحا :

لكل قبيلةٍ رأسٌ وهادى وأنت الرأسُ تقدم كلَّ هادى
له داعٍ بمكة مُشمَلٌ وآخرُ فوقَ دارته يُنادى^(١)
إلى رُدْحٍ من الشيزى ملاء لباب البرِّ يُلبِكُ بالشهاد^(٢)

وكان للعرب أكلة شهيرة يتخذونها من لحوم وحبوب وألبان وغير ذلك « فنها السخينة » وهي تتخذ من الدقيق دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء وإنما يأكلونها في شدة الدهر وغلاء السعر وعجف المال وهي التي كانت تعبر بها قريش . حكى أن معاوية قال للأحنف : ما الشئ الملقب في البجاد ؟ فقال : السخينة ، وإنما أراد معاوية قول القائل :

إذا ما مات ميتٌ من تميم فسرك أن يعيش فجى بزاد^(٣)

(١) اشعمل اشرف والقوم في الطلب بادروا فيه (٢) الردحة سترة تكون في مؤخر البيت أو قطعة تزداد فيه والرداح الخفيفة العظيمة ، والشيز والشيزى خشب اسود يتخذ منه القصاع وقوله لباب البراي من لباب البر وروى البيت الثالث هكذا : الى ردح من الشيزى عليها الخ (٣) هذا الشعر ليزيد ابن عمرو بن الصعق الكلابي وذكر الجاحظ انه لابي المهوس الاسدى ، وقوله اذا ما مات ميت من تميم ، قال ابن السيد فيه رد على ابي حاتم السخستاني ومن ذهب مذهبه لان ابا حاتم كان يقول قول العامة مات الميت خطأ والصواب مات الحي وهذا الذي انكره غير منكر لان الحي قد يجوز ان يسمى ميتا لان

بخبز أو بتتمر أو بسمنٍ أو الشيء الملقف في البجاد (١)
تراه يطوف في الآفاق حرصاً لياكل رأس لقمان بن عاد (٢)

وكان الأحنف من تميم ، وإنما أراد الأحنف بالسخينة رمى قوم معاوية بالبخل
لأنهم كانوا يقتصرون عليها عند غلاء السمر حتى صار هذا اللفظ لقباً لقريش واسماً
لهم . قال حسان :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلب مغالب الغلاب
ويروى أن كعباً لبس يوم أحد لامة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت
صفراء ولبس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لامة فجرح كعب أحد عشر جرحاً ولما
قال كعب :

جاءت سخينة كي تغالب ربها فليغلب مغالب الغلاب
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كعب على قولك

امره يؤول الى الموت كما يقال للزرع قصيل لانه يقصل اى يقطع وتقول العرب
بس الرمية فيسمونها رمية لانها مما يرمى ويقال للكبش الذى يراد ذبحه
ذبيحة وهو لم يدبح وضحية ولم يضح بها ، وقال الله تعالى : (انك ميت
وانهم ميتون) وقال : « انى ارانى اعصر خمرا » وانما يعصر العنب . وهذا
النوع في كلام العرب كثير والعجب من انكار ابي حاتم آياه مع كثرته وقد
فرق قوم بين الميت بالتشديد والميت بالتخفيف فقالوا الميت بالتشديد
ما سيموت والميت بالتخفيف ما قد مات وهذا خطأ في القياس ومخالف السماع
اما القياس فان ميت المخفف انما اصله ميت المشدد فخفف وتخفيفه لم
يحدث فيه معنى مخالفا لمعناه في حال التشديد كما يقال هين وهين ولين ولين
فكما ان التخفيف في هين ولين لم يحل معناهما فكذلك تخفيف ميت . واما
السماع فانا وجدنا العرب لم تجعل بينهما فرقا في الاستعمال ومن ابين
ما جاء في ذلك قول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء
قال ابن قناس الاسدى :

الا ياليتنى والمسرء ميت وما يغنى عن الحدثن ليت
ففى البيت الاول سوى بينهما وفى البيت الثانى جعل الميت المخفف الحى الذى
لم يموت ، الا ترى ان معناه سيموت فجرى مجرى المثل انك ميت وانهم
ميتون فجعل الميت بالتشديد ما قد مات .

(١) البجاد : الكساء فيه خطوط (٢) قوله لياكل رأس لقمان الخ انما ذكر
لقمان ابن عاد لجلالته وعظمته بزيد انه لشدة نهمه وشهره اذا ظفر باكلة
فكانه ظفر براس لقمان لسرورده بما نال واعجابه بما وصل اليه كما يقال لمن
يزهى بما فعل ويفخر بما ادركه كأنه قد جاء براس خاقان .

هذا « ومنها الحريقة » وهي أن يذر الدقيق على ماء أو لبن حليب فيحسى وهي أغلظ من السخينة يبقى بها صاحب العيال على عياله إذا عضه الدهر « ومنها الصخيرة » وهي اللبن يغلى ثم يذر عليه الدقيق « ومنها العذيرة » وهي دقيق يحلب عليه لبن ثم يحمى بالرضيف^(١) « ومنها العكيسة » وهي لبن يصب عليه الإهالة وهي الشحم المذاب « ومنها الفرقة » وهي حلبة تضم إلى اللبن والتمر وتقدم إلى المريض والثفساء « ومنها الرغيدة » وهي اللبن الحليب يغلى ثم يذر عليه الدقيق حتى يختلط فيلحق « ومنها الأضية » وهي دقيق يعجن بلبن وتمر « ومنها الرهية » وهي بر يطحن بين حجرين ويصب عليه لبن يقال ارتهى الرجل إذا أخذ ذلك « ومنها الوليقة » وهي طعام يتخذ من دقيق وسمن ولبن « ومنها اللويقة » وهي مالن من الطعام وفي حديث عبادة ولا آكل إلا مالوق لي « ومنها الألوقة » وهي أيضاً المالن منه إلا أن اللويقة اللين « ومنها الخزيفة » وهي شحمة نذاب ويصب عليها ماء يطرح عليه دقيق فيلبك به وهي عند الأطباء ثلاث : الخبز والسكر والسمن ، وشتان ما بينهما « ومنها الرغيفة » وهي حسو من دقيق وماء وليست في رقة السخينة « والريكة » وهي طعام يتخذ من بر وتمر وسمن . ومنها المثل « غرثان فاربكو له »^(٢) « والتلبينة » وهي حنالة يتخذ من دقيق أو نخالة ويجعل فيه عسل وإنما سميت تلبينة تشبيهاً باللبن لبياضها ورقتها . وفي الحديث : عليكم بالتلبينة . وكان إذا اشتكى أحدهم في منزله لم تنزل البرمة حتى يأتي أحد طرفيه ومعناه حتى يبرأ من علته أو يموت ، وإنما جعل هذان طرفيه لأنهما منتهى أمر العليل « والشيقة » وهي أن يغلى اللحم ثم يرفع يقال منه وشقت أشق وشقاً . وقال الحسن بن هانئ :

(١) الرضيف كامير : اللبن يغلى بالرضفة (٢) يقال دخل ابن لسان الحمرة على أهله وهو جائع عطشان فبشروه بمولود واتود به فقال : والله مادري أكله أم أشربه ، فقالت امرأته : غرثان فاربكو له ، أي اخلطوا له طعاماً ، ويروى فأكبوا له من البكيلة وهي أقط يلت بسمن فلما طعم وشرب قال كيف الظلا واهم فارسها مثلاً ، والظلا ولد الظبية فاستعاره أولده ، يضرب إن قد ذهب همه وتفرغ لغيره ، وقيل يضرب مثلاً للرجل تكلمه وله شأن يشغله عنك .

حتى رفعنا قدرنا بضرأها واللحم بين موزم وموشق
« والمثيمة » بالعين غير معجمة طعام يطبخ ويجمل فيه جراد وهو الغشيمة أيضاً
« والبغيث والغليث » الطعام المخلوط بالشعير فإذا كان فيه الزوان فهو المغلوث
« والعريقة » وهي شيء يعمل من اللبن « والبكيلة » السمن يخلط بالأقط وهي التي
عناها الراجز بقوله :

لأَكَلَةٍ من أَقطِ وسَمْنٍ أَلِينُ مَسًّا في حشَايا البطن^(١)
من يَثْرَ بِيَاتٍ قَذَاذِ خُشْنِ^(٢)

وقال أبو زيد هي الدقيق يخلط بالسويق ثم يبل بماء أو بسمن أو بزيت . وقال
الكلابي : هو الأقطُ المصحون تبكله بالماء كأنك تريد أن تمجنه : وقال ابن
السكيت : وهي السويق والتمر يبلان بالماء « والمبيثة » وهي الأقط بالسمن
والتمر . وقيل هي الأقط الرطب يخلط بالتمر اليابس « والحيس »^(٣) وهو الأقط مع
السمن والتمر « والجميع » وهو التمر مع اللبن وهو حلواء رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم « والبسيصة » وهو كل شيء خلطته بغيره مثل السويق بالأقط ثم تلته بالسمن
أو بالزيت ومثل الشعير بالنوى للإبل يقال بسسته أبسه بساً « والصناب » وهو
الخردل مع الزبيب . « والبريك » وهو الزبد مع الرطب « والحبيط » وهو اللبن
الرائب باللبن الحليب « والحليط » وهو السمن بالشحم « والنخيسة » وهو لبن
الضأن يخلط بلبن المزم « والمرضة » وهي اللبن الحلو إذا اختلط مع اللبن الحامض
« والوطيئة » وهي العصيدة الناعمة « النفيتة » وهي العصيدة إن نخت « والفيتة »
وهي النفيتة إذا زادت قليلاً فإذا انمقدت وتعلكت فهي العصيدة « والخزيرة »

(١) الأقط : قال الأزهرى يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى
يمصل (٢) قال في التاج : الأقط سهم لاريش عليه ، وقيل هو المستوى البرى
بلا زرع فيه ولا ميل ، وقال اللحياني : السهم حين يبرى قبل أن يراش والجمع
قد وجمع القذ قدان قال الراجز : من يثر بيات قذاذ خشن ، انتهى باختصار
(٣) هر تمر واقط وسمن وانشد :

التمر والسمن والاقط الحيس الا انه لم يختلط

أن ينصب القدر بلحم يقطع صفاراً على ماء كثير فإذا نضج ذرّ عليه الدقيق فإن لم يكن لحم فهو عصيدة . وأول من عمل الحزيرة سويد بن هرمي ، ولذلك قال شاعرهم لبني مخزوم :

وعلمتُم أكل الحزير وأنتم على غدواء الدهر صم صلاب (١)
ومن تتبع كتب اللغة ونحوها وجد غير ما ذكرنا مما هو على هذا القبيل ولا
يسعنا استيعابه .

ولائم العرب الشهيرة

الولائم جمع وليمة ، وهي كل طعام يصنع لعرس وغيره ويدعى إليه . وقال الإمام الشافعي وأصحابه : تقع الوليمة على كل دعوة تتخذ لسرور حادث من نكاح أو ختان وغيرها ، لكن الأشهر استعمالها عند الإطلاق في النكاح وتقييد في غيره ، فيقال وليمة الختان ونحو ذلك . وقال الأزهري الوليمة مأخوذة من الولم وهو الجمع وزناً ومعنى لأن الزوجين يجتمعان . وقال ابن الأعرابي : أصلها من تنميم الشيء واجتماعه . وذهب غالب أهل اللغة إلى أن اسم الوليمة مختص بطعام العرس . وهو المنقول عن الخليل بن أحمد وتلمب وغيرها ، وجزم به الجوهري وابن الأثير . وقال صاحب المحكم : الوليمة طعام العرس والأملاك ، وجزم السارودي ثم القرطبي بأنها لا تطلق في غير طعام العرس إلا بقريظة . وأما الدعوة فهي أعم من الوليمة وهي بفتح الدال على المشهور وضمها قطرب في مثلثاته وغاطوه في ذلك على ما قال النووي . قال : ودعوة النسب بكسر الدال وعكس ذلك بنو تيم الرباب ففتحوا دال دعوة النسب وكسروا دال دعوة الطعام انتهى . وما نسبه لبني تيم الرباب

(١) العدواء أرض يابسة صلبة وربما جاءت في البئر إذا حفرت وقد يكون حجراً يحاد عنه في الحفر ، وقيل العدواء المكان الذي لا يطمئن من قعد عليه يقال على مركب ذي عدواء أي ليس بمطمئن ، وفي المحكم جلس على عدواء أي على غير استقامة .

نسبه صاحب الصحاح والمحکم لبنى عدی الرباب فالله أعلم . . . وولأم العرب ست
عشرة وليمة . الأولى « الخرس » بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وهى الطعام
الذى يصنع للنفساء لسلامة المرأة من الطلق . وقيل : هو طعام الولادة . والثانية
« العقيقة » وهى ما يصنع للطفل بعد ولادته وتختص باليوم السابع . والثالثة
« الأعدار » وهى ما يصنع للختان . والرابعة « ذو الحذاق » وهى ما يصنع لحافظ
القرآن فهى مما حدثت بعد الإسلام . وقيل : إنه الطعام الذى يتخذ عند حذق الصبي
ذكره ابن الصباغ فى الشامل . والخامسة « الملاك » وهى ما يصنع للخطبة . ويقال
الأملاك . وطعامه يسمى (الشندخ) بضم المعجمة وسكون النون وفتح
الدال المهملة وقد تضم وآخره خاء معجمة مأخوذ من قولهم فرس شندخ أى
يتقدم غيره سى طعام الأملاك بذلك لأنه يقدم الدخول . والسادسة « وليمة العرس »
وهى ما يصنع للدخول بالزوجة . والسابعة « الوضيعة » وهى ما يصنع للميت أى
لأهل المصيبة . والثامنة « الوكيرة » وهى ما يصنع للبناء يعنى للسكن المتجدد
مأخوذ من الوكر وهو المأوى والمستقر . والتاسعة « العقيرة » بعين مهملة قفاف
وهى ما يصنع لهلال رجب . والعاشر « التحفة » وهى ما يصنع للزائر . والحادية
عشرة « الشندخ » بالشين المعجمة والدال المهملة المضمومتين آخره خاء معجمة
وهى ما يصنع عند وجود الضالة وقد سبق أنه يطلق أيضاً على طعام الأملاك والثانية
عشرة « النقيعة » بالقاف ثم العين المهملة وهى ما يصنع للقدوم من السفر وقيل :
النقيعة التى يصنعها القادم التى تصنع له تسمى التحفة . والثالثة عشرة « القرى »
وهى ما يصنع للضيف . والرابعة عشرة « المأدبة » وهى ما ليس له سبب من
ذلك . والخامسة عشرة « الجفلى » بفتح الجيم والفاء . وهى التى تم دعوتها .
والسادسة عشرة « النقرى » بفتح النون والقاف وهى التى تخص دعوتها .
قال طرفة :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فىنا ينتقر

وصف قومه بالجوود وأنهم إذا صنعوا مآدبة دعوا إليها عموماً لا خصوصاً
وخص أيام الشتاء لأنها مَظِنَّةُ قلة الشيء وكثرة احتياج من يدعى ، والآدب
بوزن اسم الفاعل من المآدبة وينتقر مشتق من التَقَرَّى .

أواني العرب المميّزة بأسماء مخصوصة

وحيث فرغنا من الإشارة الى ما كانوا عليه من أمر المطعم ناسب أن نذكر
آنيتهم . وهي الدسيعة بالسين والعين المهملتين بوزن كريمة . والجفنة والقصة
والمكتلة والفَيْخَة بفتح الفاء والخاء المعجمة وتسمى بالسكرجة أيضاً بضم السين
المهملة والكاف والراء المشددة والجليم إناء صغير لا يشعب الرجل والصحفة تشعب
الرجل . والمكتلة تشعب الرجاين والثلاثة . والقصة تشعب الأربعة والخمسة . والجفنة
تشعب السبعة إلى العشرة . والدسيعة أكبرها . وقيل أكبرها الجفنة وهي التي
يذكرها الشعراء في شعرهم في الغالب كقوله :

لنا الجففات الغُرُّ يلمعن بالضحي وأسيافنا يَقْطُرْنَ من نجدة دما
وقد تقدمت الخنساء على هذا البيت كما في المفتاح فقالت أي نخر يكون في أن
له ولعشيرته وابن ينضوي إليهم من الجفان ما نهايتها في العدد عشرة وكذا من
السيوف . ألا استعمل جمع الكثرة الجفان والسيوف . وأي نخر في أن يكون
جفنته وقت الضخوة وهو وقت تناول الطعام غراء لا معة كجفان البائع أما يشبه
أن قد جعل نفسه وعشيرته بأئى عدة جففات ثم أتى يصاح للمبالغة في التمدح
بالشجاعة . وقد قال وأسيافنا يقطرن . أما كان يجب أن يتركها إلى يسار أو
يفضن أو ما شاكل ذلك .

عادات العرب في الشرب

اعلم أن عادات العرب في الشرب وآدابهم فيه قد جاءت الشريعة بكثير
منها وهي مفصلة في كتبها . منها : الشرب قاعداً قالوا : فإن للشرب قائماً آفات

عديدة ، منها أنه لا يحصل له الرى التام ولا يستقر الماء فى المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء وينزل بسرعة وحده إلى المعدة فيخشى منه أن يبرد حرارتها ويشوشها ويسرع النفوذ إلى أسفل البدن بغير تدرىج . وكل هذا يضر بالشارب وأما إذا فعله نادراً أو لحاجة لم يضره ولا يعترض بالموائد على هذا فإن الموائد طبائع ثوان ولها أحكام أخرى وهى بمنزلة الخارج عن القياس . ومن آدابه أن يقطع عن الشرب ثلاث مرات . فإنه أروى وأمرأ وأبرأ . فأروى أشد ريباً وأبلغه وأنفعه وأبرأ من البرء وهو الشفاء أى يبرأ من شدة العطش ودائه لترده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه والثالثة ما عجزت الثانية عنه . وأيضاً فإنه أسلم لحرارة المعدة وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة ، وأيضاً فإنه لا يروى لمصادفته لحرارة العطش لحظة ثم يقلع عنها ولم يكسر سوورتها وحدتها فان انكسرت لم تبطل بالكيفية بخلاف كسرها على التدرىج ، وأيضاً فإنه أسلم عاقبة وآمن غائلة من تناول جميع ما يروى دفعة واحدة فإنه يخاف منه أن يطغى الحرارة الغريزية بشدة برده وكثرة كميته أو يضعفها فيؤدى ذلك إلى فساد مزاج المعدة والكبد وإلى أمراض رديئة خصوصاً فى سكان البلاد الحارة كالمرق والحجاز واليمن ونحوها وفى الأزمنة الحارة كشدة الصيف ، فإن الشرب وهلة واحدة مخوف عليهم جداً فإن الحار الغريزى ضعيف فى بواطن أهلها وفى تلك الأزمنة الحارة . وأما كونه أمرأ فإنه من مرىء الطعام والشراب فى بدنه إذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع ومنه فكلوه هنيئاً مريئاً . هنيئاً فى عاقبته ، مريئاً فى مذاقه . وقيل معناه أنه أسرع انحداراً عن المرى لسهولته وخفته عليه بخلاف الكثير فإنه لا يسهل على المرى انحداره

ومن آفات الشرب نهلة واحدة أنه يخاف منه الشرق بأن ينسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فيغص به فإذا تنفس رويداً ثم يشرب أمن من ذلك

ومن فوائد القطع ثلاثاً . إن الشارب إذا شرب أول مرة تصاعد البخار الدخاني الحار الذي كان على القلب والكبد لورود الماء البارد عليه فأخرجته الطبيعة عنها فإذا شرب مرة واحدة اتفق نزول الماء البارد وصعود البخار فيتدافعا ويتماجان ومن ذلك يحدث الشرق والغصة ولا يهنا الشارب بالماء ولا يمر به ولا يتم ربه . وقد ورد في الحديث إذا شرب أحدكم فليمص الماء مصاً ولا يعب عباً فإنه من الكباد . والكباد بضم الكاف وتخفيف الباء هو وجع الكبد . وقد علم بالتجربة أن ورود الماء جملة واحدة على الكبد يؤلمها ويضعف حرارتها ، وسبب ذلك المضادة التي بين حرارتها وبين ماورد عليها من كيفية البرود وكميته ولو ورد بالتدريج شيئاً فشيئاً ولم يضاعد حرارتها لم يضعفها . وفي الحديث أيضاً لا تشربوا نفساً واحداً كشرب البعير لكن اشربوا مثني وثلاث وسما إذا أتم شربتم واحمدوا إذا أتم فرغتم . ومن الآداب قطع النفس عند الشرب فإن الشارب إذا تنفس في القدح فخالط نفسه الماء استقدر وربما سقط من أنفه في الماء ما يستكره وأحدث فيه داء وربما كان في فم النافخ رائحة كريهة يعاف الماء لأجلها إلى غير ذلك من المضار وكانوا يكرهون الشرب من ثلثة الإناء وهذا من الآداب التي يتم بها مصلحة الشارب فإن الشرب من ثلثة القدح فيه عدة مفسد . أحدها أن ما يكون على وجه الماء من قذى أو غيره يجتمع إلى الثلثة بخلاف الجانب الصحيح الثاني أنه ربما يشوش على الشارب ولم يتمكن من حسن الشرب من الثلثة . الثالث أن الوسخ والزهومة يجتمع في الثلثة ولا يصل إليها الغسل كما يصل إلى الجانب الصحيح . الرابع أن الثلثة محل العيب في القدح وهي أردأ مكان فيه فينبغي تجنبه وقصد الجانب الصحيح فإن الردىء من كل شيء لاخير فيه . ورأى بعض السلف رجلاً يشتري حاجة رديئة فقال لا تفعل إن الله تعالى نزع البركة من كل ردىء . الخامس أنه ربما كان في الثلثة شق وتحديد يجرح شفة الشارب . وكانوا يكرهون أيضاً الشرب من فم السقاء ، لأن تردد أنفاس الشارب

فيه يكسبه زهومة ورائحة كريهة يمان لأجلها. وربما غاب الداخل إلى جوفه من الماء فتضرر به ، وربما كان فيه حيوان لا يشعر به فيؤذيه ، وربما كان في الماء قذارة أو غيرها لا يراها عند الشرب فتلج جوفه . وكانوا يحثون على تنظية الإناء لما في انكشافه من المحاذير التي لا تخفى . وفي الحديث : غطوا الإناء ، وأوكوا السقاء .

ما يعتبر به جودة الماء عند العرب

تعتبر جودة الماء من عشرة طرق . أحدها من لونه بأن يكون صافياً الثاني : من رائحته بأن لا يكون له رائحة البتة . الثالث : من طعمه بأن يكون عذب الطعم خلوه كالنيل والفرات ونحوها . الرابع : من وزنه بأن يكون خفيفاً رقيق القوام . الخامس : من مجراه بأن يكون طيب المجرى والمسلك . السادس : من منبعه بأن يكون بعيد المنبع . السابع : من بروزه للشمس والريح بأن لا يكون مخفياً تحت الأرض فلا تتمكن الشمس والريح من قصارته . الثامن : من حركته بأن يكون سريع الجرى والحركة . التاسع : من كثرتة بأن يكون له كثرة تدفع المخالطة له . العاشر : من مصبه بأن يكون آخذاً من الشمال إلى الجنوب أو من المغرب إلى المشرق . وإذا اعتبرت هذه الأوصاف لم تجدها بكالها إلا في النيل والفرات وسيحون وجيحون ونحوها . وتعتبر خفة الماء من ثلاثة أوجه . أحدها سرعة قبوله للحر والبرد . الثاني : بالميزان . الثالث : أن تبل قطنتان متساويتان الوزن بمائتين مختلفين ثم يحففا بالغا ثم توزنا فأيهما كانت أخف فإؤها كذلك .

والماء وإن كان في الأصل بارداً رطباً فإن قوته تتنقل وتتغير لأسباب عارضة توجب انتقالها فإن الماء المكشوف للشمال المستور عن الجهات الأخر يكون بارداً وفيه يبس مكتسب من ربح الشمال . وكذلك الحكم على سائر الجهات الأخر . والماء الذي ينبع من المعادن يكون على طبيعة ذلك المعدن ويؤثر في البدن تأثيره

والماء العذب نافع للمرضى والأصحاء والبارد منه أنفع وألذ . قالوا : ولا ينبغي شربه على الريق ولا عقب الجماع ولا عند الانتباه من النوم ولا عقب أكل الفاكهة ، وأما على الطعام فلا بأس به إذا اضطر إليه بل يتعين ولا يكثر منه بل يمتصه مصاً فإنه لا يضره البتة بل يقوى المعدة وينهض الشهوة ويزيل العطش . والماء الفاتر ينفخ ويفعل ضد ما ذكرناه وبائته أجود من طريه . قالوا : والبارد ينفع من داخل أكثر من نفعه في الخارج والحر بالعكس ، وينفع البارد من عفونة الدم وصعود الأبخرة من الرأس ويدفع العفونات ويوافق الأمزجة والأسنان والأزمان والأماكن الحارة ويضر كل حالة تحتاج إلى نضج وتحليل كالزكام والأورام ، والشديد البرودة منه يؤذي الأسنان ، والإدمان عليه يحدث انفجار الدم والزلات وأوجاع الصدر . والبارد والحر بإفراط ضاران للمصوب ولأكثر الأعضاء لأن أحدها محلل والآخر مكثف . والماء الحار يسكن لذع الأخلاط الحادة ، ويحلل وينضج ويخرج الفضول ويرطب ويسخن ويفسد الهضم شربه ويطفو بالطعام إلى أعلى المعدة وبرخيها ولا يسرع في تسكين العطش ويبدل البدن ويؤدي إلى أمراض رديئة ويضر في أكثر الأمراض ، وعلى أنه صالح للشيوخ وأصحاب الصرع والصداع البارد والرمد وأنفع ما استعمل من خارج والشديد السخونة يذيب شحم الكلى . وعلى كل حال أن الماء البارد أنفع ولا سيما إذا خالطه ما يحليه كالعسل والزبيب والسكر ونحو ذلك فإنه من أنفع ما يدخل البدن وأحفظ عليه صحته . ولهذا كان أحب الشراب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم البارد الحلو . ولما كان الماء البائت أنفع من الذي يشرب وقت استقائه قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد دخل إلى حائط أبي الهيثم بن التيهان : هل من ماء بات في سنّه؟ فأتاه به فشرب منه ، فإن الماء البائت بمنزلة المعجين الخير والذي شرب لوقته بمنزلة الفطير وأيضاً فإن الأجزاء الترابية والأرضية تفارقه إذا بات والماء الذي في القرب والشنان الذّ من الذي يكون في آنية الفخار والأحجار

وغيرها عندهم ولا سيما أسقية الأدم ، ولهذا التمس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ماءً بات في شنه دون غيرها من الأواني ، وفي الماء إذا وضع في الشنان خاصية لطيفة لما فيها من اللسام المنفتحة التي يرشح منها الماء ، ولهذا كان الماء في الفخار الذي يرشح أذنه وأبرد في الذي لا يرشح .

المياه المشهورة عند العرب

منها ماء (الغيث) وهو لديهم لذيذ الاسم على السمع والمسمى على الروح والبدن تبهج أسماعهم بذكره ، وقلوبهم بوروده ، وماؤه أطف المياه وأفضلها وأنعمها وأعظمها بركة ، ولا سيما إذا كان من سحاب راعد واجتمع في مستنقعات الجبال وهو أرطب من سائر المياه لأنه لم تطل مدته على الأرض فيكتسب من ييوستها . ولم يخالطه جوهر يابس ولذلك يتغير ويتمفن سريعاً للطفته وسرعة انفعاله وهل الغيث الربيعي أطف من الشتوي أو بالمكس فيه قولان ، قال من رجح الغيث الشتوي : حرارة الشمس تكون حينئذ أقل فلا يجتذب من ماء البحر إلا لطفه والجو صاف وهو خال من الأبخرة الدخانية والغيار المخالط للماء ، وكل هذا يوجب لطفه وصفاءه وخلوه من مخالط . وقال من رجح الربيعي : الحرارة توجب تحلل الأبخرة الغليظة وتوجب رقة الهوى ولطفته فيخف بذلك الماء وتقل أجزاؤه الأرضية وتصادف وقت حيوة النبات والأشجار وطيب الهواء .

ومنها ماء (الثلج) و(البرد) و(الجمد) وهذا الماء قليل عندهم لغلبة الحرارة على قطرم ولكونه لديهم من أنفع المياه وأنقاها . ورد في الحديث : اللهم اغسلني من خطاياي بماء الثلج والبرد . والثلج له في نفسه كيفية حادة دخانية فائوه كذلك ، والحكمة في طب الغسل من الخطايا بمائه ما يحتاج إليه القلب من التبريد والتصليب والتقوية ، ويستفاد من هذا الأصل طب الأبدان والقلوب ومعالجة أدوائها بضدها ، وماء البرد أطف وأذ من ماء الثلج . وأما ماء الجمد وهو الحليد فيحسب أصله ، والثلج يكتسب كيفية الجبال والأرض التي يسقط عليها

في الجودة والرداءة وينبغي تجنب شرب الماء المثلوج عقب الاستحمام والجماع والرياضة والطعام الحار ولأصحاب السعال ووجع الصدر وضعف الكبد وأصحاب الأمزجة الباردة .

ومنها ماء (الآبار) و (القناء) و (العيون) وهذه المياه غالب مياه العرب . وقد جمع بعض الأدباء المتقدمين أسماء مياههم في رسالة لطيفة وذكر أصحابها جاهلية وإسلاماً وما ورد فيها من الشعر مما يطول ذكره . ومياه الآبار قليلة اللطافة وماء القناء المدفونة تحت الأرض ثقيل لأن أحدها محتقن ولا يخاو عن تعفن والآخر محجوب عن الهواء . وينبغي أن لا يشرب على الفور حتى يصدر للهواء ، وتأتي عليه ليلة . وأردؤه ما كانت مجاربه من رصاص أو كانت بئر معطلة ولا سيما إذا كانت تربتها رديئة فهذا الماء ذئب وخيم . وأما ماء بئر زمزم فهو عند العرب جاهلية وإسلاماً سيد المياه وأشرفها وأجلها قدراً وأحبها إلى النفوس وأغلاها ثمناً وأنفسها ، وهو هزيمة جبريل وسقيا أسماعيل عليهما السلام ، وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إنه قال لأبي ذر وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ما بين يوم وليلة وليس له طعام غيره : فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إنها طعام طعم ، وشفاء سقم . وفي الحديث : ماء زمزم لما شرب له . وقد جرب كثير من الناس من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبه ، وقد شوهد من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من الشهر ولا يجد جوعاً ويطوف مع الناس كأحدهم . وأما مياه العيون فالغالب عليها الثقل كأكثر مياه الآبار . وللأصمعي رسالة ذكر فيها ما اعتبرته العرب من الأسماء في البئر وأنواعها وآلاتها وهي فريدة في بابها ، وسند ذكر إن شاء الله عند الكلام على علومهم ما لهم من اليد الطولى في معرفة استنباط المياه وإجرائها وإن قسماً منهم يقال لهم (النصاتون) يضع أحدهم أذنه على الأرض فيعلم مسافة بعد الماء في تلك الأرض .

أسماء أواني المياه عند العرب

كما أن لأواني الأطعمة أسماء مخصوصة كذلك لأواني الشرب أسماء تخص

كلّا منها عن الآخري ، وقد استوعبها ابن فارس وغيره في كتب فقه اللغة . منها « التبن » بكسر التاء وفتحها قال في القاموس هو قدح يروي العشرين . ومنها «الصحن » وهو العسّ العظيم . ومنها « العس » وهو القدح العظيم . ويقال : إنه الذي يروي الثلاثة والأربعة . ومنها « القَدَح » بفتح القاف والدال قال في القاموس هو آنية تروي الرجلين ومنها « القَعْب » بفتح القاف وسكون العين قال في القاموس : هو القدح الضخم الجافي أو إلى الصغر يروي الرجل . ومنها « العُمُر » بضم الغين المعجمة وفتح الميم وهو قدح صغير أو أصغر الأقداح ، ويقال تعمر الرجل إذا شرب به .

تقديم العرب الأيمن في الشرب

إن العادة كانت جارية بين ملوك الجاهلية ورؤسائهم بتقديم الأيمن في الشرب وكانت عادة العرب مجارة ملوكهم بتقديم الأيمن فالأيمن في أيّ شرب كان وعلى ذلك قول عمرو بن كلثوم في معلقته وهو :

صددت الكأسَ عن أمِّ عمروٍ وكان الكأسُ مجراها اليمين

وقد أقرّ الشرع هذه العادة ولم يغيرها لفضل اليمين على اليسار . ولهم في شرب الخمر عوائد وآداب مذكورة في كتاب (مساوي الخمر) وكذلك أسماء أوقاته كالصَبُوح والغَبُوق ونحو ذلك ، وهكذا لما يشرب من اللبن وذكره يطول .

عادات العرب في سقي إبلهم وأسمانها

اعلم أن للعرب في سقي إبلهم عوائد مختلفة ولكل منها اسم يخصه ، فكانوا إذا وردوها كل يوم يقولون : سقيناها رفها . أي في كل قوم . وإذا أوردوها يوماً وتركوها في المرعى يوماً قالوا : سقيناها غيباً . وإذا أقاموها في المرعى بعد يوم الشرب يومين ثم أوردوها في اليوم الثالث يقولون : سقيناها ربماً . ولا يقولون ثلثاً أبداً لأنهم يحسبون يوم المقام مع يوم الشرب فيعدونها أربعة ويؤيده أنه يقال للحمي التي تأتي يوماً وتنقلع يومين ثم تأتي في الثالثة حتى الربع ، وتنام ظمأ الإبل

في الغالب ثمانية أيام فإذا أوردوها في اليوم التاسع منه وهو العاشر من الشرب الأول قالوا: سقيناها عشراً بالكسر فالعشر تسعة أيام أبداً لأن يوم الشرب الأول من العشر السابق في الواقع لا من هذا العشر. وإذا زادوا على العشرة قالوا: أوردناها رفها بعد عشر. وحكى عن الليث أنه قال: قلت للخليل زعمت أن عشرين جمع عشر والعشر تسعة أيام. فكان ينبغي أن يكون العشرون سبعة وعشرين يوماً لتستكمل ثلاثة أسابيع. قال ثمانية عشر يوماً عشراً ضممت إليها يومين من العشر الثالث فجمعتها بذلك الاعتبار. قلت: هل يجوز أن تقول الدرهمين مع الدائنين ثلاثة دراهم؟ قال: لا أقيس على هذا وإنما أقيس على قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى حيث قال: إن من طلق امرأته تطليقتين وعشر تطليقة تقع ثلاث تطليقات فتكافئ له أن يعتد بعشر تطليقة ويجعله تطليقة واحدة كاملة جاز لي أن أعتد بيومي عشر وأعدهما عشراً كاملاً.

اختلاف في تغذية الماء

اختلاف أطباء العرب في الماء هل يغذي البدن أم لا. فأثبت طائفة التغذية بناء على ما يشاهد من النمو والزيادة والقوة في البدن به ولا سيما عند شدة الحاجة إليه قالوا: وبين الحيوان والنبات قدر مشترك من وجوه عديدة. منها النمو والاعتناء والاعتدال. وفي النبات قوة حس وحركة تناسبه، ولهذا كان غذاء النبات بالماء فما ينكر أن يكون للحيوان به نوع غذاء أو أن يكون جزءاً من غذائه التام. قالوا: ونحن لا ننكر أن قوة الغذاء ومعظمه في الطعام وإنما أنكرنا أن لا تكون للماء تغذية البتة. قالوا: وأيضاً الطعام إنما يغذي بما فيه من المائية ولولاها لما حصلت به التغذية. قالوا: ولأن الماء مادة حياة الحيوان والنبات، ولا ريب أن ما كان أقرب إلى مادة الشيء، حصلت به التغذية فكيف إذا كانت مادته الأصلية، فكيف ينكر حصول التغذية بما هو مادة الحياة على الإطلاق؟ قالوا: وقد رأينا العطشان إذا حصل له الرى بالماء البارد تراجمت إليه قواه وأنشأته

وحركة وصبر عن الطعام وانتفع بالقدر اليسير منه ورأينا العطشان لا ينتفع
بالقدر الكثير من الطعام ولا يحدته القوة والاعتناء . ونحن لا ننكر أن الماء ينفذ
الغذاء إلى أجزاء البدن وإلى جميع الأعضاء وأنه لا يتم أمر الغذاء إلا به ، وإنما
ننكر على من سلب قوة التغذية عنه البتة ، ويكاد قوله عندنا يدخل في إنكار
الأمر الوجدانية . وأنكرت طائفة أخرى حصول التغذية به واحتجت بأمور
يرجع حاصلها إلى عدم الاكتفاء به وأنه لا يقوم مقام الطعام وأنه لا يزيد في نمو
الأعضاء ، ولا يخالف عليها بدل ما حلتته الحرارة ونحو ذلك مما لا ينكره أصحاب
التغذية فإنهم يعملون تغذيته بحسب جوهره وطاقته ورقته وتغذية كل شيء بحسبه
وقد شوهد الهواء الرطب البارد اللين اللذيذ يغذى بحسبه ، والرأحة الطيبة تغذى
نوعاً من الغذاء ، فتغذية الماء أظهر وأظهر .

ما يعالج به ضرر الماء

كان لهم طرق من العلاج لدفع مضرة ماء البحر إذا اضطر أحد منهم إلى
شربه ، منها أن يجعل في قدر ويجعل فوق القدر قصبات وعليها صوف جديد
منفوش ويوقد تحت القدر حتى يرتفع بخارها إلى الصوف فإذا كثر عصره من
عمل ذلك ولا يزال على هذا الفعل حتى يجتمع له ما يريد فيكون في الصوف من
البخار ما عذب ويبقى في القدر الرُعاق ، ومنها أن يحفر على شاطئه حفرة واسعة
يرشح ماؤه إليها جانبها قريباً منها أخرى ترشح هي إليها ثم تالفة إلى أن يعذب
الماء . ولهم في تصفية الماء ودفع كدورته حيل وذلك إذا ألجأت أحدهم الضرورة
إلى شرب الماء الكدر ألقى فيه قطعة من خشب الساج أو جراً ملتصقاً يطفى فيه أو
طيناً أرمينيا أو سويق حنطة ، فإن كدورته ترسب إلى أسفل .

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني

بلوغ الأرب - الجزء الأول

ثلاثة فهارس

الفهرس الأول - فى موضوعات الكتاب

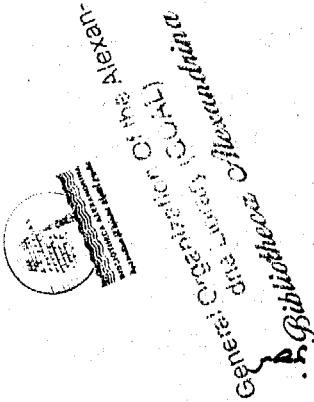
الفهرس الثانى - فى أسماء الرجال والنساء

الفهرس الثالث - فى أسماء البلدان والقبائل

عنى بجمعها وترتيبها

محمد جمال

صاحب المكتبة الأهلية - بـبصر



الفهرس الأول

في مواضع الكتاب

صفحة		صفحة	
٩١	مطاعم الريح	٢	مقدمة - إشارح الكتاب
٩٢	أزواد الركب	٥	مقدمة - مؤلف الكتاب
٩٩	العرب أقرب للحلم من غيرهم	٨	تعريف العرب وبيان أنواعهم
١٠٣	العرب أشجع من غيرهم	١٠	وأقسامهم
١١٨	من ضرب بشجاعته المثل من العرب	١٠ و ٩	الطبقة الأولى، الثانية، الثالثة، والرابعة
١١٨	خالد بن جعفر بن كلاب العامري		
١٢٠	بجمع بن هلال بن خالد بن مالك	١١	تعريف من يطلق عليه لفظ العرب
١٢٢	العرب أوفى من غيرهم	١٢	الفرق بين العرب والأعراب
١٢٥	من ضرب بوفائه المثل من العرب		في المعنى
١٢٥	عوف بن محم	١٥	معنى الجاهلية وما تطلق عليه
١٢٧	حنظلة بن عفراء	١٨	فضل جنس العرب وما امتازوا به
١٣٣	الحارث بن ظالم الكرى	٣٨	العرب أحفظ من غيرهم
١٣٥	أبو حنبل الطائي	٤٠	العرب أقدر على البيان من غيرهم
١٣٦	الحارث بن عباد	٤٦	العرب أقرب للسخاء من غيرهم
١٣٦	السموأل بن عادي الغساني	٧٢	أجواد العرب : حاتم الطائي
١٣٩	فكهة بنت قتادة	٨١	كعب بن مامة الإيادي
١٣٩	أم جميل	٨٢	أوس بن حارثة بن لام الطائي
١٤٠	العرب أغير من غيرهم	٨٤	هرم بن سنان
١٤٧	مناظرة بين النعمان وكسرى	٨٦	عبد الله بن حبيب العنبري
١٥٨	كلام لابن المقفع في فضل العرب	٨٧	عبد الله بن جدعان التيمي
١٥٩	مذهب الشعوبية في العرب	٩٠	قيس بن سعد
١٦٤	شبه الشعوبية وأبطالها	٩١	عبادة الكلبيية
١٦٩	رد ابن قتيبة على الشعوبية	٩١	قتادة بن مسلمة الحنفي

صفحة	صفحة
٢٦٤	رد الشعوبية على ابن قتيبة ١٧١
٢٧٠	قول الشعوبية في منالكح العرب ١٧٣
٢٧٨	الرد عليهم ١٧٣
٢٨٥	أجمل ما قالته الشعوبية في العرب ١٧٥
٢٨٧	مساكن العرب في الجاهلية ١٨٤
٢٨٧	مساحة دور جزيرة العرب ١٨٥
٢٨٧	وجه تسمية هذه الجزيرة ١٨٧
٢٨٨	ما اشتمل عليه الجزيرة من الأقسام ١٨٧
٢٩٧	البلاد والمباني المشهورة: الحجاز ١٨٨
٢٩٨	تهامة ١٩٤
٣٠١	العروض: اليمامة مدينة الرسول ١٩٩
٣٠٦	نجد — وأقوال الشعراء فيها ١٩٨
٣٠٧	اليمن ٢٠٢
٣٠٨	المعادن والقصور التي فيها ٢٠٤
٣٠٨	مأرب (سبأ) ٢٠٧
٣١١	تدمر وعجائبها ٢٠٩
٣١٥	ما جاور العراق من بلاد الجزيرة ٢١٢
٣١٦	ديار بكر وربيعه ومضر ٢١٧
٣١٦	المواضع التي جاءت على ألسنة ٢٢٢
٣١٦	الشعراء
٣١٩	ما كانت عليه مكة في الجاهلية ٢٢٧
٣٢١	صفة الكعبة ٢٣٠
٣٢٣	فضل مكة وذكر رؤسائها وأشرافها ٢٣٩
٣٢٤	أشراف قريش في الجاهلية ٢٤٩
٣٢٨	والإسلام
٣٢٩	أصحاب الفيل في مكة ٢٥١
٣٢٩	سؤال وجواب ٢٦٣

صفحة		صفحة	
٣٦٤	أعياد المسلمين	٣٣٠	يعمر الشداخ
٣٦٧	ما كان العرب يصنعونه في أعيادهم	٣٣٠	صفوان بن أمية
٣٦٩	حذاء العرب والغناء	٣٣٠	سلي بن نوفل
٢٧٠	عادات العرب في الأكل والمشرب	٣٣١	مالك بن جبير
	وصف كثرة الأكل وترتيبه	٣٣١	عمرو بن حمزة
٣٧٩	عند العرب	٣٣٤	الحارث بن عباد
٣٨٠	مطاعم العرب الشهيرة	٣٣٥	القليس الكناني
٣٨٥	ولائم العرب الشهيرة	٣٣٥	ذو الإصبع العدواني
٣٨٧	أواني العرب المميزة بأسماء	٣٣٨	حكيمات العرب
	مخصوصة	٣٣٩	ابنة الخنس
٣٨٧	عادات العرب في الشرب	٣٤٢	جمعة بنت حابس الإيادي
٣٩٠	ما يعتبر به جودة الماء عند العرب	٣٤٢	سحر بنت لقمان
٣٩٢	المياه المشهورة عند العرب	٣٤٢	خضيلة بنت عامر
٣٩٣	أسماء أواني المياه عند العرب	٣٤٣	حذام بنت الريان
٣٩٤	تقديم العرب الأيمن في الشرب	٣٤٤	أعياد العرب وأفراحهم
٣٩٤	عادات العرب في سقي إبلهم	٣٤٥	أعياد المشركين
	وأسمائها	٣٤٨	أعياد المجوس
٣٩٥	الاختلاف في تغذية الماء	٣٥٧	أعياد القبط والنصارى
٣٩٦	ما يعالج به ضرر الماء	٣٦١	أعياد اليهود

الفهرس الثاني

في أسماء الرجال والنساء

ابن هشام ٨٨ و١٩١
ابو سفيان بن حرب ١٣٩ و٢٢٨ و٢٤٩ و٢٦٩
و٢٨٨ و٢٩٢ و٣٠٨ و٣٢٠
ابن القظامي ١٤٧
ابن سبيرين ١٥٠
ابن غرسية ١٦٠
ابن هبولة الفساني ١٦٧
ابن وكيع ١٧٤
ابن الراوندي ١٧٧
ابن النحاس ١٧٩ و٢٧٤ و٢٧٥
ابن خلكان ١٧٩ و٢٢٠
ابن سينا ١٨٢
ابن عيينة ١٨٦
ابن بكار ٩٢
ابن بربى ٩٥ و١٥٢ و١٧٩
ابن الاثير ٩٥ و٢٢٠ و٢٤٠ و٢٤٣ و٢٨٥
ابن مالك ١٠٦
ابن الطويلة ١٢٢ و٣١٣
ابن الزيات ١٣٣
ابن قنماس ٢٨٢
ابن السكيت ٢٨٤
ابن كثر ٣٢٦
ابن الكلبي ٣١٦ و٣١٧ و٣٢٨ و٣٣٠ و٣٣١ و٣٣٢
ابن الزبيرى ٢٤٤
ابن ام مكتوم ٢٤١
ابن السراج ٢٤١
ابن الربيع ٢٥١
ابن مفرغ ٢٥٨
ابن نوح (كنعان) ٢٦٠
ابن غنفوه ١٩٦
ابن احمر ٢٠١
ابن الشجرى ٢١٢
ابن عمر الثقفى ٢٢٠
ابن المستوفى ٢٢٠
ابن مقبل ٢٢٦

(١)

ابراهيم (عليه السلام) ١٧ و٨٢ و١٧٥ و٢٢٩
و٢٣٠ و٢٣٣ و٢٤٠ و٢٤٤ و٢٤٥ و٢٥٣ و٢٦٠
و٢٧٠ و٣٢٢ و٣٤٦ و٣٥٣ و٣٥٤ و٣٦١ و٣٦٥
و٣٧٥
ابراهيم النخعي ٢٢٨
ابراهيم الاحدب ١٣٥
ابراهيم الموصلي ٣٦٨
ابراهيم بن المهدي ٣٦٨
ابرهة الاشرم ٢٥١ و٢٥٢ و٢٥٣ و٢٥٤ و٢٥٥
و٢٥٧ و٢٥٩ و٢٦٠ و٢٦١ و٢٦٢
ابرهة ذو المنار ٢٠٥
ابرهة (الملك) ٢٠٥
ابرهة بن الصباح ٢٠٥
الابريش الكلبي ٢٨٧
ابن الاعرابى ١٣ و٣٠ و٣٥ و٧٣ و٩١ و٩٢
و١٤١ و١٤٤ و٢٠٠ و٢٤٢ و٣٠١ و٣٣٣ و٣٤٠
و٣٨٥
ابن خالوية ١٥
ابن رشيق ٢٣
ابن داره ٢٣
ابن سيده ٢٣
ابن الزيات ٢٥
ابن ابى الاصبع ٢٥
ابن هيبه ٣٠ و٣٧١
ابن دريد ٣١ و٩١ و١٠٣ و١٢٧ و٢٥٦ و٣١٦
و٣٣١ و٣٣٢ و٣٣٨ و٣٧٠
ابن المكرم ٣١
ابن الانبارى ٤٩ و٢٣٥
ابن هرمه ٥٠ و٢٤٤ و٣٧٤
ابن عنقاء الفزارى ٥٢ و٥٣
ابن داره الفطافى ٧٥
ابن ابى خازم ٨٣
ابن قتيبة ٨٦ و٨٩ و١٤٢ و١٦٩ و١٧١ و١٧٥
و١٨٧ و٢٤٠ و٢٤٤ و٣٣٥ و٣٧٠
ابن الزبيرى ٨٧ و٢٥٨

- ابو العنابية ٢١٥
ابو الاسود ٢٤٥
ابو زيد ٢٨٧ و ٢٨٤
ابو هلال المسكرى ٢٢٠
ابو شعيب المسكرى ٢٢١
ابو احمد المسكرى ٢٢٩ و ٢٣٠
ابو كلثوم بن الهرم ٢٢٢
ابو النجم ٢٢٣
ابو ريش ٢٢٤
ابو حاتم ١٢٠ و ٢٣٥ و ٢٣٦
ابو حذيفة بن المغيرة ٢٢٢
ابو الجهم بن حذيفة ٢٢٣
ابو شريح الخزاعي ٢٣٨
ابو بكر بن عبد مناة ٢٤٦
ابو سيارة ٢٤٧ و ٢٤٨
ابو غبشان ٢٤٧
ابو حى بن مضر ٢٤٧
ابو رغال ٢٥٢ و ٢٥٣
ابو الطيب مسعود ٢٥٦
ابو قيس صيفى ٢٥٨
ابو الطيب المكي ٢٦٤
ابو جعفر المنصور ٢٦٦
ابو بردة ٢٧٩
ابو امية بن المغيرة ٩٢ و ٩٣
ابو طالب عم النبي ٩٣ و ٢٢٤ و ٢٢٦ و ٢٢٧
ابو وائل ٩٨
ابو سلمة ٩٨
ابو محمد الاعرابى ١٠٩ و ٢٩٨ و ٣٠٣ و ٣٠٦
ابو الابيض العيسى ١١٣
ابو الفول الطهوى ١١٤
ابو الفتح ١١٥
ابو نؤاس ١٢٤
ابو عبد الله العواص ١٢٨
ابو الحوفزان ١٣٠
ابو حنبل الطائى ١٣٥ و ١٣٦ و ١٤٤
ابو زهير الزهرانى ١٣٩
ابو دلف العجلي ٣١٤ و ٣١٥
ابو ذؤيب الهذلى ٣١٢
ابو سمل النيبلى ٣١١
ابو الحسن الاثرم ٢٩٠
- ابن حجر ملك كنده ١٠
ابن خلدون ٢١٢
ابن المقفع ١٥٨ و ٢٤٩
ابن عباس ١٣ و ١٧ و ٣٦ و ١٧٥ و ٢٢٣ و ٢١٩
٢٢٢ و ٢٤٤
ابن حجر ٣٠٢ و ٢٢٤
ابن شاهين ٣١٥
ابن يريج ٣٦٨
ابنة الخس ٢٣٩ و ٢٤٠
ابنة هرم ٨٦
ابو العباس ابي غدة ١٢
ابو الهيثم ١٣ و ٣٩١
ابو ذر ١٥ و ١٧ و ٢٥ و ٩٨ و ٣٩٣
ابو العالية ١٨
ابو عبد الله الرزبانى ٢٥ و ٢٢٢ و ٢١٩ و ٢٣١
ابو الفرج الاصبهاني ٢٥ و ٢٧ و ٩٦ و ١٣٤
١٣٥ و ٢١٤ و ٢٨٩ و ٢٩٧ و ٣١٩
ابو بكر العليمى ٢٥
ابو عمر و بن العلاء ٢٥ و ١٤٥
ابو عثمان الاشناندى ٢٢
ابو فيد السدوسى ٣٧
ابو خالد الكلابى ٣٧ و ٢٨٤
ابو اسحق الكندى ٤٣ و ٣١٥
ابو العلاء ٤٧
ابو ريش ٥٣
ابو الطمحان (حنظلة) ٥٥
ابو تمام ٦٩ و ١٢٤ و ١٣٣ و ٣١٤
ابو زياد الاعرابى ٧٠
ابو هريرة ٧١ و ٩٨ و ٢٢٤ و ٢٣٨
ابو عبيدة ٧١ و ٨٧ و ٩١ و ١١٩ و ١٣٥ و ١٤٥
و ١٦٠ و ١٨٥ و ١٨٧ و ٢٤٧ و ٢٦٨ و ٢٨٠ و ٢٨٨
و ٣١٦
ابو الخيرى ٧٤ و ٧٥
ابو محمد الحذلى ٧٥
ابو حنيفة ٨٩ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٩٥
ابو لفدة الاصفهاني ١٩٩
ابو الندى ٩٢ و ٣٠٣
ابو جهل ١٩٠ و ٢٨٨ و ٢٩٢ و ٣٠٨
ابو سفيان ١٩٠ و ٢٣٦ و ٢٧٦
ابو ثمامة ١٩٦
ابو موسى الاشعري ٢٠٠

الازرقى ١٨٨ و ٢٦٦
ازال بن قحطان ٢٠٤
ازدشير بن بابك ٣٥٥ و ٣٦٣
الاسكندر ١٦٥ و ٢١٩ و ٣٥١
اسماعيل بن عمار ٢٤
اسماعيل (عليه السلام) ٨ و ١٦٦ و ١٧٠ و ١٧١
١٧٥ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٤٠ و ٢٤٥ و ٢٤٦
٢٤٧ و ٢٩٣
الاسود بن مقصود ٢٥٣ و ٢٥٥
اسماء زوجة زهير ٢١١
الاسود بن يعفر ٢١٤
اسحق الموصلى ٣٦٨ و ٣٦٩
الاسود بن شريك ٢٨٤
اسيد بن جزيمة ١٢٠
اسماعيل بن هبة الله ١٢٩
اسود بن المنذر ١٣٣
اسحق بن مخلد ١٦٤
اسحق (عليه السلام) ١٧٠
الاشعر بن صرمة ٢٩٠
اشهل بن ارأش ٣٠٦
الاشعث ٢٢٨ و ٢٨١
أشمود بن قبظم ٣٥٩
الاصمى ٢٥ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٩ و ٨٢ و ١٥٢ و ١٨٥
و ١٨٧ و ١٩٥ و ٢٠٠ و ٢٢٣ و ٢٢٧ و ٢٣٩ و ٢٣٦
و ٢٣٨ و ٢٤٠ و ٢٧٨ و ٢٩٣
الاصم عمرو بن قيس ٢٨٣
اصم بن ابى ربيعة ٢٨٤
الاصرم بن عوف ٣٠٣
الاعمش ٢٣٧
الاعشى ١٢٧ و ٢٢٢ و ٢٤٣ و ٢٨٩ و ٢٩٦ و ٢٩٧
اعشى بن ثعلبة ١٧٧
الافوه (الشاعر) ٢٢٤
افريدون (الملك) ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤
الافرع بن حابس ٢٦٧ و ٢٨٠ و ٣٠٢ و ٣٠٣
و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣٢٠ و ٣٢٤
الافرع بن معاذ ٦٨
اكنم بن صيفى ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ٣٠٦ و ٣٠٨
و ٣١٠ و ٣١١
الاكيدر ٢١١ و ٢٦٥
امرؤ القيس ٢٧ و ٢٨ و ٣٠ و ٣٥ و ١٣٦ و ١٣٦
و ١٤٠ و ١٦١ و ١٧٦ و ٢٢٣

ابو مسكين ٣٣٢
ابو الهندي ٣٨٠
ابو المهوس الاسدى ٣٨١
ابو المنهال بقبيلة ١٤٢
ابو العيناء ١٥٨
ابو عبيدة بن نبيشة ١٤٤
ابو عبيد البكرى ١٦٠ و ١٩٢ و ٢٢٢
ابو عبيد المشى ١٦٠
ابو محمد الكرمانى ١٦٤
ابو بكر (رضى الله عنه) ١٦٨ و ١٩٦ و ١٩٧
و ٢٢٤ و ٢٤١ و ٢٤٩ و ٢٩٧ و ٣٣٠ و ٣٤٤
ابو القمام ١٧٠
ابو الغداء ١٨٢
ابو الحسن السلامى ١٨٦
ابى بن خلف ٢٧٥
ابى بن كعب ١٩٠ و ٢٨٧
احمد بن تيميه ١٢ و ٣٦٦
الاحنف ٢٤ و ٢٨١ و ٣٨٢
احمد بن عبد العزيز ٢٥
احمد بن سعيد ٢٥
الاحوص بن جعفر ٣٧
احمد بن فارس ٤٥ و ٢٢٣ و ٢٩٤
احمد بن حنبل ٧٢ و ١٦٢ و ١٦٤
احمد بن عمار ٩٠
الاحنف بن قيس ١٠٣
احبحة بن الجلاح ١٣٦
احمد بن يوسف الكاتب ٣٥١
الاحوص ٢٨٨ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٣٧٢
الاخلط ٢٤ و ٨٢ و ٩١ و ٣١٤ و ٣٧٤
ادم (عليه السلام) ١٧ و ١٦٦ و ١٧٥ و ٢٧٤
و ٢٧٥ و ٣٥٧
ادريس (عليه السلام) ١٧ و ١٧٥
الادريسي ١٨٢
ارطاة بن سهبة ٦١
ارسطو ١٨١
اربد بن قيس ٢٨٣ و ٢٨٤
اراش بن عمرو ٣٠٦
الارقم ١٨٩
الازهرى ١٣ و ٣٠ و ٢٢١ و ٢٧١ و ٣٧٩ و ٣٨٤
و ٣٨٥
ازواد الركب ٩٢

بلال العيشي ٩ و ١٦٨ و ٢٤١ و ٢٦٦
البلالري ٢٢
بليسي ٢٠٧ و ٢٥١
بنت لبيد العامري ٩٢
بيوراسب ٣٥٣

(ت)

التبريزي ٤٧ و ٥٥ و ١٠٦
تبع الحميري ١٧٨
تبع الياصغر ١٧٩
تبع الزائدة ٢٠٥
تبع ابو كرب ٢١٣
تماضر بنت عمرو الشريد ١١٩

(ث)

الثعالبي ١٢٨ و ١٨٦ و ٢١٠ و ٢٤٦
الثعلبي ١٨
ثعلبية امرأة ابي حنبل ١٣٥
ثعلبة بن عمرو الفساني ٢١٢
ثعلب ٢٤٢ و ٣٨٥
ثور بن شحمة ٨٧

(ج)

جابر بن حيان ٦٧
جابر بن رالان ١٩٣
جالينوس ١٨٢
جابر بن عبد الله ٢٢٢ و ٢٢٣
جبريل (عليه السلام) ١٩٦ و ٢٥٥ و ٣٥٧ و ٢٩٣
جيلة بن الحارث ٢١٢
جيلة بن الايهم ٢١٢
جرير ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٦ و ٤٤ و ٤٨ و ٨٢
٩١ و ١٦٦ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٣١٢ و ٣٤٦
جرير بن عبد الله ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤
جدلية امرأة ابي حنبل ١٣٥
جديمة الابرش ١٢٧ و ٢١٩
جساس بن نشبة ١٠٩
جمدة السلمي ١٤٢
جماد بن عبد التيمي ١٧٩
الجمدي ٢٢٤

الامام مالك ٢٣٦
أم حسان ٦٨
أم محمد ٦٨
اميه بن الصلت ٨٧ و ٢٤٥ و ٢٥٩ و ٣٨١
ام سيار (أم ربيعة المكدم) ١٤٤
امية بن حرنان ١٢٢
أم جميل ١٣٩
أم الظباء بنت معاوية ٢٩٠
أم البنين بنت ربيعة ٢٩٠
امية بن عبد شمس ٣٠٧ و ٣٠٨
امية ١٩٠
امرؤ القيس بن النعمان ٢١٤
امية بن خلف ٢٤١
امية بن اسكر ٢٦٩
انو شروان ٣٥٥
انمار بن اراش ٣٠٦
انس بن مدرك ٢٩٧ و ٣٠٨
اهاب بن عمير العبسي ٢٠١
اوس بن حارثة ٨٢ و ٨٣ و ٨٤
اوس بن حجر ١٧٨ و ٢٤٤
اوس بن عمر النغلي ٢٢٠
ايوب بن سليمان ٣١٢
(ب)

بشينة ٣٠
بجر ١٦٨ و ٢٣٤
بجيلة بنت صعب ٣٠٦
النجاري ١٧
يختنصر ٢١٢
بديع الزمان الهمداني ١٦٠ و ١٦١
بدر الدين بن مخلد ١٩٣
بدر الدين الاسود ١٩٣
البستي ٣١١
بسطام بن قيس ٣٦ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٤
بشامة بن حزن ١١١ و ١١٥
بشر بن ابي حازم ٧٣ و ٨٣ و ٨٤
بشر بن عبد الله ٢٨٩ و ٢٩٢ و ٣٠٨
بطليموس ١٨١
البغدادي (صاحب الخزانة) ٢٥ و ٢٦
البغدادي ١١١
بقرات ٤٥
البكاء بن كعب ٢٢٣

جعفر بن محمد ٢٢٨
جعفر بن كلاب ٢٨٩
جمشاد (الملك) ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٤
جمعة بنت الخس ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤٢
جميل بشينة ٣٠
جناب بن عبد الله ٣٦٩
الجوهري ١٢ و ٢٢ و ٨٨ و ١٢٧ و ٥٠ و ٢٠١ و
٢١٦ و ٢٢٧ و ٢٧٢ و ٢٨٥
(ح)
حاجب بن زرارة ١٢٣ و ١٢٤ و ١٥١ و ١٥٣
٢٨٢ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣٤٤
الحارث بن عباد ١٣٦ و ١٥٤ و ٣٣٤
الحافظ العراقي ١٦٤
الحارث بن جبلة ٢١٢
الحارث بن مفاص ٢٤٦
الحارث بن عامر ٢٤٩
الحارث بن قيس ٢٥٠
حاطب بن عبد العزى ٢٦٢
حازم بن ابي حازم ٣٠٤
الحارث بن وعلة ٣٣٢
حاطب بن قيس ٣٣٣
حائر (مولى عبيد الله) ٣٦٨
الحارث بن كعدة ٣٧٧
حاتم الطائي ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٨٢
٨٣ و ٩٦ و ١٤٤ و ٣٧٧
حجر بن خالد ٥٨ و ١١٤
حجر بن حية ٦٢
الحجاج بن يوسف ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٦٠ و ٢٦٢ و
٣٥٠
حديفة بن عبد فقيم ٢٥١
الحعث بن ظالم ٦١ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٥١
و ١٥٧ و ١٥٨
حريث بن عناب ١١٨ و ٣٧٢
الحعث بن عمرو ١١٩ و ١٦٧
حرب بن امية ٢٤٢
حرملة بن الاشعر ٢٩٢ و ٣٠٨
الحعث بن اراش ٣٠٦
حرنان بن حارث ٣٣٦
الحريري ٣٣٩
حزيمة بنت اراش ٣٠٦

حزام بنت الريان ٢٤٣
الحسن بن ابي الحسين ٢٥
الحسن بن وهب ٢٥
حسان بن ثابت ٢٥ و ٢٦ و ١٠٥ و ٢٦٧ و ٢٨٧
و ٢٨٢
الحسين بن مطير ٥٥
الحسين بن علي ٩٥ و ٣٣١
الحسن بن علي ٩٨ و ١٩٥
حسان بن نشبة ١٠٩
الحسن بن هانيء ١٦٨ و ٢٨٣
حسان بن تبع ١٩٧
حسان بن حنظلة ١٩٣
الحسن بن عمر التغلبي ٢٢٠
الحصين بن الحمام ٦١ و ١٠٥ و ١١٠
الحصين بن بكر الربيعي ١٧٦
الحصين بن نمير ٢٢٢
الحطيئة ٨٣ و ٢٩٤
حفص بن الاخيف ١٤٥
حفيد بن رشد ١٨١ و ١٨٢
الحكم بن عينية ١٧
الحكم بن عتيبة ١٧
حكيم بن حزام ٢٦٢
الحكم بن هشام ٣٦٨
حليل بن ابي حبشة ٢٤٦
حماد الراوية ٤٠
حماس بن ثامل ٦٤
حميد بن نور ٦٨ و ١٤١
حماد بن زيد ٩٨
حمير بن سبأ ١٧٨
حمير (الملك) ٢٠٨
الحموي (صاحب المعجم) ٢٢٢ و ٢٢٣
حمزة الاصيهاني ٢٩٨
حماد بن اسحق ٣٦٨
حنش بن معبد ٥٤
حنديج بن البكاء ١١٩ و ١٢٠
حنظلة بن غفراء ١٢٧ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و
١٣٣
حناطة الحميري ٢٥٣ و ٢٥٤
حنظلة بن الراهب ٢٨٧
حوش الكلابي ١٢٨
الحوفزان ١٦٧ و ٢٨٠ و ٢٨٤
الحزيرت بن نفيذ ٢٣٦

دغفل النسابة ١١٨

الدميري ٢٢٧

ديهت - المري ١٢٤

ديسم بن طارق ٢٤٢

(ذ)

ذهل بن تميم ٢٢

ذهل بن شيبان ١١٨

ذهل بن ثعلبة ١١٨

الذهبي ١٧٥

ذو الرمة ٢١ و ٢٠١ و ٢٦٩

ذو الاصبع ٣٦ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨

ذؤاب بن اسماء ١٢٥ و ١٢٦

ذو القرنين ١٧٨

ذو نفر ٢٥٢ و ٢٥٣

(ر)

الراغب الاصفهاني ١٣

راوية جميل ٢٦ و ٣٠

راوية نصيب ٢٦ و ٢٧

راوية كثير ٢٦

الراعي ٢٢٤

ربيعة المري ١٠٥

ربيعة بن مقروم ١١٥

ربيعة بن مكرم ١٢١ و ١٤٤ و ١٤٥

الربيع بن ابي العقيق ١٢٨

الربيع بن فصيح ١٧٧

ربيعة بن مالك ٢٨٣ و ٢٨٤

ربيعة بن حذار ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٢٩

ربيعة بن مخاشن ٣١٦

رستم ٣٥٤

الرشيد ٦٤ و ٣٥١

رغوان مجاشع بن وازم ٢٠

الرقاق بن المنذر ١١٤

رياح بن الاشئل ١١٩

الرياشي ١٨٥ و ١٨٧

ريحانة أخت عمرو معد يكرب ١٦٧

(ز)

الزبيدي ٢٢ و ٣٥ و ١٢٧ و ١٢٩ و ١٧٩ و ٢٠١ و ٣١٦ و ٣٢٨

الزبير بن بكار ٢٥ و ٨٨ و ٢٣٣ و ٢٤٥ و ٢٧٢ و ٢٧٥

٢٧٠ و ٢٢٨

حيان بن ربيعة ١٠٧

(خ)

خالد بن الوليد ٧١ و ١٩٦ و ١٩٧ و ٢٢٠ و ٢٥٠

٢٩٧ و ٢٤٦

خالد بن جعفر ١١٨ و ١١٩ و ١٣٣ و ١٥١ و ١٥٥

٢٢٤ و

خالد بن المصلل ١٢٧

خالد بن سلمة ١٦٠

خالد بن سنان ١٧٦

خارجة بن ضرار ١٩٢

خالد بن صفوان ٢٨٧

خالدة بنت جعفر ٢٩٠

خالد بن ارقاة ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤

خالد بن مالك ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٢٩ و ٣٣٠

خالد بن عبد الله ٣٥١

خبيثة بنت رياح ١١٩

خدعة بنت اراش ٣٠٦

خداش بن زهير ٢٦٨ و ٢٦٩

خراز بن عمرو ٦٣

خزيمة بن ثابت ٢٨٧

خصيلة بنت عامر ٣٤٢

الخطابي ٢٤٦

خفاف بن ندبة ٣١٢

الخفاجي ٣١ و ٤٥

خلف الاحمر ٣٩

خلف بن خليفة ٩٩

الخليل (عليه السلام) ١٧١

الخليل بن احمد ٢٨٥ و ٣٩٥

خماعة بنت عوف ١٢٥ و ١٢٦

الخنساء ٢٥ و ٢٧٦ و ٣٨٧

الخوارزمي ١٨٦

خويلد بن وثلة ٢٥٤

(د)

داود (عليه السلام) ١٨ و ١٤٢

داود بن عيسى العباسي ٢٧٠

داود الضمير ٢٧٧

الدارقطني ٢٤١

دريد بن الصمة ٢٢٥ و ٢٦٨

دردي (وزير فرنسا) ٣٩ و ١٧٩

دعبل ٦١

سعد اليماني ٢٢٤
لقعيد بن ابي سعيد ٢٢٨
سعد بن العشرة ٢٠٦
سعيد بن خالد ٢٣٦
سعيد بن حميد ٢٥١
سفانة بنت حاتم ٧٢
السكاكي ٢٥
سكينة ٢٦
سليمان (عليه السلام) ٢١٨ و ٢٠٩ و ٢٠١ و ٢١٠
٢٥١ و ٢٤٩ و ٢٥٣
سليمان بن عبد الملك ٢٠٢ و ١٣٤ و ٢٦
السليكي بن سلعة ١٣٩
السلطان عماد الدين ١٨٥
سليط بن سعد ٢١٤
سلامة بيت انمار ٣٠٦
سلم بن جثعل ٣٠٧
سلمى بن نوفل ٢٢٠
السموعل ١٠٤ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٩٢ و ٢١٠ و ٢١١
سمرة بن جندب ١٧٩
السهوري ١٨٨
سمنار ٢١٣ و ٢١٤
سنان بن مفروق ٢٨٣ و ٢٨٤
السندري بن يزيد ٢٩٣ و ٢٩٤
سنيه بنت اراش ٢٠٦
السهيلي ٢٧٥ و ٢٧٤ و ٢٥٨ و ٢٥٥ و ٩٠
سهيل ١٩٠
سويد بن الحارث ٩٨
سويد بن هرمي ٢٨٥
سواده الربيوعي ٦٩
سيار بن حنظلة ٣١٤
سيويه ٢٥ و ٢٥٣ و ٢٢٧ و ٢٣٦
سيف الدولة ١٧٤
سيف بن ذي يزن ٢٦١
سيف بن عمر ٢٩٧
سبرة بن عمرو ٢٠٠
السيد المرتضى ٢٣٦ و ٣٣٩ و ٢٤٠

(ش)

الشافعي ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٤١
الشاطبي ٣١٦
شبيب بن البرصاد ٦١
شبيب بن شبة ١٥٨

الزبير بن بدر ٢٤٢
الزجاعي ٣٢٦ و ٣٧٠
زرارة بن عدس ٢٤٤
زرياب ٣٦٨
الزرقاء ١٦٧
زرقاء اليمامة ١٩٧ و ٢٤١
زفر بن طهمازشب ٢٥٥
الزمخشري ٢١ و ٢٩٨ و ٢١٢ و ٢٤١ و ٢٥٦
زعة بن الاسود ٩٢
زنباع بن روح ٢٦١ و ٢٦٢
الزناني النجم ١٥
زهير بن ابي سلمى ٨٤ و ٨٥ و ٨٦
الزهري ٩٨ و ٢٢٨
زهير بن جذيمة ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠
زهير بن جناب ٢١١
زهير بن شريك ٢١١
زيد الخيل ١٢١
زيد الفوارس ١٢٢
زيد بن ابيه ١٦٠
زيد بن اسلم ٢٢٨ و ٢٢٣
زيد بن ثابت ٢٨٧

(س)

سام بن نوح ٨
سائب ٣٦٨
سالم بن قحطان ٥١
سالم مولى ابي حذيفة ١٦٨
سارة (احدى الموالى) ٢٣٦
سالم بن عوف ١٨٩
سبا الاصغر ٢٠٥
سبا بن يشجب ٢٠٧
السجستاني ٣٨١
السخاوي ٢٢٣
سعد بن مالك ٣٣ و ٢٤
سعد بن زيد مائة ٤٨ و ١٠٨
سعدى بنت حصين ٨٤
سعيد بن العاص ٩٤ و ٩٧
سعد بن معاذ ١٠١ و ٢٨٧
سعيد بن منصور ١٦٤
سعد الكامل ١٧٩
السعدى ١٩٤
سعد بن ابي وقاص ٢١٢

ضراد بن الخطاب ٢٥٢ و ١٣٩
ضمرة بن ضمرة ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٢١٦

(ط)

طاهر بن الحسين ١٦٠
طالب بن ابي طالب ٢٥٩
الطبرى ٢٦١
الطبرانى ٢٦٦
الطرماح ٢٣
طرفة بن العبد ١٧٨ و ٢٢٦ و ٢٨٦
طريف بن تميم ٢٦٧ و ٢٦٨
طريف بن ارش ٣٠٦
الطفيل بن مالك ٢٨٢ و ٢٨٤
طمهورة (الملك) ٢٤٨
طويس ٣٦٨

(ع)

عائشة (رض) ١٥ و ٩٨ و ٩٩ و ١٧٢ و ٢٣٣ و ٢٤١
عامر بن حارثة ١٧٩
عامر بن صعصعة ٢٣
عامر بن مالك ٣٣ و ٣٤ و ٢٨٠ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٨
٢٩٢ و ٢٩١
عامر بن الغرب ٣٦ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣٣٠
٣٢٢ و ٣٤٣
عامر بن جشم ١٧٩
عامر بن احيمر ٧٥ و ٧٦
عائكة بنت عبد المطلب ٩٢ و ٩٣
عائكة بنت عبد المطلب ٩٢ و ٩٣
عائكة بنت عتبة ٩٢
عائكة بنت قيس ٩٢
عامر بن الطفيل ١١٧ و ١٢١ و ١٥١ و ١٥٦ و ١٧١
٢٨٠ و ٢٨٢ و ٢٨٤ و ٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣
٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦
عامر بن جدرة ١٧٩
عامر بن مضايف ٢٣٠
العاص بن وائل ٢٧٥ و ٣٢٨ و ٣٢٩
عاصم بن الافلح ٢٨٧
عامر بن علقمة ٢٨٧
عائكة بنت الاشتر ٢٩٩
عاطس بن خلاج ٣٤٣
العباس (رض) ١٦٢ و ٢٤٩ و ٢٧٦
العباس بن مرداش ١١٢ و ٢٧٥ و ٣١٢

شريك النهمى ٢٣

شريح بن الاحوص ٦٦

شريح بن قرواش ١١٢

شريح بن مسهر ١١٢

شرقى بن القظامى ١٢٩ و ١٧٩ و ٣٢٢

شريك بن عمرو ١٢٠ و ١٣١ و ١٣٢

شرحبيل بن عمرو ٢٠٥

شريك بن الاعور ٢٨٤

الشريسي ٢٨٩

شرحبيل بن حسنة ٣١٥

شظاظ (الص) ٢١٨

شميب (عليه السلام) ١٧٥

الشعبي ٣٦ و ٨٢ و ٣٢٢

شقران مولى سلمان ٥٦

شقة بن ضمرة ١٥٧

الشنفرى ١٠٤ و ٣٧٧

شهاب الدين صاحب العقد ٧٤ و ٩٤ و ٩٧ و ١٤٧

١٧٣ و ٢١٣

شهلاء بنت ارش ٣٠٦

شهاب الدين الحموى ٣٥٧

شيث (عليه السلام) ١٧٥ و ٢٧٤

شيبه ١٩٠

شيبه بن ربيع ٢٤١

(ص)

صالح (عليه السلام) ١٦٦ و ١٧٥

الصاحب بن عباد ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢

الصاغانى ٢٠١ و ٢٢٣

صخر بنت لقمان ٣٤٢

صخر بن العلية ٣٠٤

صعصعة بن معاوية ٣١٨

الصفدى ١٢٤

صفوان بن امية ٢٥٠ و ٣٣٠

الصمة بن عبد الله ١٩٨

صهيب ١٦٨

صهيبه بنت ارش ٣٠٦

الصولى ٢٥١ و ٢٥٢

(ض)

ضبة بن اد ١٦٩

الضحالك ٣٥٣ و ٣٥٤

ضراد بن الازور ٧١

عبد الرحمن الداخل ٣٦٨
عبد الملك بن قريب ٢٥
عتيبة بن بجير ٤٧ و ٦٧
عتيبة بن حارث ١٢١
عتبة ١٩٠
عتبة بن ربيعة ٣٠٢ و ٢٢٤
عتبة بن علاثة ٢٨٣
عتبة بن سنان ٢٨٤ و ٢٨٢
عتيك بن قيس ٣٢٢ و ٣٢٣
عثمان (رضى الله عنه) ٢٥ و ١٥ و ٢٢٤ و ٢٣٥
٢٣٧ و ٣١٦ و ٣٤٩
عثمان بن طلحة ٢٤٩
عدى بن حاتم ٧٢ و ٥٧ و ٢٨٤
عدى بن ربيعة ١٣٦
عدى بن سعد ٢١٤
عروة بن الورد ٦٨٥
عروة بن زيد الخيل ٥٦
المرنيس ٧١
المسقلاني ١٥
عصام حاجب النعمان ١٧٢
عطربة السكسكى ١٧٩
عطار بن حاجب ٢٤ و ١٢ و ١١٣
عفد الدولة ١٨٦
عقيل بن علفة ١٠٥
عكرمة بن ابي جهل ٢٣٦
عكرمة بن عدنان ٢٣٧ و ٢٥٦
عك بن عدنان ٢٢٧
العكلى ٦٦
على (رضى) ٥٧ و ١٢٧ و ١٥٧ و ١٦٨ و ١٧٠
على بن يحيى ٢٥
علقمة بن علاثة ١٥١ و ١٥٥ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٨
٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧
علقمة بن سيف ٥٤
علقمة بن فراس ٩٢
العلوى ١٠٥
على بن هلال ١٧٩
على بن الجهم ١٧٤
على بن حمزة ٣٢٤ و ٣٤٨
العلاء بن حارثة ٣٢٩
عمر (رضى الله عنه) ١٥ و ٨٦ و ١٣٩ و ١٤٢ و ١٤٣
١٤٤ و ١٦٨ و ١٧٢ و ١٧٢ و ٢١٥ و ٢١٧ و ٢٣٤
٢٣٥ و ٢٣٧ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٥

عباس بن خليل النصرى ٢٠١
عبيد بن غاضرة ٢٢
عبيد بن حصين ٢٣
عبد الله بن حبيب ٨٧ و ٨٦
عبد القاهر ٢٤
عبد الملك بن عمير ٢٧
عبيد بن الابرص ١٢٨ و ٧٢
عبد الله بن حبيب ٨٧ و ٨٦
عبد العزيز بن مروان ٨٦
عبد الله بن جديعان ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢
٢٨١ و ٢٢٤
عبدة الكلية ٩١
عبيد الله بن العباس ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩
عبد الله بن جعفر ٩٧ و ٩٤
عبيد الله بن ابي بكر ٩٧
عبد الله بن معمر ٩٧
عبد الله بن الزبير ١٦٤ و ١٩٧ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤
٢٦٣
عبد الملك بن مروان ١٧٢ و ٢٢٤ و ٢٣٦
عبد شمس بن وائل ١٧٨
عبد الرحمن الاول ١٨٣
عبد الرحمن الثالث ١٨٣
عبد الملك بن الحسن ١٩٣
عبد الله بن الديمقراطية ١٩٨
عبد القادر الحسنى ٢٢٣
عبيد بن عمير ٢٢٢ و ٢٢٣
عبد الله بن عباس ٢٢٢
عبد الله بن صفوان ٢٢٣
عبد الله بن خالد ٢٣٥
عبد الله بن خالد ٢٣٥
عبد الله بن سعد ٢٣٦
عبد الله بن خطل ٢٣٦
عبد الدار بن قصي ٢٤٧ و ٢٤٨
عبد مناف ٢٤٨ و ٢٢٤
عبد المطلب بن هاشم ٢٥٢ و ٢٥٤ و ٢٥٦ و ٢٧٢
٣٢٢ و ٣٢٤
عبد الله الزبيرى ٢٥٨
عبد الله بن قيس الرقيات ٢٦٠
عبيد بن اراش ٣٠٦
عبد الله بن عامر ٣١٦
عبيد الله بن عبد الله ٣٥٢ و ٣٥٥
عبد الله بن معديكرب ١٤٣

ليلى امرأة الياس بن مضر ١١١
ليلى أخت الوليد بن طريف ٢١٧
ليلى بنت ابي سفيان ٢٩٠
ليث بن مالك ١٢٥
الليث ٢٩٥

(م)

مالك بن نويرة ٢٠٩٧١
ماوية امرأة حاتم ٧٨٥٧٥
مالك بن ملالة ١٧٩
المامون ١٨١
مالك بن المعجلان ١٨٩
مالك بن فهم ٢١٢
مالك بن الربيع ٢١٨
مالك جبير ٢٢١
ماوية بنت عبد الله ٢٩٠
مادر (البخيل) ٢٩٨
مالك بن عتبة ٣٠٣
مالك بن ربيع ٣٠٧
الملاوردى ٢٨٥٣٢٢
المبرد ٢٢٣٥٨٢٣
متمم بن نويرة ٧١
المنشي ٢١٤٥١٩٧
المتوكل ٣٥١
المتجردة امرأة النعمان ٢١٥
الثمام بن رباح ٦١
مجاهد ٢٦٦٥٢٢٧
مجمع بن هلال ١٢٠
مجبر ابو عامر ١٤٥
مجدة بنت تميم ٢٤٤
محارب بن زياد ٢٣٤
محمد (عليه السلام) ٥٥١٥١٦٥١٧٥١٨٥١٩
٧٢ و ٨٩ و ٩٠ و ٩٥ و ٩٧ و ٩٨ و ١٠١ و ١٠٧
١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٧٣ و ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٥ و ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٤٩١ و ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٤ و ٤٩٥ و ٤٩٦ و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩ و ٥٠٠ و ٥٠١ و ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ و ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٣ و ٥٢٤ و ٥٢٥ و ٥٢٦ و ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٢٩ و ٥٣٠ و ٥٣١ و ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٥٣٤ و ٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٣٧ و ٥٣٨ و ٥٣٩ و ٥٤٠ و ٥٤١ و ٥٤٢ و ٥٤٣ و ٥٤٤ و ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٥٣ و ٥٥٤ و ٥٥٥ و ٥٥٦ و ٥٥٧ و ٥٥٨ و ٥٥٩ و ٥٦٠ و ٥٦١ و ٥٦٢ و ٥٦٣ و ٥٦٤ و ٥٦٥ و ٥٦٦ و ٥٦٧ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٠ و ٥٧١ و ٥٧٢ و ٥٧٣ و ٥٧٤ و ٥٧٥ و ٥٧٦ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٨١ و ٥٨٢ و ٥٨٣ و ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٨٦ و ٥٨٧ و ٥٨٨ و ٥٨٩ و ٥٩٠ و ٥٩١ و ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ و ٥٩٥ و ٥٩٦ و ٥٩٧ و ٥٩٨ و ٥٩٩ و ٦٠٠ و ٦٠١ و ٦٠٢ و ٦٠٣ و ٦٠٤ و ٦٠٥ و ٦٠٦ و ٦٠٧ و ٦٠٨ و ٦٠٩ و ٦١٠ و ٦١١ و ٦١٢ و ٦١٣ و ٦١٤ و ٦١٥ و ٦١٦ و ٦١٧ و ٦١٨ و ٦١٩ و ٦٢٠ و ٦٢١ و ٦٢٢ و ٦٢٣ و ٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٢٦ و ٦٢٧ و ٦٢٨ و ٦٢٩ و ٦٣٠ و ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٣ و ٦٣٤ و ٦٣٥ و ٦٣٦ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٤٢ و ٦٤٣ و ٦٤٤ و ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٧ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥٠ و ٦٥١ و ٦٥٢ و ٦٥٣ و ٦٥٤ و ٦٥٥ و ٦٥٦ و ٦٥٧ و ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٢ و ٦٦٣ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٦٧ و ٦٦٨ و ٦٦٩ و ٦٧٠ و ٦٧١ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٧٥ و ٦٧٦ و ٦٧٧ و ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤ و ٦٨٥ و ٦٨٦ و ٦٨٧ و ٦٨٨ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٢ و ٦٩٣ و ٦٩٤ و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٦٩٧ و ٦٩٨ و ٦٩٩ و ٧٠٠ و ٧٠١ و ٧٠٢ و ٧٠٣ و ٧٠٤ و ٧٠٥ و ٧٠٦ و ٧٠٧ و ٧٠٨ و ٧٠٩ و ٧١٠ و ٧١١ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٥ و ٧١٦ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧١٩ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٣ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٧ و ٧٢٨ و ٧٢٩ و ٧٣٠ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٣ و ٧٣٤ و ٧٣٥ و ٧٣٦ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٤٠ و ٧٤١ و ٧٤٢ و ٧٤٣ و ٧٤٤ و ٧٤٥ و ٧٤٦ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٤٩ و ٧٥٠ و ٧٥١ و ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦ و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٢ و ٧٦٣ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٦ و ٧٦٧ و ٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١ و ٧٧٢ و ٧٧٣ و ٧٧٤ و ٧٧٥ و ٧٧٦ و ٧٧٧ و ٧٧٨ و ٧٧٩ و ٧٨٠ و ٧٨١ و ٧٨٢ و ٧٨٣ و ٧٨٤ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٧٨٧ و ٧٨٨ و ٧٨٩ و ٧٩٠ و ٧٩١ و ٧٩٢ و ٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ و ٧٩٦ و ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٧٩٩ و ٨٠٠ و ٨٠١ و ٨٠٢ و ٨٠٣ و ٨٠٤ و ٨٠٥ و ٨٠٦ و ٨٠٧ و ٨٠٨ و ٨٠٩ و ٨١٠ و ٨١١ و ٨١٢ و ٨١٣ و ٨١٤ و ٨١٥ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢٠ و ٨٢١ و ٨٢٢ و ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢٥ و ٨٢٦ و ٨٢٧ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٣٠ و ٨٣١ و ٨٣٢ و ٨٣٣ و ٨٣٤ و ٨٣٥ و ٨٣٦ و ٨٣٧ و ٨٣٨ و ٨٣٩ و ٨٤٠ و ٨٤١ و ٨٤٢ و ٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥ و ٨٤٦ و ٨٤٧ و ٨٤٨ و ٨٤٩ و ٨٥٠ و ٨٥١ و ٨٥٢ و ٨٥٣ و ٨٥٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ و ٨٥٧ و ٨٥٨ و ٨٥٩ و ٨٦٠ و ٨٦١ و ٨٦٢ و ٨٦٣ و ٨٦٤ و ٨٦٥ و ٨٦٦ و ٨٦٧ و ٨٦٨ و ٨٦٩ و ٨٧٠ و ٨٧١ و ٨٧٢ و ٨٧٣ و ٨٧٤ و ٨٧٥ و ٨٧٦ و ٨٧٧ و ٨٧٨ و ٨٧٩ و ٨٨٠ و ٨٨١ و ٨٨٢ و ٨٨٣ و ٨٨٤ و ٨٨٥ و ٨٨٦ و ٨٨٧ و ٨٨٨ و ٨٨٩ و ٨٩٠ و ٨٩١ و ٨٩٢ و ٨٩٣ و ٨٩٤ و ٨٩٥ و ٨٩٦ و ٨٩٧ و ٨٩٨ و ٨٩٩ و ٩٠٠ و ٩٠١ و ٩٠٢ و ٩٠٣ و ٩٠٤ و ٩٠٥ و ٩٠٦ و ٩٠٧ و ٩٠٨ و ٩٠٩ و ٩١٠ و ٩١١ و ٩١٢ و ٩١٣ و ٩١٤ و ٩١٥ و ٩١٦ و ٩١٧ و ٩١٨ و ٩١٩ و ٩٢٠ و ٩٢١ و ٩٢٢ و ٩٢٣ و ٩٢٤ و ٩٢٥ و ٩٢٦ و ٩٢٧ و ٩٢٨ و ٩٢٩ و ٩٣٠ و ٩٣١ و ٩٣٢ و ٩٣٣ و ٩٣٤ و ٩٣٥ و ٩٣٦ و ٩٣٧ و ٩٣٨ و ٩٣٩ و ٩٤٠ و ٩٤١ و ٩٤٢ و ٩٤٣ و ٩٤٤ و ٩٤٥ و ٩٤٦ و ٩٤٧ و ٩٤٨ و ٩٤٩ و ٩٥٠ و ٩٥١ و ٩٥٢ و ٩٥٣ و ٩٥٤ و ٩٥٥ و ٩٥٦ و ٩٥٧ و ٩٥٨ و ٩٥٩ و ٩٦٠ و ٩٦١ و ٩٦٢ و ٩٦٣ و ٩٦٤ و ٩٦٥ و ٩٦٦ و ٩٦٧ و ٩٦٨ و ٩٦٩ و ٩٧٠ و ٩٧١ و ٩٧٢ و ٩٧٣ و ٩٧٤ و ٩٧٥ و ٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨ و ٩٧٩ و ٩٨٠ و ٩٨١ و ٩٨٢ و ٩٨٣ و ٩٨٤ و ٩٨٥ و ٩٨٦ و ٩٨٧ و ٩٨٨ و ٩٨٩ و ٩٩٠ و ٩٩١ و ٩٩٢ و ٩٩٣ و ٩٩٤ و ٩٩٥ و ٩٩٦ و ٩٩٧ و ٩٩٨ و ٩٩٩ و ١٠٠٠

قيس بن عاصم ٢٨٣ و ٢٨٠ و ١٧١ و ١٦٧ و ١٥٢ و ١٥١ و ١٥٠ و ١٤٩ و ١٤٨ و ١٤٧ و ١٤٦ و ١٤٥ و ١٤٤ و ١٤٣ و ١٤٢ و ١٤١ و ١٤٠ و ١٣٩ و ١٣٨ و ١٣٧ و ١٣٦ و ١٣٥ و ١٣٤ و ١٣٣ و ١٣٢ و ١٣١ و ١٣٠ و ١٢٩ و ١٢٨ و ١٢٧ و ١٢٦ و ١٢٥ و ١٢٤ و ١٢٣ و ١٢٢ و ١٢١ و ١٢٠ و ١١٩ و ١١٨ و ١١٧ و ١١٦ و ١١٥ و ١١٤ و ١١٣ و ١١٢ و ١١١ و ١١٠ و ١٠٩ و ١٠٨ و ١٠٧ و ١٠٦ و ١٠٥ و ١٠٤ و ١٠٣ و ١٠٢ و ١٠١ و ١٠٠ و ٩٩ و ٩٨ و ٩٧ و ٩٦ و ٩٥ و ٩٤ و ٩٣ و ٩٢ و ٩١ و ٩٠ و ٨٩ و ٨٨ و ٨٧ و ٨٦ و ٨٥ و ٨٤ و ٨٣ و ٨٢ و ٨١ و ٨٠ و ٧٩ و ٧٨ و ٧٧ و ٧٦ و ٧٥ و ٧٤ و ٧٣ و ٧٢ و ٧١ و ٧٠ و ٦٩ و ٦٨ و ٦٧ و ٦٦ و ٦٥ و ٦٤ و ٦٣ و ٦٢ و ٦١ و ٦٠ و ٥٩ و ٥٨ و ٥٧ و ٥٦ و ٥٥ و ٥٤ و ٥٣ و ٥٢ و ٥١ و ٥٠ و ٤٩ و ٤٨ و ٤٧ و ٤٦ و ٤٥ و ٤٤ و ٤٣ و ٤٢ و ٤١ و ٤٠ و ٣٩ و ٣٨ و ٣٧ و ٣٦ و ٣٥ و ٣٤ و ٣٣ و ٣٢ و ٣١ و ٣٠ و ٢٩ و ٢٨ و ٢٧ و ٢٦ و ٢٥ و ٢٤ و ٢٣ و ٢٢ و ٢١ و ٢٠ و ١٩ و ١٨ و ١٧ و ١٦ و ١٥ و ١٤ و ١٣ و ١٢ و ١١ و ١٠ و ٩ و ٨ و ٧ و ٦ و ٥ و ٤ و ٣ و ٢ و ١ و ٠

القيظون ١٨٩

قيس بن شيبية ٢٧٥

قيس بن معديكرب ٢٩٦

قيس بن معبد ٢٩٩

(ك)

كامل بن عمر التغلبي ٢٢٠

الكاهن الخزاعي ٣٠٨

كابى الاصبهاني ٣٥٤ و ٣٥٣

كبشة أخت عمرو بن معديكرب ١٤٢

كبشة بنت عروة ٢٩٠

كرز بن حفص ١٤٥

كسرى ٨٧ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٥١

١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨

٢٦١ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٣٠١ و ٣٠٤ و ٣١١ و ٣١٢

٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٨١

كعب بن مامة ٨١ و ٩٤ و ٢٨٦

كعب بن لؤى ٢٣٥ و ٢٧٢ و ٣٨٢

الكلبي ١٧ و ١٤٤ و ١٤٧ و ٢٣٥ و ٢٦١ و ٢٦٦

٢٧٢ و ٢٧٩ و ٢٨١ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩٧ و ٣٢٧

و ٣٥٣

كليب بن وائل ١٩٩

الكلامي ٢٠٣

الكميت ٢٢٦ و ٢٩٧ و ٣٠٩

كنانة بن عبد ياليل ٩٢

كيو مرت ٣٥٥

(ل)

ليبيد بن مالك ٧١

ليبيد بن ربيعة ٩٢

ليبيد ٢٩٢ و ٢٩٤

لجيم بن صعيب ٣٤٣

اللحياني ٢٦٧ و ٢٧٧ و ٢٨٤

لقمان الاكبر ٢٠٨

لقمان بن عاد ٣٤١ و ٣٨٢

لقمان الحكيم ٣٧٨

ليلى الاخيلية ٥٦

المعلى بن زياد ٩٨
 معاوية بن عباد ١١٩
 المقر البارقي ١٢٢
 معاوية بن مالك ٢٨٢ و ٢٨٤
 معبد ٣٦٨
 المعتضد ٣٥٢
 معاذ بن جبل ٢٨٧
 معبد بن نضلة ٢٠٠ و ٢٩٩
 معبد بن زارة ٣٠٦
 معاذة بنت ضرار ٣٠٦
 المفضل ٣١٠ و ٣١٧ و ٣٢٣
 مفروق بن عمران ٢٨٢ و ٢٨٤
 مفروق بن عمر ٢٨٣
 المقنع الكندي ٦٩
 مقيس بن حبابة ٢٣٦
 مقسم بن بهر ١٧٩
 منصور بن الزبرقان ٦٤
 المنذر بن ماء السماء ٧٥ و ٧٦ و ١٢٥ و ١٢٧ و ١٢٩
 و ١٣ و ٢٤٧
 المنذر (ابنه) ٨٢
 منقذ بن الطماح ١٣٥
 منبه ١٩٠
 المنذر بن امرئ القيس ٢١٣
 المنخل البشكري ٢١٥
 المنذر بن ساوى ٢٦٥
 منوچهر ٣٥٦
 مهر (الملك) ٣٥٢
 المهلب بن ابي صفرة ٢٨٧
 مهلهل بن امرئ القيس ٣٣٤
 موسى (عليه السلام) ١٨ و ١٨٩ و ٢٤ و ٣٥٩
 و ٣٦١ و ٣٦٣
 الموصلى ١٢٩ و ١٣٠
 المويذان ٣٥٥
 الميداني ٧٤ و ٨٦ و ٩٢ و ١٢٠ و ١٢٥ و ١٣٠
 و ١٣٤ و ٢٨٩ و ٣١٦ و ٣١٨ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٢
 و ٣٤٢ و ٣٤٣
 (ن)
 النابغة الذبياني ٢٥ و ٦٥ و ٧١ و ٧٣ و ١٢٠
 و ١٥٧ و ١٧٢ و ٢٠٩ و ٢١٣ و ٢١٥ و ٢٤١ و ٢٤٨
 نابت بن اسمعيل ٢٣٠
 نيشة بن حبيب ١٤٥

٣٩٣
 محمد بن سعيد ٢٥
 محمد بن عباس الرياشي ٢٥
 محرز مولى ابي هريرة ٧٤
 المعزم بن سلمة ١٤٣
 محمد بن سلام ١٤٥
 محمد بن عبد الملك ١٨٨
 محمد بن علي ٢٢٨
 محييز بن جعفر ٢٨٩
 المخترش ٢٤٧
 المختار بن عوف ٢٧٠
 مدليج بن سويد ١٤٤
 مذحج بن عامر ٢٢٧
 المدائني ١٧٩ و ١٨٧ و ٢٩٧ و ٣١٠ و ٣١٥
 مرة بن محكان ٤٨
 المرار الفقمسي ٦٧ و ٢٠٢ و ٣٦٩
 مروان القزظ ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧
 مرة بن مرامر ١٧٩
 المرار الاسدي ٣٦٩
 مرد خاي ٣٦٣
 مريم (عليها السلام) ٣٥٧ و ٣٥٨
 المرزوقي ٣١٣
 مروان بن سراقفة ٢٩٢ و ٢٣٠
 الساور بن هند ٦٢
 مسكين الدارمي ٦٦
 مسافر بن ابي عمرو ٩٢
 مسروق ٩٨
 المسيب بن علس ١٤٢
 المسعودي ١٨٢ و ٣٥٢ و ٣٥٨ و ٣٦١
 مسلجة الكذاب ١٩٦ و ١٩٧ و ٢١١
 مسعود بن مقتب ٢٥٢
 مسروق بن ابرهة ٢٦١
 مصعب بن عبد الله ٢٥ و ٢٦ و ٤٨ و ٢٢٨ و ٢٣٦
 مضرس بن ربيع ٦٣
 مضاض الجرمي ٢٤٥
 مضر بن نزار ٣٦٩
 مطاعيم الريح ٩١
 معاوية ٢٤ و ٥٧ و ٩٥ و ٩٦ و ١٠٦ و ٢٠٢ و ٢٣٧
 و ٢٨٣ و ٢٨٥ و ٢٨١
 ممن بن زائدة ٤٩
 معمر بن المثنى ٨٤
 ممن بن اوس ٩٦ و ٩٧

- النجاشي ٢٢٥ و ٢٢٥١
 نشييط الفارسي ٦٨ و ٣
 نصر ١٤٢
 النصر بن شميل ١٦٠
 النصر بن الحارث ١٩٠
 نضلة بن عبد العزى ٣٢٩
 النعمان بن المنذر ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٥٨ و ٧٣ و ٨٣ و ١٢٧
 و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٤٧ و ١٤٨
 و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٧ و ١٧٢ و ٢٠٩ و ٢١٥ و ٢٢٦
 و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٥ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٤
 و ٣٣٩
 النعمان بن عمرو ٢١٢
 النعمان الاكبر ٢١٣
 النعمان بن بشير ١٧٨
 نعيم بن حجة ٣٠٤
 نفيلة بن عبد المدان ٨٨
 نفييل بن حبيب ٢٥٢ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧
 نمرود ٨
 النمرى ٦٤
 نمر بن عامر ١٢٢
 نهشل بن دارم ١١٦
 نوح (عليه السلام) ١٧٥ و ١٦٦ و ١٧٥
 النورى ٢٨٥ و ١٥
 نوفل بن معاوية ٢٦٢
 نوفل بن جابر ٢٩٩
- (ه)
 هاجر ام اسماعيل ١٧١ و ٨١
 هاشم بن مناف ٨٧ و ٢٤٤ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٢١
 هامان ٣٦٣
 هانيء بن قبيصة ٢٨٣ و ٢٨٤
 الهرم (الشاعر) ٣٣٣
 هرم بن سنان ٨٤ و ٨٥ و ٨٦
 هرم بن قطبة ١١٨ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٢ و ٢٩٦ و ٢٩٧
 و ٣٠٨
 هرون الرشيد ٢١٩
 هشام بن الوليد ١٢٩
 هشام بن عبد الملك ١٦٠ و ٢٨٧ و ٣٥١
 هلال بن رزين ١١٠
- الهمذاني ٢١٣
 هند بنت الريان ٢١٩
 هند بنت مالك ٣٠٦
 هود (عليه السلام) ١٦٦ و ١٧٥ و ٨٨
 هوذة بن علي ٨٧
 الهيثم بن عدى ١٦٠ و ٣١٩
 (و)
 الواقدى ١٩١ و ١٩٢ و ٣٢٤
 وادعة بنت اراش ٣٠٦
 ودالك بن نميل ١٦
 ورقاء بن نهر ١٢٠
 وردة بنت قتادة ١٣٩
 وضاح اليمن ١٤١
 الوليد ٤٠
 الوليد بن طريف ٢١٧
 الوليد بن عبد الملك ٢٣٥
 وهب بن عبد قصى ٣٠٧
 (ي)
 يحيى (عليه السلام) ٣٥٨
 يحيى بن منصور ١٠٨
 يحيى بن ايوب ٢٢٨
 يحيى بن جمدة ٢٢٩
 يحيى بن خالد ٣٥١
 يزيد بن العثريه ٦٧
 يزيد بن الجهم ٦٨
 يزيد بن معاوية ٢٣٢ و ٢٣٤
 يزيد بن زمعة ٢٤٩
 يزيد بن سعد ١٢١
 يزيد بن المهلب ١٢٤
 يزيد بن قطن ١٣٩
 يزيد بن الصق ٢٨٣ و ٢٨٤
 يزيد بن عمرو ٣٨١
 يعقوب (عليه السلام) ٩٥
 يعمر بن نفاثة ٢٥٤
 يعمر الشداخ ٣٣٠
 يكسوم بن ابرهة ٢٦١
 يوسف (عليه السلام) ١٢٣ و ٣١٢
 يونس بن حبيب ١٢٧

الفهرس الثالث

في أسماء البلدان والقبائل وغيرها

أ	(١)
أم القرى ١٩٤ و ٢٤٢	أبام ١٩٤
أم رحم ٢٢٨	الابطح ٢٨١
أمد ٢١٨	الابلق الفرد ١٠٣٧ و ٢١١ و ٢١١
أميم ٢٠٨	ابناء طمر ١٩٥
الانبار ١٧٩ و ٢٠٩ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٦	أبو قبيس ١٩٥
الانصار ٩٦	أبيم ١٩٤
الاندلس ١١ و ٢٠٩ و ٣٥٩ و ٣٦٨	أجا وسامى ١٩٢
انمار ٢٠٦	اجيادان ١٩٥
أوريا ١٨٠ و ١٨٢	أحد ١٩٥
الأوس والخزرج ١٨٩ و ٢٩٠ و ١٩١ و ٢٨٧	الأحساء ١٩٧
أرياد ٢٠٦	الأحص ٢٠٢
أيلة ١٨٤ و ١٨٥	الأخاشب ٢٥٩
(ب)	أذربيجان ١١
بابل ٢١٢ و ٢٤٨	أذرح ٢١٢
بالس ١٨٥ و ١٨٦	أرض نمود ٢١٠
باب المنذب ٢٠٦	أرض حكم ٢٠٣ و ٣٠٤
الباسة ٢٢٨	أرض زبيد ٢٠٥
بجى ٣٦٣	أرض عيس ٢٠٥
البحرين ٩ و ١٥ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٩٧	أرض وادعة ٢٠٤
و ٢٦٥	الأرمز ١٢
بحر القلزم ٩١ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٧	أرمينية ١١
البحر المحيط ١٤	أريحة ٢٠٣
بحر الهند ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٧ و ٢٠٦	أزال ٢٠٥
بحر فارس ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٧ و ١٩٧	أسيانيا ١٨٣
البحر الأحمر ١٩٥	الاسكندرية ١٨١
بحيرة الأردن ٣٥٨	أشيبليه ٣٦٨
بدر ١٨٨ و ١٩٣	أصبهان ٣٥٤ و ٣٥٤ و ٣٦٣
برع ٢٠٣	أفاعية ١٩٥
برس ٣٥٣	الأفرنج ٢١٢
البربر ١١ و ١٥١	أفريقية ١٤ و ٣٦٨
برقة ١٤	الأزاد ١٢
البردة ١٩٥	آل صوفان . وصفوان ٢٤٧
البيشى ١٨٣	آل جفنة ٢١٥
بسمل ١٩١	آل النعمان بن المنذر ٢١٣
بسوم ١٩٤	
البشر ١٩٩	

بنو جديمة ٢٠٢	البصرة ١١ و ٢٣ و ١١٧ و ١٥٨ و ١٨٠ و ١٨٥
بنو جابر ٢٩٩ و ٣٠٠	١٨٦ و ١٩٦ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢١٦
بنو جهينة ٢٩٠	بصرى ١١١
بنو جعفر ٢٩٦	بمدان ٢٠٣
بنو جديلة ٣٣٦	بفداد ١٨٠ و ١٨١ و ٢١٣ و ٣٦٨
بنو جمع ٢٧٥	بكة ٢٢٧ و ٢٥٨
بنو جمع ٢٥٠ و ٢٧٧ و ٢٧٨	بكر بن وائل ٢١ و ٣٢ و ١٠٠ و ١٢٣ و ١٢٤ و ٢١١
بنو جشم ٣٠٤	٢١٧ و ٢٨١ و ٢٨٦ و ٣١٣ و ٣٢٤
بنو حمير ١٠٠ و ١٠١ و ٢٣١ و ٣٤٤	البلقاء ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ٢١٢
بنو حنيفة ١٩٦ و ١٩٧ و ٢١١ و ٣٤٥	بلد ٢٢١
بنو حرملة ٢٩٠	بنو اسد ٤٥٠ و ١١٢ و ١١٨ و ١٢٨ و ٢٧٧ و ٢٧٨
بنو الحارث ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩	٢٤٩ و ٣٢٩
بنو حارثة ٢٧٩	بنو اسرائيل ٣٦٤ و ١٣٧
بنو خشم ١١٧ و ٢٤٦	بنو اعياء ١١٨
بنو خزاعة ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٠٨ و ٣٢٢ و ٣٣٠	بنو اشجع ١٢٥
بنو خندف ٢٨٣	بنو اسمعيل ١٦٣ و ٣٢٢
بنو خالد ٢٨٨ و ٢٩١	بنو اسحق ١٦٣
بنو دارم ١١٦	بنو امية ١٧١ و ٢٤٩ و ٣٣١
بنو ذبيان ١١٠ و ٢٢٢ و ٣٧٢	بنو الاصبغ ٢٠٢
بنو ربيع ٤٨	بنو اسيد ٣١٦
بنو رسول ٢٠٥	بنو الاحوص ٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣
بنو زبيد ٢٧٥ و ٢٨٤	بنو ايوب ٣٥٩
بنو زهرة ٢٧٨ و ٢٧٧	بنو الاحابيش ٢٦٧
بنو زيد ٣٠٤ و ٣٠٣	بنو بكر بن عبد مناف ١٨٠
بنو سنان ٨٥	بنو بكر بن كلاب ٧١
بنو سليم ١٤٢ و ٢٦٧	بنو بكر ٢١١ و ٢٥٤
بنو سعد ٢٨٣ و ٢٤٧	بنو بجيلة ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٦ و ٣٤٦
بنو سهم ٢٥٠ و ٢٧٥ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩	بنو بكر بن عبد مائة ٢٦٨
بنو شيبان ١٠٠ و ١١٦ و ١١٧ و ١٢٦ و ٢١١ و ٢٦٨	بنو تميم ٢٤ و ٣٢ و ١٠٣ و ١٢٤ و ١٤٢ و ٢٢٨
٢٨٣ و ٢٨٢	٢٨٤ و ٢٨٣ و ٢٨٢ و ٢٨١ و ٢٨٠ و ٢٦٧ و ٢٣٦
بنو شريك ٢٨٥	٢٩٩ و ٣٠٨ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣٤٤
بنو صداء ١١٧	٣٤٥
بنو ضبة ٢١٨	بنو تغلب ١١٥ و ٢١١ و ٣٣٤
بنو طى ٨٤ و ١١٨ و ١٨٤ و ٢٠٢	بنو تميم ١١٠ و ١١٧ و ١٢٠ و ٢١١ و ٢٤٩ و ٢٧٧ و ٢٧٨
بنو طريف ٢٩٩	٣٨٥
بنو عتاب ٥٤	بنو ثعل ٣٥
بنو عبد مناف ٦٣ و ٢٤٨ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩	بنو ثعلبة ٥٤
بنو عيلان ٦٨	بنو ثور ١١٠
بنو العنبر ٨٧ و ٢٠٠	بنو ثقيف ١٩١ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٣٢١
بنو عبد مائة ١٠٨	بنو جفنة ١٠
بنو عدى ١٠٩ و ٢٥٠ و ٢٧٧ و ٢٧٨	بنو جوشن ١٠٥
	بنو جرم ١٧٠

بنو نزار ٢٠٥
بنو النضير ٢٢٢
بنو نمر ٦٤
بنو نيهان ٨٤
بنو نصر ٢٢١ و ٢٦٩ و ٢٩٩ و ٣٢١
بنو نوفل ٢٠٠ و ٢٤٩
بنو نغار ٢٣٧
بنو نهشل ١١٦
بنو هوازن ١١٨ و ١٩٤ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠
بنو هاشم ٢٤ و ١٤٧ و ١٦٠ و ١٦٣ و ١٧١ و ١٧٦
و ١٨٤ و ٢٥٠
بنو هذيل ١٤٢ و ١٩١ و ٢٥٣
بنو هرم ٩٢٦
بنو هلال ٢٩٧ و ٢٩٨
بنو وتار ٣٠٠
بنو الوحيد ٢٩١
بنو وائل ٢٣٤
بنو يربوع ٢٠١
بيت لحم ٣٥٨
البوبات ١٩٤
البيضاء ١٩٥
بيجان ٢٠٣ و ٢٠٤
بيت الفقيه ٢٠٦

(ن)

التبايعة ٢٠٥ و ٢١٢
تبالة ٧١
تبعة ٩١١
تبوك ١٩٥
التنن ١٢
تدمر ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١٢
الترك ١١ و ١٢ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٩ و ٢٠٩
حز ٢٠٥
تهامة ١٤ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٩ و ٢٠٠
و ٢٠٢ و ٣٥٣
توضح ١٦١
تيس ٢٠٣
تيماء ٢١ و ٢١١

(ث)

ثبيران ١٩٥
ثبير الاعرج ١٩٥
ثبير ١٩٥ و ٢٥٥

بنو عيس ١١٠ و ١٢٥ و ١٢٦ و ٢٠٠ و ٣٧٢
بنو عامر ١١٠ و ١٢٢ و ١٩٨ و ٢٣٦ و ٢٦٠
و ٢٧٧ و ٢٨١ و ٢٨٣ و ٢٩٣ و ٣٢١
بنو عوف ١٧٠ و ٢٤٢
بنو عدوان ٢٤٧ و ٢٤٨
بنو عبد الدار ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٧٧ و ٢٧٨
بنو عبد الله بن دارم ٢٦٥
بنو عقيل ٢٦٧
بنو عزة ١٩٢
بنو عدنان ٢٠٩ و ٢٧٩
بنو غطفان ١٠٥ و ٨٥
بنو غفار ١٩٢ و ٢٧٠
بنو فزارة ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٤٨ و ٢٨١ و ٢٩٧
٢٩٨
بنو فهر ١٤٥ و ٢٤٧ و ٢٧٥
بنو فقيم ٢٥١
بنو فقمس ٢٩٩ و ٣٠٠
بنو قيس ٣٣ و ١١٣ و ١١٥ و ١١٧ و ١٢٢ و ٢٩٦
بنو قضاة ١٠٥ و ١٠٦ و ١٧٠ و ٣٤٤
بنو قريظة ١٠١
بنو قعين ٢٩٩
بنو قصي ٢٢٢ و ٢٤٤ و ٢٧٥ و ٣٢٢ و ٣٣٠
بنو قسر ٣٠٣
بنو قليبي ٣٧٢
بنو كلب ٠٨ و ١١٠ و ١١١ و ٢٦٥ و ٢٨٧ و ٣٠٣
٣٠٤
بنو كلاب ١١٠ و ٢٩٧
بنو كنانة ١٤٤ و ١٨٠ و ٢٤٣ و ٢٥٣ و ٢٦٨ و ٢٦٩
و ٢٧٠ و ٣٣٠ و ٣٤٤
بنو كندة ٢٨٢
بنو محارب ٢٤
بنو مطر ٤٩
بنو مازن ١١٥ و ١٤٣ و ٢٠١
بنو مجاشع ١٢١
بنو مرة ١٢٥ و ١٢٤ و ١٤١ و ٢٩٠
بنو مالك ١٤٣
بنو محيد ٢٠٤
بنو منقذ ١٦٧
بنو مخزوم ٢٥٠ و ٢٧٧ و ٢٧٨
بنو المصطلق ٢٦٧
بنو محارب ٢٧٧
بنو نمير ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢١٨

الحجاز ١٨٤ و ١٨١ و ١٩٤ و ٧٣ و ٣٩ و ١٤ و ٩ و ٨
١٨٦ و ١٨٨ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٦
٢٠٠ و ٢٠٤ و ٢٠٩ و ٢٦٧ و ٣٣١ و ٣٦٨ و ٣٧٢
حجر ٢١١ و ٢١٠ و ٢١١
الحجون ٢٣.

الحديبية ٢٤. و ١٩٥

حدثة الموصل ٢١٦

الحديثة ٢٢١

الحرار ١٨٨

حرة ليلى ١٨٨

حران ٢١٦

الحريرة ٢٧.

حراء ٢٥٥

حزوى ٢١

الحزورة ٢٤.

حضر موت ٢.٣ و ٢.٦ و ٢.٨

حضور ٢.٣

حفاش ٢.٣

حفر ابى موسى ١٨٥ و ٢٠٠ و ٢٠١

حفر بنى العنبر ٢٠٠

الحفير ٢١٢

حفية ٢١٣

حلب ٢.٢

حلوان ٢١٦

حمراء غرناطة ١٨٣

حمص ٢.٩

الحمص ٢٤٢

حنظلة ٢١

حنين ٣١٥

حوران ١٨٦ و ٢١٢

الحويرثية ٢.١

الحيرة ١. و ١٥١ و ١٧٩ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢٨٦

و ٣٤٥

(خ)

الخابور ٢١٧ و ٢١٩

خبت ٣٧٢

خراسان ٩ و ١١ و ٢١٣ و ٢١٦ و ٣٥٣ و ٣٥٧

الخزرج ٥٧

الخزرج ١٤٨ و ١٥٩

الخضراء ٢.٣

(٢٧ - ل)

نبي غيباء ١٩٥

الثلبوث ٢.٢

ثمود ٢.٨ و ٢١١

ثور ١٩٥ و ٢١

الثوية ١٢٧

(ج)

جامع قرطبة ١٨٣

الجار ١٨٥ و ١٨٦ و ١٩٢

جيلة الابهية ٢١٢

جبال هملاى ١٨٣

جبال فاران ٢٤.

جبال الصمان ٢٥٩

جبل السنار ١٤٢

جبل طه ١٧٨

جبل يثرب ٢٣٩

جبل حراء ٢٥٥

جبل القديد ٣٤٦

جبل البرز ٣٤٩

جبل قاف ٣٤٩

الجحفة ١٨٦ و ١٨٧ و ١٩٣ و ٢٠٠

جدة ١٨٥ و ١٨٦ و ١٩٥ و ٢٣٢ و ٢٣٧

جديس ٢.٨

جديلة قيس ٢٤٣

الجريب ٢.٢

جرهم ٢.٨ و ٢٣٥ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٥٨

جزيرة العرب ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٩٧

و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٥ و ٢٢٠ و ٢٢٢

الجزيرة الفراتية ١٨٥

جزيرة ابن عمر ٢٢.

جعفر ٢.٣

الجعمرانة ٢٣٧

جلدان ١٩١

جلى ٢.٢

الجماء ١٩٥

جناب ١١.

الجنادل ٢١١

جوف حمدان ٢.٣ و ٢.٥

الجوزجان ٣١٦

جى ٢٥.

(ح)

الحبشة ٣٢٥ و ٣٢٩

الروم ١٢ و ١١ و ١٤٧ و ١٥٩ و ١٦٦ و ١٩٥ و ٢١٣
و ٢٢٢ و ٣٠١ و ٣٠٤ و ٣٦٠ و ٣٦٨ و ٣٦٩
ريدة ٩٣

(ز)

زاغا ١٤
الزياد ٢١١
زبيد ١٨٥ و ٣٠٣ و ٣٠٦
الزحمة ٢٠٩
الزلالة ١٩٥
ززم ٣٩٣
زنانة ١٥
الزوراء ٢١٣

(س)

سايمر ٢٤٠
سبأ ٢٠٧ و ٢٣١
سبوحه ١٩٤
السراة ١٩١ و ١٩٤ و ١٩٥
سردد ٢٠٣
سروج ٢١٩
سروسحيم ٩٣
سفوان ١١٧
السقيا ١١٨
سلع ١٤٢
سلميه ١٨٥ و ١٨٦ و ٢٠٩
السماوة ١٨٥
سميراء ٢٠٠
سمرقند ١٨١
السند ٩
سنجار ١٨١
السودان ٩ و ١٥٩
السوس ١٤
السواد ٢١٥ و ٢١٦
سوق حباشة ٢٦٧ و ٢٧٠
سوق حجر ٢٧٠
سوق حضرموت ٢٦٦
سوق ذي المجاز ٢٦٦
سوق صحار ٢٦٦
سوق صنعاء ٢٦٦
سوق عمان ٢٦٥
سوق عدن أبين ٢٦٦
سوق عكاظ ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠
سوق هجر ٢٦٥

الخط ١٥
الخدمة ١٩٥
خولان ٢٠٤
خيبر ١٩٢ و ١٩٥ و ٢٤٤ و ٢٧٠
خيص ١٩٤

(د)

داعة ١٩٤
دارا ٢١٩
دارة نبيت ٢٠٢
دجلة ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢٠
دجلة العلت ٢١٦
دخر ٢٠٣
دنياوند ٣٥٤
دومة الجندل ٢١١ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٣١٥
دومة ٢١١
دومة العراق ٢١١
ديار بكر ٢١٧
ديار ربيعة ٢١٧
ديار مضر ٢١٧
ديار باري ٢٦٧

(ذ)

ذات عرق ١٨٧ و ٢٠٠
ذات انمار ٢١٢
ذباب ١٩٥
الذنوب ١٢٨
ذو المجاز ١٩١ و ١٩٢ و ٢٦٦ و ٢٧٠

(ر)

الرياب ٢١
الريذة ٢٠٠ و ٣٧٢
رخم ٢٦٨
رحة مالك بن طوق ٢١٩
ربيعة الفرس ٢١١
ربيعة ٩ و ١٠ و ٢١ و ٣٦ و ١٤٠ و ١٤٩ و ١٨٩
و ٢٠٦ و ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٣٠٦
و ٣٣٤ و ٣٤٤
رضوى ١٩٥
الرقنة ٢١٩
رمال الاحفاف ٢٠٦
رهاط ١٨٨

(ق)

القارة ١٨.
 قاع بولان ٢.١
 القادسية ٣.٢ و ٣٥٤
 القبط ٣٥. و ٣٥٧ و ٣٦١
 قحطان ١. و ١٦٣ و ١٧٦ و ١٨. و ٢.٧ و ٢.٨
 قنريش ١. و ٩٢ و ١٤٧ و ١٦. و ١٦٣ و ١٧٦
 و ١٨. و ١٨٤ و ١٩. و ١٩٥ و ٢٣١ و ٢٣٣ و ٢٣٤
 و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٦ و ٢٤٥
 و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥. و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥
 و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٦١ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧.
 و ٢٧٢ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٩٢ و ٣.٨ و ٣.٠٤ و ٣٢. و ٣٢١
 و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨
 و ٣٣٩ و ٣٤٥ و ٣٧٧ و ٣٨١
 قرطبة ١٨. و ١٨٣
 قرين ١٩٥
 القرامطة ١٩٧ و ٢٦٣
 قرينا ابن عامر ٢.٥
 قرقيسيا ٢١٩ و ٣.٢
 القرن الاحمر ٢٣٩
 قرن المنازل ٢٦٧
 القدس ١٤٢ و ٣٥٧ و ٣٥٩ و ٣٦. و ٣٦٣ و ٣٦٤
 (اطلب فلسطين)
 قزح ١٩٥ و ٢٣٩ و ٢٦٢
 قسطنطينية ١٤ و ١٨١ و ٣٦.
 القسطل ٢١٢
 قصر الزهراء ١٨٣
 قصر غمدان ٢.٤ و ٢.٥
 قصر ظفار ٢.٥
 قصر سلمين ٢.٥
 قصر ناعظ ٢.٥
 قصر بينون ٢.٥
 قصر صرواخ ٢.٥
 قصر العشب ٢.٥
 قصر المنقاء ٢.٥
 قصر موكل ٢.٥
 قصر بلقيس ٢٥١
 قصر براقين ٢.٥
 قصر معين ٢.٥
 قصر تلمم ٢.٥
 قصر هكر ٢.٥

عرفة ١٩٢ و ٢٣٧ و ٢٣٩ و ٢٤٤ و ٢٦٦ و ٢٧٠ و ٢٤٦
 عربية ٢.٤
 عسفان ١٩٣ و ٢.٥
 العسكريان ٢.٥
 عسير ٢.٣
 عشر ١٩٤
 القنبة ١٨٤
 عقبه ٢٢٩
 عك ١٧.
 عكل ٢١ و ١٧.
 عكاظ ١٨٨ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ٣.٣
 علافة ٢.٢ و ٢.٦
 عمان ١٨٥ و ٢.٤ و ٢.٨ و ٢٦٦
 العمالة ٢٣٥
 عمر ٢١
 عمير ١٩٥
 عين التمر ٢١١ و ٢١٣

(غ)

غرناطة ١٨. و ١٨٣
 غزوان ١٩١
 غسان ٣٤٤
 الغمير ٢١٣
 غمرة ٢.٥
 غوطة دمشق ١٨٦ و ٢٢.
 الغور ١٨٧

(ف)

فارس ٩ و ١١ و ١٢ و ١٤٢ و ١٤٧ و ١٥٩ و ١٨.
 و ١٨٤ و ١٨٦ و ٢.٤ و ٢٤٧ و ٣.١ و ٣٤٧ و ٣.٤
 و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦
 و ٣٦٣ و ٣٦٨ و ٣٦٩
 فاضح ٢٤٤
 الفتق ١٩١
 فدك ١٩٢
 الفرات ١٨٥ و ١٨٧ و ٢١٣ و ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢٠
 و ٢٢٢
 فرنسا ٣٩ و ١٨. و ١٨٣
 فققس ١١٨
 فلج ٢.٥
 فلسطين ٣٥٨ (اطلب القدس)
 فهم ٢.٤ و ٢٤٢

(م)

قصر الاهجر ٢.٥
قصر دورم ٢.٥
قصر اعماد ٢.٥
قصر ابر ٢١٢
قصر الغضا ٢١٢
قصر منار ٢١٢
قصر السيد ٢١٢
قصر حارب ٢١٢
قصر برقع ٢١٢
قصر بركة ٢١٢
قصر الخورنق ٢١٢ و ٢١٤ و ٢١٥
قصر السدير ٢١٤ و ٢١٥
القصيم ٢.٠ و ٢.١
القطيبات ١٢٨
الغظيف ١٨٥
القططانة ٢١٣
قطربل ٢١٩
قطربل بغداد ٢١٩
قطوراء ٢٤٥ و ٢٤٦
قميتمان ٢٤٥ و ٢٤٦
القليمة ٣٧٢
القموص ١٩٥
عموس القرى ٢.٢
الغناطر ٢١٢
قتونا ٢٦٧

مارب ٢.٢ و ٢.٤ و ٢.٧ و ٢.٨
مارد ٢١١
الملازمين ٢٣٩
البيضة ٢.٣
مجنة ١٩٢
الجوس ٣٥٨
محسر ٢٣٩
مخلق ٢.٣
المخا ٢.٦
المدينة المنورة ١. و ١٣٩ و ١٤٢ و ١٨٤ و ١٨٦
١٨٨ و ١٩. و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٥ و ١٩٦
٢.٠ و ٢.١ و ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٣٧ و ٢٣٨
٢٤٦ و ٢٤٧ و ٣٦٤ و ٣٦٨ و ٣٧٢
مدين ١٨٥ و ٢١.٠
مدرج عثمان ١٩٣
الدائن ٣٥٤
المريد ١٥٨
مر الظهران ١٩٢
المراخ ١٩٤
المرقيه ١٩٤
مراد ٢.٤
مروة ٢٣٩
مزدلفة ١٩٥ و ٢٣٩ و ٢٤٤ و ٢٤٧ و ٢٦٢
المسجد الحرام ٢٤٣ و ٢٣٥ و ٢٣٧ و ٢٣٨
٢٦١ و ٢٤٨
مسور ٢.٣
المشاعر ٢٦٢
المشعر الحرام ٢٦٢
مصر ١١ و ١٤ و ١٨٤ و ٢.٢ و ٢.٦ و ٢١٢ و ٣٥.
٣٥٣ و
مصنعة ٢١٢
مضر ٩ و ١.٠ و ٣٦ و ١٢٣ و ١٤٥ و ١٧٦ و ١٨٩
٢.٦ و ٢١١ و ٢٤٧ و ٢٨.٠ و ٢٨٧ و ٣٠٦ و ٣١١
٢١٢ و ٢١٣ و ٣٧.٠
مغافر ٢٦٦
معان ٢١٢
المرب الاقصى ١٤ و ٢.٩ و ٣٦٨
المفس ٢٥٣ و ٢٥٦ و ٢٦.٠
المفجرة ١٩٥
المفراة ١٦١

(ك)

كاظمة ١٨٥ و ٢.٠
كرمان ٩
الكعبة المعظمة ١٨٤ و ٢٢٩ و ٢٢.٠ و ٢٣٢ و ٢٣٣
٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٤٢ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨
٢٥٢ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٧٢
٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٢٢ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٣٠ و ٢٤٦
الكلب ٣٤١
الكلدانيون ٣٦٣
الكتفوان ١٩٤
الكوفة ١٢٧ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٩٦ و ٢.٠ و ٢٦٣
٢.٢ و ٣٥٣

(ل)

ليلة ١٩١

هجر ١٨٦ و ١٩٧ و ٢٦٥
الهرة ١٩١
همدان ١٧. و ٢.٤ و ٢.٦
هلال ١٩٤
الهند ١٤ و ١٤٧ و ١٤٩ و ١٥٩ و ١٦٥ و ١٦٨
١٨٢ و ٢.٣ و ٢.٦ و ٢.٧ و ٢١٢ و ٢٤٢
هنوم ٢.٣
هيث ٢١٢
الهييمى ١٢١

(و)

وادي النوم ٣.
وادي موسى ١٤٢
الوادي الكبير ١٨٢
وج ١٩١
وجرة ٢.٠
ودان ١٨٨
وصاب ٢.٣
الوقيبى ١١٥

(ي)

يبرين ١٨٥
يشرب ٢٣٢ و ٢٣٩
يحابر ٢٣١
يدغان ١٩٤
البرموله ٣١٦
اليمن ٩ و ١٠ و ١١ و ١٤ و ٣٦ و ٣٩ و ٧١ و ٩٣ و ١١٧
١٢. و ١٢٥ و ١٧. و ١٨. و ١٧. و ١٨١ و ١٨٤ و ١٨٥
١٨٧ و ١٨٨ و ١٩٥ و ٢.١ و ٢.٢ و ٢.٣ و ٢.٤
٢.٥ و ٢.٦ و ٢.٧ و ٢.٨ و ٢.٩ و ٢.١٣ و ٢١٧
٢٣٧ و ٢٤٥ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٦ و ٢٦١ و ٢٦٥
٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٧٥ و ٢٨٧ و ٢.٧ و ٢٢٢ و ٢٤٢
٢٤٦ و ٢٥٢
اليمامة ٧١ و ١٢٨ و ١٨٧ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧
٢١١ و ٢٤١
البنبع ١٨٥ و ١٩٥
اليهود ٣٦. و ٣٦٣ و ٣٦٤
اليونان ١٨٢ و ٣٦. و

مقرا ٢.٤
مكة المكرمة ١٩١. و ٩٧ و ١٨٦ و ١٩٢ و ١٩٣
١٩٤ و ١٩٥ و ٢.٠ و ٢.١ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩
٢٣. و ٢٣١ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩
٢٤. و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨
٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧
٢٥٨ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٦ و ٢٦٧
٢٧. و ٢٧٢ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٣.٧ و ٣١٥ و ٢٢٥
٢٢٩ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٧. و ٢٧٧ و ٢٨١

ملحوب ١٢٨

ملحان ٢.٣

منى ١٨٩ و ١٩٥ و ٢٣٧ و ٢٤٧ و ٢٥٥ و ٢٦٦

٢٧. و

الناقب ١٩٥

النيفة ١٩٨

النكدر ٢.٠

مهرة ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦

مور ٢.٣

الموصل ٢٢. و ٢٢١

(ن)

ناصره ٢٤.

النامسة ٢٤٦

النباج ٢.٠

نجد ١٤ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٩٥ و ١٩٧ و ١٩٨

١٩٩ و ٢.٠ و ٢.١ و ٢.٢

نجار ١٤٢

نجران ١٨٥ و ٢.٢ و ٢.٤ و ٢.٦ و ٢.٨ و ٢٤٧

نعا ١٩٤

نخلة ١٨٨ و ١٩٢ و ٢٦٧

النخب ١٩١

نخلة الشامية ١٩٤

نخلة اليمانية ١٩٤

النصارى ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦. و

نصيين ٢١٩

نصرانة ونصورية ٢٤.

نهاوند ٣٥٤

الثوبة ٩

نهر الابلة ١٨٦

نبروز ١٥٨

(ه)

الهباءة ٣٧٢

